الفصل

في الملل والأهواء والنحل

للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦ هـ

ويهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

صححه وذيله بهوامش نفيسة

عبد الرحمن خليفة

المدرس بمدرسة صاهر باشا وبمعهد علماء الأزهر

الجزء الرابع — الطبعة الأولى سنة ١٣٤٧ هـ

حقوق الطبع بالتعليقات محفوظة للناشر

مصدر بمقدمة بقلم مصححه

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده

بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى هل تعصي الانبياء عليهم السلام ام لا فذهبت طائفة الى ان رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله فى جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشي الكذب فى التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلانى من الاشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكى عن بعض الكرامية انهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب فى التبليغ ايضا وامه هذا الباقلاني فانا رأينا فى كتاب صاحبه أبى جعفر السمناني قاضى الموصل انه كان يقول ان كل ذنب دق او جل فانه جائز على الرسل حاشى الكذب فى التبليغ فقط قال وجائز عليهم ان يكفروا قال واذا نهى النبى عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على ان ذلك النهى قد نسخ لانه قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال وليس لاصحابه ان ينكروا ذلك عليه وجوز ان يكون فى أمة محمد عليه السلام من هو افضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث الى أن مات

(قال ابو محمد) وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الاسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وماله موجبة للبراءة منه فى الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وذهبت طائفة الى ان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر أصلا وجوز واعليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك الاشعرى وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبى أصلا معصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة وهو قول ابن مجاهد الاشعرى شيخ ابن فورك والباقلانى المذكورين (قال ابو محمد) وهذا القول الذى ندين الله تعالى به ولا يحل لاحد ان يدين بسواه ونقول انه يقع من الانبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم ايضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين أصلا بل ينبههم على ذلك ولا يدا ثر وقوعه منهم ويظهر عز وجل ذلك لعباده ويبين لهم كما فعل نبيه صلى الله عليه وسلم فى سلامه من اثنتين وقيامه من اثنتين وربما عاتبهم على ذلك بالكلام كما فعل نبيه عليه السلام فى أمر زينب أم المؤمنين وطلاق زيد لما رضى الله

قدر استعدادات القوابل أظهر وقال لك ان نسب الى أبيك ونسب الى امك أنت باحدهما أشرف وبالآخر أوضع فانتسب فى ظاهرك وباطنك الى من أنت به اشرف وتبرأ فى باطنك وظاهرك ممن أنت به أوضع فان الولد الفشل يحب امه أكثر مما يحب أباه وذلك دليل على انه دخل العرق والفساد المحتد قيل اراد بذلك الهيولى والصورة أو البدن والنفس أو الهيولى والعقل الفعال وقال قد ارتفع اليك خصمان منك يتنازعان بك أحدهما محق والآخر مبطل فاحذر أن تقضى بينهما بغير الحق فتهلك أنت الخصمان أحدهما العقل والثانى الطبيعة وقال كما أن البدن الخالى من النفس يفوح منه نتن الجيفة كذلك النفس الخالية من الادب يحس نقصها بالكلام والافعال وقال الغائب المطلوب فى طى الشاهد الحاضر وقال أبو سليمان السنجرى مفهوم هذ الاطلاق ان كل ما هو عندنا بالحس بين فهو بالعقل لنا هناك الان الذى عندنا ظل ذلك ولان من شان الظل كما يريك الشيء الذى هو ظله مرة فاضلا

عنهما وفى قصة ابن مكتوم رضى الله عنه ورد بما يفيض المكروه فى الدنيا كالذى اصاب آدم ويونس عليهما الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام بخلافنا فى هذا فاننا غير مؤاخذين بما سهونا فيه ولا بما قصدنا به وجه الله عز وجل فلم يصادف مراده تعالى بل نحن ماجورون على هذا الوجه أجرا واحدا وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قرن بكل احد شيطانا وان الله تعالى أعانه على شيطانه فاسلم فلا يأمره الا بخير واما الملائكة فبرآء من كل هذا لانهم خلقوا من نور محض لاشوب فيه والنور خير كله لاكدر فيه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب بن عيسى حدثنا احمد بن محمد بن على حدثنا مسلم بن الحجاج عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر الزهرى عن عروة عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بآيات من القرآن وأخبار وردت ونحن ان شاء الله عز وجل نذكرها ونبين غلطهم فيها بالبراهين الواضحة الضرورية وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى آدم عليه السلام)

قال ابو محمد) فمما احتجوا به قول الله عز وجل * وعصى ادم ربه فغوى * وقوله تعالى * ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * قالوا فقربها آدم فكان من الظالمين وقد عصى وغوى وقال تعالى * فتاب عليه * والتاب لايكون الا من ذنب وقال تعالى * فازلهما الشيطان * وازلال الشيطان معصية وذكروا قول الله تعالى * فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * هذا كل ماذكروا فى آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا كله بخلاف ماظنوا اما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى فقد علمنا ان كل خلاف لامر آمر فصورته صورة المعصية فيسمى معصية لذلك وغواية الا انه منه مايكون عن عمد وذكر فهذه معصية على الحقيقة لان فاعلها قاصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وهذا هو الذى نزهنا عنه الانبياء عليهم السلام ومنه مايكون عن قصد الى خلاف مالامر به وهو يتاول فى ذلك الخير ولايدرى انه عاص بذلك بل يظن انه مطيع لله تعالى اوان ذلك مباح له لانه يتاول ان الامر الوارد عليه ليس على معنى الايجاب ولا على التحريم لكن اما على الندب ان كان بلفظ الامر او الكراهية ان كان بلفظ النهى وهذا شىء يقع فيه العلماء والفقهاء والافاضل كثيرا وهذا هو الذى يقع من الانبياء عليهم السلام ويؤاخذون به اذا وقع منهم وعلى هذا السبيل اكل آدم من الشجرة ومعنى قوله تعالى * فتكونا من الظالمين * اى ظالمين لانفسكما والظلم فى اللغة وضع الشىء فى غير موضعه فمن وضع الامر أو النهى فى موضع الندب او الكراهة فقد وضع الشىء فى غير موضعه وهذا الظلم من هذا النوع من الظلم الذى يقع بغير قصد وليس معصية لا الظلم الذى هو القصد الى المعصية وهو يدرى انها معصية وبرهان هذا ماقد نصه الله تعالى من ان آدم عليه السلام لم يأكل من الشجرة الا بعد ان اقسم له ابليس ان نهى الله عز وجل لهما عن اكل الشجرة ليس على التحريم وانهما لايستحقان بذلك عقوبة اصلا بل يستحقان بذلك الجزاء الحسن وفوز الابد قال تعالى حاكيا عن ابليس انه * قال لهما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

على ماهو عليه ومرة ناقصا عما هو به ومرة على قدر عرض الحسبان والتوهم وصارا مزاحمين للبقين والتحقيق فينبغى أن يكون عنايتنا بطلب البقاء الابدى والوجود السرمدى أتم واظهر وابقى وابلغ فبالحق ماكان الغائب فى طى الشاهد وبتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب وقال الشيخ اليونانى النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنها دائرة لايعدلها ومركزها العقل وكذلك للعقل دائرة استدارت على مركزها وهو الخير الاول المحض غير أن النفس والعقل ان كانا دائرتين لكن دائرة العقل لاتتحرك أبدا بل هى ساكنة دائمة شبيهة بمركزها اما دائرة النفس فانها تتحرك على مركزها والعقل حركة الاستكمال وعلى ان دائرة العقل وان كانت دائرة شبيهة بمركزها لكنها تتحرك حركة لاشتياق لانها تشتاق الى مركزها وهو الخير الاول واما دائرة العالم السفلى فانها دائرة تدور حول النفس والهيولى اشتاق وانما تتحرك بهذه الحركة الذاتية شوقا الى النفس كشوق

الى العقل وشوق العقل الى الخير المحض الاول ولان دائرة هذا العالم جرم والجرم يشتاق الى الشيء الخارج منه ويحرص الى ان يصير اليه فيعانقه فلذلك يتحرك الجرم الاقصى الشريف حركة مستديرة لانه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح اليها ويسكن عندها وقال ليس للمبدع الاول تعالى صورة ولا حلية مثل صور الاشياء العالية ولا مثل صور الاشياء السافلة ولا قوة مثل قواها لكنه فوق كل صورة وحلية وقوة لانه مبدعها بتوسط العقل وقال المبدع الحق ليس شيئا من الاشياء وهو جميع الاشياء لان الاشياء منه وقد صدق الافاضل الاوائل في قولهم مالك الاشياء كلها هو الاشياء كلها اذ هو علة كونها بانه فقط وعلة شوقها اليه وهو خلاف الاشياء كلها وليس فيه شيء مما ابدعه ولا يشبه شيئا منه ولو كان ذلك لما كان علة الاشياء كلها واذا كان العقل واحدا من الاشياء فليس فيه عقل ولا صورة ولا حلية أبدع الاشياء بانه فقط وبانه يعلمها ويحفظها ويدبرها لا بصفة من الصفات وانما وصفناه بالحسنات

اوتكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور * وقد قال عز وجل ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما *

(قال ابو محمد) فلما نسي آدم عليه السلام عهد الله اليه في أن ابليس عدو له احسن الظن بيمينه (قال ابو محمد) ولاسلامة ولابراءة من القصد الى المعصية ولا ابعد من الجراءة على الذنوب انما اكل من الشجرة التي نهاه الله عنها اعصيا بنص القرآن ومتاولا وقاصدا الى الخير لانه قدر أنه يزداد حظوة عند الله تعالى فيكون ملكا مقربا او خالدا فيما هو فيه أبدا فأداه ذلك الى خلاف ما امره الله عز وجل به وكان الواجب ان يحمل أمر ربه عز وجل على ظاهره لكن تاول وأراد الخير فلم يصبه ولو فعل هذا عالم من علماء المسلمين لكان ماجورا ولكن آدم عليه السلام لما فعله ووجد به اخراجه عن الجنة الى نكد الدنيا كان بذلك ظالما لنفسه وقد سمى الله عز وجل قاتل الخطا قاتلا كما سمى العامد والمخطيء لم يتعمد معصية وجعل في الخطا في ذلك كفارة عتق رقبة او صيام شهرين متتابعين لمن عجز عن الرقبة وهو لم يتعمد ذنبا واما قوله عز وجل * لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما * فهذا تكفير لآدم عليه السلام ومن نسب لآدم عليه السلام الشرك والكفر كفرا مجردا بلا خلاف من أحد من الامة ونحن ننكر على من كفر المسلمين العصاة المشارين القتالين والشرط الفاسقين فكيف من كفر الانبياء عليهم السلام وهذا الذي نسبوه الى آدم عليه السلام من أنه سمى ابنه عبد الحارث خرافة موضوعة مكذوبة من تاليف من لا دين له ولا حياء لم يصح سندها قط وانما نزلت في المشركين على ظاهرها وحتى لو صح انها نزلت في آدم وهذا لا يصح اصلا لما كانت فيه للمخالف حجة لانه كان يكون الشرك او الشركاء المذكورون في الآية حينئذ على غير الشرك الذي هو الكفر لكن بمعنى انهما جعلا مع توكلهما شركة من حفظه ومعناه كما قال يعقوب عليه السلام * يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون * فاخبرنا عز وجل ان يعقوب عليه السلام امرهم ان يدخلوا من ابواب متفرقة اشفاقا عليهم اما من اصابة العين وأما من تعرض عدو او مستريب باجماعهم او ببعض ما يخوفه عليهم وهو عليه السلام معترف ان فعله ذلك وامره اياهم بما امرهم به من ذلك لا يغني عنهم من الله شيئا يريده عز وجل بهم ولكن لما كانت طبيعة البشرية في يعقوب عليه السلام وفي سائر الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى حاكيا عن الرسل انهم قالوا * ان نحن الا بشر مثلكم * حملهم ذلك على بعض النظر المخفف لحاجة النفس ونزاعها وتوقها الى سلامة من يحب وان كان ذلك لا يغني شيئا كما كان عليه السلام يحب الفال الحسن فكان يكون على هذا معنى الشرك والشركاء ان يكون عوذة او تميمة او نحو هذا فكيف ولم تنزل الآية قط الا في الكفار لا في آدم عليه السلام

(الكلام في نوح عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله عز وجل لنوح * فلا تسالن ما ليس لك به علم اني اعظك

ان تكون من الجاهلين *
(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان نوحا عليه السلام تاول وعد الله تعالى ان يخلصه واهله فظن ان ابنه من اهله على ظاهر القرابة وهذا لو فعله احد لكان ماجورا ولم يسأل نوح تخليص من ايقن انه ليس من اهله فتفرع على ذلك نهي عن ان يكون من الجاهلين فتندم عليه السلام من ذلك ونزع وليس هاهنا عمد للمعصية البتة وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في ابراهيم عليه السلام)

(قال ابو محمد) ذكروا ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات وانه قال اذ نظر في النجوم اني سقيم وبقوله في الكواكب والشمس والقمر هذا ربي وبقوله في سارة هذه اختي وبقوله في الاصنام اذ كسرها بل فعله كبيرهم هذا وبطلبه إذ طلب رؤية احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
(قال ابو محمد) وهذا كله ليس على ماظنوه بل هو حجة لنا والحمد لله رب العالمين اما الحديث انه عليه السلام كذب ثلاث كذبات فليس كل كذب معصية بل منه ما يكون طاعة لله عز وجل وفرضا واجبا يعصى من تركه صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا وقد اباح عليه السلام كذب الرجل لامرأته فيما يستجلب به مودتها وكذلك الكذب في الحرب وقد اجمع اهل الاسلام على ان انسانا لو سمع مظلوما قد ظلمه سلطان وطلبه ليقتله بغير حق وياخذ ماله غصبا فاستتر عنده وسمعه يدعو على من ظلمه قاصدا بذلك السلطان فسأل السلطان ذلك السامع عما سمعه منه وعن موضعه فانه ان كتم ما سمع وانكر ان يكون سمعه او انه يعرف موضعه أو موضع ماله فانه محسن ماجور مطيع لله عز وجل وانه ان صدقه فاخبره بما سمعه منه وبموضعه وموضع ماله كان فاسقا عاصيا لله عز وجل فاعل كبيرة مذموما ناما وقد اباح الكذب في اظهار الكفر في التقية وكل ما روي عن ابراهيم عليه السلام في تلك الكذبات فهو داخل في الصفة المحمودة لا في الكذب الذي نهي عنه واما قوله عن سارة هي أختي فصدق هي اخته من وجهين قال الله تعالى * انما المؤمنون اخوة * وقال عليه السلام لا يخطب احدكم على خطبة اخيه والوجه الثاني القرابة وانها من قومه ومن مستجيبيه قال عز وجل والى مدين أخاهم شعيبا فمن عد هذا كذبا مذموما من ابراهيم عليه السلام فليعده كذبا من ربه عز وجل وهذا كفر مجرد فصح انه عليه السلام صادق في قوله سارة اخته واما قوله . فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم . فليس هذا كذبا ولسنا ننكر ان تكون النجوم دلائل على الصحة والمرض وبعض ما يحدث في العالم كدلالة البرق على نزول البحر وكدلالة الرعد على تولد الكمأة وكتولد المد والجزر على طلوع القمر وغروبه واعذاروا ره نفاعه وامتلائه ونقصه وانما المنكر قول من قال ان الكواكب هي الفاعلة المدبرة لذلك دون الله تعالى او مشتركة معه فهذا كفر من قائله واما قوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا فانما هو تقريع لهم وتوبيخ كما قال تعالى . ذق انك انت العزيز الكريم . وهو في الحقيقة مهان ذليل مهين معذب في النار فكلا القولين توبيخ لمن قيلا له على ظنهم ان الاصنام تفعل الخير والشر وعلى ظن المعذب في نفسه في الدنيا انه عزيز كريم ولم يقل ابراهيم هذا على انه محقق لان كبيرهم فعله اذ الكذب انما هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه قصدا الى تحقيق ذلك واما قوله عليه السلام اذ رأى الشمس والقمر هذا ربي فقال قوم ان ابراهيم عليه السلام

والفضائل لانه علتها وانه الذي جعلها في الصور هو مبدعها وقال انما تفاضلت الجواهر العالية العقلية لاختلاف قبولها من النور الاول فلذلك صارت ذوات مراتب شتى فمنها ما هو أول في المرتبة ومنها ما هو ثاني ومنها ما هو ثالث فاختلفت الاشياء بالمراتب والفصول لا بالمواضع والاماكن وكذلك الحواس تختلف باماكنها على ان القوي الحاسة فانها معا لا يفترق بمفارقة الآلة وقال المبدع ليس متناه لانه جثة بسيطة وانما عظم جوهره بالقوة والقدرة لا بالكمية والمقدار فليس للاول صورة ولا حالية ولا شكل فلذلك صار محبوبا معشوقا يشتاقه الصور العالية والسافلة وانما اشتاقت اليه صور جميع الاشياء لانها مبدعها وكساها من جوده حلية الوجود وهو قديم دائم على حاله لا يتغير والعاشق يحرص على أن يصير اليه ويكون معه وللمعشوق الاول عشاق كثيرون وقد يفيض عليهم كلهم من نوره من غير أن ينقص منه شيء لانه ثابت قائم بذاته لا يتحرك وأما المنطق الجزئي فانه لا يعرف الشيء الا معرفة

جزئية وشوق العقل الاول الى المبدع الاول أشد من شوق سائر الاشياء لان الاشياء كلها تحته واذا اشتاق اليه العقل لم يقل العقل لم صرت مشتاقا الى الاول اذ المشتاق لا علة له فاما المنطق الذي يختص بالنفس فيفحص عن ذلك ويقول ان الاول هو المبدع الحق وهو الذي لا صورة له وهو مبدع الصور فالصور كلها تحتاج اليه فتشتاق اليه وذلك ان كل صورة تطلب مصورها وتحن اليه وقال ان الفاعل الاول ابدع الاشياء كلها بغاية الحكمة لا يقدر احد ان ينال علل كونها ولم كانت على الحال التي هي الآن عليها وان لا معرفها كنه معرفتها ولم صارت الارض في الوسط ولم كانت مستديرة ولم تكن مستطيلة ولا منحرفة الا ان يقول ان الباري صيرها كذلك وانما كانت بغاية الحكمة الواسعة لكل حكمة وكل فاعل يفعل برؤية وفكرة لا بنيته فقط بل يفصل منه فلذلك يكون فعله لا بغاية الثقافة والاحكام والفاعل الاول لا يحتاج في ابداع الاشياء الى رؤية وفكرة وذلك انه ينال العلل بلا قياس بل يبدع الاشياء ويعلم علتها قبل الرؤية

قال ذلك محققا أول خروجه من النار وهذا خرافة موضوعة مكذوبة ظاهرة الافتعال ومن المحال الممتنع ان يبلغ أحد حد التمييز والكلام بمثل هذا وهو لم ير قط شمسا ولا قمرا ولا كوكبا وقد اكذب الله هذا الظن الكاذب بقوله الصادق . ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . فمحال أن يكون من اتاه الله رشده من قبل يدخل في عقله ان الكواكب ربه أو ان الشمس ربه من اجل انها اكبر قرصا من القمر هذا ما لا يظنه الا مجنون العقل والصحيح من ذلك انه عليه السلام انما قال ذلك موبخا لقومه كما قال لهم نحو ذلك في الكبير من الاصنام ولا فرق لانهم كانوا على دين الصابئين يعبدون الكواكب ويصورون الاصنام على صورها واسمائها في هياكلهم ويعيدون لها الاعياد ويذبحون لها الذبائح ويقربون لها القرب والقرابين والدخن ويقولون انها تعقل وتدبر وتضر وتنفع ويقيمون لكل كوكب منها شريعة محدودة فوبخهم الخليل عليه السلام على ذلك وسخر منهم وجعل يريهم تعظيم الشمس لكبر جرمها كما قال تعالى . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون : فاراهم ضعف عقولهم في تعظيمهم لهذه الاجرام المسخرة الجمادية وبين لهم انهم مخطئون وانها مدبرة تنتقل في الاماكن ومعاذ الله ان يكون الخليل عليه السلام اشرك قط بربه او شك في ان الفلك بكل ما فيه مخلوق وبرهان قولنا هذا ان الله تعالى لم يعاتبه على شيء مما ذكر ولا عنفه على ذلك بل صدقه تعالى بقوله : وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء . فصح ان هذا بخلاف ما وقع لآدم وغيره بل وافق مراد الله عز وجل بما قال من ذلك وبما فعل واما قوله عليه السلام رب أرني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . فلم يقرره ربنا عز وجل وهو يشك في ايمان ابراهيم عبده وخليله ورسوله عليه السلام تعالى الله عن ذلك ولكن تقرير الايمان في قلبه وان لم ير كيفية احياء الموتى فاخبر عليه السلام عن نفسه انه مؤمن مصدق وانما اراد ان يرى الكيفية فقط ويعتبر بذلك وما شك ابراهيم عليه السلام في ان الله تعالى يحيي الموتى وانما أراد أن يرى الهيئة كما انا لا نشك في صحة وجود الفيل والتمساح والكسوف وزيادة النهر والخليفة ثم يرغب من لم ير ذلك منا في ان يرى كل ذلك ولا يشك في انه حق لكن ليرى العجب الذي يتمثله ولم تقع عليه حاسة بصره فقط واما ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من ابراهيم فمن ظن ان النبي صلى الله عليه وسلم شك قط في قدرة ربه عز وجل على احياء الموتى فقد كفر وهذا الحديث حجة لنا على نفي الشك عن براهيم اي لو كان الكلام من ابراهيم عليه السلام شكا لكان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم عليه السلام احق بالشك فاذا كان من لم يشاهد من القدرة ما شاهد ابراهيم غير شاك فابراهيم عليه السلام ابعد من الشك

(قال أبو محمد) ومن نسب هاهنا الى الخليل عليه السلام الشك فقد نسب اليه الكفر ومن كفر نبيا فقد كفر وايضا فان كان ذلك شكا من ابراهيم عليه السلام وكنا نحن احق بالشك منه فنحن اذا شككنا جاحدون كفار وهذا كلام نعلم والحمد لله بطلانه من أنفسنا بل نحن ولله الحمد مؤمنون مصدقون بالله تعالى وقدرته على كل شيء يسأل عنه السائل وذكروا قول ابراهيم عليه السلام لابيه واستغفاره له وهذا لا حجة لهم فيه لانه لم يكن نهي عن ذلك قال تعالى : فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه : فانى الله تعالى عليه بذلك فصح ان استغفار ابراهيم لابيه انما كان مدة حياته راجيا ايمانه فلما مات كافرا تبرأ منه ولم يستغفر له بعدها تم الكلام في ابراهيم عليه السلام

﴿ الكلام في لوط عليه السلام ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وذكروا قول الله تعالى في لوط عليه السلام انه قال * لوان لي بكم قوة أو آوي الى ركن شديد * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد فظنوا ان هذا القول منه عليه السلام انكار على لوط عليه السلام أيضا * هؤلاء بناتي هن أطهر لكم .

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه اما قوله عليه السلام لوان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد فليس مخالفا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد بل كلا القولين منهما عليهما السلام حق متفق عليه لان لوطا عليه السلام انما أراد منعة عاجلة يمنع بها قومه مما هم عليه من الفواحش من قرابة او عشيرة او اتباع مؤمنين وما جهل قط لوط عليه السلام انه يأوي من ربه تعالى الى أمنع قوة واشد ركن ولا اجتاح على لوط عليه السلام في طلب قوة من الناس فقد قال تعالى * ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض . فهذا الذي طلب لوط عليه السلام وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار والمهاجرين منعه حتى يبلغ كلام ربه تعالى فكيف ينكر على لوط أمر اهو فعله عليه السلام لله ما انكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخبر عليه السلام ان لوطا كان يأوي الى ركن شديد يعني من نصر الله له بالملائكة ولم يكن لوط علم بذلك ومن اعتقد ان لوطا كان يعتقد انه ليس له من الله ركن شديد فقد كفر اذ نسب الى نبي من الانبياء هذا الكفر وهذا أيضا ظن سيخف اذ من الممتنع ان يظن برب اراه المعجزات وهو دائبا يدعو اليه هذا الظن وانما قوله عليه السلام هؤلاء بناتي هن فانما اراد التزويج والوطء في المكان المباح فصح ما قلنا اذ من المحال ان يدعو قوما الى منكر وهو ينهاهم عن المنكر انقضي الكلام في لوط عليه السلام

﴿ الكلام في اخوة يوسف عليهم السلام ﴾

(قال ابو محمد) واحتجوا بفعل اخوة يوسف وبيعهم اخاهم وكذبهم لابيهم وهذا لاحجة لهم فيه لان اخوة يوسف عليه السلام لم يكونوا أنبياء ولا جاء قط في انهم انبياء نص لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا من اجماع ولا من قول احد من الصحابة رضي الله عنهم وأما يوسف صلى الله عليه وسلم فرسول الله بنص القرآن قال عز وجل * ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به * الى قوله . من بعده رسولا . واما اخوته فما علم تشهد انهم لم يكونوا متورعين عن المظالم فكيف ان يكونوا انبياء ولكن الرسول ابن ابام وأخاهم قد استغفرا لهم وأسقطا التثريب عنهم وبرهان ما ذكرنا من كذب من يزعم انهم كانوا انبياء قول الله تعالى حاكيا عن الرسول اخيهم عليه السلام انه قال لهم * انتم شر مكانا * ولا يجوز البتة ان يقول نبي من الانبياء نعم ولا لقوم صالحين اذ تو قير الانبياء فرض على جميع الناس لان الصالحين ليسوا شرا مكانا وقد عق ابن نوح اباه با اكثر مما عق به اخوة يوسف ابام الا ان اخوة يوسف لم يكفروا ولا يحل لمسلم ان يدخل في الانبياء من ليس في نص ولا اجماع أو نقل كافة بصحة نبوته ولا فرق بين التصديق بنبوة من ليس نبيا وبين التكذيب بنبوة من صحت نبوته منهم فان ذكروا في ذلك ما روي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وهو زيد بن أرقم انما مات ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا نبي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد الانبياء انبياء فهذه

والفكر والعلل والبرهان والعلم والقنوع وسائر ما أشبه ذلك انما كانت أجزاء وهو الذي أبدعها وكيف يستعين بها وهي لم تكن بعد (حكم ثوفرسطيس) كان الرجل من تلامذة ارسطوطاليس وكبار أصحابه واستخلفه على كرسي حكمته بعد وفاته وكانت المتفلسفة تختلف اليه وتقتبس منه وله تركيب الشروح الكثيرة والتصانيف المعتبرة وبالخصوص في الموسيقا فيما يؤثر عنه انه قال الالهية لا تتحرك ومعناه لا تتغير ولا تتبدل لا في الذات ولا في شبه الافعال وقال السماء مسكن الكواكب والارض مسكن الناس على انهم مثل وشبه لما في السماء فهم الاباء والمدبرون ولهم نفوس وعقول مميزة وليس لها أنفس نباتية فلذلك لا تقبل الزيادة والنقصان وقال الفناء فضيلة في المنطق أشكلت على النفس وقصرت عن تبيين كنهها فابرزتها الحونا وأثارت بها شجونا وأصم في عرضها فنونا وفتونا وقال الفناء شيء يخص النفس دون الجسم فيشغلها عن مصالحها كما أن لذة

غفلة شديدة وزلة عالم من وجوه أولها أنه دعوى لادليل على صحتها وثانيها انه لوكان ماذكر لأمكن ان ينبأ ابراهيم فى المهد كانبئ عيسى عليه السلام وكالاولى يحيى الحكم صبيا فعلى هذا القول اهل ابراهيم كان نبيا وقد عاش عامين غير شهرين وحاشا لله من هذا وثالثها ازولد نوح كان كافراً بنص القرآن عمل عملا غير صالح فلو كان أولاد الانبياء انبياء لكان هذا الكافر المسخوط عليه نبيا وحاشا لله من هذا ورابعها لو كان ذلك لوجب ولابد ان تكون اليهود كلهم أنبياء الى اليوم بل جميع اهل الارض انبياء لانه يلزم أن يكون الكل من ولد آدم لصلبه انبياء لان ابا هم نبي واولاد اولاده انبياء أيضا لان آباءهم انبياء وهم أولاد انبياء وهكذا أبدا حتى يبلغ الامر الينا وفى هذا من الكفر لمن قامت عليه الحجة وثبت عليه مالا خفاء به وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولعل من جهل مرتين يقول عنا هذا ينكر نبوة اخوة يوسف ويثبت نبوة نبي المجوس ونبوة ام موسى وام عيسى وام اسحاق عليهم السلام فنحن نقول وبالله تعالى التوفيق وبه نعتصم لسنا نقر بنبوة من لم يخبر الله عز وجل بنبوته ولم ينص رسول الله صلى الله عليه وسلم على نبوته ولا نقلت الكواف عن امثالها نقلا متصلا منه الينا معجزات النبوة عنه ممن كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بل ندفع نبوة من قام البرهان على بطلان نبوته لان تصديق نبوة من هذه صفته افتراء على الله تعالى لايقدم عليه مسلم ولا ندفع نبوة من جاء القرآن بان الله تعالى نباه فاما أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق فالقرآن قد جاء بمخاطبة الملائكة لبعضهن بالوحي والى بعض منهن عن الله عزوجل بالانباء بما يكون قبل ان يكون وهذه النبوة نفسها التى لانبوة غيرها فصحت نبوتهن بنص القرآن واما نبي المجوس فقد صح انهم اهل كتاب بأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية منهم ولم يبح الله تعالى له اخذ الجزية الا من اهل الكتاب فقط فمن نسب الى محمد صلى الله عليه وسلم انه اخذ الجزية من غير اهل الكتاب فقد نسب اليه انه خالف ربه تعالى واقدم على عظيمة تقشعر منها جلود المؤمنين فاذ نحن على يقين من انهم اهل كتاب فلا سبيل البتة الى نزول كتاب من عند الله تعالى على غير نبي مرسل بتبليغ ذلك الكتاب فقد صح بالبرهان الضروري انهم قد كان لهم نبي مرسل يقينا بلا شك ومع هذا فقد نقلت عنه كواف عظيمة معجزات الانبياء عليهم السلام وكل مانقلته كافة على شرط عدم التواطىء فواجب قبوله ولافرق بين مانقلته كواف الكافرين او كواف المسلمين فيما شاهدته حواسهم ومن قال لااصدق الا مانقلته كواف المسلمين فانا نسأله بأى شيء يصح عنده موت ملوك الروم ولم يحضرهم مسلم اصلا وانما نقلته الينا يهود عن نصارى ومثل هذا كثير فان كذب هذا غالط نفسه وعقله وكابر حسه وايضا فان المسلمين انما علمنا انهم محقون لتحقيق نقل الكافة لصحة ما بايديهم فبنقل الكافة علمنا هدى المسلمين ولا نعلم بالاسلام صحة نقل الكافة بل هو معلوم بالبينة وضرورة العقل وقد اخبر تعالى ان الاولين زبروا قال تعالى. ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . وفى هذا كفاية وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام فى يوسف عليه السلام ﴾

وذكروا ايضا اخذ يوسف عليه السلام اخاه وايحاشه أباه عليه السلام منه وانه اقام مدة يقدر فيها على ان يعرف اباه خبره وهو يعلم مايقاسى به من الوجد عليه فلم يفعل وليس بينه

الماكول والمشروب شيء يخص الجسم دون النفس وقال ان النفوس الى اللحون اذا كانت محجبة أشد اصغاء منها الى ماقد تبين لها وظهر معناه عندها وقال العقل نحوان أحدهما مطبوع والآخر مسموع فالمطبوع منها كالارض والمسموع كالبذر والماء فلايخلص للعقل المطبوع عمل دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من نومه ويطلقه من وثاقه ويقلقله من مكانه كما يستخرج البذر والماء مافى قعر الارض وقال الحكمة غنى النفس والمال غنى البدن وطلب غنى النفس أولى لانها اذا غنيت بقيت والبدن إذا غنى فنى وغنا النفس ممدود وغنى البدن محدود وقال ينبغى للعاقل أن يداري الزمان مداراة رجل لايسبح فى الماء الجاري اذا وقع وقال لاتغبطن بسلطان من غير عدل ولا بغنى من غير حسن تدبير ولا ببلاغة فى غير صدق منطق ولا بجود فى غير اصابة موضع ولا بادب فى غير اصابة رأي ولا بحسن عمل فى غير حسنة (شبه برقلس) فى قدم العالم ان القول فى قدم العالم وأزلية الحركات بعد اثبات الصانع

بينه وبينه الاعشر ليال وبادخاله صواع الملك فى وعاء اخيه ولم يعلم بذلك سائر اخوته ثم أمر من هتف ايتها العير انكم لسارقون وهم لم يسرقوا شيئا وبقول الله تعالى * ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه * وبخدمته لفرعون وبقوله للذى كان معه فى السجن * اذكرنى عند ربك

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فى شىء منه ونحن نبين ذلك بحول الله تعالى وقوته فنقول وبالله تعالى نتأيد اما اخذه أخاه وايحاشه اياه منه فلاشك فى ان ذلك ليرفق باخيه وليعود اخوته اليه ولعلمهم لو مضوا باخيه لم يعودوا اليه وهم فى مملكة اخرى وحيث لاطاعة ليوسف عليه السلام ولا للملك مصر هنالك وليكون ذلك سببا لاجتماعه وجمع شمل جميعهم ولاسبيل الى أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ارتقى العلم والمعرفة بالتاويل الا احسن الوجوه وليس مع من خالفنا نص بخلاف ماذكرنا ولا يحل ان يظن بمسلم فاضل عقوق أبيه فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ظنهم انه أقام مدة يقدر فيها على ان يتعرف أبيه خبره ولم يفعل فهذا جهل شديد ممن ظن هذا لان يعقوب فى أرض كنعان من عمل فلسطين فى قوم رحالين خصاصين فى لسان آخر وطباع اخرى ودين آخر وأمة أخرى كالذى بيننا اليوم وبين من يضافينا من بلاد النصارى كفالينش وغيرها أو كصحراء البربر فلم يكن عند يوسف عليه السلام علم بعد فراقه أباه بما فعل ولا حى هو أو ميت أكثر من وعد الله تعالى بان ينبئهم بفعلهم به ولا وجد احد ايثق به فيرسل اليه للاختلاف الذى ذكرنا وانما يستسهل هذا اليوم من يرى أرض الشام ومصر لامير واحد ومملة واحدة ولسانا واحدا وامة واحدة والطريق سابل والتجار ذاهبون وراجعون والرفاق سائرة ومقبلة والبرد ناهضة وراجعة فظن كل بيضاء شحمة ولم يكن الامر حينئذ كذلك ولكن كما قدمنا ودليل ذلك انه حين أمكنه لم يؤخره واستجلب أباه وأهله أجمعين عند ضرورة الناس اليه وانقيادهم له للجوع الذى كان عم الارض وامتيارهم من عنده فانتظر وعده به تعالى الذى وعده حين ألقوه فى الجب فاتوه ضارعين راغبين كما وعده تعالى فى رؤياه قبل أن يأتوه ورب رئيس جليل شاهدنا من أبناء البشاكس والافرنج لو قدر على أن يستجلب أبويه لكان أشد الناس بدارا الى ذلك ولكن الامر تعذر عليهم تعذرا أخرجه عن الامكان الى الامتناع فهذا كان أمر يوسف عليه السلام واما قول يوسف لاخوته انكم لسارقون وهم لم يسرقوا الصواع بل هو الذى كان قد أدخله فى وعاء أخيه دونهم فقد صدق عليه السلام لانهم سرقوه من أبيه وباعوه ولم يقل عليه السلام انكم سرقتم الصواع وانما قال نفقد صواع الملك وهو فى ذلك صادق لانه كان غير واجد له فكان فاقدا له بلاشك واما خدمته عليه السلام لفرعون فانما خدمه تقية وفى حق لاستنقاذ الله تعالى بحسن تدبيره واهل الملك أو بعض خواصه قد آمن به الان خدمته له على كل حال حسنة وفعل خير وتوصل الى الاجتماع بابيه والى العدل والى حياة النفوس اذ لم يقدر على المغالبة ولا امكنه غير ذلك ولا مرية فى ان ذلك كان مباحا فى شريعة يوسف عليه السلام بخلاف شريعتنا قال الله تعالى * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا واما سجود ابويه فلم يكن ذلك محظورا فى شريعتهما بل كان فعلا حسنا وتحقيق رؤياه الصادق من الله تعالى وامل ذلك السجود كان تحية كسجود الملائكة لآدم عليه السلام الان الذى

والقول بالعلة الاولى انما ظهر بعد ارسطوطاليس لانه خالف القدماء صريحا وأبدع هذه المقالة على قياسات ظنها حجة وبرهانا فنسج على منواله من كان من تلامذته وصرحوا القول فيه مثل الاسكندر الافرودوسى وثامسطيوس فرفوريوس وصنف برقلس المنتسب الى أفلاطن فى هذه المسئلة كتابا وأورد فيه هذه الشبه والا فالقدماء انما ابدوا فيه ما نقلناه سابقا

الشبهة الاولى قال البارى تعالى جواد بذاته وعلة وجود العالم جوده وجوده قديم لم يزل فيلزم أن يكون وجود العالم قديما لم يزل ولا يجوز أن يكون مرة جوادا ومرة غير جواد فانه يوجب التغير فى ذاته فهو جواد لذاته لم يزل قال ولا مانع من فيض جوده اذ لو كان مانع لما كان من ذاته بل من غيره وليس لواجب الوجود لذاته حامل على شىء ولا مانع من شىء

* الشبهة الثانية قال ليس يخلوا الصانع من أن يكون لم يزل صانعا بالفعل أو لم يزل صانعا بالقوة بان يقدر أن يفعل ولا يفعل فان كان الاول فالمصنوع معلول لم يزل وان

كان الثاني فا بالقوة لايخرج الى الفعل الا بمخرج ومخرج الشيء من القوة الى الفعل غير ذات الشيء فيجب أن يكون له مخرج من خارج مؤثر فيه فذلك ينافي كونه صانعا مطلقا لا يتغير ولا يتأثر الشبهة الثالثة قال كل علة لا يجوز عليها التحرك والاستحالة فانما يكون علة من جهة ذاته لا من جهة الانتقال من غير فعل الى فعل وكل علة من جهة ذاته فعلولها من جهة ذاتها واذا كانت ذاتها لم تزل فعلولها لم يزل. الشبهة الرابعة قال ان كان (١٠) الزمان لا يكون موجودا الا مع الفلك ولا الفلك الا مع الزمان لان الزمان هو العاد لحركات الفلك ثم لا جائز أن يقال متى وقبل الاحين يكون الزمان موجودا ومتى وقبل أبدى فالزمان أبدى فحركات الفلك أبدية فالزمان أبدى. الشبهة الخامسة قال ان العالم حسن النظام كامل القوام وصانعه جواد خير ولا ينقض الجيد الحسن الا شرير وصانعه ليس بشرير وليس يقدر على نقضه غيره فليس ينتقض ابدا وما لا ينتقض أبدا كان سرمدا. الشبهة السادسة قال لما كان الكائن لا يفسد الا بشيء غريب يعرض له ولم يكن شيء غير العالم خارجا منه يجوز أن يعرض فيفسد ثبت انه لا يفسد وما لا يتطرق اليه الفساد لا يتطرق اليه الكون والحدوث فان كل كائن فاسد. الشبهة السابعة قال ان الاشياء التي هي في المكان الطبيعي لا تتغير ولا تتكون ولا تفسد وانما تتغير وتتكون وتفسد اذا كانت في أماكن غريبة فتجاذب الى أماكنها كالنار التي في أجسادنا تحاول الانفصال الى مركزها فينحل الرباط فيفسد فاذا الكون والفساد انما يتطرق الى المركبات فقط لا الى البسائط التي هي الاركان في أماكنها ولكنها هي بحالة واحدة وما هو بحال واحد فهو أزلي. الشبهة الثامنة قال العقل والنفس والافلاك تتحرك على الاستدارة والطبائع تتحرك أما على الوسط واما الى الوسط على الاستقامة واذا كان كذلك كان التفاسد في العناصر انما هو لتضاد حركاتها والحركة الدورية لا ضد لها فلم يقع فيها فساد قال وكليات العناصر انما تتحرك على استدارة وان كانت الاجزاء

لا شك فيه انه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل وانما كان سجود كرامة فقط بلا شك واما قوله عليه السلام الذي كان معه في السجن اذكرني عند ربك فما علمنا الرغبة في الانطلاق من السجن محظورة على احد وليس في قوله ذلك دليل على انه أغفل الدعاء الى الله عز وجل لكنه رغب هذا الذي كان معه في السجن في فعل الخير وحضه عليه وهذا فرض من وجهين احدهما وجوب السعي في كف الظلم عنه والثاني دعاؤه الى الخير والحسنات واما قوله تعالى * فانساه الشيطان ذكر ربه * فالضمير الذي في أنساه وهو الهاء راجع الى الفتى الذي كان معه في السجن اي ان الشيطان انساه ان يذكر ربه أمر يوسف عليه السلام ويحتمل ايضا ان يكون انساه الشيطان ذكر الله تعالى ولو ذكر الله عز وجل لذكر حاجة يوسف عليه السلام وبرهان ذلك قول الله عز وجل وادكر بعد أمة. فصح يقينا ان المذكور بعد أمة هو الذي انساه الشيطان ذكر ربه حتى تذكر وحتى لو صح ان الضمير من انساه راجع الى يوسف عليه السلام لما كان في ذلك نقص ولا ذنب اذ ما كان بالنسيان فلا يبعد عن الانبياء واما قوله. همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه فليس كما ظن من لم يمعن النظر حتى قال من المتأخرين من قال انه قعد منها مقعد الرجل من المرأة ومعاذ الله من هذا ان يظن برجل من صالحي المسلمين او مستوريهم فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فان قيل ان هذا قد روى عن ابن عباس رضي الله عنه من طريق جيدة الاسناد قلنا نعم ولا حجة في قول احد الا فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط والوهم في تلك الرواية انما هي بلا شك عمن دون ابن عباس أو لعل ابن عباس لم يقطع بذلك اذ انما أخذه عمن لا يدري من هو ولا شك في انه شيء سمعه فذكره لانه رضي الله عنه لم يحضر ذلك ولا ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحال أن يقطع ابن عباس بما لا علم له به لكن معنى الآية لا يعدو أحد وجهين اما انه هم بالايقاع بها وضربها كما قال تعالى. وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وكما يقول القائل لقد همت بك لكنه عليه السلام امتنع من ذلك ببرهان اراه الله اياه استغنى به عن ضربها وعلم ان الفرار اجدى عليه واظهر لبراءته على ما ظهر بعد ذلك من حكم الشاهد بامر قد من القميص والوجه الثاني ان الكلام تم عند قوله ولقد همت به ثم ابتدأ تعالى خبرا آخر فقال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وهذا ظاهر الآية بلا تكلف تاويل وبهذا نقول حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي حدثنا ابن عون الله انبأنا ابراهيم ابن احمد بن فراس حدثنا احمد بن محمد بن سالم النيسابوري انا اسحق بن راهويه أنا المؤمل ابن اسماعيل الحميري حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية. ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قالها يوسف عليه السلام قال له جبريل يا يوسف اذكر همك

منها تتحرك على الاستقامة فالفلك وكليات العناصر لا تفسد واذا لم يجز أن يفسد العالم لم يجز أن يتكون وهذه الشبهات هي التي يمكن أن يقال فتنقض وفي كل واحدة منها نوع مغالطة واكثرها تحكمات وقد افردت لها كتابا وأوردت فيه شبهات أرسطوطاليس وهذه تقريرات أبي علي بن سينا ونقضتها على قوانين منطقية فايطلب ذلك ومن المعتصبين ابرقلس من مهد عذرا في ذكر هذه الشبهات وقال انه كان يناطق الناس منطقين أحدهما روحاني بسيط والآخر جسماني (١١) مركب وكان أهل زمانه الذين يناطقونه

فقال يوسف وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء فليس في هذا الحديث على معنى من المعاني تحقيق الهم بالفاحشة ولكنه فيه انه بامرها وهذا حق كما قلنا فسقط هذا الاعتراض وصح الوجه الاول والثاني معا الا ان الهم بالفاحشة باطل مقطوع على كل حال وصح ان ذلك الهم ضرب سيدته وهي خيانة لسيده اذهم بضرب امرأته وبرهان ربه هاهنا هو النبوة وعصمة الله عز وجل اياه ولولا البرهان لكان يهم بالفاحشة وهذا لاشك فيه ولعل من ينسب هذا الى النبي المقدس يوسف ينزه نفسه الرذلة عن مثل المقام فيهلك وقد خشي النبي صلى الله عليه وسلم الهلاك على من ظن به ذلك الظن اذ قال للانصاريين حين لقيهما هذه صفية

(قال ابو محمد) ومن الباطل الممتنع ان يظن ظان ان يوسف عليه السلام هم بالزنا وهو يسمع قول الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء فنسأل من خالفنا عن الهم بالزنا بسوء هو أم غير سوء فلابد انه سوء ولو قال انه ليس بسوء لعاند الاجماع فاذهو سوء وقد صرف عنه السوء فقد صرف عنه الهم بيقين وأيضا فانها قالت ما جزاء من أراد باهلك سوءا وانكر هو ذلك فشهد الصادق المصدق . ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين . فصح انها كذبت بنص القرآن واذا كذبت بنص القرآن فما اراد بها قط سوء فما هم بالزنا قط ولو اراد بها الزنا لكانت من الصادقين وهذا بين جدا وكذلك قوله تعالى عنه انه قال . والا تصرف عني كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن : فصح عنه انه قط لم يصب اليها وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في يوسف عليه السلام

(الكلام في موسى عليه السلام وأمه)

(قال ابو محمد) ذكروا قول الله تعالى * وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها * فمعناه فارغا من الهم بموسى جملة لان الله عز وجل قد وعدها برده اليها اذ قال لها تعالى * انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين * فمن الباطل المحض ان يكون الله تعالى ضمن لها رده اليها ثم يصبح قلبها مشغولا بالهم بامره هذا مالا يظن بذي عقل أصلا وانما معنى قوله تعالى ان كادت لتبدي به أي سرورا بما اتاه الله عز وجل من الفضل وقولها لاخته قصية انما هو لترى أخته كيفية قدرة الله تعالى في تخليصه من يدي فرعون عدوه بعد وقوعه فيهما وليتم بها ماوعدها الله تعالى من رده اليها فبعثت اخته لترده بالوحي وذكروا قول الله تعالى عن موسى عليه السلام فاخذ برأس أخيه يجره اليه * قال يا ابن أم لا تاخذ بلحيتي ولا برأسي * قالوا وهذه معصية أن ياخذ بلحية أخيه وشعره

الى جسمانيين وانما دعاه الى ذكر هذه الاقوال مقاومتهم اياه فنخرج من طريق الحكمة والفلسفة من هذه الجهة لان من الواجب على الحكيم أن يظهر العلم على طرق كثيرة يتصرف فيها كل ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعداده فلا يجدوا على قوله مساغا ولا يصيبوا مقالا ولا مطعنا لان برقلس لما كان يقول بدهر هذا العالم وانه باق لا يدثر وضع كتابا في هذا المعنى فطالعه من لم يعرف طريقته ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانية فنقضوه على مذهب الدهرية وفي هذا الكتاب يقول لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحدثت القوى الواصلة فيها وحدثت المركبات من العناصر حدثت قشور واستبطنت لبوب فالقشور دائرة واللبوب قائمة دائمة ولا يجوز الفساد عليها لانها بسيطة وحيدة القوى فانقسم العالم الى عالمين عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر فاتصل

بعضه ببعض وكان آخر هذا العالم من بدو ذلك العالم فمن وجه لم يكن بينهما فرق فلم يكن هذا العالم دثرا اذا كان متصلا بما ليس يدثر ومن وجه دثرة القشور ونالت الكدورة وكيف تكون القشور غير دائرة ولا مضمحلة وما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية وايضا فان هذا العالم مركب والعالم الاعلى بسيط وكل مركب ينحل حتى يرجع الى البسيط الذي تركب منه وكل بسيط باق دائما غير معدم محل ولا متغير قال الذي يذب عن برقلس هذا الذي نقل عنه هو المقبول عن مثله بل الذي اضاف اليه هذا القول الاول لا يخلوا

من أحد أمرين أما ان لم يقف على مراده للعلة التي ذكرنا فيما سلف واما انه كان محدودا عند أهل زمانه لكونه بسيط الفكر وسيع النظر سائر القوى وكانوا أولئك أصحاب أوهام وخيالات فانه يقول في موضع من كتابه ان الاوائل منها تكونت العالم وهي باقية لا تندثر ولا تضمحل وهي لازما الدهر ماسكة له الا انها من أول اواحد لا بوصف بصفة ولا يدرك بنعت ونطق لان صور الاشياء كلها (١٢) منه وتحته وهو الغاية والمنتهى التي ليس فوقها جوهر وهو أعظم منها الا

الاول الواحد وهو الذي قوته اخرجت هذه الاوائل وقدرته ابدعت هذه المبادىء وقال أيضا الحق لا يحتاج الى ان يعرف ذاته لانه حق حقا بلا حق وكل حق حقا فهو تحته انما هو حق حقا اذا حققه الموجب له الحق فالحق هو الجوهر الممد الطباع الحياة والبقاء وهو أفاد هذا العالم بدأ وبقاء بعد دثور قشوره وزكى البسيط الباطن من الدنس الذي كان فيه قد علق به وقال ان هذا العالم اذا اضمحلت قشوره وذهب دنسه صار بسيطا روحانيا بقي بما فيه من الجواهر الصافية النورانية في حد المراتب الروحانية مثل العوالم العلوية التي بلا نهاية وكان هذا واحدا منها وبقي جوهر كل قشر ودنس وخبث ويكون له أهل يلبسه لانه غير جائز أن تكون الانفس الطاهرة التي تلبس الادناس القشور مع الانفس الكثيرة القشور في عالم واحد وانما يذهب من هذا العالم ما ليس من جهة المتوسطات الروحانية وما كان القشر والدنس عليه أغلب وأما ما كان من الباري بلا متوسط أو كان من متوسط بلا قشر فانه لا يضمحل قال وانما يدخل القشر على شيء من غير المتوسطات فيدخل عليه بالعرض لا بالذات وذلك اذا كثرت المتوسطات وبعد الشيء عن الابداع الاول لانه حيث ما قلت المتوسطات في الشيء كان انور واقل قشورا ودنسا وكلما قلت القشور والدنس كانت الجواهر اصفى والاشياء ابقى

وهو نبي مثله وأسن منه ولا ذنب له

(قال ابو محمد وهذا ليس كما ظنوا وهو خارج على وجهين احدهما ان اخذه برأس اخيه ليقبل بوجهه عليه ويسمع عتابه له اذ تأخر عن اتباعه اذ رآهم ضلوا ولم يأخذ بشعر أخيه قط اذ ليس ذلك في الآية أصلا ومن زاد ذلك فيها فقد كذب على الله تعالى لكن هارون عليه السلام خشي بادرة من موسى عليه السلام وسطوة اذ رآه قد اشتد غضبه فاراد توقيفه بهذا الكلام عما تخوفه منه وليس في هذه الآية ما يوجب غير ما قلناه ولا أنه مد يده الى أخيه أصلا وبالله تعالى التوفيق والثاني ان يكون هارون عليه السلام قد يكون استحق في نظر موسى عليه السلام النكير لتأخيره عن لحاقه اذ رآهم ضلوا فاخذ برأسه منكرا عليه ولو كان هذا لكان انما فعله موسى عليه السلام غضبا لربه عز وجل وقاصدا بذلك رضاء الله تعالى ولسنا نبعد هذا من الانبياء عليهم السلام وانما نبعد القصد الى المعصية وهم يعلمون انها معصية وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن ابراهيم خليله صلى الله عليه وسلم اذ قال * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين * وقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر . انما الخطيئة المذكورة والذنوب المغفورة ما وقع بنسيان أو بقصد الى الله تعالى ارادة الخير فلم يوافق رضا الله عز وجل بذلك فقط وذكروا قول موسى عليه السلام للخضر عليه السلام . اقتلت نفسا زكية بغير نفس . فانكر موسى عليه السلام الشيء وهو لا يعلمه وقد كان اخذ عليه العهد ان لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا فهذا أيضا لا حجة لهم فيه لان ذلك كان على سبيل النسيان وقد بين موسى عليه السلام ذلك بقوله . لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . فرغب اليه انه لا يؤاخذه بنسيانه وما أخذه الخضر له بالنسيان دليل على صحة ما قلنا من انهم عليهم السلام مؤاخذون بالنسيان وبما قصدوا به الله عز وجل فلم يصادفوا بذلك مراد الله عز وجل وتكلم موسى عليه السلام على ظاهر الامر وقد ران الغلام زكى اذ لم يعلم له ذنبا وكان عند الخضر العلم الجلي بكفر ذلك الغلام واستحقاقه القتل فقصد موسى عليه السلام بكلامه في ذلك وجه الله تعالى والرحمة وانكار ما لم يعلم وجهه وذكروا قول موسى عليه السلام . فعلتها اذا وانا من الضالين . فقول صحيح وهو حاله قبل النبوة فانه كان ضالا عما اهتدى له بعد النبوة وضلال الغيب عن العلم كما تقول أضللت بعيري لاضلال القصد الى الاثم وهكذا قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا فهدى . أي ضالا عن المعرفة وبالله تعالى التوفيق وذكروا قول الله عز وجل عن بني اسرائيل . فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم . قالوا وموسى قد سأل ربه مثل ذلك فقال . رب ارني انظر اليك قال لن

ومما ينقل عن برقلس انه قال ان البارى عالم بالاشياء كلها اجناسها وأنواعها وأشخاصها وخالف بذلك ارسطوطاليس فانه قال يعلم أجناسها وأنواعها دون اشخاصها الكائنة الفاسدة فان علمه يتعلق بالكليات دون الجزئيات كما ذكرنا ومما ينقل عنه فى قدم العالم قوله لن يتوهم حدوث العالم الا بعد ان لم يكن فابدعه البارى وفى الحالة التى لم يكن لم يخلو من حالات ثلاث أما ان البارى لم يكن قادرا فصار قادرا وذلك محال لانه قادر لم يزل واما انه لم يرد فاراد (١٣) وذلك محال ايضا لانه مريد لم يزل وأما انه لم يفيض الحكمة وذلك محال أيضا لان الوجود اشرف من العدم على الاطلاق فاذا بطلت هذه الجهات الثلاث تشابها فى الصفة الخاصة وهي القدم على أصل المتكلم أو كان القدم بالذات له دون غيره وان كان معا فى الوجود والله الموفق

لن نراني . قالوا فقد سال موسى عليه السلام امرا عوقب سائلوه قبله

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لانه خارج على وجهين احدهما ان موسى عليه السلام سال ذلك قبل سؤال بني اسرائيل رؤية الله تعالى وقبل ان يعلم ان سؤال ذلك لا يجوز فهذا لا مكروه فيه لانه سال فضيلة عظيمة اراد بها علو المنزلة عند ربه تعالى والثانى ان بني اسرائيل سالوا ذلك متعنتين وشكاكا فى الله عز وجل وموسى سال ذلك على الوجه الحسن الذى ذكرنا آنفا

(الكلام على يونس عليه السلام)

(قال ابو محمد) وذكروا أمر يونس عليه السلام وقول الله تعالى عنه . وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين . وقوله تعالى . فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون . وقوله لنبيه عليه السلام . فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم . وقوله تعالى . فالتقمه الحوت وهو مليم . قالوا ولا ذنب أعظم من المغاضبة لله عز وجل ومن أكبر ذنبا ممن ظن ان الله لا يقدر عليه وقد أخبر الله تعالى انه استحق الذم لولا ان تداركه نعمة الله عز وجل وانه استحق الملامة وانه اقر على نفسه انه كان من الظالمين ونهى الله تعالى نبيه ان يكون مثله

(قال ابو محمد) هذا كله لا حجة لهم فيه بل هو حجة لنا على صحة قولنا والحمد لله رب العالمين أما أخبار الله تعالى ان يونس ذهب مغاضبا فلم يغاضب ربه قط ولا قال الله تعالى انه غاضب ربه فمن زاد هذه الزيادة كان قائلا على الله الكذب وزائدا فى القرآن ما ليس فيه هذا لا يحل ولا يجوز ان يظن بمن له ادنى مسكة من عقل انه يغاضب ربه تعالى فكيف ان يفعل ذلك نبي من الانبياء فعلمنا يقينا انه إنما غاضب قومه ولم يوافق ذلك مراد الله عز وجل فوقب بذلك وان كان يونس عليه السلام لم يقصد بذلك الا رضا الله عز وجل واما قوله تعالى . فظن ان لن نقدر عليه . فليس على ما ظنوه من الظن السخيف الذى لا يجوز ان يظن بضعيفة من النساء او بضعيف من الرجال الا ان يكون قد بلغ الغاية من الجهل فكيف بنبي مفضل على الناس فى العلم ومن المحال المتيقن ان يكون نبي يظن ان الله تعالى الذى أرسله بدينه لا يقدر عليه وهو يرى ان آدميا مثله يقدر عليه ولا شك فى ان من نسب هذا للنبي صلى الله عليه وسلم الفاضل فانه يشتد غضبه لو نسب ذلك اليه او الى ابنه فكيف الى يونس عليه السلام الذى يقول فيه رسول الله ﷺ لا تفضلوني على يونس بن متى فقد بطل ظنهم بلا شك وصح ان معنى قوله . فظن ان لن

وأما قول ثامسطيوس عن برسطوطاليس وانما يعتمد شرحه اذا كان أهدى القوم الى اشاراته ورموزه وهو على رأى ارسطوطاليس فى جميع ما ذكرنا من اثبات العلة الاولى واختار من المذاهب فى المبادىء قول من قال ان المبادىء ثلاثة الصورة والهيولى والعدم وفرق بين العدم المطلق والعدم الخاص فان عدم صورة بعينها عن مادة تقبلها مثل عدم السفينة عن الحديد ليس كعدم السفينة عن الصوف فان هذه المادة لا تقبل هذه الصورة

أيضا وقال ان الافلاك حصلت من العناصر الاربعة لان العناصر حصلت من الافلاك ففيها نارية وهوائية ومائية وأرضية الا ان الغالب على الافلاك النارية كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الارضية والكواكب نيران متشملات حصلت تراكيبها على وجه لا يتطرق اليها الانحلال لانها لا تقبل الكون والفساد والتغير والاستحالة والا فالطبائع واحدة والفرق يرجع الى ما ذكرنا ونقل ثامسطيوس عن ارسطوطاليس وافلاطن وثاوفرسطيس وفرفريوس وفلوطرخيس وهو رأيه فى أن

العالم أجمع طبيعة واحدة عامة وكل نوع من أنواع النبات والحيوان مختص بطبيعة خاصة وحدوا الطبيعة العامة انها مبدأ الحركة فى الاشياء والسكون فيها على الامر الاول من ذواتها وهى علة الحركة فى المتحركات وعلة السكون فى الساكنات زعموا ان الطبيعة هى التى تدبر الاشياء كلها فى العالم حياته وموانه تدبيرا طبيعيا وليست هى حية ولا قادرة ولا مختارة ولكن لا تفعل الاحكمة وصوابا (١٤) وعلى تمام صحيح وترتيب محكم قال ثامسطيوس قول ارسطوطاليس فى مقالة اللام

ان الطبيعة تفعل ما تفعل من الحكمة والصواب وان لم يكن حيوانا الا انها اهمت من سبب هو أكرم منها وأوهى الى ان السبب هو الله وقال أيضا ان الطبيعة طبيعتان طبيعة مستعلية على الكون والفساد بكلياتها وجزئياتها وهى الفلك والنيرات وطبيعة يلحق جزئياتها الكون والفساد لا كلياتها يريد بالجزئيات الاشخاص وبالكليات الاستقصات (رأى الاسكندر الافروديسي) وهو من كبار الحكماء رأيا وعلما وكلاما ابن ومقالته أرصن وافق ارسطوطاليس فى جميع آرائه وزاد عليه فى الاحتجاج على ان البارى عالم بالاشياء كلها كلياتها وجزئياتها على نسق واحد وهو عالم بما كان وبما سيكون ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بتكثره ومما انفرد به ان قال كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلا بل انما يتحرك بطبعه واختياره الا ان حركاته لا تختلف لانها دورية وقال لما كان الفلك محيطا بما دونه وكان الزمان جاريا عليه لان الزمان هو العاد للحركات او هو عدد الحركات ولما لم يكن يحيط بالفلك شىء آخر ولا كان الزمان جاريا عليه لم يجز أن يفسد الفلك ويكون فلم يكن قابلا للكون والفساد وما لم يقبل الكون والفساد كان قديما أزليا وقال فى كتابه فى النفس ان الصناعة تقبل

نقدر عليه . أى لن نضيق عليه كما قال تعالى . وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه . اي ضيق عليه فظن يونس عليه السلام ان الله تعالى لا يضيق عليه فى مغاضبته لقومه اذ ظن انه محسن فى فعله ذلك وإنما نهى الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم عن ان يكون كصاحب الحوت فنهم نهاه الله عز وجل عن مغاضبته قومه وامره بالصبر على اذاهم وبالمطاولة لهم واما قول الله تعالى انه استحق للذم والملام لولا النعمة التى تداركه بها للبث معاقبا فى بطن الحوت فهذا نقض ماقلناه من ان الانبياء عليهم السلام يؤاخذون فى الدنيا على ما فعلوه مما يظنونه خيرا وقربة الى الله عز وجل اذا لم يوافق مراد ربهم وعلى هذا الوجه أقر على نفسه بانه كان من الظالمين والظلم وضع الشىء فى غير موضعه فلما وضع النبى صلى الله عليه وسلم المغاضبة فى غير موضعها اعترف فى ذلك بالظلم لا على انه قصده وهو يدرى انه ظلم انقضى الكلام فى يونس عليه السلام وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى داود عليه السلام)

وذكروا أيضا قول الله تعالى حاكيا عن داود عليه السلام * وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان * الى قوله ففغرنا له ذلك (قال أبو محمد) وهذا قول صادق صحيح لا يدل على شىء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولدها اليهود وانما كان ذلك الخصم قوما من بنى آدم بلا شك مختصمين فى نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم بغى أحدهما على الآخر على نص الآية ومن قال انهم كانوا ملائكة معرضين بأمر النساء فقد كذب على الله عز وجل وقوله مالم يقل وزاد فى القرآن ماليس فيه وكذب الله عز وجل وأقر على نفسه الخبيثة انه كذب الملائكة لان الله تعالى يقول * هل أتاك نبأ الخصم * فقال هو لم يكونوا قط خصمين ولا بغى بعضهم على بعض ولا كان قط لاحدهما تسع وتسعون نعجة ولا كان للآخر نعجة واحدة ولا قال له أكفلنيها فاعجبوا لم يقحمون فيه أهل الباطل أنفسهم ونعوذ بالله من الخذلان ثم كل ذلك بلا دليل بل الدعوى المجردة وتالله ان كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستور عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرض زوجها للقتل عمدا ليتزوجها وعن أن يترك صلاته لطائر يراه هذه أفعال السفهاء المتكهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى فكيف برسول الله داود صلى الله عليه وسلم الذى أوحى اليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف الى أفعاله وأما استغفاره وخروره ساجدا ومغفرة الله تعالى له فالانبياء عليهم السلام أولى الناس بهذه الافعال الكريمة والاستغفار فعل خير لا ينكر من ملك ولا من نبي

الطبيعة والطبيعة لاتقبل الصناعة وقال الطبيعة لطف وقوة وان أفعالها تفوق في البراعة واللطف كل أعجوبة يتلطف فيها بصناعة من الصناعات وقال في ذلك الكتاب لافعل للنفس دون مشاركة البدن حتى التصور بالعقل فانه مشترك بينهما وأومى الى انه لايبقى للنفس بعد مفارقتها قوة أصلا حتى القوة العقلية وخالف استاذه ارسطوطاليس فانه قال الذى يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى هى القوة العقلية فقط والتهافى (١٥) ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط اذ لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلتذ والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيآت أخلاقية استفادتها من مشاركة البدن فتستعدبها لقبول الهيئات الملكية في ذلك العالم (رأى فرفوريوس) وهو أيضا على رأي ارسطوطاليس ووافقه في جميع ماذهب اليه ويدعى ان الذى يحكى عن أفلاطن من القول بحدث العالم غير صحيح قال في رسالته الى انابا نوما مافرق به افلاطن عندكم من انه يضع للعالم ابتداء زمانيا فدعوى كاذبة وذلك ان افلاطن ليس يرى ان للعالم ابتداء زمانيا لكن ابتداء على جهة العلة ويزعم ان علة كونه ابتداؤه وقد رأي ان المتوهم عليه في قوله ان العالم مخلوق وانه حدث لامن شيء وانه خرج من لانظام الى نظام فقد أخطأ وغلط وذلك انه لايصح دائما ان كل عدم أقدم من الوجود فيما علة وجوده شيء آخر غيره ولا كل سوء نظام اقدم من النظام وانما يعنى افلاطن ان الخالق أظهر العالم من العدم الى الوجود ان وجد انه لم يكن من ذاته لكن سبب وجوده من الخالق وقال في الهيولى انها امر قابل للصور وهى كثيرة وصغيرة و هما في الموضوع والحد واحد ولم يبين العدم كما ذكره ارسطوطاليس الا انه قال الهيولى لاصورة له فقد علم ان عدم الصورة في الهيولى وقال ان المكونات كلها انما تكون بالصور على قبول التغيير وتفسد بخلو الصور عنها وزعم فرفوريوس انها

نبي ولا من مذنب ولا من غير مذنب فالنبي يستغفر الله لمذنبي أهل الارض والملائكة كما قال الله تعالى * ويستغفرون الذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * وأما قوله تعالى عن داود عليه السلام وظن داود انما فتناه * وقوله تعالى * فغفرنا له ذلك فقد ظن داود عليه السلام أن يكون ما أتاه الله عز وجل من سعة الملك العظيم فتنة فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في أن يثبت الله قلبه على دينه فاستغفر الله تعالى من هذا الظن ففغفر الله تعالى له هذا الظن اذ لم يكن ما أتاه الله تعالى من ذلك فتنة

الكلام في سليمان عليه السلام

وذكروا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام * ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب *

(قال أبو محمد) ولا حجة لهم في هذا اذ معنى قوله تعالى فتنا سليمان أى أتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته كما قال تعالى مصدقا لموسى عليه السلام في قوله تعالى * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * ان من الفتنة من يهدى الله من يشاء * وقال تعالى ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * فهذه الفتنة هى الاختبار حتى يظهر المهتدى من الضال فهذه فتنة الله تعالى لسليمان انما هى اختباره حتى ظهر فضله فقط وماعدا هذا خرافات ولدها زنادقة اليهود واشباههم وأما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو ونقول صدق الله عز وجل كل من عند الله ربنا ولو جاء نص صحيح في القرآن أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفسير هذا الجسد ماهو لقلنا به فاذا لم يأت بتفسيره ما هو نص ولا خبر صحيح فلا يحل لاحد القول بالظن الذى هو أكذب الحديث في ذلك فيكون كاذبا على الله عز وجل الا انا لا نشك البتة في بطلان قول من قال انه كان جنيا تصور بصورته بل نقطع على انه كذب والله تعالى لا يهتك ستر رسوله صلى الله عليه وسلم هذا الهتك وكذلك نبعد قول من قال انه كان ولدا له أرسله الى السحاب ليربيه فسليمان عليه السلام كان أعلم من أن يربى ابنه بغير ما طبع الله عز وجل بنية البشر عليه من اللبن والطعام وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يصح اسنادها قط وذكروا أيضا قول الله عز وجل عن سليمان عليه السلام انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق * وتأولوا ذلك على ما قد نزه الله عنه من له أدنى مسكة من عقل

ان من الاصول الثلاثة التي هي الهيولى والصور والمدة ان كل جسم اما ساكن واما متحرك وهاهنا شيء يكون ما يتحركون ويحرك الاجسام وكل ما كان واحدا بسيطا ففعله واحد بسيط وما كان كثيرا مركبا فافعاله كثيرة مركبة وكل موجود ففعله مثل طبيعته ففعل الله بذاته فعل واحد بسيط ومافي أفعاله يفعلها بمتوسط فمركب وقال كل ما كان موجودا فله فعل من الافعال مطابق لطبيعته ولما كان الباري (١٦) تعالى موجودا فله الخاص هو الاجتلاب الى الوجود ففعل فعلا واحدا وحرك حركة واحدة وهو الاجتلاب الى شبهه يعني الوجود ثم اما أن يقال كان المفعول معدوما يمكن ان يوجد وذلك هو طبيعة الهيولى بعينها فيجب ان يعني الوجود طبيعة ما قابلة للوجود واما ان يقال لم يكن معدوما يمكن أن يوجد بل أوجده عن لاشيء وابدع وجوده من غير توسم شيء سبقه وهو ما يقوله الموحدون قال فاول فعل فعله هو الجوهر الا ان كونه جوهرا وقع بالحركة فوجب أن يكون بقاؤه جوهرا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر ان يكون بذاته بمنزلة الوجود الاول لكن من التشبه بذلك الاول وكل حركة تكون فاما على خط مستقيم وأما على الاستدارة فتحرك الجوهر بهاتين الحركتين ولما كان وجود الجوهر بالحركة وجب أن يتحرك الجوهر في جميع الجهات التي يمكن فيها الحركة فيتحرك جميع الجواهر في جميع الجهات حركة مستقيمة على جميع الخطوط وهي ثلاثة الطول والعرض والعمق الا انه لم يمكن ان يتحرك على هذه الخطوط بلا نهاية اذ ليس يمكن فيها هو بالفعل أن يكون بلا نهاية فيتحرك الجوهر في هذه الاقطار الثلاثة حركة متناهية على خطوط مستقيمة وصار بذلك جميع ما يقع عليه أن يتحرك بالاستدارة على الجهة التي يمكن فيه أن يتحرك بلا نهاية ولا يمكن وقتا من الاوقات الا انه ليس يمكن ان يتحرك باجمعه حركة

من أهل زماننا وغيره فكيف بنبي معصوم مفضل في انه قتل الخيل اذا اشتغل بها عن الصلاة (قال ابو محمد) وهذه خرافة موضوعة مكذوبة سخيفة باردة قد جمعت اثنين من القول والظاهر انها من اختراع زنديق بلا شك لان فيها معاقبة خيل لا ذنب لها والتمثيل بها واتلاف مال منتفع به بلا معنى ونسبة تضييع الصلاة الى نبي مرسل ثم يعاقب الخيل على ذنبه لا على ذنبها وهذا أمر لا يستجيزه صبي ابن سبع سنين فكيف بنبي مرسل ومعنى هذه الآية ظاهر بين وهو انه عليه السلام اخبر انه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس بالحجاب أو حتى توارت تلك الصافنات الجياد بحجابها ثم أمر بردها فطفق مسحا بسوقها وأعناقها بيده برا بها واكراما لها هذا هو ظاهر الآية الذي لا يحتمل غيره وليس فيها اشارة أصلا الى ما ذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ولا حجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا أيضا الحديث الثابت من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سليمان عليه السلام قال لاطوفن الليلة على كذا وكذا امرأة كل امرأة منهن تلد فارسا يقاتل في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله

(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه فان من قصد تكثير المؤمنين المجاهدين في سبيل الله عز وجل فقد أحسن ولا يجوز ان يظن به انه يجهل ان ذلك لا يكون الا أن يشاء الله عز وجل وقد جاء في نص الحديث المذكور انه انما ترك ان شاء الله نسيانا فاوخذ بالنسيان في ذلك وقد قصد الخير وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين تم الكلام في سليمان عليه الصلاة والسلام

(فصل) وذكروا قوله تعالى . واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين

(قال أبو محمد) وهذا ما لا حجة لهم فيه لانه ليس في نص الآية ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا المذكور كان نبيا وقد يكون انباء الله تعالى لهذا المذكور آياته انه أرسل اليه رسولا بآياته كما فعل بفرعون وغيره فانسلخ منها بالتكذيب فكان من الغاوين وإذا صح ان نبيا لا يعصي الله عز وجل تعمدا فمن المحال أن يعاقبه الله تعالى على ما لا يفعل ولا عقوبة أعظم من الحط عن النبوة ولا يجوز أن يعاقب بذلك نبي البتة لانه لا يكون منه ما يستحق به هذا العقاب وبالله تعالى التوفيق فصح يقينا ان هذا المنسلخ لم يكن قط نبيا وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما من أحد الا من ألم بذنب اركاد إلا يحيى بن زكريا او كلاما هذا معناه

(قال ابو محمد) وهذا صحيح وليس خلافا لقولنا إذ قد بينا ان الانبياء عليهم السلام

على الاستدارة لان الدائر يحتاج الى شيء ساكن في وسط منه فعند ذلك انقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وسكن بعضه في الوسط وقال كل جسم يتحرك فيماس جسما ساكنا في طبيعته قبول التاثير منه حركه معه واذا حركه سخن واذا سخن لطف وانحل وخف فكانت النار تلي الفلك والجسم الذي يلي النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار فيكون حركته أقل فلا يتحرك لذلك اجمعه لكن جزء منه فيسخن (١٧) دون سخونة النار وهو الهواء والجسم الذي يلي الهواء لا يتحرك لبعده عن المحرك فهو بارد لسكونه وحار حرارة يسيرة بمجاورة الهواء وكذلك انحل قليلا وأما الجسم الذي في الوسط فلانه بعد في الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولا قبل منه تاثيرا فسكن وبرد وهذه هي الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض اختلطت وتولد عنها أجسام مركبة وهذه هي الاجسام المحسوسة وقال الطبيعة تفعل بغير فكر ولا عقل ولا ارادة ولكنها ليست تفعل بالبخت والاتفاق والخبط بل لا ينزل الا ما له نظم وترتيب وحكمة وقد ينزل شيئا من أجل شيء كما ينزل البرد لنماء الانسان ويبيض أعضاؤه لما يصلح له وقسم فرفوريوس مقالة أرسطاطاليس في الطبيعة خمسة أقسام أحدها العنصر والثاني الصورة والثالث المجتمع منهما كالانسان والرابع الحركة الحادثة في الشيء بمنزلة حركة النار الكائنة لموجودة فيها الى فوق والخامس الطبيعة العامة للكل لان الجزئيات لا يتحقق وجودها الا عن كل يشملها ثم اختلفوا في مركزها فمن الحكماء من صار الى انها فوق الكل وقال آخرون أنها دون الفلك قالوا وأما الدليل على وجودها أفعالها وقوانينها المبثثة في العالم الموجبة للحركات والأفعال كذهاب النار والهواء الى فوق وذهاب الماء والارض الى تحت فنعلم بقينا ولا فوي فيها أوجبت تلك الحركات بدأ لها لم توجد فيها وكذلك

يقع منهم النسيان وقصد الشيء يظنونه قربة الى الله تعالى فاخبر عليه السلام انه لم ينج من هذا أحد الا يحيى بن زكريا عليهما السلام فيقول ان هذا ان يحيى لم يدنس شيئا واجبا عليه قط ولا فعل الا ما وافق فيه مراد ربه عز وجل (الكلام في محمد صلى الله عليه وسلم)

(قال ابو محمد) وذكروا قول الله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم * وقوله تعالى * عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى وما عليك الا يزكى واما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى * وبالحديث الكاذب الذي لم يصح قط في قراءته عليه السلام والنجم اذا هوى وذكروا تلك الزيادة المفتراة التي تشبه من وضعها من قولهم وانها لهي الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى وذكروا * قول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته * وبقوله تعالى * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله وان الوحي امتنع عنه عليه السلام لتركه الاستثناء اذ سأله اليهود عن الروح وعن ذي القرنين واصحاب الكهف * وبقوله تعالى * وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه * وبما روى من قوله عليه السلام لقد عرض علي هذا بكما ادنى من هذه الشجرة اذ قبل الفداء وترك قتل الاسرى ببدر وبما روى من قوله عليه السلام لو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر لان عمر اشار بقتلهم وذكروا انه عليه السلام مال الى رأي ابي بكر في الفداء والاستبقاء وبقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر * قالوا فان لم يكن له ذنب فماذا غفر له وباي شيء أمتن الله عليه في ذلك وبقوله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى ما دعي اليه يوسف لاجبت فانما هذا اذ دعي الى الخروج من السجن فلم يجب الى الخروج حتى قال للرسول ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم . فامسك عن الخروج من السجن وقد دعي الى الخروج عنه حتى اعترف النسوة بذنبهن وبراءته وتيقن بذلك ما كان شك فيه فاخبر محمد صلى الله عليه وسلم انه لو دعي الى الخروج من السجن لاجاب وهذا التفسير منصوص في الحديث نفسه كما ذكرنا من كلامه عليه السلام لو لبثت في السجن ما لبث يوسف عليه السلام ثم دعيت لاجبت الداعي او كلاما هذا معناه واما قول الله عز وجل . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر . فقد بينا ان ذنوب الانبياء عليهم السلام ليست الا ما وقع بنسيان او بقصد الى ما يظنون خيرا مما لا يوافقون مراد الله تعالى منهم فهذان الوجهان هما اللذان غفر الله عز وجل له واما قوله . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم . فانما الخطاب في ذلك للمسلمين لا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كان ذلك اذ تنازعوا في غنائم بدر فكانوا هم المذنبين المتشتين عليه يبين ذلك

مايوجد في النبات والحيوان من قوة الغذاء وقوة النمو والنشو المتاخرون من فلاسفة الاسلام مثل يعقوب ابن اسحاق الكندي وحنين بن
اسحاق ويحيى النحوي وأبي الفرج المفسر وابي سليمان السنجري وابي سليمان محمد المقدسي وابي بكر ثابت ابن قرة وابي تمام يوسف بن
محمد النيسابوري وابي زيد احمد بن سهل البلخي وابي محارب الحسن بن سهل ابن محارب القمي واحمد بن الطيب السرخسي وطلحة بن
محمد الدينوري وابي حامد احمد بن محمد (١٨) الاسفرايني وعيسى بن علي الوزير وابي علي احمد بن مسكويه وابي ذكريا يحيى ابن عدي

قوله تعالى. يسالونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم.
وقوله تعالى في هذه السورة نفسها النازلة في هذا المعنى . يجادلونك في الحق بعدما تبين
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون . وقوله تعالى قبل ذكره الوعيد بالعذاب الذي احتج
به من خالفنا . تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة. فهذا نص القرآن وقد رد الله عز
وجل الامر في الانفال الماخوذة يومئذ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الخبر
المذكور الذي فيه لقد عرض علي عذابكم ادنى من هذه الشجرة ولو نزل عذاب ما نجى منه الا عمر
فهذا خبر لا يصح لان المنفرد بروايته عكرمة بن عمار اليمامي وهو ممن
قد صح عليه وضع الحديث او سوء الحفظ او الخطا الذي لا يجوز معها الرواية عنه ثم لو
صح لكان القول فيه كما قلنا من انه قصد الخير بذلك واما قوله * عبس وتولى الايات
فانه كان عليه السلام قد جلس اليه عظيم من عظماء قريش ورجا اسلامه وعلم عليه السلام انه
لو اسلم لاسلم باسلامه ناس كثير واظهر الدين وعلم ان هذا الاعمى الذي يساله عن اشياء من
امور الدين لا يفوته وهو حاضر معه فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير
مما لا يخاف فوته وهذا غاية النظر للدين والاجتهاد في نصرة القرآن في ظاهر الامر ونهاية
التقرب الى الله الذي لو فعله اليوم منا فاعل لاجر فاتبه الله عز وجل على ذلك اذ كان
الاولى عند الله تعالى ان يقبل على ذلك الاعمى الفاضل البر التقي وهذا نفس ما قلناه وكما
سهى عليه السلام من اثنتين ومن ثلاث وقام من اثنتين ولا سبيل الى ان يفعل من ذلك شيئا تعمدا
اصلا نعم ولا يفعل ذلك تعمدا انسان منا فيه خير واما الحديث الذي فيه وانهن الغرانيق
العلى وان شفاعتها لترتجى فكذب بحت موضوع لانه لم يصح قط من طريق النقل ولا معنى
للاشتغال به اذ وضع الكذب لا يعجز عنه احد واما قوله تعالى و ما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان الآية فلا
حجة لهم فيها لان الاماني الواقعة في النفس لا معنى لها وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم
اسلام عمه ابي طالب ولم يرد الله عز وجل كون ذلك فهذه الاماني التي ذكرها الله عز
وجل لا سواها وحاشا لله ان يتمنى نبي معصية وبالله تعالى التوفيق وهذا الذي قلنا هو
ظاهر الاية دون مزيد تكلف ولا يحل خلاف الظاهر الا بظاهر آخر وبالله تعالى التوفيق
واما قوله * ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت فقد
كفى الله عز وجل الكلام في ذلك ببيانه في اخر الاية ان ذلك كان نسيانا فعوتب عليه
السلام في ذلك واما قوله تعالى . وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق
أن تخشاه * فقد أيقنا من ذلك اذ لم يكن فيه معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى
به وانه كان اراد زواج مباح له فعله ومباح له تركه ومباح له طيه ومباح له اظهاره وانما

الضيمرس وابي الحسن العامري وابي نصر محمد ابن محمد بن طرخان الفارابي وغيرهم واما علامة القوم ابو علي الحسين بن عبد الله بن سينا قد سلكوا كلهم طريقة ارسطوطاليس في جميع ماذهب اليه وانفرد به سوى كلمات يسيرة رياء أو انهارا أي افلاطن والمتقدمين ولما كانت طريقة ابن سينا ادق عند الجماعة ونظره في الحقائق أغوص اخترت نقل طريقته من كتبه علي ايجازه واختصاره لانها عيون كلامه ومتون مرامه واعرضت عن نقل طرق الباقين وكل الصيد في جوف الفرا كلامه في المنطق (قال أبو علي بن عبد الله بن سينا) العلم اما تصور واما تصديق فالتصور هو العلم الاول وهو ان تدرك أمرا ساذجا من غير ان تحكم عليه بنفي او اثبات مثل تصورنا ماهية الانسان والتصديق هو ان تدرك امرا وتحكم عليه بنفي او اثبات

مثل تصديقنا بان للكل مبدأ وكل واحد من القسمين منه ماهو أولي ومنه ماهو مكتسب خشي
فالتصور المكتسب انما يستحصل بالحد وما يجري مجراه والتصديق المكتسب انما يستحصل بالقياس وما يجري مجراه فالحد
والقياس آلتان بهما تحصل المعلومات التي لم تكن حاصلة فتصير معلومة بالرؤية وكل واحد منهما منه ماهو حقيق ومنه
ماهو دون الحقيق ولكنه نافع منفعة بحسبه ومنه ماهو باطل مشبه بالحقيق والفطرة الانسانية غير كافية في التمييز بين

هذه الاصناف الا ان تكون مؤيدة من عند الله فلابد اذا للناظر من آلة قانونية تعصمه مراعاتها عن ان يضل في فكره وذلك هو الغرض في المنطق ثم ان كل واحد من الحد والقياس فمؤلف من معاني معقولة بتاليف محدود فيكون لها مادة منها الفت وصورة بها التاليف والفساد قد يعرض من إحدى الجهتين وقد يعرض من جهتيهما فالمنطق هو الذي انه من اى المواد والصور يكون الحد الصحيح والقياس السديد الذى يوقع يقينا ومن ايها مايوقع (١٩) بمقدار شبيها باليقين ومن ايها مايوقع ظنا غالبا ومن ايها مايوقع مغالطة وجهلا وهذه فائدة المنطق ثم لما كانت المخاطبات النظرية بالفاظ مسموعة والافكار العقلية باقوال عقلية فتلك المعاني التى في الذهن من حيث يتاتى بها الى غيرها كانت موضوعات المنطق ومعرفة احوال تلك المعاني مسائل علم المنطق فكان المنطق بالنسبة الى المعقولات على مثل النحو بالنسبة الى الكلام والعروض الى الشعر فوجب على المنطقى أن يتكلم فى الالفاظ ايضا من حيث تدل على المعانى واللفظ يدل على المعنى من ثلاثة أوجه أحدها بالمطابقة والثانى بالتضمن والثالث بالالتزام وهو ينقسم الى مفرد ومركب فالمفرد مايدل على معنى وجزء من اجزائه لايدل على جزء من اجزاء ذلك المعنى بالذات أى حين هو جزء له والمركب هو الذى يدل

حشي النبي صلى الله عليه وسلم الناس فى ذلك خوف ان يقولوا قولا ويظنوا ظنا فيهلكوا كما قال عليه السلام للانصاريين انها صفية فاستعظما ذلك فاخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم انه انما آخشى ان يلقى الشيطان في قلوبهما شيئا وهذا الذى خشيه عليه السلام على الناس من هلاك اديانهم بظن يظنونه به عليه السلام هو الذى يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا فى هذا الباب من نسبتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم تعمد المعاصي فهلكت اديانهم وضلوا ونعوذ بالله من الخذلان وكان مراد الله عز وجل أن يبدى مافى نفسه لما كان سلف فى علمه من السعادة لامنا زينب رضى الله عنها

(قال أبو محمد) فان قال قائل انكم تحتجون كثيرا بقول الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * و بقوله * فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * وبقوله تعالى * لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكروا الله كثيرا وبقوله عليه السلام اني لاتقاكم لله واعلمكم بما آتى وآذر وتقولون من أجل هذه النصوص ان كل قول قاله عليه السلام فبوحى من الله قاله وكل عمل عمله فباذن من الله تعالى ورضي منه عمله فاخبرونا عن سلامه صلى الله عليه وسلم من ركعتين ومن ثلاث وقيامه من اثنتين وصلاته الظهر خمسا واخباره بانه يحكم بالحق فى الظاهر لمن لايحل له اخذه ممن يعلم انه فى باطن الامر بخلاف ماحكم له به من ذلك أبوحى من الله تعالى وبرضاه فعل كل ذلك أم كيف تقولون وهل يلزم المحكوم عليه والمحكوم له الرضا بحكمه ذلك وهما يعلمان ان الامر بخلاف ذلك أم لا

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان كل ماذكرها هنا فبوحى من الله تعالى فعله وكل من قدر ولم يشك فى انه قد أتم صلاته فالله تعالى أمره بان يسلم فاذا علم بعد ذلك انه سهى فقد لزمته شريعة الاتمام وسجود السهو برهان ذلك انه لو تمادى ولم يسلم قاصدا الى الزيادة فى صلاته على تقديره انه قد أتمها لبطلت صلاته كلها بلاشك باطنا وظاهرا ولاستحق اسم الفسق والمعصية وكذلك من قدر انه لم يصل الا ركعة واحدة وانه لم يتم صلاته فان الله أمره بالزيادة فى صلاته يقينا حتى لا يشك فى الاتمام وبان يقوم الى ثانية عنده فمتى علم بان الامر كان بخلاف ذلك فصلاته تامة ولزمته حينئذ شريعة سجود السهو وبرهان ذلك أنه لو قعد من واحدة عنده متعمدا مستهزئا او سلم من ثلاث عنده متعمدا لبطلت صلاته جملة ولاستحق اسم الفسق والمعصية لانه فعل خلاف ماأمره الله تعالى به وكذلك أمره الله وأمرنا بالحكم بالبينة العدلة عند نا وباليمين من المنكر وباقرار المقر وان كانت البينة عامدة للكذب فى غير علمنا وكانت اليمين والاقرار كاذبين فى الباطن وافترض الله علينا بذلك سفك الدماء التى لو علمنا الباطن لحرمت علينا وهكذا

على معنى وله اجزاء منها يلتئم مسموعة ومن معانيها يلتئم معنى الجملة والمفرد ينقسم الى كلى والى جزئى فالكلى هو الذي يدل على كثيرين بمعنى واحد متفق ولايمنع نفس مفهومه عن الشركة فيه والجزئى هو مايمنع نفس مفهومه ذلك ثم الكلى ينقسم الى ذاتى وعرضى والذاتى هو الذى يقوم ماهية ما يقال عليه والعرضي هو الذى لايقوم ماهيته سواء كان مفارقا فى الوجود واللوم وبين الوجود له ثم الذاتى ينقسم الى ماهو مقول فى جواب ماهو وهو اللفظ المفرد الذى

يتضمن جميع المعاني الذاتية التي يقوم الشيء بها وفرق بين المقول في جواب ماهو وبين الداخل في جواب ماهو والى
ماهو ومقول في جواب أي شيء هو وهو الذي يدل على معنى يتميز به الاشياء المشتركة في معنى واحد تميزا ذاتيا واما العرضي
فقد يكون ملازما في الوجود والوهم وبه يقع تميز أيضا لاذاتيا وقد يكون مفارقا وفرق بين العرضي والعرض
الذي هو قسيم الجوهر وامارسوم الالفاظ (٢٠) الخمسة التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس

في الفروج والاموال برهان ذلك ان حاكما لو شهد عنده بينة عدل عنده فلم يقض بها وقضى باليمين
على المنكر الذي لا بينة عليه فحلف ثم قضى عليه الحاكم القاضي فاسقا بلا خلاف عاصيا
لله عز وجل لخلافه ما أمره الله سبحانه وتعالى به وان وافق حقا لم يكن علم به وفرض
على المحكوم عليه والمحكوم له ان يرضيا بالحكم بالبينة واليمين وان يصيرا في أنفسهما
الى حقيقة علمهما في أخذ الحق واعطائه وبالله تعالى التوفيق
(قال أبو محمد) وذكروا قول الله تعالى * حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا . بتخفيف الذال وليس هذا على ما ظنه الجهال وانما معناه ان الرسل
عليهم السلام ظنوا بمن وعدهم النصر من قومهم انهم كذبوا فيما وعدوهم من نصرهم ومن
المحال البين ان يدخل في عقل من له ادني رمق ان الله تعالى يكذب فكيف بصفوة الله
تعالى من خلقه وأتمهم علما وأعرفهم بالله عز وجل ومن نسب هذا الى نبي فقد نسب
اليه الكفر ومن اجاز الى نبي الكفر فهو الكافر المرتد بلا شك والذي قلناه ظاهر
الآية وليس فيها ان الله تعالى كذبهم حاشا لله من هذا وذكروا أيضا قول الله تعالى .
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك
(قال ابو محمد) انما عمدنا هذا الاعتراض من أهل الكتاب وغيرهم واما من يدعى انه
مسلم فلا ولا يمكن البتة أن يكون مسلم يظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شاكا في صحة الوحي اليه ولنا في هذه الآية رسالة مشهورة وجملة حل هذا الشك ان
إن في هذه الآية المذكورة بمعنى ما التي للجحد بمعنى . وما كنت في شك مما أنزلنا
اليك . ثم أمره ان يسال أهل الكتاب تقريراً لهم على انهم يعلمون انه نبي مرسل مذكور
عندهم في التوراة والانجيل و بالله تعالى التوفيق
(قال ابو محمد) هذا كل ما موهوا به قد تقصيناه و بيناه وأرينا انه موافق لقولنا ولا
يشهد شيء منه لقول مخالفنا وبالله التوفيق ونحن الآن ناخذ بحول الله وقوته في الاتيان
بالبراهين الضرورية الواضحة على صحة قولنا و بطلان قول مخالفنا قال الله تعالى . وما كان
لنبي ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة . وقال تعالى . وما كان لبشر ان يؤتيه
الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله * فوجدنا
الله تعالى وهو اصدق القائلين قد نفى عن الانبياء عليهم السلام الغلول والكفر والتجبر
ولا خلاف بين احد من الامة في ان حكم الغلول كحكم سائر الذنوب قد صح الاجماع
بذلك وان من جوز على الانبياء عليهم السلام شيئا من تعمد الذنوب جوز عليهم الغلول
ومن نفى عنهم الغلول نفى عنهم سائر الذنوب وقد صح نفي الغلول عنهم بكلام الله تعالى
فوجب انتفاء تعمد الذنوب عنهم بصحة الاجماع على انها سواء الغلول وقال عز وجل

برسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية في جواب ماهو والنوع برسم بانه المقول على كثيرين مختلفين بالعدد في جواب ماهو اذا كان نوع الانواع واذا كان نوعا متوسطا فهو المقول على كثيرين مختلفين في جواب ماهو ويقال عليه قول آخر في جواب ماهو بالشركة وينتهي الارتقاء الى جنس لاجنس فوقه وان قدر فرق الجنس أمر أعم منه فيكون العموم بالتشكيك والنزول الى نوع لانوع تحته وان قدر دون النوع صنف أخص فيكون الخصوص بالعوارض ويرسم الفصل بانه الكلي الذاتي الذي يقال به على نوع تحت جنسه بانه أي شيء هو ويرسم الخاصة بانه هو الكلي الذاتي الدال على نوع واحد في جواب أي شيء هو لا بالذات ويرسم العرض العام بانه الكلي المفرد الغير الذاتي ويشترك في معناه كثيرون ووقوع العرض على هذا وعلى الذي هو قسيم الجوهر وقوع بمعنيين مختلفين في المركبات

الشيء إما عين موجودة واما صورة ماخوذة عنه في الذهن ولا يختلفان في النواحي والامم وأما الفظة تدل على الصورة التي في الذهن وأما كتابة دالة على اللفظ ويختلفان في الامم والكتابة دالة على اللفظ واللفظ دال على الصورة في الذهن وتلك الصورة دالة على الاعيان الموجودة ومبادي القول والكلام اما الاسم واما كلمة واما اداة فالاسم لفظ مفرد يدل على معنى

أم

من غير ان يدل على زمان وجود ذلك المعنى والكلمة لفظ مفرد يدل على معنى وعلى الزمان الذى فيه ذلك المعنى
لموضوع ماغير معين والاداة لفظ مفرد انما يدل على معنى يصح ان يوضع او يحمل بعد ان يقرن باسم اوكلمة واذا ركبت
الالفاظ تركيبا يؤدى معنى فحينئذ يسمي قولا ووجوه التركيبات مختلفة وانما يحتاج المنطقى الى تركيب خاص وهو ان
يكون بحيث يتطرق اليه التصديق اوالتكذيب فالقضية هى قول فيه نسبة بين (٢١) شيئين بحيث يتبعه حكم صدق او
كذب والحملية منها كل قضية فيها النسبة المذكورة بين شيئين ليس فى كل واحد منهما هذه النسبة الا بحيث يمكن ان يدل على كل واحد منهما بلفظ مفرد والشرطية منها كل قضية فيها هذه النسبة بين شيئين فيهما هذه النسبة من حيث هى منفصلة والمتصلة من الشرطية هى التى توجب اوتسلب لزوم قضية لاخرى من القضايا الشرطية والمنفصلة منها ماتوجب اوتسلب عناد قضية لاخري من القضايا الشرطية والايجاب هو ايقاع هذه النسبة وايجادها وفى الجملة هو الحكم بوجود محمول لموضوع والسلب هو رفع هذه النسبة الوجودية وبالجملة هو الحكم بلاوجود محمول لموضوع والمحمول هو المحكوم به والموضوع هو المحكوم عليه والمخصوصة قضية حملية موضوعها شيء جزئي والمهملة قضية حملية موضوعها كلي ولكن

أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون .

(قال ابو محمد) فلا يخلوا مخالفنا الذى يجيز ان يكون الانبياء عليهم السلام قد اجترحوا
السيئات من أحد وجهين لا ثالث لهما أما ان يقول ان فى سائر الناس من لم يعص ولا
اجترح سيئة قيل له فمن هؤلاء الذين نفى الله عنهم ان يكون الذين اجترحوا السيئات مثلهم اذا كانوا
غير موجودين فى العالم فلا بد من أن يجعل كلام الله عز وجل هذا فارغ لا معنى له وهذا
كفر من قائله اويقول هم الملائكة فان قال ذلك رد قوله هذا قول الله تعالى في الآية نفسها
سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . ولا نص ولا اجماع على ان الملائكة تموت ولو
جاء بذلك نص لقلنا به بل البرهان موجب ان لا يموتوا لان الجنة دار لا موت فيها والملائكة
سكان الجنان فيها خالدون فيها يخلدون أبداً وكذلك الحور العين وأيضا فان الموت انما هو
فراق النفس للجسد المركب وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الملائكة خلقوا
من نور فليس فيهم شيء يفارق شيأ فيسمي موتا فان اعترض معترض بقوله . كل نفس
ذائقة الموت . لزمه ان حمل هذه الآية على عمومها ان الحور العين يمتن فيجعل الجنة دار
موت وقد ابعدها الله تعالى عنه قال الله تعالى . وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون .
فعلمنا بهذا النص ان قوله تعالى . كل نفس ذائقة الموت . انما عنى به من كان فى غير الجنة
من الجن والانس وسائر الحيوان المركب الذى يفارق روحه جسده وبالله تعالى التوفيق
ويرد أيضا قوله ان قال بهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وقد الم
أو كاد الا يحيي بن زكريا أو يقول ان فى الناس من لم يجترح سيئة قط وان من اجترح السيئات
لا يساوي بهم كما قال عز وجل فان قال ذلك فان الانبياء عليهم السلام عنده يجترحون السيئات
وفى سائر الناس من لا يجترحها فوجب ان يكون في الناس من هو أفضل من الانبياء عليهم
السلام وهذا كفر وما قدرنا ان أحدا ممن ينتمى الى اهل الاسلام ولا الى اهل الكتاب
ينطلق لسانه بهذا حتى رأينا المعروف بابن الباقلانى فيما ذكر عنه صاحبه أبو جعفر السمناني
قاضى الموصل انه قد يكون فى الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من هو أفضل من النبي
صلى الله عليه وسلم من حين يبعث الى حين يموت (١) فاستعظمنا ذلك وهذا شرك مجرد وقدح
فى النبوة لاخفاء به وقد كنا نسمع عن قوم من الصوفية انهم يقولون ان الولى افضل من النبي وكنا
لا نحقق هذا على احد يدين بدين الاسلام الى ان وجدنا هذا الكلام كما اوردنا فنعوذ بالله من الارتداد
(قال أبو محمد) ولو ان هذا الضال المضل يدري ما معنى لفظة افضل ويدرى فضيلة النبوة
لما انطلق لسانه بهذا الكفر وهذا التكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول اني لاتقاكم

(١) هذا غير معروف عن الباقلاني اصلا فلعل الناقل حرف الاسم اوسهى المصنف اه مصححه

لم بين ان الحكم فى كله اوفى بعضه ولا بد انه فى البعض وشك انه فى الكل فحكمه حكم الجزئي والمحصورة هى التى حكمها كلي
والحكم عليه مبين بانه في كله او بعضه وقد تكون موجبة أو سالبة والسور هو اللفظ الذى يدل على مقدار الحصر ككل
ولا واحد وبعض ولا كل والقضيتان المتقابلتان هما اللتان تختلفان بالسلب والايجاب وموضوعهما ومحمولهما واحد فى
المعنى والاضافة والقوة والفعل والجزء والكل والزمان والمكان والشرط والتناقض هو التقابل بين قضيتين

في الايجاب والسلب تقابلا يجب عنه لذاته أن يقتضيا الصدق والكذب ويجب أن يراعى فيه الشرائط المذكورة
القضية البسيطة هي التي موضوعها أو محمولها اسم عمل والمعدولة هي التي موضوعها أو محمولها غير محصل كقولنا
زيد غير بصير والمدمية هي التي محمولها أخص النقابلين أي دل على عدم شيء من شأنه أن يكون للشيء أو لنوعه أو
لجنسه مثل قولنا زيد جائر مادة القضايا (٢٢) هي حالة للمحمول بالقياس الى الموضوع يجب بها لاحالة أن يكون

له دائما في كل وقت في ايجاب أو سلب أو غير دائم له في ايجاب ولا سلب وجهات القضايا ثلاث واجب ويدل على دوام الوجود وممتنع ويدل على دوام العدم وممكن ويدل على لادوام وجود ولاعدم والفرق بين الجهة والمادة ان الجهة لفظ مصرح بها يدل على أحد هذه المعاني والمادة حالة للقضية بذاتها غير مصرح بها وربما تخالفا كقولك زيد يمكن أن يكون حيوانا فالمادة واجبة والجهة ممكنة والممكن يطلق على معنيين أحدهما ما ليس بممتنع وعلى هذا الشيء اما ممكن واما ممتنع وهو المكن العامي والثاني ما ليس بضروري في الجانبين أعني الوجود والعدم وعلى هذا الشيء اما واجب وأما ممتنع وأما ممكن وهو المكن الخاصي ثم الواجب والممتنع بينهما غاية الخلاف مع اتفاقهما في معنى الضرورية فان الواجب ضروري الوجود بحيث لو قدر عدمه لزم منه محال والممتنع ضروري العدم بحيث لو قدر وجوده لزم منه محال والممكن الخاصي هو ما ليس ضروري الوجود والعدم والحمل الضروري على أوجه ستة تشترك كلها في الدوام . الاول أن يكون الحمل دائما لم يزل ولا يزال والثاني أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موجودة لم تفسد وهذان هما المستعملان والمرادان اذا قيل ايجاب أو سلب ضروري والثالث أن يكون الحمل مادام ذات الموضوع موصوفة

قال

لله واني لست كهيئتكم واني لست مثلكم فاذقد صح بالنص ان في الناس من لم يجترح السيئة
وان من اجترح السيئات لايساويهم عند الله عز وجل فالانبياء عليهم السلام احق بهذه
الدرجة وكل فضيلة بلاخلاف من احد من أهل الاسلام بقول الله عز وجل * الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس * فأخبر تعالى ان الرسل صفوته من خلقه وقد اعترض علينا
بعض المخالفين بان قال فما تقول فيمن بلغ فآمن وذكر الله مرات ومات أثر ذلك او في كافر
اسلم وقاتل مجاهدا وقتل فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول اما من كان كافرا ثم اسلم فقد
اجترح من السيئات بكفره ما هو اعظم من السموات والارض وان كان قد غفر له بايمانه
ولكن قد حصل بلاشك من جملة من قد اجترح السيئات واما من بلغ فآمن وذكر الله
تعالى ثم مات فقد كان هذا ممكنا في طبيعة العالم وفي بنيته لولا قول الله عز وجل * أم حسب
الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون * فان الله تعالى قطع قطعا لاريب فيه الاكافر بانه لايجعل من اجترح السيئات كمن
لم يجترحها ونحن نوقن ان الصحابة رضي الله عنهم وهم افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام
ليس منهم أحد الا وقد اجترح سيئة فكان يلزم على هذا ان يكون من اسلم أثر بلوغه ومات
أفضل من الصحابة رضي الله عنهم وهذا خلاف قول النبي صلى الله عليه وسلم انه لو كان
لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه لم يبلغ مد احدهم ولا نصيفه فاذا هذا كما قلنا فقول الله عز وجل
وقول رسوله صلى الله عليه وسلم أحق بالتصديق لا سيما مع قوله عليه السلام ما من احد الا
ألم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا فنحن نقطع قطعا بما ذكرنا انه لاسبيل الى ان يبلغ احد
حد التكليف الاولا بد له من ان يجترح سيئات الله اعلم بها وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ومن البرهان على انه لم يكن البتة ان يعصي نبي قوله صلى الله عليه وسلم ما
كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين لما قال له الانصاري هلا اومات الى في قصة عبد الله بن
سعد بن ابي سرح فنفى عليه السلام عن جميع الانبياء عليهم السلام ان تكون لهم خائنة
الاعين وهو اخف ما يكون من الذنوب ومن خلاف الباطن للظاهر فدخل في هذا جميع
المعاصي صغيرها وكبيرها سرها وجهرها

(قال ابو محمد) وايضا فاننا مندوبون الى الاقتداء بالانبياء عليهم السلام والى الايتساء بهم
في افعالهم كلها قال الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر * وقال تعالى * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده * فصح يقينا انه لو جاز
ان يقع من احد من الانبياء عليهم السلام ذنب تعمدا صغيرا وكبيرا كان الله عز وجل قد
حضنا على المعاصي وندبنا الى الذنوب وهذا كفر مجرد ممن اجازه فقد صح يقينا ان جميع
افعال الانبياء التي يقصدونها خير وحق

بالقصة التي جعلت موضوعة معها . والرابع ان يكون المحل موجودا وليس ضرورة بلا هذا الشرط . والخامس أن يكون الضرورة وقتا ما معينا لا بد منه . والسادس أن يكون الضرورة وقتا ما غير معين ثم ان ذوات الجهة قد تتلازم طردا وعكسا وقد لا تتلازم فواجب ان يوجد يلزمه ممتنع ان لا يوجد وليس بممكن بالمعنى العام ان لا يوجد ونقائض هذه متعاكسة وقس عليه سائر الطبقات وكل قضية فاما ضرورية واما ممكنة (١٣) واما مطلقة فالضرورة مثل قولنا كل اب

(قال ابو محمد) وايضا فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم عظيم انكاره على ذي الخويصرة لعنه الله ولعن امثاله اذ قال الكافر اعدل يا محمد ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل اذا أنا لم اعدل تامنني الله ولا تامنوني وقوله عليه السلام لام سلمة ام المؤمنين اذ سالته عن الذي قبل امرأته في رمضان الا اخبرتها اني فعلت ذلك وغضب عليه السلام اذ قال له لست مثلنا قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانكر عليه السلام اذ جعل له ذنبا بعمد وان صغر وقال عليه السلام اني والله لاعلمكم بالله واتقاكم لله أو كلاما هذا معناه فان قال قائل فهلا نفيتم عنهم عليهم السلام السهو بدليل الندب الى الايتساء بهم عليهم السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق انكار ما ثبت كاجازة ما لم يثبت سواء ولا فرق والسهو منهم قد ثبت بيقين وايضا فان ندب الله تعالى لنا الى الايتساء بهم عليهم السلام لا يمنع من وقوع السهو منهم لان الايتساء بالسهو لا يمكن الا بسهو منا ومن المحال ان نندب الى السهو أو نكلف السهو لانا لو قصدنا اليه لم يكن حينئذ سهوا ولا يجوز أيضا ان ننهى عن السهو لان الانتهاء عن السهو ليس في بنيتنا ولا في وسعنا وقد قال تعالى . لا يكلف الله نفسا الا وسعها . ونقول أيضا اننا مأمورون اذا سهونا ان نفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سها وأيضا فان الله تعالى لا يقر الانبياء عليهم السلام على السهو بل ينبههم في الوقت ولو لم يفعل ذلك تعالى لكان لم يبين لنا مراده منا في الدين وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول تعالى تبيانا لكل شيء . واذ يقول . اليوم اكملت لكم دينكم . وقوله تعالى . وقد فصل لكم ما حرم عليكم :

(قال ابو محمد) فسقط قول من نسب الى الانبياء عليهم السلام شيأ من الذنوب بالعمد صغيرها وكبيرها اذا لم يبق لهم شبهة يموهون بها أصلا واذ قد قامت البراهين على بطلانها ولحقوا بذي الخويصرة

(قال ابو محمد) ولو جاز من الانبياء عليهم السلام شيء من المعاصي وتندبنا الى الايتساء بهم وبافعالهم لكنا قد ابحنا لنا المعاصي وكنا لا ندري لعل جميع ديننا ضلال وكفر ولعل كل ما عمله عليه السلام معاص ولقد قالت يوما لبعضهم ممن كان يجوز عليهم الصغائر بالعمد أليس من الصغائر تقبيل المرأة الاجنبية وقرصها فقال نعم قلت تجوز أنه يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم انه يقبل امرأة غيره متعمدا فقال معاذ الله من هذا ورجع الى الحق من حينه والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) قال الله تعالى « انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما

بالضرورة أي كل واحد واحد مما يوصف بانه اب دائما او غير دائم فذلك الشيء دائما مادامت عين ذاته موجودة يوصف بانه او الممكنة فهو الذي حكمه من ايجاب او سلب غير ضروري والمطلقة فيها رايان احدهما انها التي لم يذكر فيها جهة ضرورة للحكم ولا امكان بل اطلق اطلاقا والثاني ما كون الحكم فيها موجودا الا دائما بل وقتا ما وذلك لوقت اما مادام الموضوع موصوفا بما يوصف به وما دام المحمول محكوما به او في وقت معين ضروري او في وقت ضروري غير معين اما عكسه وهو تصيير الموضوع محمولا والمحمول موضوعا مع بقاء السلب والايجاب بحالة والصدق والكذب بحالة والسالبة الكلية تنعكس مثل نفسها والسالبة الجزئية لا تنعكس والموجبة الكلية تنعكس موجبة جزئية والموجبة الجزئية تنعكس مثل نفسها في القياس ومبادئه واشكاله وتتجه المقدمة قول

توجب شيأ لشيء او يسلب شيأ عن شيء وجملت جزء قياس والحد ما ينحل اليه المقدمة من جهة ما هي مقدمة والقياس هو قول مؤلف من اقوال اذا وضعت لزم عنها بذاتها قول آخر غيرها اضرارا واذا كان بيان لزومه يسمى قياسا كاملا واذا احتاج الى بيان فهو غير كامل والقياس ينقسم الى اقتراني والى استثنائي والاقتراني أن يكون ما يلزمه ليس هو ولا نقيضه مقولا فيه بالفعل بوجه والاستثنائي أن يكون ما يلزمه هو أو نقيضه مقولا فيه بالفعل والاقتراني انما يكون عن مقدمتين يشتركان في حد ويفترقان في

حدين فتكون الحدود ثلاثة ومن شان المشترك فيه أن يزول عن الوسط ويربط مابين الحدين الاخرين فيكون ذلك
هو اللازم ويسمى نتيجة فالمكرر يسمى حدا أوسط والباقيان طرفين والذي يريد أن يصير محمول اللازم يسمي الطرف
الاكبر والذى يريد أن يكون موضوع اللازم يسمي الطرف الاصغر والمقدمة التى فيها الطرف الاكبر يسمى الكبرى
والتى فيها الطرف الاصغر يسمى الصغرى (٢٤) وتاليف الصغرى والكبرى يسمى قرينة وهيئة الاقتران يسمي
شكلا والقرينة التى يلزم عنها لذاتها قولا آخر يسمى قياسا واللازم مادام لم يلزم بعد بل يساق اليه القياس يسمى مطلوبا واذا لم يلزم يسمى نتيجة والحد الاوسط ان كان محمولا فى مقدمة وموضوعا فى الاخرى يسمي ذلك الاقتران شكلا أولا وان كان محمولا فيهما يسمى شكلا ثانيا وان كان موضوعا فيهما يسمى شكلا ثالثا وشترك الاشكال كلها في انه لاقياس عن جزئيين ويشترك ماخلا الكائنة عن الممكنات فى انه لاقياس من سالبتين ولا عن صغرى سالبة كبراها جزئية والنتيجة تتبع أخس المقدمتين فى الكم والكيف وشريطة الشكل الاول أن تكون كبراه كلية وصغراه موجبة وشريطة الشكل الثانى أن يكون الكبرى فيه كلية واحدي المقدمتين مخالفة للاخرى في الكيف ولا ينتج اذا كانت المقدمتان ممكنتين أو مطلقتين الاطلاق الذى لاينعكس على نفسه كليا وشريطة الشكل الثالث أن يكون فى الصغرى موجبة لابد من كلية في كل شكل ويرجع فى المختلطات الى تصانيفه وأما القياسات الشرطية وقضاياها أعلم ان الايجاب والسلب ليس يختص بالحمليات بل وفى الاتصال والانفصال فانه كما ان الدلالة على وجود احد الجزءين ايجاب الجزء الآخر كذلك الدلالة على وجود الاتصال ايجاب فى المتصل والدلالة على وجوب الانفصال ايجاب فى المنفصل، وكذلك السلب وكل سلب هو ابطال الايجاب

تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما *
(قال أبو محمد) ومن الباطل المحال ان يتم الله نعمته على عبد ويعصى الله بما كبر وما صغر اذ لو كان ذلك لما كانت نعمة الله تعالى عليه تامة بل ناقصة اذ خذله فيما عصي فيه وقال تعالى * انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه * وقال الله تعالى * قل ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعذروا قد كفرتم بعد ايمانكم *
(قال ابو محمد) وماوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بلغ الغاية القصوي فى الاستهزاء برسل الله صلى الله عليهم وسلم من جوز ان يكونوا سراقا زناة ولاطة وبغائين ووالله ماعلم كفرا اعظم من هذا ولا استهزاء بالله تعالى وبرسله وبالدين اعظم من كفر اهل هذه المقالة وليت شعري ماالذى أمنهم من كذبهم فى التبليغ لانا لاندري لعلهم بلغوا الينا الكذب عن الله تعالى
(قال ابو محمد) فنقول لهم واهل افكه التى تأتسى بها تبديل للدين ومعاص لله عز وجل ولا فرق
(قال ابو محمد) وما نعلم اهل قرية اشد سعيا فى افساد الاسلام وكيده من الرافضة واهل هذه المقالة فان كانا الطائفتين الملعونتين اجازتا تبدل الدين وتحريفه وصرحت هذه الفئة مع ماأطلقت على الانبياء من المعاصي بان الله تعالى انما تعبدنا فى دينه بغالب ظنوننا وانه لا حكم لله الا ماغلب عليه ظن المرء منا وان كان مختلفا متناقضا وما نمتري فى انهم ساعون فى افساد اغمار المسلمين المحسنين بهم الظن نعوذ بالله من الضلال
(قال ابو محمد) فان قال قائل انكم تقولون ان الانبياء عليهم السلام مؤاخذون بما أتوا على سبيل السهو والقصد الى الخير اذا لم يوافق مراد الله تعالى مهلا اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سهوه فى الصلاة اقلناه وبالله تعالى التوفيق قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وماتاخر وهذه فضيلة مما فضل به على جميع النبيين عليهم السلام وهكذا نص عليه السلام فى حديث الشفاعة يوم القيامة ومصير الناس من نبي الى نبي فكل ذكر خطيئة اوسكت فلما ذكروا النبي صلى الله عليه وسلم قال قائلهم عبد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تاخر فبطل ان يؤاخذ بما غفره الله وبالله تعالى التوفيق
(قال ابو محمد) فان قال قائل اليجوز ان يكون نبي من الانبياء عليهم السلام ياتى معصية قبل ان ينبا قلنا لايخلو من احد وجهين لاثالث لهما اما ان يكون متعبدا بشريعة نبي اتي قبله كما كان عيسى عليه السلام واما ان يكون قد نشا فى قوم قد درست شريعتهم ودثرت ونسيت كانبي بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فى قوم قد نسوا شريعة اسماعيل وابراهيم عليهما السلام قال تعالى * ووجدك ضالا فهدى . وقال تعالى . لتنذر قوما ماانذر آباؤهم . فان

ورفعه وكذلك يجرى فيها الحصر والاهمال وقد تكون القضايا كثيرة والمقدمة واحدة والاقتران من المتصلات أن يجعل مقدم احدهما تالى الآخر فيشتركان فى التالى أو يشتركان فى المقدم وذلك على قياس الاشكال الحملية والشرائط فيها واحدة والنتيجة شرطية يحصل من اجتماع المقدم التالى اللذين هما كالطرفين والاقترانيات من المنفصلات فلا يكون فى جزء تام بل يكون فى جزء غير تام وهو جزء تال او مقدم والاستثنائية مؤلفة من مقدمتين (٢٥) احداهما شرطية والاخرى وضع أو رفع لاحدى جزأيها ويجوز أن تكون حملية وشرطية ويسمى المستثناة والمستثناة من قياس شرطية متصل أما أن يكون من المقدم فيجب أن يكون عين المقدم لينتج عين التالى وان كان من التالى فيجب أن يكون نقيضه لينتج نقيض المقدم واستثناء نقيض المقدم وعين التالى لا ينتج شيئا واما اذا كانت الشرطية منفصلة فان كانت ذات جزئين فقط موجبتين فايهما استثنيت عينه أنتج نقيض الباقى وأيهما استثنيت نقيضه انتج عين الباقى وأما القياسات المركبة ماذا حللت الى أفرادها كان ما ينتج كل واحد منها شيئا آخر الا أن تنتج بعضها مقدمات لبعض وكل نتيجة فانها ستتبع عكسها وعكس نقيضها وجزئها وعكس جزأيها ان كان لها عكس والمقدمات الصادقة تنتج نتيجة صادقة ولا ينعكس فقد ينتج المقدمات الكاذبة نتيجة صادقة

كان النبى متعبدا بشريعة ما فقد أبطلنا آنفا ان يكون نبى يعصى ربه أصلا وان كان نشأ فى قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد فليس عاصيا لله تعالى فى شىء يفعله أو يتركه الا اننا ندرى ان الله عز وجل قد طهر انبياءه وصانهم من كل ما يعابون به لان العيب أذى وقد حرم الله عز وجل ان يؤذى رسوله قال تعالى * ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا *

(قال ابو محمد) فبيقين ندرى ان الله تعالى صان انبياءه عن ان يكونوا لبغية أو من أولاد بغى أو من بغايا بل بعثهم الله تعالى فى حسب قومهم فاذ لا شك فى هذا فبيقين ندرى ان الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة فدخل فى ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا واللياطة والبغى وأذى الناس فى حريمهم وأموالهم وأنفسهم وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذى بذكره وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكى انا ابن فرج انا ابراهيم بن احمد فراس انبانا احمد بن محمد بن سالم النيسابورى انا اسحاق بن راهويه انا وهب بن جرير بن حازم انا ابى انبانا محمد بن اسحاق حدثنى محمد بن عبدالله بن قيس بن مخرمة عن الحسن بن محمد بن على بن أبي طالب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمون به الا مرتين من الدهر كلتاهما يعصمنى الله منها قلت لفتى كان معى من قريش باعلى مكة فى أغنام لها ترعى أبصر لى غنمى حتى اسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم فلما خرجت فجئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف وزمير فقلت ما هذا قالوا فلان تزوج فلانة لرجل من قريش فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتنى عينى فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال لى ما فعلت فاخبرته ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك ففعل فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لى مثل ما قيل لى فلهوت بما سمعت حتى غلبتنى عينى فما ايقظنى الا مس الشمس فرجعت الى صاحبى فقال لى ما فعلت قلت ما فعلت شيأ فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى اكرمنى الله بنبوته

(قال ابو محمد) فصح انه عليه السلام لم يعص قط بكبيرة ولا بصغيرة لا قبل النبوة ولا بعدها ولا هم قط بمعصية صغرت أو كبرت لا قبل النبوة ولا بعدها الا مرتين بالسمر حيث ربما كان بعض ما لم يكن نهى عنه بعد وهما حينئذ بالسمر ليس هما بزنا ولكنه يحذوا اليه طبع البرية من استحسان منظر حسن فقط وبالله تعالى التوفيق تم الكلام فى الانبياء عليهم السلام

(الكلام فى الملائكة عليهم السلام)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قبل أمر هاروت وماروت ونزيدها هنا بيانا فى ذلك وبالله تعالى التوفيق ان قوما نسبوا الى الله تعالى ما لم يات به قط اثر يجب ان يشتغل به وانما هو

والدوران فاخذ النتيجة وعكس احدى المقدمتين فينتج المقدمة الثانية أنه يمكن اذا كانت الحدود فى المقدمات متعاكسة متساوية وعكس القياس هو أن تاخذ مقابلة النتيجة بالضد أو النقيض وتضيف الى احدى المقدمين فينتج مقابلة النتيجة الاخرى احتيالا فى الجدل وقياس الخلف هو الذى فيه المطلوب من جهة تكذيب نفيضه فيكون بالحقيقة مركبا من قياس اقترانى وقياس استثنائى والمصادرة على المطلوب الاول هو ان يجعل

المطلوب نفسه مقدمة في قياس يراد فيه انتاجه وربما يكون في قياس واحد وربما بين في قياسات وحيث ما كان ابعد كان
من القبول أقرب والاستقراء هو حكم على كلي لوجود ذلك الحكم في جزئيات ذلك الكلي اما كلها وأما أكثرها واما
التمثيل هو الحكم على الشيء المعين لوجود ذلك الحكم في شيء آخر غيرهمين أو أشياء على ان ذلك الحكم كلي على المتشابه
فيكون محكوما عليه في المطلوب ومنقول منه (١٦) الحكم وهو المثل ومعنى متشابه فيه هو الجامع وحكم الرأي مقدمة

كذب مفترى من انه تعالى أنزل الى الارض ملكين وهما هاروت وماروت وانهما عصيا
الله تعالى وشربا الخمر وحكما بالزور وقتلا النفس وزنيا وعلما زانية اسم الله الاعظم فطارت
به الى السماء فمسخت كوكبا وهي الزهرة وانهما عذبا في غار ببابل وانهما يعلمان الناس
السحر وحجتهم على ما في هذا الباب خبر رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول
مرة يقال له النخعي ومرة يقال له الحنفي ما نعلم له رواية الا هذه الكذبة وليس أيضا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه أوقفها عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وكذبة أخرى في ان حد الخمر ليس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو شيء فعلوه
وحاشاهم رضي الله عنهم من هذا

(قال ابو محمد) ومن البرهان على بطلان هذا كله قول الله تعالى * الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا
اذا منظرين * فقطع الله عز وجل ان الملائكة لا تنزل الا بالحق وليس شرب الخمر
ولا الزنا ولا قتل النفس المحرمة ولا تعليم الجواهر اسماءه عز وجل التي يرتفع بها الى
السماء ولا السحر من الحق بل كل ذلك من الباطل ونحن نشهد ان الملائكة ما نزلت
قط بشيء من هذه الفواحش والباطل واذا لم تنزل به فقد بطل ان تفعله لانها لو فعلته
في الارض لنزلت به وهذا باطل وشهد عز وجل انه لو انزل علينا الملائكة لما نظرنا
فصح انه لم ينزل قط ملك ظاهر الا للنبي بالوحي فقط وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وكذلك قوله تعالى * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا * فابطل عز وجل
انه يمكن ظهور ملك الى الناس وقال تعالى * ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون
فكذب الله عز وجل كل من قال ان ملكا نزل قط من السماء ظاهرا الا الى الانبياء
بالحق من عند الله عز وجل فقط وقال عز وجل * وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا
انزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون
الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين. الآية فرفع الله تعالى الاشكال بهذا النص في هذه المسألة وقرن
عز وجل نزول الملائكة في الدنيا برؤيته عز وجل فيه فصح ضرورة ان نزولهم في الدنيا الى
غير الانبياء ممتنع البتة لا يجوز وان من قال ذلك فقد قال حجرا محجورا أي ممتنعا وظهر بها
كذب من ادعى ان ملكين نزلا الى الناس فعلماهم السحر وقد استعظم الله عز وجل ذلك من
رغبة من رغب نزول الملائكة الى الناس وسمى هذا الفعل استكبارا وعتوا وأخبر عز وجل
أنا لا نرى الملائكة ابدا الى يوم القيامة فقط وانه لا بشرى يومئذ للمجرمين فاذ لا شك
في هذا كله فقد علمنا ضرورة انه لا يخلو من أحد وجهين لا ثالث لهما كما قدمنا قبل اما ان
هاروت وماروت لم يكونا ملكين وان ما في قوله. وما انزل على الملكين. نفي لان

كذب أو غير كائن صواب
أم خطا الدليل قياس
اضماري حده الوسط شيء
اذ وجد للاصغر تبعه وجود
شيء آخر للاصغر دائما
كيف كان ذلك التبع
والقياس الفراسي شبه
بالدليل من وجه وبالتمثيل
من وجه في مقدمات
القياس من جهة ذواتها
وشرائط البرهان
المحسوسات هي أمور
وقع التصديق بها الحس
المجربات هي أمور أوقع
التصديق بها الحس بشركة
من القياس المقبولات
آراء أوقع التصديق بها
قول من يثق بصدقه فيما
يقول اما لامر سماوي
يختص به أو لرأي وفكر
تميز به الوهميات آراء أوجب
اعتقادها قوة الوهم التابعة
للحس الزائلات آراء
مشهورة محمودة أوجب
التصديق بها شهادة الكل
المظنونات آراء يقع
التصديق بها لا على الثبات
بل بخطور امكان نقيضها
بالبال ولكن الذهن يكون
اليها اميل المتخيلات هي مقدمات ليست تقال ليصدق بها بل ليخيل شيئا على انه شيء آخر على سبيل المحاكاة الاولية
هي قضايا تحدث في الانسان من جهة قوته العقلية من غير سبب أوجب التصديق بها البرهان قياس مؤلف من يقينيات لانتاج يقيني
واليقينيات اما اوليات وما جمع منها واما تجريبيات وأما محسوسات وبرهان لمي هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة في الوجود وفي
الذهن جميعا وبرهان انى هو الذي يعطيك علة اجتماع طرفي النتيجة عند الذهن والتصديق به والمطالب هل مطلقا هو تعرف حال الشيء

في الوجود أو العدم مطلقا وهل يقيدا وهو تعرف وجود الشيء على حال ما أو ليس ما يعرف التصور وهو اما بحسب الاسم أي ما المراد باسم كذا وهو يتقدم كل مطلب وأما بحسب الذات أي ما الشيء في وجوده وهو يعرف حقيقة الذات ويتقدمه الهل المطلق لم يعرف العلة بجواب هل وهو أما علة التصديق فقط وأما علة نفس الوجود وأي فهو بالقوة داخل في الهل المركب المقيد وانما يطلب التمييز اما بالصفات الذاتيه وأما بالخواص والامور التي يلتئم منها أمر (٢٧) البراهين ثلاثة موضوعات ومسائل ومقدمات فالموضوعات يبرهن فيها والمسائل يبرهن عليها والمقدمات يبرهن بها ويجب أن تكون صادقة يقينية فاتية وينتهي الى مقدمات أولية مقولة على الكل كلية وقد تكون ضرورية الاعلى الامور المتغيرة التي هي في الاكثر على حكم ما فتكون اكثرية وتكون عللا لوجود النتيجة فتكون مناسبة الحكم الذاتي يقال على وجهين أحدهما أن يكون المحمول مأخوذا في حد الموضوع والثاني أن يكون الموضوع مأخوذا في حد المحمول المقدمة الاولية على وجهين أحدهما ان التصديق بها حاصل في أول العقل والثاني من جهة ان الايجاب والسلب لا يقال على ماهو أعم من الموضوع قولا كليا المناسب هو أن لا تكون المقدمات فيه من علم غريب الموضوعات هي التي توضع في العلوم فيبرهن على اعراضها الذاتية المسائل هي القضايا

ينزل على الملكين ويكون هاروت وماروت حينئذ بدلا من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت ويكون هاروت وماروت قبيلتان من قبائل الجن كانتا يعلمان الناس السحر وقد روينا هذا القول عن خالد ابن أبي عمران وغيره وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرأ على الملكين بكسر اللام وكان يقول ان هروت وماروت علجان من أهل بابل الا ان الذي لاشك فيه على هذا القول انهما لم يكونا ملكين وقد اعترض بعض الجهال فقال لي أبالغ من رفق الشيطان ان يقول الذي يتعلم السحر لا تكفر فقلت له هذا الاعتراض يبطل من ثلاث جهات أحدها ان نقول لك وما المانع من ان يقول الشيطان ذلك اما سخريا وأما لما شاء الله فلا سبيل لك الى دليل مانع من هذا والثاني انه قد نص الله عز وجل على ان الشيطان قال اني أخاف الله فقال تعالى . واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم الى قوله تعالى . اني أخاف الله والله شديد العقاب . وقال تعالى . كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني أخاف الله رب العالمين . فقد أمر الشيطان الانسان بالكفر ثم تبرأ منه وأخبره انه يخاف الله وغر الكفار ثم تبرأ منهم وقال اني اخاف الله فاي فرق بين ان يقول الشيطان للانسان اكفر ويغره ثم يتبرأ منه ويقول اني اخاف الله وبين ان يعلمه السحر ويقول له لا تكفر والثالث ان معلم السحر بنص الآية قد قال الذي يتعلم منه لا تكفر فسواء كان ملكا أو شيطانا قد علمه على قولك ما لا يحل وقال له لا تكفر فلم تنكر هذا من الشيطان ولا تنكره بزعمك من الملك وأنت تنسب اليه انه يعلم السحر الذي عندك ضلال وكفر وأما ان يكون هاروت وماروت ملكين نزلا بشريعة حق يعلم ما على انبياء فعلمهم الدين وقالا لهم لا تكفروا نهيا عن الكفر بحق واخبراهم انهم فتنة يضل الله تعالى بهما وبما أتيا به من كفر به ويهدي بهما من آمن به قال تعالى عن موسى انه قال له * ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء . وكما قال تعالى . الم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ثم نسخ ذلك الذي أنزل على الملكين فصار كفرا بعد ان كان ايمانا كما نسخ تعالى شرائع التوراة والانجيل فتمادت الجن على تعليم ذلك المنسوخ وبالجملة فما في الاية من نص ولا دليل على ان الملكين علما السحر وانما هو اقحام أقحم بالآية بالكذب والافك بل وفيها بيان انه لم يكن سحرا بقوله تعالى . ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل ولا يجوز ان يجعل المعطوف والمعطوف عليه شيئا واحدا الا ببرهان من نص او اجماع او ضرورة والا فلا اصلا وايضا فان بابل هي الكوفة وهي بلد معروف بقربها محدودة معلومة ليس فيها غار فيه ملك فصح انه خرافة موضوعة اذ لو كان ذلك لما خفي مكانهما على أهل الكوفة فبطل التعلق بهاروت وماروت والحمد لله رب العالمين

الخاصة يعلم علم المشكوك فيها المطلوب برهانا والبرهان يعطي حكم اليقين الدائم وليس في شيء من الفاسدات عقد دائم فلا برهان عليها ولا برهان أيضا على الحد بأنه لابد حينئذ من عقد وسط مساو للطرفين لان الحد والمحدود متساويان وذلك الاوسط لا يخلو اما أن يكون حدا آخرا ورسما وخاصة فاما الحد الآخر فان السؤال في اكتسابه ثابت فان اكتسب بحد ثالث فالامر ذاهب الى غير نهاية وان اكتسب بالحد الاول فذلك دور وان اكتسب بوجه آخر غير

البرهان فلا يكتسبه به هذا الحد وعلى أنه لا يجوز أن يكون لشيء واحد حدان تامان على ما يوضح به وان كانت الواسطة
غير حد فكيف صار ما ليس بمحدود أعرف وجودا للمحدود من الامر الذاتي المقوم له وهو الحد وأيضا فان الحد لا يكتسب
بالقسمة فان القسمة تضع أقساما ولا تحمل من الاقسام شيئا بعينه الا أن يوضع وضعا من غير أن يكون للقسمة فيه مدخل
وأما استثناء نقيض قسم لبقي (٢٨) القسم الداخل في الحد فهو الحد فهو ابانة الشيء بما هو مثل له أو أخفى منه فانك اذا قلت

(قال ابو محمد) وقد ادعى قوم ان ابليس كان ملكا فعصى وحاشا لله من هذا لان الله تعالى قد كذب هذا القول بقوله تعالى . الا ابليس كان من الجن . وبقوله . افتتخذونه وذريته اولياء من دوني . ولاذرية للملائكة وبقوله تعالى . انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . وباخباره انه خلق ابليس من نار السموم وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقت الملائكة من نور والنور غير النار بلاشك فصح ان الجن غير الملائكة والملائكة كلهم خيار مكرمون بنص القرآن والجن والانس فيهما مذموم ومحمود فان قال قائل ان الله عز وجل ذكر انهم قالوا . اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . وهذا تزكية لانفسهم وقد قال تعالى . ولا تزكوا انفسكم . قلنا وبالله تعالى التوفيق مدح المرء نفسه ينقسم قسمين احدهما ما قصد به المرء افتخارا بفيا وانتقاصا لغيره فهذه هي التزكية وهو مذموم جدا والاخر ما خرج مخرج الاخبار بالحق كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وفضلت على الانبياء وكقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم . ولا يسمى هذا تزكية ومن هذا الباب قول الملائكة هنا برهان هذا انه لو كان قولهم مذموما لانكره الله عز وجل عليهم فاذ لم ينكره الله تعالى فهو صدق ومن هذا الباب قولنا نحن المسلمون ونحن خير أمة أخرجت للناس وكقول الحواريين نحن انصار الله فكل هذا اذا قصد به الحض على الخير لا الفخر فهو خير فان قال قائل ان الله تعالى قال لهم . اني أعلم ما لا تعلمون * قلنا نعم وما شك الملائكة قط أن الله تعالى يعلم ما لا يعلمون وليس هذا انكارا واما الجن فقد قلنا انهم متعبدون بملة الاسلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الروث والعظام طعام اخواننا من الجن وهذا بخلاف حكمنا فقد يخصهم الله عز وجل باوامر خلاف اوامرنا كما للنساء شرائع ليست للرجال من الحيض وقطع الصلاة وغير ذلك وكما لقريش الامامة وليست لغيرهم وكل ذلك دين الاسلام وبالله تعالى التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل

(هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال)

(ام لا يكون مؤمنا مسلما الا من استدل)

(قال أبو محمد) ذهب محمد بن جرير الطبري والاشعرية كلها حاشا السمناني الى انه لا يكون مسلما الا من استدل والافليس مسلما وقال الطبري من بلغ الاحتلام او الاشعار من الرجل والنساء او بلغ المحيض من النساء ولم يعرف الله عز وجل بجميع اسمائه وصفاته من طريق الاستدلال فهو كافر حلال الدم والمال وقال انه اذا بلغ الغلام او الجارية سبع سنين وجب تعليمهما وتدريبهما على الاستدلال على ذلك وقالت الاشعرية لا يلزمهما الاستدلال على ذلك الابعد البلوغ

لكن ليس الانسان غير ناطق فهو اذا ناطق لم يكن أحدث في الاستثناء شيئا أعرف من النتيجة وأيضا فان الحد لا يكتسب من حد الضد فليس لكل محدود ضد ولا أيضا حد أحد الضدين أولى بذلك من حد الضد الآخر والاستقراء لا يفيد علما كليا فكيف يفيد الحد لكن الحد يقتنص بالتركيب وذلك بان تعمد الى الاشخاص التي لا تنقسم وتنظر من أي جنس هي من العشرة فتأخذ جميع المحمولات المقومة لها التي في ذلك الجنس وتجمع العدة منها بعد ان تعرف أيها الاول وأيها الثاني فاذا جمعنا هذه المحمولات ووجدنا منها شيئا مساويا للمحدود من وجهين أحدهما المساواة في الحمل والثاني المساواة في المعنى وهو أن يكون دالا على كمال حقيقة ذاته لا يشذ منه شيء فان كثيرا مما تميز بالذات يكون قد أخل ببعض الاجناس أو ببعض الفصول فيكون مساويا في الحمل ولا يكون مساويا في المعنى وبالعكس ولا يلتفت في الحد الى أن يكون وجيزا بل ينبغي أن يضع الجنس القريب باسمه أو بحده ثم يأتي بجميع الفصول الذاتية وانك اذا تركت بعض الفصول فقد تركت بعض الذات والحد عنوان الذات وبيان له فيجب أن يقوم في النفس صورة معقولة مساوية للصورة الموجودة بتمامها فحينئذ يعرض ان يتميز أيضا المحدود ولا حد بالحقيقة لما لا وجود له وانما

قال

ذلك بشرح الاسم فالحد اذا قول دال على الماهية والقسمة معينة فى الحد خصوصا اذا كانت الذاتيات ولايجوز تعريف الشيء بما هو أخفى منه ولابما هو مثله فى الجلاء والخفاء ولابما لايعرف الشيء الا به فى الاجناس العشرة الجوهر هو كل ماوجود ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه فى الفعل ولابتقويمه الكم هو الذى يقبل لذاته المساواة واللامساواة والتجزى وهو اما أن يكون متصلا اذ يوجد (٢٩) لاجزائه بالقوة حد مشترك يتلاقى عنده ويتحد به كالنقطة للخط واما أن يكون منفصلا لايوجد لاجزائه ذلك لا بالقوة ولا بالفعل والمتصل قد يكون اذا وضع وقد يكون عديم الوضع وذو الوضع هو الذى يوجد لاجزائه اتصال وثبات وامكان أن يشار الى كل واحد منها انه أين هو من الاخر فمن ذلك مايقبل القسمة فى جهة واحدة وهو الخط ومنه مايقبل فى جهتين متقاطعتين على قوائم وهو السطح ومنه مايقبل فى ثلاث جهات قائم بعضها على بعض وهو الجسم والمكان أيضا ذو وضع بانه السطح الباطن من الحاوي وأما الزمان فهو مقدار للحركة الا انه ليس له وضع اذ لا توجد أجزاؤه معا وان كانت أجزاؤه متصلة اذ ماضية ومستقبلة يتحدان بطرف الان وأما العدد فهو بالحقيقة الكم المنفصل ومن المقولات العشر الاضافة وهو المعنى الذى وجوده بالقياس الى شيء آخر وليس له وجود غيره مثل الابوة بالقياس الى البنوة لا كالاب فان له وجودا يخصه فالانسانية واما الكيف فهو كل هيئة قارة فى جسم لايوجب اعتبار وجوده فيه نسبة للجسم الى خارج ولانسبة واقعة فى أجزائه ولا بالجملة يكون به ذا جزء مثل البياض والسواد وهو اما أن يكون مختصا بالكم من جهة ماهو كم كالتربيع للسطح والاستقامة بالخط والفردية بالعدد واما أن لا يكون مختصا به و غير المختص به اما ان يكون محسوسا ينفعل عنه الحواس ويوجد بانفعال

(قال أبو محمد) وقال سائر اهل الاسلام كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لايشك فيه وقال بلسانه لااله الاالله وان محمدا رسول الله وان كل ماجاء به حق وبرىء من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك

(قال ابو محمد) فاحتجت الطائفة الاولى بان قالت قد اتفق الجميع على ان التقليد مذموم ومالم يكن يعرف باستدلال فانما هو تقليد لاواسطة بينهما وذكروا قول الله عز وجل انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون. وقال تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم وقال تعالى ، أو لو كان اباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون . وقال تعالى وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا. وقالوا فذم الله تعالى اتباع الاباء والرؤساء قالوا وبيقين ندرى انه لايعلم أحد أى الامرين اهدى ولاهل يعلم الاباء شيأ أولا يعلمون الا بالدليل وقالوا كل مالم يكن يصح بدليل فهو دعوى ولافرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما لكن بالدليل قال الله عزوجل . قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين قالوا فمن لابرهان له فليس صادقا في قوله وقالوا مالم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشيء على ماهو به عن ضرورة او استدلال قالوا والديانات لايعرف صحة الصحيح منها من بطلان الباطل منها بالحواس اصلا فصح انه لايعلم ذلك الامن طريق الاستدلال فاذا لم يكن الاستدلال فليس المرء عالما بما لم يستدل عليه واذا لم يكن عالما فهو شاك ضال وذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسألة الملكين فى القبر ماتقول فى هذا الرجل فاما المؤمن أو الموقن فانه يقول هو محمد رسول الله قال وأما المنافق أو المرتاب فانه يقول لاادرى سمعت الناس يقولون شيئا فقلته قالوا وقد ذكر الله عزوجل الاستدلال على الربوبية والنبوة فى غير موضع من كتابه وأمر به واوجب العلم به والعلم لايكون الا عن دليل كما قلنا

قال ابو محمد هذا كلما موهوا به قد تقصيناه لهم غاية التقصى وكل هذا لاحجة لهم فى شيء منه على مانبين بحول الله وقوته ان شاء الله تعالى لااله الاهو بعد ان نقول قولا تصححه المشاهدة ان جمهور هذه الفرقة ابعد من كل من ينتمى الى البحث والاستدلال عن المعرفة بصحة الدلائل فاعجبوا لهذا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين

قال ابو محمد اما قولهم قد اجمع الجميع على ان التقليد مذموم وان مالايعرف باستدلال فانما هو اخذ تقليد اذ لاواسطة بينهما فانهم شغبوا فى هذا الامكان وولبوا فتركوا التقسيم الصحيح ونعم ان التقليد لايحل البتة وانما التقليد اخذ المرء قول من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يامرنا الله عزوجل باتباعه قط ولا باخذ قوله بل حرم علينا ذلك ونهانا عنه وأما اخذ المرء قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى افترض علينا طاعته والزمنا اتباعه وتصديقه وحذرنا عن مخالفة امره وتوعدنا على ذلك اشد الوعيد فليس تقليدا بل هو ايمان

وتصديق واتباع للحق وطاعة لله عزوجل واداء للمفترض فهو هؤلاء القوم بان اطلقوا على الحق الذى هو اتباع الحق اسم التقليد الذى هو باطل وبرهان ماذكرنا ان امرءا لو اتبع احدا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول قاله لان فلانا قاله فقط واعتقد انه لو لم يقل ذلك الفلان ذلك القول لم يقل به هو أيضا فان فاعل هذا القول مقلد مخطيء عاص لله تعالى ولرسوله ظالم آثم سواء كان قد وافق قوله ذلك الحق الذي قاله الله ورسوله اوخالفه وأنما فسق لانه اتبع من لم يؤمر باتباعه وفعل غيرما أمره الله عزوجل ان يفعله ولو ان امرءا اتبع قول الله عزوجل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان مطيعا محسنا ماجورا غير مقلد وسواء وافق الحق أووهم فاخطأ وانما ذكرنا هذا لنبين ان الذى أمرنا به وافترض علينا هو اتباع ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط وان الذى حرم علينا هو اتباع من دونه اواختراع قول لم يأذن به الله تعالى فقط وقد صح أن التقليد باطل لايحل فان الباطل الممتنع ان يكون الحق باطلا معا والمحسن مسيئا من وجه واحد معا فاذ ذلك كذلك فتتبع من امر الله تعالى باتباعه ليس مقلدا ولافعله تقليدا وانما المقلد من اتبع من لم يامره الله تعالى باتباعه فسقط تمويههم بذم التقليد وصح انهم وضعوه فى غير موضعه واوقعوا اسم التقليد على مالبس تقليدا وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بذم الله تعالى اتباع الاباء والكبراء فهو مما قلنا آنفا سواء بسواء لان اتباع الاباء والكبراء وكل من دون رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من التقليد المحرم المذموم فاعله فقط قال الله عزوجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء * فهذا نص ماقلنا ولله الحمد

(قال ابو محمد) واما احتجاجهم انه لايعرف أى الامرين اهدى ولاهل يعلم الاباء شيئا أم لا الا بالدلايل وان كل مالم يصح به دليل فهو دعوى ولافرق بين الصادق والكاذب بنفس قولهما وذكرهم قول الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فان هذا ينقسم قسمين فمن كان من الناس تنازعه نفسه الى البرهان ولاتستقر نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يسمع الدلايل فهذا فرض عليه طلب الدلايل لانه ان مات شاكا اوجاحدا قبل أن يسمع من البرهان مايثلج صدره فقد مات كافرا وهو مخلد فى النار وهو بمنزلة من لم يؤمن ممن شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى راى المعجزات فهذا أيضا لو مات مات كافرا بلاخلاف من أحد من أهل الاسلام وانما اوجبنا على من هذه صفته طلب البرهان لان فرضا عليه طلب مافيه نجاته من الكفر قال الله عزوجل * قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة * فقد افترض الله عز وجل على كل احد ان يقى نفسه النار فهؤلاء قسم وهم الاقل من الناس والقسم الثانى من استقرت نفسه الى تصديق ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن قلبه الى الايمان ولم تنازعه نفسه الى طلب

واما ان يكون فى أنفسها كالات لايتصور انها استعدادات لكمالات أخرى وتكون مع ذلك غير محسوسة بذاتها فما كان منها ثابتا يسمى ملكة مثل العلم والصحة وما كان سريع الزوال سمى حالا مثل غضب الحليم ومرض الصحاح وفرق بين الصحة والصحاحية فان الصحاح قد لا يكون صحيحا والمرض قد يكون صحيحا ومن جملة العشرة الاين وهو كون الجوهر فى مكانه الذى يكون فيه ككون زيد فى السوق ومتى وهو كون الجوهر فى الزمان الذى يكون فيه مثل كون هذا الامر أمس والوضع وهو كون الجسم بحيث يكون لاجزائه بعضها الى بعض نسبة فى الانحراف والموازاة الجهات وأجزاء المكان ان كان فى مكان مثل القيام والقعود وهو فى المعنى غير الوضع المذكور فى باب الكم والملك ولست أحصله وشبه ان يكون كون الجوهر فى جوهر يشمله وينتقل بانتقاله مثل التلبس والتسلح والفعل وهو نسبة الجوهر الى أمر موجود فى غيره غير قار الذات بل لايزال يتجدد وينصرم كالتسخين والتبريد والانفعال وهو نسبة الجوهر الى حالة فيه بهذه الصفة مثل التقطع والتسخن والعلل أربعة يقال علة للفاعل ومبدأ الحركة مثل النجار للكرسي ويقال علة للمادة ومايحتاج ان يكون حتى يكون ماهية الشيء مثل الخشب ويقال علة للصورة فى كل شيء فانه مالم يقترن الصورة بالمادة لم يتكون ويقال علة للغاية

والشيء الذي نحوه ولاجل الشيء مثل الكل للابيات وكل واحدة من هذه اما قريبة وأما بعيدة واما بالقوة وأما بالفعل واما بالذات واما بالعرض واما خاصة وأما عامة والعلل الاربع قد تقع حدودا وسطى في البراهين لانتاج قضايا محمولاتها اعراض ذاتية وأما العلة الفاعلية والقابلية فلا يجب من وضعهما وضع المعلول وانتاجه ما لم يقترن بذلك ما يدل على ضرورتهما علة بالفعل في تفسير ألفاظ يحتاج اليها المنطقي الظن الحق هو رأي في شيء انه كذا ويمكن (٣١) أن لا يكون كذا العلم اعتقادا بان الشيء كذا وانه لا يكون كذا بواسطة توجبه والشيء كذلك في ذاته وقد يقال علم لتصور الماهية بتجديد العقل اعتقاد بان الشيء كذا وانه لا يمكن ان لا يكون كذا طبعا بلا واسطة كاعتقاد المبادي الاول للبراهين وقد يقال عقل لتصور الماهية بذاته بلا تحديد كتصور المبادي الاول للحد والذهن قوة للنفس معدة نحوا كتساب العلم والذكاء قوة استعداد للحدس والحدس حركة النفس الى اصابة الحد الاوسط اذا وضع المطلوب أو اصابة الحد الاكبر اذا أصيب الاوسط وبالجملة سرعة انتقال من معلوم الى مجهول والحس انما يدرك الجزئيات الشخصية والذكر والخيال يحفظان ما يؤديه الحس على شخصيته أما الخيال فيحفظ الصورة وأما الذكر فيحفظ المعنى الماخوذ واذا تكرر الحس كان ذكرا واذا تكرر الذكر كان تجربة والفكر حركة ذهن الانسان نحو المبادي ليصير منها الى المطالب والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال ارادية بغير رؤية والحكمة خروج نفس الانسان الى كماله الممكن في جزوي العلم والعمل اما في جانب العلم فان يكون متصورا للموجودات كما هي ومصدقا للقضايا كما هي وأما في جانب العمل فان يكون قد حصل له الخلق الذي يسمى العدالة والملكة الفاضلة والفكر العقلي ينال الكليات مجردة والحس والخيال والذكر ينال الجزئيات

دليل توفيقا من الله عزوجل له وتيسيرا لما خلق له من الخير والحسنى فهؤلاء لا يحتاجون الى برهان ولا الى تكليف استدلال وهؤلاء هم جمهور الناس من العامة والنساء والتجار والصناع والاكرة والعباد وأصحاب الحديث الا يمة الذين يذمون الكلام والجدل والمراء في الدين (قال ابو محمد) هم الذين قال لهم الله فيهم * ولكن حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * وقال تعالى * فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء *

(قال ابو محمد) قد سمى الله عزوجل راشدين القوم الذين زين الايمان في قلوبهم وحببه اليهم وكره اليهم الكفر والمعاصي فضلا منه ونعمة وهذا هو خلق الله تعالى للايمان في قلوبهم ابتداء وعلى السنتهم ولم يذكر الله تعالى في ذلك استدلالا أصلا وبالله تعالى التوفيق وليس هؤلاء مقلدين لا بائهم ولا لاكبر ائهم لان هؤلاء مقرون بالسنتهم محققون في قلوبهم ان اباءهم ورؤساءهم لو كفروا لما كفروا هم بل كانوا يستجهلون قتل ابائهم ورؤسائهم والبراءة منهم ويحسون من انفسهم النفار العظيم عن كل ما سمعوا منه مما يخالف الشريعة ويرون ان حرقهم بالنار أخف عليهم من مخالفة الاسلام وهذا امر قد عرفناه من أنفسنا حسا وشاهدناه في ذواتنا يقينا فلقد بقينا سنين كثيرة ولا نعرف الاستدلال ولا وجوهه ونحن ولله الحمد في غاية اليقين بدين الاسلام وكل ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم نجد انفسنا في غاية السكون اليه وفي غاية النفار عن كل ما يعترض فيه بشك ولقد كانت تخطر في قلوبنا خطرات سوء في خلال ذلك ينبذها الشيطان فنكاد لشدة نفارنا عنها ان نسمع خفقان قلوبنا استبشاعا لها كما اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ سئل عن ذلك فقالوا له ان أحدنا ليحدث نفسه بالشيء ما انه يقدم فتضرب عنقه احب اليه ان يتكلم به فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان ذلك محض الايمان وأخبر انه من وسوسة الشيطان وأمر صلى الله عليه وسلم في ذلك بما امر به من التعوذ والقراءة والتفل عن اليسار ثم تعلمنا طرق الاستدلال واحكمناها ولله تعالى الحمد فما زادنا يقينا على ما كنا بل عرفنا اننا كنا ميسرين للحق وصرنا كمن عرف وقد أيقن بان الفيل موجود سماعا ولم يره ثم رآه فلم يزد يقينا بصحة انيته اصلا لكن اراه صحيح الاستدلال رفض بعض الاراء الفاسدة التي نشأ عليها فقط كالقول في الدين بالقياس وعلمنا انا كنا مقتدين بالخطا في ذلك ولله تعالى الحمد وان المخالفين لنا ليعرفون من انفسهم مذكرنا الا انهم يلزمهم ان يشهدوا على انفسهم بالكفر قبل استدلالهم ولا بد فصح بهذا ان كل من امحض اعتقاد الحق بقلبه وقاله بلسانه فهم مؤمنون محققون وليسوا مقلدين اصلا وانما كانوا مقلدين لو انهم قالوا واعتقدوا اننا انما نتبع في الدين آباءنا وكبراءنا فقط ولو ان

فالحس يعرض على الخيال امورا مختلطة والخيال على العقل ثم العقل يفعل التمييز ولكل واحد من هذه المعانى معونة فى
صواحبها فى قسمى التصور والتصديق فى الالهيات يجب ان نحصر المسائل التى تختص بهذا العلم فى عشر مسائل الاولى
منها فى موضوع هذا العلم وجملة ما ينظر فيه والتنبيه على الوجود ان لكل علم موضوعا ينظر فيه فيبحث عن أحواله وموضوع
العلم الالهى الوجود المطلق (٣٢) ولواحقه التى له لذاته ومباديه وينتهى فى التفصيل الى حيث يبتدىء منه سائر

العلوم وفيه بيان مبادئها وجملة ما ينظر فيه هذا العلم هو أقسام الوجود وهو اما واحد والكثير ولواحقها والعلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة وتحقيق المقولات العشر ويشبه أن يكون انقسام الوجود الى المقولات انقساما بالفصول وانقسامه الى الوحدة والكثرة وأخواتها انقساما بالاعراض الوجود يشمل الكل شمولا بالتشكيك لا بالتواطىء ولهذا لا يصح أن يكون جنسا فانه فى بعضه أولى وأول وفى بعضها لا أولى ولا أول وهو أشهر من يحد أو يرسم ولا يمكن أن يشرح بغير الاسم لانه مبدأ وأول الكل شىء فلا شرح له بل صورته تقوم فى النفس بلا توسط شىء وينقسم نوعا من القسمة الى واجب بذاته وممكن بذاته والواجب بذاته ما اذا اعتبر ذاته لم يجب وجوده والممكن بذاته ما اذا اعتبر ذاته فقط وجب وجرده واذا فرض غير موجود لم يلزم منه محال ثم اذا عرض هذه القسمين عرضا جمليا الواحد والكثير فان الواحد أولى بالواجب والكثير أولى بالجائز وكذلك العلة والمعلول والقديم والحادث والتام والناقص والفعل والقوة ومفناه والفقر كان أحسن الاسماء أولى بالواجب بذاته وان لم يطرق اليه الكثرة بوجه فلم يطرق اليه التقسيم بل يتوجه الى الممكن بذاته فانقسم الى جوهر وعرض وقد عرفناهما برسميهما واما نسبة أحدهما الى الآخر فهو ان الجوهر محل مستغن فى

اباءنا وكبراءنا تركوا دين محمد صلى الله عليه وسلم لتركناه فلو قالوا هذا واعتقدوه لكانوا
مقلدين كفارا غير مؤمنين لانهم انما اتبعوا آباءهم وكبراءهم الذين نهوا عن اتباعهم ولم يتبعوا
النبى صلى الله عليه وسلم الذين امروا باتباعه وبالله تعالى التوفيق وانما كلف الله تعالى الاتيان
بالبرهان ان كانوا صادقين يعنى الكفار المخالفين لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا نص
لآية ولم يكلف قط المسلمين الاتيان بالبراهين والاسقط اتباعهم حتى يأتوا بالبرهان
والفرق بين الامرين واضح وهو ان كل من خالف النبى صلى الله عليه وسلم فلا برهان له
اصلا فكلف المجىء بالبرهان تبكيتا وتعجيزا ان كانوا صادقين وليسوا صادقين بلا برهان لهم
واما من اتبع ما جاءهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اتبع الحق الذى قامت البراهين
بصحته ودان بالصدق الذى قامت الحجة البالغة بوجوبه فسواء علم هو بذلك البرهان او لم
يعلم حسبه انه على الحق الذى صح بالبرهان ولا برهان على ما سواه فهو محق والحمد لله رب
العالمين واما قولهم ما لم يكن علما فهو شك وظن والعلم هو اعتقاد الشىء على ما هو به عن
ضرورة او استدلال قالوا والديانات لا تعرف صحتها الا بالاستدلال فان لم يستدل المرء فليس
عالما واذا لم يكن عالما فهو جاهل شاك او ظان واذا كان لا يعلم الدين فهو كافر

(قال ابو محمد) فهذا ليس كما قالوا لانهم قضوا قضية باطلة فاسدة بنوا عليها هذا الاستدلال
وهى اقحامهم فى حد العلم قولهم عن ضرورة أو استدلال فهذه زيادة فاسدة لا توافقهم
عليها ولا جاء بصحتها قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا لغة ولا طبيعة ولا قول صاحب وحد
العلم على الحقيقة انه اعتقاد الشىء على ما هو به فقط وكل من اعتقد شيئا على ما هو به ولم
يتخالجه شك فيه فهو عالم به وسواء كان عن ضرورة حس او عن بديهة عقل أو عن برهان
استدلال أو عن تيسير الله عز وجل له وخلقه لذلك المعتقد فى قلبه ولا مزيد ولا يجوز
البتة ان يكون محقق فى اعتقاد شىء كما هو ذلك الشىء وهو غير عالم به وهذا تناقض وفساد
وتعارض وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسالة
الملك فلا حجة لهم فيه بل هو حجة عليهم كما هو لمجرده لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما قال فيه فاما المؤمن أو الموقن فيقول هو رسول الله ولم يقل عليه الصلاة والسلام فاما
المستدل فحسبنا فوز المؤمن الموقن الموقن كيف كان ايمانه ويقينه وقال عليه الصلاة والسلام واما
المنافق او المرتاب ولم يقل غير المستدل فيقول سمعت الناس يقولون شيئا فقلته فنعم هذا
قولنا لان المنافق والمرتاب ليسا موقنين ولا مؤمنين وهذا صفة أمة مقلد للناس لا محقق فظهر
ان هذا الخبر حجة عليهم كافية وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان الله عز وجل قد ذكر
الاستدلال فى غير موضع من كتابه وامر به وواجب العلم به والعلم لا يكون الا عن استدلال
فهذه ايضا زيادة اقحموها وهى قولهم وامر به فهذا لا يجدونه ابدا ولكن الله تعالى ذكر

قوامه عن الحال فيه والعرض حال فيه غير مستغن في قوامه عنه فكل ذات لم يكن في موضوع ولا في قوامه به فهو جوهر وكل ذات قوامه في موضوع فهو عرض وقد يكون الشيء في المحل ويكون مع ذلك جوهرا لا في الموضوع اذا كان المحل القريب الذي هو فيه متقوما به ليس متقوما بذاته ثم مقوما له ونسميه صورة وهو الفرق بينهما وبين العرض وكل جوهر ليس في موضوع فلا يخلو اما ان لا يكون في محل أصلا (٣٤) أو يكون في محل لا يستغني في القوام عنه ذلك المحل فان كان في محل بهذه الصفة فانا نسميه صورة مادية وان لم يكن في محل أصلا فاما أن يكون محلا بنفسه لا تركيب فيه أو لا يكون فان كان محلا بنفسه فانا نسميه الهيولى المطلقة وان لم يكن فاما أن يكون مركباً مثل أجسامنا المركبة من مادة وصورة جسمية وان لا يكون وما ليس بمركب فلا يخلو إما أن يكون له تعلق ما بالاجسام أو لم يكن له تعلق فله تعلق نسميه نفسا وما ليس له تعلق فنسميه عقلا وأما أقسام العرض فقد ذكرناها وحصرها بالقسمة الضرورية متذرة

(المسألة الثانية) في تحقيق الجوهر الجسماني وما يتركب منه وأن المادة الجسمانية لا تعرى عن الصورة وان الصورة متقدمة على المادة في مرتبة الوجود اعلم ان الجسم الموجود ليس جسما بان فيه ابعادا ثلاثة بالفعل فانه ليس يجب أن يكون في كل جسم فقط أو خطوط بالفعل وانت تعلم ان الكرة لا قطع فيها بالفعل والنقط والخطوط قطوع بل الجسم انما هو جسم لانه بحيث يصلح أن يعرض فيه ابعاد ثلاثة كل واحد منها قائم على الآخر ولا يمكن أن يكون فوق ثلاثة فالذي يعرض فيه أولا هو الطول والقائم عليه العرض والقائم عليهما في الحد المشترك هو العمق وهذا المعنى منه صورة الجسمية وأما الابعاد المحدودة التي تقع فيه فليست صورة له بل هي من باب الكم

الاستدلال وحض عليه ونحن لا ننكر الاستدلال بل هو فعل حسن مندوب اليه محضوض عليه كل من اطاقه لانه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه الى التصديق نعوذ بالله عزوجل من البلا وانما ننكر كونه فرضاً على كل احد لا يصح اسلام احد دونه هذا هو الباطل المحض وأما قولهم ان الله تعالى أوجب العلم به فنعم وأما قولهم والعلم لا يكون الا عن استدلال فهذا هي الدعوى الكاذبة التي أبطلناها آنفا واول بطلانها انها دعوى بلا برهان وبالله تعالى العزيز الحكيم نتايد

(قال أبو محمد) هذا كلما شغبوا به قد نقضناه والحمد لله رب العالمين فسقط قولهم اذ تعرى من البرهان وكان دعوى منهم مفتراة لم يات بها نص قط ولا اجماع وبالله التوفيق

(قال ابو محمد) ونحن الآن ذاكرون بعون الله وتوفيقه وتاييده البراهين على بطلان قولهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال أبو محمد) يقال لمن قال لا يكون مسلما الا من استدل (١) أخبرنا متى يجب عليه فرض الاستدلال اقبل البلوغ ام بعده ؟ ولا بد من أحد الامرين فاما الطبري فانه أجاب بان ذلك واجب قبل البلوغ

(قال أبو محمد) وهذا خطا لان من لم يبلغ ليس مكلفا ولا مخاطبا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصغير حتى يحتلم فبطل جواب الطبري رحمه الله وأما الاشعرية فانهم أتوا بما يملأ الفم وتقشعر منها جلود أهل الاسلام وتصطك منها المسامع ويقطع ما بين قائلها وما بين الله عز وجل وهي انهم قالوا لا يلزم طلب الادلة الا بعد البلوغ ولم يقنعوا بهذه الجملة حتى كفونا المؤنة وصرحوا بما كنا نريد أن نلزمهم فقالوا غير مستترين لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق

(قال ابو محمد) ما سمعنا قط في الكفر والانسلاخ من الاسلام باشنع من قول هؤلاء

---

(١) ذهب جمهور الائمة ومنهم الشيخ الاشعري الى أن أول ما يجب قبل كل شيء على من بلغ النظر والاستدلال واعمال الفكرة فيما يوصله الى العلم بمعبوده من البراهين القاطعة والادلة الساطعة واتفق كذلك جمهورهم ومحققوا اهل السنة خلافا لبعض اهل الظاهر على أنه لا يصح الاكتفاء بالتقليد في العقائد وحاصل ما ذكروه في المقام ثلاثة اقوال الاول انه مؤمن غير عاص بترك النظر الثاني انه مؤمن عاص ان ترك النظر مع القدرة الثالث انه كافر هذا هو المشهور من مذهب الاشعرية ومن وافقهم وما نسبه اليهم ابن حزم من قولهم لا يصح اسلام احد حتى يكون بعد بلوغه شاكا غير مصدق هو لازم مذهبهم اه لمصححه

القوم انه لايكون احد مسلما حتى يشك فى الله عزوجل وفى صحة النبوة وفى هل رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق ام كاذب ولاسمع قط سامع فى الهوس والمناقضة والاستخفاف بالحقائق باقبح من قول هؤلاء انه لايصح الايمان الا بالكفر ولايصح التصديق الا بالجحد ولايوصل الى رضاء الله عز وجل الا بالشك فيه وان من اعتقد موقنا بقلبه ولسانه ان الله تعالى ربه لااله الاهو وان محمدا رسول الله وان دين الاسلام دين الي الذى لادين غيره فانه كافر مشرك اللهم انا نعوذ بك من الخذلان فوالله لولا خذلان الله تعالى الذى هوغالب على أمره ماانطلق لسان ذى مسكة بهذه العظيمة وهذا يكفى من تكلف النقض لهذه المقالة الملعونة ومن بلغ هذا المبلغ حسن السكوت عنه ونعوذ بالله من الضلال ـ ثم نقول لهم اخبرونا عن هذا الذى اوجبتم عليه الشك فى فرض او الشك فى صحة النبوة والرسالة كم تكون هذه المدة التى اوجبتم عليه فيه البقاء شاكا مستدلا طالبا للدلائل وكيف ان لم يجد فى قريته او مدينته ولا فى اقليمه محسنا للدلائل فرحل طالبا للدلائل فاعترضته أهوال ومخاوف وتعذر من بحر اومرض فانصل له ذلك ساعات واياما وجمعا وشهورا وسنين مقولكم فى ذلك فان حدوا فى المدة يوما اويومين اوثلاثة اواكثر من ذلك كانو متحكمين بلا دليل وقائلين بلاهدى من الله تعالى ولم يعجز احد عن أن يقول فى تحديد تلك المدة بزيادة او نقصان ومن بلغ هاهنا فقد ظهر فساد قوله وان قالوا لانحد فى ذلك حداً قلنا لهم فان امتد كذلك حتى فنى عمره ومات فى مدة استدلاله التى حددتم له وهو شاك فى الله تعالى وفى النبوة ايموت مؤمنا ويجب له الجنة ام يموت كافراً وتجب له النار فان قالوا يموت مؤمنا تجب له الجنة اتو باعظم الطوام وجعلوا الشاك فى الله الذين م عندهم شاك مؤمنين من اهل الجنة وهذا كفر محض وتناقض لاخفاء به وكانوا مع ذلك قد سموا فى ان يبقى المرء دهره كله شاكا فى الله عزوجل وفى النبوة والرسالة فان قالوا بل يموت كافرا تجب له النار قلنا لهم لقد امرتموه بما فيه هلاكه واوجبتم عليه مافيه دماره ومايفعل الشيطان الاهذا فى امره بما يؤدى الى الخلود فى النار وان قالوا بل هو فى حكم اهل الفترة قلنا لهم هذا باطل لان اهل الفترة لم تاتهم النذارة ولابلغهم خبر النبوة والنص انما جاء فى اهل الفترة ومن زاد فى الخبر ماليس فيه فقد كذب على الله عز وجل ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ماحد الاستدلال(١) الموجب لاسم الايمان عندكم وقد يسمع دليلا عليه اعتراض أيجزيه ذلك الدليل ام لا فان قالوا يجزيه قلنالهم ومن اين وجب ان يجزيه وهو دليل معترض فيه وليس هذه الصفة من الدلائل المخرجة عن الجهل الى العلم بل هي مؤدية الى الجهل الذى كان عليه

(١) صرحوا بان الواجب على الاعيان معرفة الدليل الاجمالى وعلى الكفاية معرفة الدليل التفصيلى

وهى لواحق لامقدمات ولا يجب أن يثبت شيء منها قبل مع كل تشكيل يتجدد عليه يبطل كل بعد متجدد كان فيه وربما اتفق فى بعض الاجسام أن تكون لازمة له لاتفارق ملازمة أشكالها وكما أن الشكل لاحق فكذلك ما يتجدد بالشكل وكما أن الشكل لا يدخل فى تحديد جسميته كذلك الابعاد المتجددة فالصورة الجسمية موضوعة لصناعة الطبيعيين أو داخلة فيها والابعاد المتجددة موضوعة لصناعة المتعلمين أو داخلة فيها ثم الصورة الجسمية طبيعية وراء الاتصال وهى بعينها قابلة للانفصال ومن المعلوم ان قابل الاتصال والانفصال أمر وراء الاتصال والانفصال فان القابل يبقى بطريان أحدهما والاتصال لا يبقى بعد طريان الانفصال وظاهر ان هاهنا جوهرا غير الصورة الجسمية هى الهيولى التى يعرض لها الانفصال والاتصال معاً وهى تقارن الصورة الجسمية فهي التى تقبل الاتحاد بالصورة الجسمية فتصير جسما واحداً بما يقومها وذلك هو الهيولى والمدة ولا يجوز أن تفارق الصورة الجسمية وتقوم موجودة بالفعل والدليل عليه من وجهين أحدهما انا لو قدرناها مجردة لا وضع لها ولا حيز ولا انها تقبل الانقسام فان هذه كلها صورة ثم قدرنا ان الصورة صادفتها فاما أن يكون صادفتها دفعة أعنى المقدار المحصل يحل فيها دفعة لا على تدرج أو تحرك اليها المقدار والاتصال على تدرج فان حل فيها دفعة فنى اتصال المقدار بها يكون قد صادفها حيث ان ضاف اليها فيكون لامحالة صادفها وهو الحيز الذى هو فيه فيكون ذلك الجوهر متحيزا وقد فرض غير متحيز البتة وهذا خلف ولا يجوز أن يكون التحيز قد حصل له دفعة واحدة مع قبول المقدار لان المقدار يوافيه فى حيز مخصوص وان حل فيها المقدار والاتصال على انبساط وتدريج وكل ما من شأنه أن ينبسط فله جهات وكل ما له جهات فهو ذو وضع

قبل

وقد فرض غير ذي وضع البتة وهذا خلف فتعين أن المادة لن تتعرى عن الصورة فقط وان الفصل بينهما فصل بالعقل والدليل الثاني انا لو قدرنا للمادة وجوداً خاصا متقوما غير ذى كم ولا جزء باعتبار نفسه ثم يعرض عليه الكم فيكون ماهو متقوم بانه لا جزء له ولا كم يعرض أن يبطل عنه ما يتقوم به بالفعل لورود عارض عليه فيكون حينئذ للمادة صورة عارضة بها تكون واحدة بالقوة والفعل وصورة أخرى بها تكون غير واحدة بالفعل فيكون بين الامرين شيء مشترك هو القابل للامرين من شانه أن يصير مرة ليس في قوته أن ينقسم ومرة في قوته أن ينقسم ويفرض الآن هذا الجوهر قد صار بالفعل شيئين ثم صار شيئا واحدا بأن خلع صورة الاثنينية فلا يخلو اما ان اتحدا وكل واحد منهما موجود فهما اثنان لا واحد وان اتحدا وأحدهما معدوم والآخر موجود فالمعدوم كيف يتحد بالموجود وان عدما جميعا بالاتحاد وحدث شيء واحد ثالث فهما غير متحدين بل فاسدين وبينهما وبين الثالث مادة مشتركة وكلامنا في نفس المادة لا في شيء ذي مادة فالمادة الجسمية لا توجد مفارقة للصورة وانها انما تقوم بالفعل بالصورة ولا يجوز أن يقال ان الصورة بنفسها موجودة بالقوة وانما تصير بالفعل بالمادة لان جوهر الصورة هو الفعل وما بالقوة محله والصورة وان كانت لا تفارق الهيولى فليست تتقوم بالهيولى بل بالعلة المفيدة لها الهيولى وكيف يتصور أن تقوم الصورة بالهيولى وقد أثبت أنها علتها والعلة لا تتقوم بالمعلول وفرق بين الذى يتقوم به الشيء وبين الذى لا يفارقه فان المعلول لا يفارق العلة وليس علة لها فما يقوم الصورة أمر مباين لها مفيد وما يقوم الهيولى أمر ملاق لها وهى الصورة فاول الموجودات فى استحقاق الوجود الجوهر المفارق الغير الجسم الذى يعطي صورة الجسم وصورة كل موجود ثم الصورة ثم الجسم ثم

قبل الاستدلال فان قالوا بل لا يجزيه الا حتى يوقن انه قد وقع على دليل لا يمكن الاعتراض فيه تكلفوا ما ليس فى وسع اكثرهم وما لا يبلغه الا قليل من الناس فى طويل من الدهر وكثير من البحث ولقد درى الله تعالى انهم اصغار من العلم بذلك يعني اهل هذه المقالة الملعونة الخبيثة

(قال أبو محمد) ومن البرهان الموضح لبطلان هذه المقالة الخبيثة انه لا يشك أحد ممن يدرى شيئا من السير من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمانية والدهرية والرسول الله صلى الله عليه وسلم مذ بعث لم يزل يدعو الناس الجماء الغفير الى الايمان بالله تعالى وبما أتى به ويقاتل من أهل الارض من يقاتله ممن عند ويستحل سفك دمائهم وسبي نسائهم واولادهم وأخذ أموالهم متقربا الى الله تعالى بذلك وأخذ الجزية واصغاره ويقبل ممن آمن به ويحرم ماله ودمه وأهله وولده ويحكم له بحكم الاسلام وفيهم المرة البدوية والراعي والراعية والغلام الصحراوي والوحشي والزنجي والسبي والزنجية المجلوبة والرومي والرومية والاغثر (١) الجاهل والضعيف فى فهمه فما منهم احد ولا من غيرهم قال عليه السلام انى لا اقبل اسلامك ولا يصح لك دين الا حتى تستدل على صحة ما ادعوك اليه

(قال ابو محمد) لسنا نقول انه لم يبلغنا انه عليه السلام قال ذلك لاحد بل نقطع نحن وجميع اهل الارض قطعا كقطعنا على ما شهدناه انه عليه السلام لم يقل قط هذا لاحد ولا رد اسلام أحد حتى يستدل ثم جرى على هذه الطريقة جميع الصحابة رضى الله عنهم اولهم عن آخرهم ولا يختلف احد فى هذا الامر ثم جميع اهل الارض الى يومنا هذا ومن المحال الممتنع عند أهل الاسلام ان يكون عليه السلام يغفل ان يبين للناس ما لا يصح لاحد الاسلام الا به ثم يتفق على اغفال ذلك أو تعمد عدم ذكره جميع أهل الاسلام ويبينه لهم هؤلاء الاشقياء ومن ظن انه وقع من الدين على ما لا يقع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر بلا خلاف فصح ان هذه المقالة خلاف للاجماع وخلاف لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع أهل الاسلام قاطبة فان قالوا فما كانت حاجة الناس الى الآيات المعجزات والى احتجاج الله عز وجل عليهم بالقرآن واعجازه به وبدعاء اليهود الى تمني الموت ودعاء النصارى الى المباهلة وشق القمر قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الناس قسمان قسم لم تسكن قلوبهم الى الاسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام البراهين فاراهم المعجزات فانقسموا قسمين طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت فكفرت واهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الاستدلال فرضا ولابد كما قلنا وقسم آخر وفقهم الله تعالى لتصديقه عليه السلام وخلق

---

(١) الاغثر يفسر بالاحمق والجاهل والساقط

الهيولى وهي وان كانت سببا للجسم فانها ليست بسبب يعطى الوجود بل بسبب يقبل الوجود بانه محل لنيل الوجود وللجسم وجودها وزيادة وجود الصورة فيه التى هى أكمل منها ثم العرض أولى بالوجود فان أولى الاشياء بالوجود هو الجوهر ثم الاعراض وفي الاعراض ترتيب فى الوجود أيضا * المسئلة الثالثة فى أقسام العلل وأحوالها وفى القوة والفعل واثبات الكيفيات فى الكمية (٣٦) وان الكيفيات اعراض لا جواهر وقد بينا فى المنطق ان العلل أربع

فتحقيق وجودها ها هنا ان تقول المبدأ والعلة يقال لكل ما يكون قد استمر له وجوده فى نفسه ثم حصل منه وجود شيء آخر يقوم به ثم لا يخلو ذلك اما أن يكون كالجزء لما هو معلول له وهذا على وجهين اما أن يكون جزءا ليس يجب عن حصوله بالفعل ان يكون ما هو معلول له موجودا بالفعل وهذا هو العنصر ومثاله الخشب للسرير فانك تتوهم الخشب موجودا ولا يلزم من وجوده وحده أن يحصل السرير بالفعل بل المعلول موجود فيه بالقوة واما أن يكون جزءا يجب عن حصوله بالفعل وجود المعلول له بالفعل وهذا هو الصورة ومثاله الشكل والتاليف للسرير وان لم يكن كالجزء لما هو معلول له فاما أن يكون مباينا أو ملاقيا لذات المعلول والملاقى فما أن ينعت به المعلول واما أن ينعت بالمعلول وهذان هما فى حكم الصورة والهيولى وان كان مباينا فاما أن يكون الذى منه الوجود وليس الوجود لاجله وهو الفاعل واما أن لا يكون منه الوجود بل لأجله الوجود وهو الغاية والغاية تتاخر فى حصول الموجود وتتقدم سائر العلل فى الشيئية والغاية بما هو شيء فانها تتقدم وهى علة العلل فى انها علل وبما هى موجودة فى الاعيان قد تتاخر واذا لم تكن العلة هى بعينها الغاية كان الفاعل متاخرا فى الشيئية عن الغاية ويشبه أن يكون الحاصل عند التميز هو

عز وجل فى نفوسهم الايمان كما قال تعالى * بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين * فهؤلاء آمنوا به عليه السلام بلا تكليف

(قال أبو محمد) ويلزم أهل هذه المقالة ان جميع أهل الارض كفار لا الاقل وقد قال بعضهم انهم مستدلون

(قال ابو محمد) وهذه مجاهرة هو يدري انه فيها كاذب وكل من سمعه يدري انه فيها كاذب لان اكثر العامة من حاضرة وبادية لا يدرى ما معنى الاستدلال فكيف ان يستعمله

(قال ابو محمد) ويلزم من قال بهذه المقالة ان لا يأكل من اللحم الا ما ذبحه هو أو من يدري انه مستدل وان لا يطأ الا زوجة يدري انها مستدلة ويلزم ان يشهد على نفسه بالكفر ضرورة قبل استدلاله ومدة استدلاله وأن يفارق امرأته التى تزوج فى تلك المدة وان لا يرث اخاه ولا اباه ولا امه الا ان يكونوا مستدلين وان يعمل عمل الخوارج الذين يقتلون غيلة وعمل المغيرية المنصورة فى ذبح كل من امكنهم وقتله وان يستحلوا اموال اهل الارض بل لا يحل لهم الكف عن شيء من هذا كله لان جهاد الكفار فرض وهذا كله ان التزموا طرد أصولهم وكفروا انفسهم وان لم يقولوا بذلك تناقضوا فصح ان كل من اعتقد الاسلام بقلبه ونطق به لسانه فهو مؤمن عند الله عز وجل ومن اهل الجنة سواء كان ذلك عن قبول اونشاة أوعن استدلال وبالله تعالى التوفيق وأيضا فنقول لهم هل استدل من مخالفيكم في اقوالكم التى تدينون بها أحد أم لم يستدل قط احد غيركم فلا بد من اقرارهم بان مخالفيهم أيضا قد استدلوا وهم عندكم مخطئون كمن لم يستدل وأنتم عندهم أيضا مخطئون فان قالوا ان الادلة أمنتنا من أن نكون مخطئين قلنا لهم وهذا نفسه هو قول خصومكم فانهم يدعون ان ادلتهم على صواب قولهم وخطا قولكم ولا فرق ما زالوا على هذه الدعوى مذ كانوا الى يومنا هذا فما نراكم حصلتم من استدلالكم الا على ما حصل عليه من لم يستدل سواء بسواء ولا فرق فان قالوا انا فعلى قولكم هذا يبطل الاستدلال جملة ويبطل الدليل كافة قلنا معاذ الله من هذا لكن اريناك انه قد يستدل من يخطىء وقد يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى فقط وقد لا يستدل من يخطىء وقد لا يستدل من يصيب بتوفيق الله تعالى وكل ميسر لما خلق له والبرهان والدلائل الصحاح غير المموهة فمن وافق الحق الذى قامت عند غيره البراهين الصحاح بصحته فهو مصيب محق مؤمن استدل أو لم يستدل ومن يسر للباطن الذى قام البرهان عند غيره ببطلانه فهو مبطل مخطىء أو كافر سواء استدل أو لم يستدل وهذا هو الذى قام البرهان بصحته والحمد لله رب العالمين وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى الوعد والوعيد

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى الوعد والوعيد فذهبت كل طائفة لقول منهم من قال ان

ان الفاعل الاول والمحرك الاول فى كل شيء هو الغاية وان كانت العلة الفاعلية هى الغاية بينهما استغنى عن تحريك الغاية فكان نفس ما هو فاعل نفس ما هو محرك من غير توسط وأما سائر العلل فان الفاعل والقابل قد يتقدمان المعلول بالزمان وأما الصورة فلا تتقدم بالزمان البتة بل بالرتبة والشرف لان القابل أبداً مستفيد والفاعل مفيد وقد تكون العلة علة للشيء بالذات وقد تكون بالعرض وقد تكون علة قريبة (٣٧) وقد تكون علة بعيدة وقد تكون

ان صاحب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ولكنه فاسق (١) وان كل من مات مصرا على كبيرة من الكبائر فلم يمت مسلما واذا لم يمت مسلما فهو مخلد فى النار ابدا وان من مات ولا كبيرة له او تاب عن كبائره قبل موته فانه مؤمن من أهل الجنة لا يدخل النار اصلا ومنهم من قال بان كل ذنب صغير او كبير فهو مخرج عن الايمان والاسلام فان مات عليه فهو غير مسلم وغير المسلم مخلد فى النار وهذه مقالات الخوارج والمعتزلة الا ان ابن بكر ابن اخت عبد الواحد ابن زيد قال فى طلحة والزبير رضى الله عنهما انهما كافران من اهل الجنة لانهما من اهل بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال لاهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قال فاهل بدر ان كفر والمغفور لهم لانهم بخلاف غيرهم وقال بعض المرجئة (٢) لا تضر مع الاسلام سيئة كما لا ينفع مع الكفر حسنة قالوا فكل مسلم ولو بلغ على معصية فهو من أهل الجنة لا يرى نارا وانما النار للكفار وكلتا هاتين الطائفتين تقر بان احدا لا يدخل النار ثم يخرج عنها بل من دخل النار فهو مخلد فيها أبدا ومن كان من أهل الجنة فهو لا يدخل النار

(١) هى أول كلمة اختلف فيها وأصل بن عطاء رأس المعتزلة مع شيخه الحسن البصرى واعتزل مجلسه وتبعه على ذلك سائر المعتزلة اذ وضعوا صاحب الكبيرة فى منزلة بين المنزلتين فقالوا انه لا مؤمن ولا كافر بل فاسق وأئمة المسلمين لا يثبتون له منزلة بين المؤمن والكافر بل يقولون انه مؤمن ولكنه فاسق أما الخوارج فيقولون انه كافر فاسق

(٢) المرجئة فرقة من كبار الفرق الاسلامية لقبوا بهذا اللقب لانهم يؤخرون العمل عن الايمان من أرجه اى أخره استنادا على قوله تعالى (وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم) ولانهم يقولون لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة فهم يعطون الرجاء وعلى التأويل الاخير لا يهمز اسم المرجية وليتوضح مذهب الارجاء يجب النظر فى الخلاف الواقع بين الوعيدية وغيرهم فاهل السنة لا يأخذون بدلالة العام كالمعتزلة فى مثل قوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها) وفى مثل قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) بل يجعلون الخلود مشروطا بالكفر ويأخذون بدلالة الخاص فى مثل قوله تعالى اعدت للكافرين وقوله ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ويجعلون ترتب الجزاء فيما دون الشرك مشروطا بعدم التوبة أو العفو لقوله تعالى الا من تاب وقوله ويعفو عن كثير والوعيدية يخالفون فى هذا أما المرجئة فيقولون ان عدم تخلف الوعيد شرطه الكفر ومع الايمان ترجا العقوبة وان لم يتب صاحب المعصية وقالوا عنى الله بآيات الوعيد الكفار دون بعض الفسقة أو عنى بها التخويف دون التحقيق اه لمصححه

علة لوجود الشيء فقط وقد تكون علة لوجوده ولد وأم ووجوده فانه انما احتاج الى الفاعل لوجوده وفى حال وجوده لا لعدمه السابق وفى حال عدمه فيكون الموجد انما يكون موجدا للوجود والموجود هو الذى يوصف بانه موجد وكما أنه فى حال ما هو موجود يوصف بانه موجد كذلك الحال فى كل حال فكل موجد محتاج الى موجد مقيم لوجوده لولاه لعدم وأما القوة والفعل القوة تقال لمبدأ التغير فى آخر من حيث انه آخر وهو اما فى المنفصل وهى القوة الانفعالية وأما فى الفاعل وهى القوة الفعلية وقوة المنفعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة الماء على قبول الشكل دون قوة الحفظ وفى الشمع قوة عليهما جميعا وفى الهيولى قوة الجميع ولكن بتوسط شيء دون شيء وقوة الفاعل قد تكون محدودة نحو شيء واحد كقوة النار على الاحراق فقط وقد يكون على أشياء كثيرة كقوة المختارين وقد يكون فى الشيء قوة على شيء ولكن بتوسط شيء دون شيء والقوة الفعلية المحدودة اذا لاقت القوة المنفعلة حصل منها الفعل ضرورة وليس كذلك فى غيرها مما يستوى فيه الاضداد وهذه القوة ليست هي القوة التى يتابلها بها الفعل فان هذه تبقى موجودة عند ما يفعل والثانية انما تكون موجودة مع عدم الفعل وكل جسم صدر عنه فعل ليس بالعرض ولا بالقسر فانه يفعل بقوة ما فيه

ما الذى بالارادة والاختيار فظاهر وأما الذي ليس بالاختيار فلا يخلو اما أن يصدر عن ذاته بما هو ذاته أوعن قوة
هي ذاته أو عن شيء مباين فان صدر عن ذاته بما هو جسم فيجب أن يشاركه سائر الاجسام واذا تميز عنها بصدور
ذلك الفعل عنه فلمعنى فى ذاته زائد على الجسمية وان صدر عن شيء مباين فلا يخلو اما أن يكون جسما أو غير جسم
فان كان جسما فالفعل منه بقسر لا محالة (٣٨) وقد فرض بلا قسر هذا خلف وان لم يكن جسما فتاثر الجسم عن

وقال أهل السنة والحسين النجار وأصحابه وبشر ابن غياث المريسى وأبو بكر بن عبد
الرحمن ابن كيسان الاصم البصري وغيلان ابن مروان الدمشقى القدرى ومحمد بن شبيب
ويونس بن عمران وأبو العباس الناشي والاشعرى وأصحابه ومحمد بن كرام واصحابه ان
الكفار مخلدون فى النار وان المؤمنين كلهم فى الجنة وان كانوا اصحاب كبائر ماتوا مصرين
عليها وانهم طائفتان طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها أى من النار الى الجنة. وطائفة لا
تدخل النار الا ان كل من ذكرنا قالوا الله عز وجل ان يعذب من شاء من المؤمنين اصحاب
الكبائر بالنار ثم يدخلهم الجنة وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم. ثم افترقوا
فقالت طائفة منهم وهو محمد بن شبيب ويونس والناشي ان عذب الله تعالى واحدا من
اصحاب الكبائر عذب جميعهم ولا بد ثم ادخلهم الجنة . وان غفر لواحد منهم غفر لجميعهم
ولا بد. وقالت طائفة بل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء وان كانت ذنوبهم كثيرة مستوية
وقد يغفر لمن هو اعظم جرما ويعذب من هو اقل جرما. وقال ابن عباس وابن عمر رضى
الله عنهم يغفر لمن يشاء من اصحاب الكبائر ويعذب من يشاء منهم الا القاتل عمدا فانه مخلد
فى النار ابدا وقالت طائفة منهم من لقى الله عز وجل مسلما تائبا من كل كبيرة اولم يكن
عمل كبيرة قط فسيئآته كلها مغفورة وهو من أهل الجنة لا يدخل النار ولو بلغت سيئاته
مشاء الله ان تبلغ ومن لقى الله عز وجل وله كبيرة لم يتب منها فاكثر فالحكم فى ذلك الموازنة
فمن رجحت حسناته على كبائره وسيئآته فان كبائره كلها تسقط وهو من اهل
الجنة لا يدخل النار وان استوت حسناته مع كبائره وسيئآته فهؤلاء اهل الاعراف ولهم
وقفة ولا يدخلون النار ثم يدخلون الجنة ومن رجحت كبائره وسيآته بحسناته فهؤلاء
مجازون بقدر ما رجح لهم من الذنوب فمن لفحة واحدة الى بقاء خمسين الف سنة فى النار
ثم يخرجون منها الى الجنة بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم و برحمة الله تعالى وكل من
ذكرنا يجازون فى الجنة بعد بما فضل لهم من الحسنات واما من لم يفضل له حسنة من اهل
الاعراف فمن دونهم وكل من خرج النار بالشفاعة وبرحمة الله تعالى فهم كلهم سواء فى
الجنة ممن رجحت له حسنة فصاعدا

(قال ابو محمد) فاما من قال صاحب الكبيرة يخلد وصاحب الذنب كذلك فان حجتهم
قول الله عز وجل * ألا إن اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * وقوله تعالى * من جاء
بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار *
وقوله تعالى * والذين كسبوا السيات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون * وقوله
تعالى * ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها * وبقوله تعالى * ومن

ذلك المفارق اما أن يكون بكونه جسما أو لقوة فيه ولا يجوز أن يكون بكونه جسما فتعين أن يكون لقوة فيه هي مبدأ صدور ذلك الفعل عنه وذلك هو الذى نسميه القوة الطبيعية وهى التى يصدر عنها الافاعيل الجسمانية من التحيزات الى امكنة والتشكيلات الطبيعية واذا خليت وطبائعها لم يجز أن يحدث منها زوايا مختلفة بل لا زاوية فيجب أن تكون كرة واذا صح وجود الكرة صح وجود الدائرة * المسئلة الرابعة فى المتقدم والمتاخر والقديم والحادث واثبت المادة لكل متكون التقدم قد يقال بالطبع وهو أن يوجد الشيء وليس الآخر بموجود ولا يوجد الآخر الا وهو موجود كالواحد والاثنين ويقال فى الزمان كتقدم الاب على الابن ويقال فى المرتبة وهو الاقرب الى المبدأ لذى عين كالتقدم فى الصف الاول أن يكون أقرب الى الامام ويقال فى الكمال والشرف كتقدم العالم على الجاهل ويقال بالعلية لان للعلية استحقاقا لوجود قبل المعلول وهما بما هما ذاتان ليس يلزم فيهما خاصية التقدم والتاخر ولا خاصية المعى ولكن بما هما متضايفان وعلة ومعلول وان أحدهما لم يستفد الوجود من الآخر والآخر استفاد الوجود منه فلا محالة كان المفيد متقدما والمستفيد متاخرا بالذات واذا رفعت العلة ارتفع المعلول لا محالة وليس اذا ارتفع المعلول

يقتل

ارتفع بارتفاعه العلة بل ان صح فقد كانت العلة ارتفعت أولا لعلة أخرى حتى ارتفع المعلول واعلم ان الشيء كما يكون محدثا بحسب الزمان كذلك قد يكون محدثا بحسب الذات فان الشيء اذا كان له فى ذاته أن لا يجب له وجوده بل هو باعتبار ذاته ممكن الوجود مستحق العدم لولا علته والذى بالذات يجب وجوده قبل الذى من غير الذات فيكون لكل معلول فى ذاته أولا انه ليس ثم عن العلة وثانيا انه ليس فيكون كل (٣٩) معلول محدثا أي مستفيد الوجود من غيره وان كان مثلا فى جميع الزمان موجودا مستفيدا لذلك الوجود عن موجد فهو محدث لانه وجوده من بعد لا وجوده بعدية بالذات وليس حدوثه انما هو فى آن من الزمن فقط بل هو محدث في الدهر كله ولا يمكن أن يكون حادث بعد ما لم يكن فى زمان الا وقد تقدمته المادة فانه قبل وجوده ممكن الوجود وامكان الوجود اما أن يكون معنى معدوما أو معنى موجودا ومحال أن يكون معدوما فان المعدوم قبل والمعدوم مع واحد وهو قد سبقه الامكان والقبل المعدوم موجود مع وجوده فهو اذا معنى موجود وكل معنى موجود فاما قائم لا فى موضوع أو قام فى موضوع وكل ما هو قائم لا فى موضوع فله وجود خاص لا يجب أن يكون به مضافا وامكان الوجود انما هو ما هو بالاضافة الى ما هو امكان وجود له فهو اذا معنى فى موضوع وعارض لموضوع ونحن نسميه قوة الوجود ويسمى حامل قوة الوجود الذى فيه قوة وجود الشيء موضوعا وهيولى ومادة وغير ذلك فاذا كل حادث فقد تقدمته المادة كما تقدمه الزمان * المسئلة الخامسة فى الكلى والواحد ولواحقهما قال المعنى الكلى بما هو طبيعة ومعنى كالانسان بما هو انسان شيء وبما هو واحداً واكثر خاص أو عام شيء بل هذه المعاني عوارض تلزمه لا من حيث هو انسان بل من حيث هو فى الذهن أو فى الخارج

يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما * وقوله * ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب يوم القيمة ويخلد فيها مهانا الا من تاب وآمن * وقوله تعالى * ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا * وقوله تعالى * ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة * الآية وقوله تعالى * ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير * وقوله * انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا * الى قوله تعالى * ولهم فى الآخرة عذاب عظيم * وقوله تعالى * الذين ياكلون الربا * الآية وذكروا احاديث صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم في وعيد شارب الخمر وقاتل الهرة ومن قتل نفسه بسم او حديد او تردى من جبل فانه يفعل ذلك به فى جهنم خالدا ومن قتل نفسه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار وذكروا ان الكبيرة تزيل اسم الايمان فبعضهم قال الى شرك وبعضهم قال الى كفر نعمة وبعضهم قال الى نفاق وبعضهم قال الى فسق قالوا فاذا ليس مؤمنا فلا يدخل الجنة لانه لا يدخل الجنة الا المؤمنون هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة اصلا غير ما ذكرنا وأما من خص القاتل بالتخليد فانهم احتجوا بقوله تعالى * ومن يقتل مؤمنا متعمدا فقط واما من قطع باسقاط الوعيد عن كل مسلم فاحتجوا بقول الله تعالى * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * قالوا وهذه الآية مثبتة ان كل من توعده الله عز وجل على قتل او زنا او ربا او غير ذلك فانما هم الكفار خاصة لا غيرهم واحتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة وان سرق وان شرب الخمر على رغم انف أبي ذر وقول الله عز وجل * ان رحمة الله قريب من المحسنين * قالوا ومن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقد احسن فهو محسن فرحمة الله قريب منه ومن رحمه الله فلا يعذب وقالوا كما ان الكفر محبط لكل حسنة فان الايمان يكفر كل سيئة والرحمة والعفو اولى بالله عز وجل

(قال أبو محمد) هذا كل ما احتجوا به ما نعلم لهم حجة غير هذا اصلا او يدخل فيما ذكرنا ولا يخرج عنه وبالله تعالى التوفيق واما من قال ان الله تعالى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وقد يعذب من هو اقل ذنوبا ممن يغفر له فانهم احتجوا بقول الله عز وجل * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * وبعموم قوله تعالى * يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العبد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله الجنة ومن لم يات بهن لم يكن له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء غفر له وجعلوا الآيتين اللتين ذكرنا

واذا قدعرفت ذلك فقد يقال كلى للانسانية بلاشرط وهو بهذا الاعتبار موجود بالفعل في اشياء وهو المحمول على كل واحد لا على انه واحد بالذات ولا على انه كثير وقد يقال كلى للانسانية بشرط أنها مقولة على كثيرين وهو بهذا الاعتبار ليس موجودا بالفعل فى الاشياء فبين ظاهر ان الانسان الذى اكتنفته الاعراض المشخصة لم يكتنفه اعراض شخص آخر حتى يكون ذلك (٤٠) بعينه فى شخص زيد وعمرو فلا كلى عام في الوجود بل الكلى العام بالفعل انما هو فى العقل وهي الصورة التى فى العقل كنقش واحد ينطبق عليه صورة وصورة ثم الواحد يقال لما هو غير منقسم من الجهة التى قيل انه واحد ومنه مالا ينقسم فى الجنس ومنه ما لا ينقسم في النوع ومنه مالا ينقسم بالعرض العام كالغراب والقير في السواد ومنه ما لا ينقسم بالمناسبة كنسبة العقل الى النفس ومنه مالا ينقسم فى العدد ومنه مالا ينقسم فى الحد والواحد بالعدد اما أن يكون فيه كثرة بالفعل فيكون واحد بالتركيب والاجتماع واما ان لا يكون ولكن فيه كثرة بالقوة فيكون واحداً بالاتصال وان لم يكن فيه ذلك فهو الواحد بالعدد على الاطلاق وهو العدد الذي بأزاء الواحد كما ذكرنا والكثير بالاضافة هو الذى يترتب بأزائه القليل فاقل العدد اثنان وأما لواحق الواحد فالمشابهة هو اتحاد فى الكيفية والمساواة هو اتحاد فى الكمية والمجانسة اتحاد فى الجنس والمشاكلة اتحاد فى النوع والموازاة اتحاد فى الاجزاء والمطابقة اتحاد فى الاطراف والهو هو حال بين اثنين جعلا اثنين فى الوضع يصير بهما بينهما اتحاد بنوع ما وتقابل كل منها من باب الكثير متقابل * المسئلة السادسة فى تعريف واجب الوجود بذاته وانه لا يكون بذاته وبغيره معاً وانه لا كثرة فى ذاته بوجه وانه خير محض وحق وانه واحد من وجوه شتى ولا يجوز

قاضيتين على جميع الآيات التى تعلقت بها سائر الطوائف وقالوا الله الامر كله لا معقب لحكمه فهو يفعل مايشاء ما نعلم لهم حجة غير ماذكرنا

(قال ابو محمد) واما من قال بمثل هذا الا انه قال الله تعالى ان عذب واحدا منهم عذب الجميع وان غفر لواحد منهم غفر للجميع فانهم قدرية جنحوا بهذا القول نحو العدل ورأوا ان المغفرة لواحد وتعذيب من له مثل ذنبه جور ومحابة ولا يوصف الله عز وجل بذلك

وأما من قال بالموازنة فانهم احتجوا فقالوا ان آيات الوعيد واخبار الوعيد التى احتج بها من ذهب مذهب المعتزلة والخوارج فانها لا يجوز ان تخص بالتعلق بها دون آيات العفو واحاديث العفو التى احتج بها من اسقط فى الوعيد وهى لا يجوز التعلق بها دون الآيات التى حتج بها من اثبت الوعيد بل الواجب جمع جميع تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها حق وكلها من عند الله وكلها مجمل تفسيرها بايات الموازنة واحاديث الشفاعة التى هى بيان لعموم تلك الآيات وتلك الاخبار وكلها من عند الله قالوا ووجدنا الله عز وجل قد قال * يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل * الاية وقال تعالى * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * وما كان الله ليضيع ايمانكم * وقال تعالى * فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا * الاية وقال تعالى * ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب * وقال تعالى * وتوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون * وقال تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى * وقال تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى * الى قوله * الجزاء الاوفى * وقال تعالى * وان الذين ظلموا عذابا دون ذلك * وقال تعالى * ليجزى الذين أساؤا بما عملوا الاية وقال تعالى * هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت * وقال تعالى * وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم * وقال تعالى * وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله * الاية وقال تعالى * ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له * الاية وقال تعالى * وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقال تعالى * ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة تضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما * وقال تعالى * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وقال تعالى * وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد * الى قوله تعالى * قال قرينه ربنا ما اطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد * الى قوله تعالى * وما انا بظلام للعبيد * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية واما من خفت موازينه الى آخر السورة وقال تعالى * ان الحسنات يذهبن السيئات * وقال تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى * من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

أن يكون اثنان واجبي الوجود وفي اثبات واجب الوجود بذاته قال واجب الوجود معناه انه ضروري الوجود وممكن الوجود معناه انه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه ثم ان واجب الوجود قد يكون بذاته وقد لا يكون بذاته والقسم الاول هو الذي وجوده لذاته لا لشيء آخر والثاني هو الذي وجوده لشيء آخر أي شيء كان ولو وضع ذلك الشيء صار واجب الوجود مثل الاربعة واجبة الوجود لا بذاتها ولكن عند وضع اثنين (٤١) اثير ولا يجوز أن يكون شيء واحد واجب

فلا يجزى الا مثلها * وقال تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم * هذا نص كلاهما يوم القيامة وهو قاض على كل مجمل قالوا فنص الله عز وجل انه يضع الموازين القسط وانه لا يظلم احدا شيئا ولا مثقال حبة خردل ولا مثقال ذرة من خير ومن شر فصح ان السيئة لا تحبط الحسنة وان الايمان لا يسقط الكبائر ونص الله تعالى انه تجزى كل نفس بما كسبت وما عملت وما سعت وانه ليس لاحد الا ما سعى وانه سيجزى بذلك من أساء بما عمل ومن أحسن بالحسنى وانه تعالى يوفي الناس أعمالهم فدخل في ذلك الخير والشر وانه تعالى يجازي بكل خير وبكل سوء وعمل وهذا كله يبطل قول من دل بالتخليد ضرورة وقول من قال باسقاط الوعيد جملة لان المعتزلة تقول ان الايمان يضيع ويحبط وهذا خلاف قول الله تعالى انه لا يضيع ايمانا ولا عمل عامل منا وقالوا هم ان الخير ساقط بسيئة واحدة وقال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات * فقالوا هم ان السيئات يذهبن الحسنات وقد نص تعالى أن الاعمال لا يحبطها الا الشرك والموت عليه وقال تعالى * من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها * فلو كانت كل سيئة أو كبيرة توجب الخلود في جهنم ويحبط الاعمال الحسنة لكانت كل سيئة أو كل كبيرة كفرا ولتساوت السيئات كلها وهذا خلاف النصوص وعلمنا بما ذكرنا ان الذين قال الله تعالى فيهم * لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * هم الذين رجحت حسناتهم على سيئاتهم فسقط كل سيئة قدموها وصح ان قوله تعالى * ومن جاء بالسيئة كبت وجوههم في النار * هو فيمن رجحت بائرهم حسناتهم وان السيئة الموجبة لا خلود هي الكفر لان النصوص جاءت بتقسيم السيئات فقال تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فهذه سيئات مغفورة باجتناب الكبائر وقال تعالى * وجزاء سيئة سيئة مثلها . وقال تعالى ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . فاخبر تعالى ان من السيئات ما يجزى لها ما هو مقدار ذرة ومنها ما هو أكبر ولا شك ان الكفر أكبر السيئات فلو كانت كل كبيرة جزاؤها الخلود لكانت كلها كفرا ولكانت كلها سواء وليست كذلك بالنص واما وعيد الله بالخلود في القاتل وغيره فلو لم يأت الا هذه النصوص لوجب الوقوف عندها لانه قد قال تعالى . لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى . وكلامه تعالى لا يختلف ولا يتناقض وقد صح ان القاتل ليس كافرا وان الزاني ليس كافرا وان الحاسب لمال الذي توعد عليها ليسوا كفارا بما ذكرنا قبل من انهم مباح لهم نكاح المسلمات وانهم مأمورون بالصلاة وازدة أموالهم مقبوضة وانهم لا يقتلون وانه ان عفى عن القاتل فقبله مسلم فانه يقتل به وانه يرث ويورث وتؤكل ذبيحته فاذ ليس كافرا بيقين نرى ان خلوده انما هو مقام مدة ما وان الصلي (١) الذي نفاه الله تعالى عن كل من لم يكذب ولا تولى انما هو صلي الخلود لا يجوز البتة غيره هذا وبهذا تالف

(١) يقال صلي بالنار كرضي وصليها صليا ضرب وصليا جثيا وبكذا واصطلى بها وتصلاها قاسى حرها

الوجود بذاته وبغيره مما فانه ان رفع ذلك الغير لم يحل اما أن يبقى وجوب وجوده أو لم يبق فان بقي فلا يكون واجبا بغيره وان لم يبق فلا يكون واجبا بذاته فكل ما هو واجب الوجود بغيره فهو ممكن الوجود بذاته فان وجوب وجوده تابع لنسبة ما وهي اعتبار غير اعتبار نفس ذات الشيء فاعتبار الذات وحدها أما أن يكون مقتضيا لوجوب الوجود وقد أبطلناه وأما أن يكون مقتضيا لامتناع الوجود وما امتنع بذاته لم يوجد بغيره وأما أن يكون مقتضيا لامكان الوجود وهو الباقي وذلك انما يجب وجوده بغيره لانه ان لم يجب كان بعد ممكن الوجود لم يترجح وجوده على عدمه ولا يكون بين هذه الحالة والاولى فرق وان قيل تجددت حالة فالسؤال عنها كذلك ثم واجب الوجود بذاته لا يجوز أن يكون لذاته مبادئ تجتمع فيتقوم منها

(٦ - فصل - في الملل رابع) واجب الوجود لا أجزاء كمية ولا أجزاء حد سواء كانت كمادة والصورة أو كانت على وجه آخر بان تكون أجزاء القول الشارح لمعنى اسمه يدل كل واحد منها على شيء هو في الوجود غير الآخر بذاته وذلك لان كل ما هذا صفته فذات كل جزء منه ليس هو ذات الآخر ولا ذات المجتمع وقد وضح أن الاجزاء بالذات أقدم من الكل فتكون العلة الموجبة للوجود علة للاجزاء ثم للكل ولا يكون شيء منها بواجب الوجود وليس يمكننا أن

نقول ان الكل اقدم بالذات من الاجزاء فهو أما متاخر واما معا فقد اتضح أن واجب الوجود ليس بجسم ولا مادة في جسم ولا صورة في جسم ولا مادة معقولة لقبول صورة معقولة ولا صورة معقولة في مادة معقولة ولا نفسا له لا في الكم ولا في المبادى ولا في القول فهو واجب الوجود من جميع جهاته اذهو واحد من كل وجه فلا جهة وجهه وأيضا فان قدر بان يكون واجبا من جهة ممكنا من جهة كان امكانه (٤٢) متعلقا بواجب فلم يكن واجب الوجود بذاته مطلقا فينبغي أن يتفطن من هذا ان

واجب الوجود لا يتاخر عن وجوده وجوده منتظر بل كل ما هو ممكن له فهو واجب له فلا له ارادة منتظرة ولا علم منتظر ولا طبيعة ولا صفة من الصفات التي تكون بذاته منتظرة وهو خير محض وكمال محض والخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ويتم به وجود كل شيء والشر لا الذات له بل هو أما عدم جواهر أو عدم صلاح حال الجوهر فالوجود خيرية وكمال الوجود كمال الخيرية والوجود الذي لا يقارنه عدم لا عدم جوهر ولا عدم حال للجوهر بل هو دائما بالفعل فهو خير محض والممكن بذاته ليس خيرا محضا لان ذاته يحتمل العدم وواجب الوجود هو حق محض لان حقيقة كل شيء خصوصية وجوده الذي يثبت له فلا أحق اذا من واجب الوجود وقد يقال حق أيضا فيما يكون الاعتقاد به لوجوده صادقا فلا أحق بهذه الصفة مما يكون الاعتقاد لوجوده صادقا ومع صدقه دائما ومع دوامه لذاته لا لغيره وهو واحد محض لانه لا يجوز أن يكون

نوع واجب الوجود لغير ذاته لان وجود نوعه له بعينه أما أن يقتضيه ذات نوعه او لا يقتضيه ذات نوعه بل يقتضيه علة فان كان وجود نوعه مقتضى ذات نوعه لم يوجد الا له وان كان لعلة فهو معلول فهو اذا تام في وحدانيته وواحد من جهة تمامية وجوده وواحد من جهة ان حده له وواحد من جهة انه لا ينقسم بالكم ولا بالمبادى المقومة له ولا باجزاء الحد وواحد من

ذنب

النصوص وتتفق ومن المعهود في المخاطبة ان من وفد من بلد الى بلد فحبس فيه لا مر أوجب احتباسه فيه مدة ما فانه ليس من أهل ذلك البلد الذي حبس فيه فمن دخل في النار ثم أخرج منها فقد انقطع عنه صلبها فليس من أهلها وانما أهلها وأهل صليها على الاطلاق والجملة هم الكفار المخلدون فيها أبدا فهكذا جاء في الحديث الصحيح فقد ذكر عليه السلام فيه من يدخل النار بذنوبه ثم يخرج منها ثم قال صلى الله عليه وسلم واما أهل النار الذين هم أهلها يعني الكفار المخلدين فيها وقد قال عز وجل . وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . فقد بين عليه السلام ذلك بقوله في الخبر الصحيح ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فبالقرآن وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم صح ان عمر الناس من محشرهم الى الجنة انما هو بخوضهم وسط جهنم وينجي الله أولياءه من حرها وهم الذين لا كبائر لهم أو لهم كبائر تابوا عنها ورجحت حسناتهم بكبائرهم او تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم وانه تعالى يمحص من رجحت كبائره وسيئاته بحسناته ثم يخرجهم عنها الى الجنة بايمانهم ويمحق الكفار بتخليدهم في النار كما قال تعالى . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . وايضا فان كل آية وعيد وخبر وعيد تعلق به من قال بتخليد المذنبين فان المحتجين بتلك النصوص هم اول مخالف لها لانهم يقولون ان من يأتي بتلك الكبائر ثم تاب سقط عنه الوعيد فقد تركوا ظاهر تلك النصوص فان قالوا انما قلنا ذلك بنصوص أخر اوجبت ذلك قيل لهم نعم وكذلك فعلنا بنصوص آخر وهي آيات الموازنة وانه تعالى لا يضيع عمل عامل من خير او شر ولا فرق ويقال لمن اسقط آيات الوعيد جملة وقال انها كلها انما جاءت في الكفار ان هذا باطل لان نص القرآن بالوعيد على الفار من الزحف ليس الا على المؤمن بيقين بنص الاية في قوله تعالى . ومن يولهم يومئذ دبره . ولا يمكن ان يكون هذا في كافر اصلا فسقط قول من قال بالتخليد وقول من قال باسقاط الوعيد ولم يبق الا قول من اجمل جواز المغفرة وجوز العقاب

﴿ قال أبو محمد ﴾ فوجدنا هذا القول مجملا قد فسرته آيات الموازنة وقوله تعالى الذي تعلقوا به * ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء * حق على ظاهرها وعلى عمومها وقد فسرتها باقرارهم آيات أخر لانه لا يختلف في ان الله تعالى يغفر ان يشرك به لمن تاب من الشرك بلا شك وكذلك قوله تعالى * ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . فهذا كله حق الا انه قد بين من هم الذين شاء ان يغفر لهم فان صرتم الى بيان الله تعالى فهو الحق وان ابيتم الا الثبات على الاجمل فاخبرونا عن قول الله تعالى . ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا . وقوله تعالى . بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء . أترون ان هذا العموم تقولون به فتجيزون انه يغفر الكفر لانه

جهة ان لكل شيء وحدة محضة وبها كمال حقيقته الذاتية وواحد من جهة ان مرتبته من الوجود وهو وجوب الوجود ليس الا له فلا يجوز اذا أن يكون اثنان كل واحد منهما واجب الوجود بذاته فيكون وجوب الوجود مشتركا فيه على أن يكون جنسا أو عارضا ويقع الفصل بشيء اخر اذ يلزم التركيب في ذات كل واحد منهما بل ولا نظن أنه موجود وله ماهية وراء الوجود كطبيعة الحيوان واللون مثلا الجنسين اللذين يحتاجان الى فصل وفصل

ذنب من الذنوب ام لا واخبرونا عن قول الله عز وجل حاكيا عن عيسى عليه السلام انه يقول له تعالى يوم القيامة . ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك . الى قوله . وانت على كل شيء شهيد . الى قوله تجري من تحتها الانهار أيدخل النصارى الذين اتخذوا عيسى وامه الهين من دون الله تعالى في جواز المغفرة لهم لصدق قول الله تعالى في هذا القول من التخيير بين المغفرة لهم او تعذيبهم واخبرونا عن قوله تعالى . قال عذابي اصيب به من اشاء . ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة . فمن قولهم ان المغفرة لا تكون البتة لمن كفر ومات كافرا وانهم خارجون من هذا العموم ومن هذه الجملة بقوله تعالى . ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . قيل لهم ولم خصصتم هذه الجملة بهذا النص ولم تخصوا قوله تعالى . ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . بقوله . فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية . وبقوله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . وبقوله تعالى . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . وهذا خبر لا نسخ فيه فان قالوا نعم الا ان يشاء ان يغفر لهم قيل لهم قد اخبر الله تعالى انه لا يشاء ذلك باخباره تعالى انه في ذلك اليوم يجزى كل نفس ما كسبت ولا فرق (قال أبو محمد) وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ياتي يوم القيمة وله صدقة وصيام وصلاة فيوجد قد سفك دم هذا وشتم هذا فتؤخذ حسناته كلها فيقتص لهم منها فاذا لم يبق له حسنة قذف من سيآتهم عليه ورمي في النار وهكذا اخبر عليه السلام في قوم يخرجون من النار حتى اذا نقوا وهذبوا ادخلوا الجنة وقد بين عليه السلام ذلك بانه يخرج من النار من في قلبه مثقال حبة من شعير من خير ثم من في قلبه مثقال برة من خير ثم من في قلبه مثقال حبة من خردل ثم من في قلبه مثقال ذرة الى ادني ادني من ذلك ثم من لم يعمل خيرا قط الا شهادة الاسلام فوجب الوقوف عند هذه النصوص كلها المفسرة للنص المجمل ثم يقال اخبرونا عمن لم يعمل شرا قط الا اللمم ومن هم بالشر فلم يفعله فمن قول اهل الحق انه مغفور له جملة بقوله تعالى * الا اللمم * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تخرج به بقول او عمل

(قال ابو محمد) وهذا ينقسم أقساما احدها من هم بسيئة اي شيء كانت من السيئات ثم تركها مختارا لله تعالى فهذا تكتب له حسنة فان تركها مغلوبا لا مختارا لم تكتب له حسنة ولا سيئة تفضلا من الله عز وجل . ولو عملها كتبت له سيئة واحدة ولو هم بحسنة ولو يعملها كتبت له حسنة واحدة ان عملها كتبت له عشر حسنات وهذا كله نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ناظرت بعض المنكرين لهذا فذهب الى ان الهم بالسيئة اصرار عليها فقلت له

حتى يتقرر في وجودهما لان تلك الطبائع معلومة وانما يحتاجان لا في نفس الحيوانية واللونية المشتركة بل في الوجود وها هنا فوجوب الوجود هو الماهية وهو مكان الحيوانية التي لا يحتاج الى فصل في ان يكون موجودا ولا يظن ان يكون حيوانا بل في ان يكون موجودا ولا يظن ان واجبي الوجود لا يشتركان في شيء ما كيف وهما مشتركان في وجوب الوجود ومشتركان في البراءة عن الموضوع فان كان واجب الوجود يقال عليهما بالاشتراك فكلامنا ليس في منع كثرة اللفظ والاسم بل في معنى واحد هي معاني ذلك الاسم وان كان بالتواطؤ فقد حصل معنى عام عموم لازم أو عموم جنس وقد بينا استحالة هذا وكيف يكون عموم وجوب الوجود لشيئين على سبيل اللوازم التي تعرض من خارج واللوازم معلومة وأما اثبات واجب الوجود فليس يمكن الا ببرهان وهو الاستدلال بالممكن عن الواجب فنقول كل جملة من حيث انها جملة سواء كانت متناهية أو غير متناهية اذا كانت مركبة من ممكنات فانها لا تخلوا اما ان كانت واجبة بذاتها أو ممكنة بذاتها فان كانت واجبة الوجود بذاتها وكل واحد منها ممكن الوجود يكون واجب الوجود يتقوم بممكنات الوجود هذا خلف وان كانت ممكنة الوجود بذاتها فالجملة محتاجة في الوجود الى مفيد للوجود فاما ان يكون المفيد خارجا عنها أو داخلا فيها فان كان داخلا فيها

ويكون واحد منها واجب الوجود وكان كل واحد منها ممكن الوجود هذا خلف فتعين ان المفيد يجب ان يكون خارجا عنها
وذلك هو المطلوب المسئلة السابعة في ان واجب الوجود عقل وعاقل ومعقول وانه يعقل ذاته والاشياء وصفاته
الايجابية والسلبية لا توجب كثرة في ذاته وكيفية صدور الافعال عنه قال العقل يقال على كل مجرد من المادة واذا
كان مجردا بذاته فهو عقل لذاته وواجب ٤٤ الوجود مجرد بذاته عن المادة فهو عقل لذاته وبما اعتبر له ان المجردة لذاته فهو معقول

هذا خطا لان الاصرار لا يكون الا على ما قد فعله المرء بعد تمادي عليه ان يفعله وأما من هم
بما لم يفعل بعد فليس اصرارا قال الله تعالى * ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * ثم نسألهم
عمن عمل بالسيئات حاشا الكبائر عددا عظيما ولم يات كبيرة قط ومات على ذلك أيجوز ان
ان يعذبه الله تعالى على ما عمل من السيئات أم يقولون أنها مغفورة له ولا بد فان قالوا أنها
مغفورة ولا بد صدقوا وكانوا قد خصوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتركوا
حمل هذه الآية على عمومها فلا ينكروا ذلك على من خصها ايضا بنص آخر وان قالوا بل
جائز ان يعذبهم الله تعالى على ذلك اكذبهم الله تعالى بقوله * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ونعوذ بالله من تكذيب الله عز وجل ثم نسالهم
عمن عمل من الكبائر ومات عليها وعمل حسنات رجحت بكبائره عند الموازنة ايجوز ان
يعذبه الله تعالى بما عمل من تلك الكبائر اهي مغفورة له ساقطة عنه فان قالوا لا هي مغفورة
وساقطة عنه صدقوا وكانوا قد خصوا عموم قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وجعلوا
هؤلاء ممن شاء ولا بد ان يغفر لهم وان قالوا بل جائز ان يعذبهم أكذبهم الله تعالى بقوله
فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية . وبقوله . ان الحسنات يذهبن السيئات .
(قال أبو محمد) وكذلك القول فيمن تساوت حسناته وكبائره وهم أهل الاعراف فلا
يعذبون أصلا فقد صح بقيننا ان هؤلاء الطبقات الاربع هم الذين شاء الله تعالى ان يغفر لهم
بلاشك فبقي الذين لم يشاء الله تعالى ان يغفر لهم ولم يبق من الطبقات احد الا من رجحت
كبائره في الموازنة على حسناته فهو الذين يجازون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون من النار بالشفاعة
وبرحمة الله عز وجل فقالوا من هؤلاء ممن يغفر الله تعالى له وهم من يعذبه قلنا لهم اعندكم
بهذا البيان نص وهم لا يجدونه ابدا فظهر تحكمهم بلا برهان وخلافهم لجميع الآيات التي تعلقوا
بها فانهم مقرون على انها ليست على عمومها بل هي مخصوصة لان الله تعالى قال ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولا خلاف في انه تعالى يغفر الشرك لمن آمن
فصح انها مجملة تفسرها سائر الايات والاخبار وكذلك حديث عبادة خمس صلوات كتبهن
الله تعالى على العباد من جاء بهن لم ينقص من حدودهن شيئا كان له عند الله عهد ان يدخله
الجنة ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عفر له وان شاء عذبه فانهم متفقون
على ان من جاء بهن لم ينتقص من حدودهن شيئا الا أنه قتل وزنى وسرق فانه قد يعذب
ويقولون أن لم يات بهن فانه لا يعذب على التابيد بل يعذب ثم يخرج عن النار
(قال ابو محمد) هذا ترك منهم ايضا لظاهر هذا الخبر
(قال ابو محمد) ولا فرق بين قول الله تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية
وبين قوله . واما من خفت موازينه فامه هاوية كلاهما خبر ان حاز ابطل أحدهما جاز ابطال

لذاته ربما يعبر له أن ذاته
له هوية مجردة فهو عاقل لذاته
وكونه عاقلا ومعقولا
لا يوجب ان يكون اثنين
في الذات ولا اثنين في
الاعتبار فانه ليس
تحصيل الامر الا انه
له ماهية مجردة وانه ماهية
مجردة ذاته له وهاهنا تقديم
وتأخير في ترتيب المعاني في
عقولنا والغرض المحصل هو
شيء واحد وكذلك عقلنا
لذاتنا هو نفس الذات
واذا عقلنا شيئا فلسنا
نعقل ان نعقل بعقل
اخرى لان ذلك يؤدي
الى التسلسل ثم لما لم يكن
جمال وبهاء فوق ان
يكون الماهية عقلية صرفة
وخيرية محضة بريئة عن
المواد وانحناء النقص
واحدة من كل جهة ولم
يسلم لذلك بكنهه الا
واجب الوجود فهو
الجمال المحض والبهاء
المحض وكل جمال
وبهاء وملائم وخير
فهو محبوب معشوق وكل
ما كان الادراك أشد
اكتنها والمدرك أجل
ذاتا فحب القوة المدركة
له وعشقه له والتذاذه به كان أشد وأكثر فهو أفضل مدرك لا فضل
مدرك وهو عاشق لذاته ومعشوق لذاته عشق من غيره أو لم يعشق وأنت تعلم أن ادراك العقل اعني المعقول أقوى من
ادراك الحس المحسوس لان العقل انما يدرك الامر الباقي ويتحدبه ويصير هو هو ويدركه بكنهه لا بظاهره ولا
كذلك الحس واللذة التي لنا بان نعقل فوق الذي بان نحس لكنه قد يعرض ان يكون القوة الداركة لا تستلذ بالملائم

الآخر

لعوارض كالمرور يستعمر العمل لعارض واعلم ان واجب الوجود ليس يجوز ان يعقل الاشياء من الاشياء والا فذاته ما متقومة بما يعقل او عارض لها ان يعقل وذلك محال بل كما انه مبدء كل وجود فيعقل من ذاته ما هو مبدء له وهو مبدء للموجودات التامة باعيانها والموجودات الفاسدة بانواعها أولا وبتوسط ذلك أشخاصها ولا يجوز ان يكون عاقلا لهذه المتغيرات مع تغيرها حتى يكون تارة يعقل منها انها موجودة غير معدومة وتارة لا أى معدومة غير موجودة ولكل واحد من الامرين صورة عقلية على حدة لا واحد من الصورتين يبقى مع الاخرى فيكون واجب الوجود متغير الذات بل واجب الوجود انما يعقل كل شيء على نحو فعلى كلى ومع ذلك فلا يعذب عنه شيء شخصى فلا يعذب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وأما كيفية ذلك فلانه اذا عقل ذاته وعقل انه مبدء كل موجود عقل أوائل الموجودات وما يتولد عنها ولا شيء من الاشياء يوجد الا وقد صار من جهة ما يكون واجبا بسببه فتكون الاسباب بمصادماتها تؤدى الى أن يوجد عنها الامور الجزئية فالاول يعلم الاسباب ومطابقاتها فيعلم ضرورة ما تؤدى اليه وما ينها من الازمنة وما لها من الاوقات فتكون مدركا للامور الجزئية من حيث هى كلية أعنى من حيث لها صفات وان تخصصت بها شخصا بالاضافة الى زمان متشخص او حال متشخصة ويعقل ذاته ونظام الخير الموجود فى الكل ونفس مدركة من الكل هو سبب لوجود الكل ومبدأته وأبداع وايجاد ولا يستبعد هذا فان الصورة المعقولة التى تحدث فينا تصير سببا الصورة الموجودة الصناعية ولو كانت نفس وجودها كافية لان يتكون منها الصورة الصناعية دون آلات وأسباب اكان المعقول عندنا هو بعينه الارادة والقدرة وهو العقل المقتضى لوجوده فواجب الوجود ليس ارادته وقدرته مغايرة لعلمه لكن القدرة التى له هى كون ذاته عاقلة للكل عقلا هو مبدأ الكل

الاخر ومعاذ الله من هذا القول وكذلك قد منع الله تعالى من هذا القول بقوله تعالى . لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد. ونحن نقول ان الله تعالى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وانه تعالى يغفر ما دون الشرك لمن يشاء وان كل احد فهو فى مشيئة الله تعالى الا اننا نقول انه تعالى قد بين من يغفر له ومن يعذب وان الموازين حق والموازنة حق والشفاعة حق وبالله تعالى التوفيق حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا احمد بن عبد النصير حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الخشنى حدثنا محمد بن المثنى حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا سفيان الثورى عن خالد الحذاء عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله تعالى . وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص. قال ما وعدوا فيه من خير وشر وهذا هو نص قولنا وقد ادعى قوم ان خلاف الوعيد حسن عند العرب وانشدوا

وانى وان اوعدته أو وعدته . لمخلف ايعادى ومنجز موعدى

(قال ابو محمد) وهذا الاشيء قد جعل فخرا صبيا احمق كافر حجة على الله تعالى والعرب تفخر بالظلم قال الراجز

احيا اباه هاشم بن حرمله . ترى الملوك حوله مفربله
يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وقد جعلت العرب مخلف الوعد كاذبا قال الشاعر أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى

اتوعدنى وراء بنى رباح . كذبت لتقصرن يداك دونى

فان قالوا خصوا وعيد الشرك بالموازنة قلنا لا يجوز لان الله تعالى منع من ذلك قال تعالى . ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم . فمن حبط عمله فلا خير له (قال ابو محمد) وأهل النار متفاضلون فى عذاب النار فانهم عذابا ابو طالب فانه توضع جمرتان من نار فى اخمصيه الى ان يبلغ الامر الى قوله تعالى . ادخلوا آل فرعون أشد العذاب . وقوله تعالى . ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار . ولا يكون الاشد الا الى جنب الادون وقال تعالى . ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر .

(قال ابو محمد) والكفار معذبون على المعاصى التى عملوا من غير الكفر برهان ذلك قول الله سبحانه وتعالى . ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى اتانا اليقين . فنص تعالى على ان الكفار يعذبون على ترك الصلاة وعلى ترك الطعام للمسكين

(قال أبو محمد) وأما من عمل منهم العتق والصدقة ونحو ذلك من اعمال البر فحابط كل ذلك لان الله عز وجل قال انه من مات وهو كافر حبط عمله لكن لا يعذب الله احدا الا على ما عمل لا على ما لم يعمل قال الله تعالى . هل تجزون الا ما كنتم تعملون . فلما كان من لا يطعم المسكين من الكفار يعذب على ذلك عذابا زائدا فالذى اطعم المسكين مع كفره لا

لاماخوذ عن الكل ومبدأ بذاته لامتوقفا على غرض وذلك هو ارادته وجواد بذاته وذلك هو بعينه قدرته وارادته وعلمه
فالصفات منها ماهو بهذه الصفة انه موجود مع هذه الاضافة ومنها هذا الوجود مع سلب كمن لم يتحاش عن اطلاق لفظ
الجوهر لم يمن به الا هذا الوجود مع سلب الكون في موضوع وهو واحد أي مسلوب عنه القسمة بالكم أو القول والمسلوب
عنه الشريك وهو عقل وعاقل (٤٦) ومعقول أي مسلوب عنه جواز مخالطة المادة وعلايقها مع اعتبار اضافة ما وهو أول

أي مسلوب عنه الحدوث مع اضافة وجوده الى الكل وهو مريد أي واجب الوجود مع عقليته أي سلب المادة عنه مبدأ لنظام الخير كله وجواد أي هو بهذه الصفة بزيادة سلب أي لاينجوا غرضا لذاته فصفاته أما اضافية محضة واما مؤلفة من اضافة وسلب وأما سلبية محضة وذلك لايوجب تكثرا في ذاته قال واذا عرفت انه واجب الوجود وانه مبدأ لكل موجود فما يجوز أن يوجد عنه يجب أن يوجد وذلك لان الجائز ان يوجد وان لايوجد اذا تخصص بالوجود احتياج الى مرجح لجانب الوجود والمرجح اذا كان على الحال الذى كان قبل الترجيح ولم يعرض البتة شيء فيه ولا مباين عنه يقتضى الترجيح في هذا الوقت دون وقت قبله أو بعده وكان الامر على ما كان لم يكن مرجحا اذا كان التعطل عن الفعل والفعل عنده بمثابة واحدة فلا بد وان يعرض له شيء وذلك لايخلوا ما ان يعرض في ذاته وذلك يوجب التغير وقد قدمنا أن واجب الوجود لايتغير ولا يتكثر وأما ان يعرض مباينا عن ذاته والكلام في ذلك المباين كالكلام في سائر الافعال قال والعقل الصريح الذى لم يكذب يشهد ان الذات الواحدة اذا كانت من جميع جهاتها واحدة وهى كما كانت وكان لايوجد عنها شيء فيما قبل وهى الآن كذلك فالآن لايوجد عنها شيء فاذا صار الان يوجد منها شيء فقد حدث أمر لامحالة من قصد أو ارادة أو طبع أو قدرة او تمكن

يعذب ذلك العذاب الزائد فهو أقل عذابا لانه لم يعمل من الشر ما عمل من هو أشد عذابا
لانه عمل خيرا
(قال ابو محمد) وكل كافر عمل خيرا وشرا ثم اسلم فان كل ما عمل من خير مكتوب مجازى
به في الجنة وأما ما عمل من شر فان تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وان تمادي
عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في اسلامه برهان ذلك حديث حكيم بن حزام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يارسول الله اشياء كنت اتحنث بها في الجاهلية من
عتق وصدقة وصلة رحم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمت على ما سلف لك من
خير فاخبر انه خير وانه له اذا اسلم وقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله ارأيت ابن
جدعان فانه كان يصل الرحم ويقرى الضيف أينفع ذلك قال لا لانه لم يقل يوما . رب اغفر
لى خطيئتى يوم الدين . فاخبر عليه السلام انه لم ينتفع بذلك لانه لم يسلم فاتفقت الاخبار كلها
على انه لو اسلم لنفعه ذلك واما مؤاخذته بما عمل فحديث ابن مسعود رضى الله عنه بنص ما
قلنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قلناه فان اعترض معترض بقول الله تعالى * لئن
اشركت ليحبطن عملك . قلنا انما هذا لمن مات مشركا فقط برهان ذلك ان الله تعالى قال لئن
اشركت ليحبطن عملك * ومن أسلم فليس من الخاسرين وقد بين ذلك بقوله * ومن يرتدد
منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم * وان اعترضوا فيما قلنا من المؤاخذة
بما عمل في الكفر بقوله تعالى . قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . قلنا لهم هذا
حجة لنا لان من انتهى عن الكفر غفر له وان انتهى عن الزنا غفر له وان لم ينته عن الزنا لم
يغفر له فانما يغفر له ما انتهى عنه ولم يغفر له ما لم ينته عنه ولم يقل تعالى ان ينتهوا عن الكفر
يغفر لهم سائر ذنوبهم والزيادة على الاية كذب على الله تعالى وهى اعمال معاينة كالتى ليست
التوبة عن بعضها توبة عن سائرها فلكل واحد منها حكم فان ذكروا حديث عمرو بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله فقد قلنا ان الاسلام اسم لجميع الطاعات فمن
اصر على المعصية فليس فعله في المعصية التى يتمادى عليها اسلاما ولا ايمانا كما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فصح ان الاسلام والايمان هو جميع
الطاعات فاذا أسلم من الكفر وتاب من جميع معاصيه فهو الاسلام الذى يجب ما قبله واذا
لم يتب من معاصيه فلم يحسن في الاسلام فهو ماخوذ بالاول والاخر كما قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبهذا تتفق الاحاديث وكذلك قوله عليه السلام والهجرة تجب ما قبلها فقد
صح عنه عليه السلام ان المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه فمن تاب من جميع المعاصى التى سلفت
منه فقد هجر ما نهاه الله عنه فهذه هى الهجرة التى تجب ما قبلها واما قوله عليه السلام والحج
يجب ما قبله فقد جاء ان العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا

او غرض ولان الممكن أن يوجد وان لا يوجد لا يخرج الى الفعل ولا يترجح له ان يوجد الا بسبب واذا كانت هذه الذات موجودة ولا ترجح ولا يجب عنها الترجيح ثم رجع فلابد من حادث موجب لترجيح في هذه الذات والا كانت نسبتها الى ذلك الممكن على ما كان قبل ولم تحدث لها نسبة اخرى فيكون الامر بحاله ويكون الممكن امكانا صرفا بحاله واذا حدثت لها نسبة فقد حدث أمر ولابد من أن يحدث في ذاته أو مباين عن ذاته وقد (٤٧) بين استحالة ذلك وبالجملة فانا نطلب

الجنة فهذا على الموازنة التي ربنا عز وجل عالم بمراتبها ومقاديرها وانما نقف حيث وقفنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واستدركنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في قاتل نفسه حرم عليه الجنة واوجب له النار مع قوله من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم عليه النار واوجب له الجنة

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه صلى الله عليه وسلم كله وحي من عند الله تعالى وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح ان ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن عند الله تعالى وانه لا اختلاف في شيء منه وانه كله متفق عليه فاذ ذلك كذلك فواجب ضم هذه الاخبار بعضها الى بعض فيلوح الحق حينئذ بحول الله وقوته فمعنى قوله صلى الله عليه وسلم في القاتل حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار مبني على الموازنة فان رجحت كبيرة قتله نفسه على حسناته حرم الله عليه الجنة حتى يقتص منه بالنار التي اوجبها الله تعالى جزاء على فعله وبرهان هذا الحديث الذي اسلم وهاجر مع عمرو بن الحمق الدوسي ثم قتل نفسه لجراح جرح به فتالم به فقطع عروق يده فنزف حتى مات فرآه بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في حال حسنة الايده وذكر له قيل له لن يصلح منك ما افسدت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم وليديه فاغفر ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرم الله عليه النار واوجب له الجنة فهذا لا يختلف فيه مسلمان انه ليس على ظاهره منفردا لكن يضمه الى غيره من الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم والبراءة من كل دين حاشا دين الاسلام ومعناه حينئذ ان الله عز وجل اوجب له الجنة ولابد اما بعد الاقتصاص واما دون الاقتصاص على ما توجبه الموازنة وحرم الله عليه ان يخلد فيها ويكون من اهلها القاطنين فيها على ما بيناقبل من قوله تعالى * لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى ومن يعمل سوءا يجز به وما كان الله ليضيع ايمانكم وما تفعلوا من خير فلن تكفروه * وقوله تعالى * يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها * فنص الاية انها في الكفار هكذا في نص الاية

(قال ابو محمد) وأما الكفارة فان الله تعالى قال * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما *

(قال ابو محمد) ومن المحال ان يحرم الله تعالى علينا امرا ويفرق بين احكامه ويجعل بعضه مغفورا باجتناب بعض ومؤاخذا به ان لم يجتنب البعض الآخر ثم لا يبين لنا المهلكات من غيرها فنظرنا في ذلك فوجدنا قوما يقولون ان كل ذنب فهو كبيرة

(قال أبو محمد) وهذا خطأ لان نص القرآن مفرق كما قلنا بين الكبائر وغيرها وبالضرورة

النسبة الموقعة لوجود كل حدث في ذاته أو مباين عن ذاته ولا نسبة اصلا فيلزم ان لا يحدث شيء أصلا وقد حدث فيعلم انه انما حدث بايجاب من ذاته وانه سبقه لا بزمان ووقت ولا تقدير زمن بل سبقا ذاتيا من حيث انه هو الواجب لذاته وكل ممكن بذاته فهو محتاج الى الواجب لذاته فالممكن مسبوق بالواجب فقط والمبدع مسبوق بالمبدع فقط لا بالزمان *

المسئلة الثامنة في ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد وفي ترتيب وجود العقول والنفوس والأجرام العلوية وان المحرك القريب للسمويات نفس والمبدأ الابعد عقل وحال تكون الاستفصالات عن العلل اذا صح ان واجب الوجود بذاته واحد من جميع جهاته فلا يجوز ان يصدر عنه الا واحد ولو لزم عنه شيئان متباينان بالذات والحقيقة لزوما معا فانما يلزمان عن جهتين مختلفتين في ذاته ولو كانت الجهتان لازمتين لذاته فالسؤال في لزومهما ثابت حتى يكونا من ذاته فيكون ذاتها منقسما بالمعنى وقد منعناه وبينا فساده فتبين أن أول الموجودات عن الاول واحد بالعدد وذاته وماهيته واحدة لا في مادة وقد بينا ان كل ذات لا في مادة فهو عقل وانت تعلم ان في الموجودات اجساما وكل جسم ممكن الوجود في حيز نفسه وانه يجب بغيره وعلمت انه لا سبيل الى أن يكون عن الاول بغير واسطة وعلمت ان الواسطة واحدة فبالحري أن يكون عنها المبدعات الثانية والثالثة

وغيرها بسبب الثانية فيها ضرورة فالمعلول الاول ممكن الوجود بذاته وواجب الوجود بالاول ووجوب وجوده بانه عقل
وهو يعقل ذاته ويعقل الاول ضرورة وليست هذه الكثرة لامن الاول فان امكان وجوده له بذاته لا بسبب الاول بل له
من الاول وجوب وجوده ثم كثرته انه يعقل الاول ويعقل ذاته كثرة لازمة او وجوب وجوده عن الاول وهذه كثرة ضافية
ليست في أول وجوده وداخلة (٤٨) في مبدأ قوامه ولولا هذه الكثرة لكان لا يمكن أن يوجد منها الا واحدة ولكان

يتسلسل الوجود من
وحدات فقط فما كان يوجد
جسم فالعقل الاول يلزم
عنه بما يعقل الاول وجود
عقل تحته وبما يعقل ذاته
وجود صورة الفلك وكماله
وهي النفس وطبيعة
امكان الوجود الخاصية
له المندرجة فيما له ذاته
وجود جرمية الفلك الا
على المندرجة في جملة ذات
الفلك الاعلى بنوعه وهو
الامر المشارك للقوة فيما
يعقل الاول يلزم عنه عقل
وبما يختص بذاته على جهتيه
الكرة الاولى بجرميها
أعني المادة والصورة والمادة
بتوسط الصورة ومشاركتها
كارا كان الوجود يخرج
الى الفعل بالعمل الذي
يحاذي صورة الفلك وكذلك
الحال في عقل عقل وفلك
فلك الى أن ينتهي الى
العقل الفعال الذي يدبر
أنفسنا وليس يجب أن
يذهب هذا المعنى الى غير
النهاية في يكون تحت كل
مفارق مفارقا فانه اذا لزم
كثرة عن العقول فنسبت
الى المعاني التي فيها من
الكثرة وقولنا هذا ليس ينعكس حتى يكون كل عقل فيه هذه الكثرة فلزم كثرته يزل
هذه المعلولات ولا هذه العقول منفعة الانواع حتى يكون مقتضي معانيها منفقا ومن المعلوم ان الافلاك كثيرة فوق العدد
الذي في المعلول الاول فليس يجوز أن يكون مبدؤها واحدا هو المعلول الاول ولا أيضا يجوز أن يكون كل جرم متقدم
منها علة للمتأخر لان الجرم بما هو جرم مركب من مادة وصورة فلو كان علة الجرم لكان بمشاركة المادة والمادة لهما

ندري انه لا يقال كبيرة الا بالاضافة الى ما هو أصغر منها والكبائر ايضا تتفاضل فالشرك
اكبر عمادونه والقتل اكبر من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهما لا يعذبان وما
يعذبان في كبير وانه لكبير اما احدهما فكان لا يستبري من بوله واما الآخر فكان يمشي
بالنميمة فاخبر عليه السلام انهما كبيرة وما هما بكبيرة وهذا بين لانهما كبيران بالاضافة الى
الصغائر المغفورة باجتناب الكبائر وليسا بكبيرين بالاضافة الى الكفر والقتل
(قال ابو محمد) فبطل القول المذكور فنظرنا في ذلك فوجدنا معرفة الكبير من الذنوب
مما ليس بكبير منها لا يعلم البتة الا بنص وارد فيها اذ هذا من احكام الله تعالى التي لا تعرف
الا من عنده تعالى فبحثنا عن ذلك فوجدنا الله تعالى قد نص بالوعيد على ذنوب في القرآن
وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا ذنوبا أخر لم ينص عليها بوعيد فلم نجد يقينا
ان كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار او توعد عليه رسوله صلى الله عليه وسلم بالنار فهو كبير
وكل ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم باستعظامه فهو كبير كقوله عليه السلام
اتقوا السبع الموبقات الشرك والسحر والقتل والزنا وذكر الحديث وكقوله عليه السلام عقوق
الوالدين من الكبائر وكل ما لم يات نص باستعظامه ولا جاء فيه وعيد بالنار فليس بكبير ولا
يمكن ان يكون الوعيد بالنار على الصغائر لانها مغفورة باجتناب الكبائر فصح
ما قلناه وبالله تعالى التوفيق

الموافاة

(قال أبو محمد) اختلف المتكلمون في معنى عبروا عنه بلفظ الموافاة وهم انهم قالوا في انسان
مؤمن صالح مجتهد في العبادة ثم مات مرتدا كافرا وآخر كافر متمرد أو فاسق ثم مات مسلما
تائبا كيف كان حكم كل واحد منهما قبل ان ينتقل الى ما مات عليه عند الله تعالى فذهب
هشام ابن عمرو الفوطي وجميع الاشعرية الى ان الله عز وجل لم يزل راضيا عن الذي مات
مسلما تائبا ولم يزل ساخطا على الذي مات كافرا او فاسقا واحتجوا في ذلك بان الله عز وجل
لا يتغير علمه ولا يرضى ما سخط ولا يسخط ما رضي وقالت الاشعرية الرضا من الله عز
وجل لا يتغير منه تعالى صفات لذات لا يزول ولا يتغير ار (؟) وذهب سائر المسلمين الى ان
الله عز وجل كان ساخطا على الكافر والفاسق ثم رضي الله عنهما اذا أسلم الكافر وتاب
الفاسق وانه كان تعالى راضيا عن المسلم وعن الصالح ثم سخط عليهما اذا كفر المسلم وفسق الصالح
(قال ابو محمد) احتجاج الاشعرية انها هنا هو احتجاج اليهود في ابطال النسخ ولا فرق
ونحن نبين بطلان احتجاجهم وبطلان قولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عز وجل نتائيد
أما قولهم عن علم الله عز وجل لا يتغير فصحيح ولكن معلوماته تتغير ولم نقل ان علمه يتغير
ومعاذ الله من هذا ولم يزل علمه تعالى واحدا يعلم كل شيء على تصرفه في جميع حالاته فلم

طبيعة عدمية والعدم ليس مبدا للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ للوجود فلا يجوز أن يكون جرم مبدأ الجرم ولا يجوز أن يكون مبدؤها قوة نفسانية هي صورة الجرم وكماله اذ كل نفس لكن فلك فهو كماله وصورته ليس جوهرا مفارقا والا كان عقلا وأنفس الافلاك انما يصدر عنها أفعالها في أجسام اخرى بواسطة اجسامها في مشاركتها وقد بينا ان الجسم من حيث هو جسم لا يكون مبدا الجسم ولا يكون مطلقا بين نفس ونفس ولو أن نفسا مبدأ النفس بغير توسط الجسم فلها انفراد

يزل يعلم أن زيدا سيكون صغيرا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ثم ميتا ثم مبعوثا ثم في الجنة أو في النار ولم يزل يعلم أنه سيؤمن ثم يكفر أو أنه يكفر ثم يؤمن أو أنه يكفر ولا يؤمن أو انه يؤمن ولا يكفر وكذلك القول في الفسق والصلاح ومعلوماته تعالى في ذلك متغيرة مختلفة ومن كابر هذا فقد كابر العيان والمشاهدات وأما قولهم أن الله تعالى لا يسخط ما رضي ولا يرضي ما سخط فباطل وكذب بل قد أمر الله تعالى اليهود بصيانة السبت وتحريم الشحوم ورضي لهم ذلك وسخط منهم خلافه وكذلك أحل لنا الخمر ولم يلزمنا الصلاة ولا الصوم برهة من زمن الاسلام ورضي لنا شرب الخمر وا كل رمضان والبقاء بلا صلاة وسخط تعالى بلا شك المبادرة بتحريم ذلك كما قال تعالى * ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ثم فرض علينا الصلاة والصوم وحرم علينا الخمر فسخط لنا ترك الصلاة واكل رمضان وشرب الخمر ورضي لنا خلاف ذلك وهذا لا ينكره مسلم ولم يزل الله تعالى عالما انه سيحل ما كان احل من ذلك مدة كذا وانه سيرضى منه ثم انه سيحرمه ويسخطه وانه سيحرم ما حرم من ذلك ويسخطه مدة ثم انه يحله ويرضاه كما علم عز وجل انه سيحيي من احياه مدة كذا وانه يعز من اعزه مدة ثم يذله وهكذا جميع ما في العالم من آثار صنعته عز وجل لا يخفى ذلك على من له ادنى حس وهكذا المؤمن يموت مرتدا والكافر يموت مسلما فان الله تعالى لم يزل يعلم انه سيسخطه قبل الكافر مادام كافرا ثم انه يرضى عنه اذا اسلم وان الله تعالى لم يزل يعلم انه يرضى عن افعال المسلم وافعال البر ثم انه يسخط افعاله اذا ارتد او فسق ونص القرآن يشهد بذلك قال تعالى * ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم * فصح يقينا ان الله تعالى يرضى الشكر ممن شكره فيما شكره ولا يرضي الكفر ممن كفر فاذا كفر متى كفر كيف كان انتقال هذه الاحوال من الانسان الواحد وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم * فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم ان لا يمكن ان يحبط عمل الا وقد كان غير حابط ومن المحال ان يحبط عمل لم يكن محسوبا قط فصح ان عمل المؤمن الذي ارتد ثم مات كافرا انه كان محسوبا ثم حبط اذا ارتد وكذلك قال الله تعالى * يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب * فصح انه لا يمحو الا ما كان قد كتبه ومن المحال ان يمحى ما لم يكن مكتوبا وهذا بطلان قولهم يقينا ولله الحمد وكذلك نص قوله تعالى * أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات فهذا نص قولنا و بطلان قولهم لان الله تعالى سمى افعالهم الماضية سيئات والسيئات مذمومة عنده تعالى بلا شك ثم اخبر تعالى انه احالها وبدلها حسنات مرضية فمن انكر هذا فهو مكذب لله تعالى والله تعالى مكذبه وكذلك قال الله تعالى انه سخط ا كل آدم من الشجرة وذهاب يونس مغاضبا ثم اخبر عز وجل انه تاب عليهما واجتبى يونس بعد ان لامه ولا يشك كل ذي عقل ان اللائمة غير الاجتباء

قوام من دون الجسم ولسيت النفس الفلكية كذلك فلا تفعل شيئا ولا تفعل جسما فان النفس متقدمة على الجسم في المرتبة والكمال فتعين الافلاك مبادي غير جرمانية وغير صور للاجرام والجميع يشترك في مبدأ واحد وهو الذي نسميه المعلول الاول والعقل المجرد ويختص كل فلك بمبدأ خاص فيه فيلزم دائما عقل عن عقل حتى يتكون الافلاك باجرامها ونفوسها وعقولها وينتهي بالفلك الاخير ويقف حيث يمكن أن تحدث الجواهر العقلية منقسمة متكثرة بالعدد تكثر الاسباب فكل عقل هو أعلى في المرتبة فانه يمنى فيه وهو انه بما يعقل الاول يجب عنه وجود عقل آخر دونه وبما يعقل ذاته يجب عنه فلك بنفسه فاما جرم الفلك فمن حيث انه يعقل بذاته الممكن لذاته وانما نفس الفلك فمن حيث انه يعقل ذاته الواجب بغيره ويستبقي

(٧ – فصل – في الملل رابع) الجرم بتوسط النفس الفلكية فان كل صورة هي علة لكون مادتها بالفعل والمادة بنفسها لا قوام لها كما أن الامكان نفسه لا وجود له واذا استوفت الكرات السموية عددها لزم بعدها وجود الاستقصات ولما كانت الاجرام الاستقصية كائنة فاسدة وجب أن تكون مبادئها متغيرة فلا يكون ما هو عقل محض وحده سببا لوجودها ولما كانت لها مادة مشتركة وصور مختلفة فيها وجب أن يكون احتلاف صورها مما تعين فيه اختلاف في أحوال الافلاك وأبقا

(قال ابو محمد) ثم نقول لهم اني الكافر كفر اذ كان كافرا قبل ان يؤمن وفي الفاسق فسق قبل ان يتوب وفي المؤمن ايمان قبل ان يرتدام لا فان قالوا لا كابروا حالوا وان قالوا نعم قلنا لهم فهل يسخط الله الكفر والفسق او يرضى عنهما فان قالوا بل يسخطهما تركوا قولهم وان قالوا بل يرضى عن الكفر والفسق كفروا ونسالهم عن قتل وحشي حمزة رضي الله عنه ارضاء كان لله تعالى فان قالوا نعم كفروا وان قالوا بل ما كان الا سخطا لما يؤاخذه الله تعالى به اذا اسلم فمن قولهم لا وهكذا في كل حسنة وسيئة فظهر فساد قولهم وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

﴿ الكلام في من لم تبلغه الدعوة ومن تاب عن ذنب او كفر ثم رجع فيما تاب عنه ﴾

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * لانذركم به ومن بلغ * وقال تعالى * وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا * فنص تعالى ذلك على ان النذارة لا تلزم الا من بلغته لا من لم تبلغه وانه تعالى لا يعذب احدا حتى يأتيه رسول من عند الله عز وجل فصح بذلك ان من لم يبلغه الاسلام اصلا فانه لا عذاب عليه وهكذا جاء النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يؤتى يوم القيامة بالشيخ الخرف والاصلح الاصم ومن كان في الفترة والمجنون فيقول المجنون يارب أتاني الاسلام وانا لا أعقل ويقول الخرف والاصم والذي في الفترة أشياء ذكرها فيوقد لهم نارا ويقال لهم ادخلوها فمن دخلها وجدها بردا وسلاما وكذلك من لم يبلغه الباب من واجبات الدين فانه معذور لا ملامة عليه وقد كان جعفر بن ابي طالب واصحابه رضي الله عنهم بارض الحبشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والقرآن ينزل والشرائع تشرع فلا يبلغ الى جعفر واصحابه أصلا لانقطاع الطريق جملة من المدينة الى ارض الحبشة وبقوله كذلك ست سنين فما ضرهم ذلك في دينهم شيئا اذ عملوا بالمحرم وتركوا المفروض

(قال ابو محمد) ورأيت قوما يذهبون الى ان الشرائع لا تلزم من كان جاهلا بها ولا من لم تبلغه

(قال أبو محمد) وهذا باطل بل هي لازمة له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس كلهم والى الجن كلهم والى كل من يولد اذ بلغ بعد الولادة

(قال ابو محمد) قال تعالى آمرا نبيه ان يقول * اني رسول الله اليكم جميعا * وهذا عموم لا يجوز ان يخص منه احدا وقال تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدى * فابطل سبحانه ان يكون احد سدى والسدى هو المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى فابطل عز وجل هذا الامر ولكنه معذور بجهله ومغيبه عن المعرفة فقط وان من بلغه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حيث ما كان من أقاصي الارض ففرض عليه البحث عنه فاذا بلغته عنه نذارته ففرض عليه التصديق به واتباعه وطلب الدين اللازم له والخروج عن وطنه لذلك والا فقد استحق الكفر والخلود في النار والعذاب بنص القرآن وكل ما ذكرنا يبطل قول من قال من الخوارج ان في حين بعث النبي

خصص هذا الشيء تاثير من التاثيرات السموية بلا واسطة جسم عنصري أو بواسطة تجعله على استعداد خاص به بعد العام الذي كان في جوهره فاض عن هذا المفارق صورة خاصة وارتسمت في تلك المادة وأنت تعلم أن الواحد لا يخصص الواحد من حيث كل واحد منهما واحد بامر دون أمر يكون له الا ان يكون هناك مخصصات مختلفة وهي معدات المادة والمعد هو الذي يحدث عنه في المستعد أمرا ما يصير مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء بعينه أولى من مناسبته لشيء آخر ويكون هذا الاعداد مرجحا لوجود ما هو أولى منه من الاوائل الواهبة للصور ولو كانت المادة على التهيء الاول تشابهت نسبتها الى الضدين فلا يجب أن يختص بصورة دون صورة قال والاشبه أن يقال ان المادة التي تحدث بالشركة يفيض اليها من الاجرام السموية أما من أربعة أجرام أو عدة منحصرة في أربع أو عن جرم واحد وله تكون نسب مختلفة انقساما من الاسباب منحصرة في أربع فتحدث منها العناصر الاربع وانقسمت بالخفة والثقل فما هو الخفيف المطلق فميله الى الفوق وما هو الثقيل المطلق فميله الى الاسفل وما هو الخفيف والثقيل بالاضافة فبينهما وأما وجود المركبات من العناصر فبتوسط الحركات السموية وسنذكر أقسامها وتوابعها وأما وجود الانفس الانسانية التي تحدث مع حدوث الابدان ولا تفسد فانها

كابيرة مع وحدة النوع والمعلول الاول الواحد بالذات فيه معاني متكثرة بها تصدر عنه العقول والنفوس كما ذكرنا ولا يجوز ان تكون تلك المعاني متكثرة متفقة النوع والحقائق حتى يصدر عنها كثرة متفقة النوع فانه يلزم أن تكون فيه مادة تشترك فيها صورة تخالف وتتكثر بل فيه معاني مختلفة الحقائق يقتضي كل معنى شيئا غير ما يقتضيه الآخر في النوع فلم يلزم كل واحد منهما ما يلزم الآخر فالنفوس الارضية كائنة عن المعلول (٥١) الاول بتوسط علة أو علل اخر وأسباب

صلى الله عليه وسلم يلزم من في اقاصي الارض الايمان به ومعرفة شرائعه فان ماتوا في ذلك الحال ماتوا كفارا الى النار و يبطل هذا قول الله عز وجل * لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وليس في وسع احد علم الغيب فان قالوا فهذه حجة الطائفة القائلة انه لا يلزم احدا شيء من الشرائع حتى تبلغه قلنا لا حجة لهم فيها لان كل ما كلف الناس فهو في وسعهم واحتمال بنيتهم الا أنهم معذورون بمغيب ذلك عنهم ولم يكلفوا ذلك تكليفا يعذبون به ان لم يفعلوه وانما كلفوه تكليف من لا يعذبون حتى يبلغهم ومن بلغه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له امرا من الحكم مجملا ولم يبلغه نصه فرض عليه اجتهاد نفسه في طلب ذلك الامر والا فهو عاص لله عز وجل قال الله تعالى * فسألوا أهل الذكر ان كنتم تعلمون * وبقوله تعالى * فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون * واما من تاب عن ذنب او كفر ثم رجع الى ما تاب عنه فانه ان كان توبته تلك وهو معتقد للعودة فهو عابث مستهزيء مخادع لله تعالى قال الله تعالى * يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم * الى قوله * عذاب اليم بما كانوا يكذبون * واما من كانت توبته نصوحا ثابت العزيمة في ان لا يعود فهي توبة صحيحة مقبولة بلا شك مستقطة لكل ما تاب عنه بالنص قال عز وجل * وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا * فان عاد بعد ذلك الى الذنب الذي تاب منه فلا يعود عليه ذنب قد غفره الله ابدا فان ارتد ومات كافرا فقد سقط عمله والتوبة عمل فقد حبطت فهذا يعود عليه ما عمل خاصة واما من راجع الاسلام ومات عليه فقد سقط عنه الكفر وغيره

(قال ابو محمد) ولا تكون التوبة الا بالندم والاستغفار وترك المعاودة والعزيمة على ذلك والخروج من مظلمة ان تاب عنها الى صاحبها بتحلل او انصاف ورأيت لابي بكر احمد بن علي بن يفجور المعروف بابن الاخشيد وهو أحد أركان المعتزلة وكان أبوه من أبناء ملوك فرغانة من الاتراك وولي ابوه الثغور وكان هذا ابو بكر ابنه يتفقه للشافعي فرأيت له في بعض كتبه يقول ان التوبة هي الندم فقط وان لم يندم مع ذلك ترك المراجعة لتلك الكبيرة

(قال ابو محمد) هذا اشنع ما يكون من قول المرجئة لان كل معتقد للاسلام فلا شك ندري انه نادم على كل ذنب يعمله عالما بانه مسيء فيه مستغفر منه ومن كان بخلاف هذه الصفة وكان مستحسنا لما فعل غير نادم عليه فليس مسلما فكل صاحب كبيرة فهو على قول ابن الاخشيد غير مؤاخذ بها لانه تائب منها وهذا خلاف الوعيد فان قال قائل فانكم تقطعون على قبول ايمان المؤمن أفتقطعون على قبول توبة التائب وعمل العامل للخيران كل ذلك مقبول وهل تقطعون على المكثر من السيئات انه في النار قلنا وبالله تعالى التوفيق ان الاعمال لها شروط من توفية النية حقها وتوفية العمل حقه فلو ايقنا ان العمل وقع كاملا كما امر الله

من الامزجة والمواد وهي غاية ما ينتهي اليها الابداع ونبتدئ القول في الحركات واسبابها ولوازمها اعلم ان الحركة لا تكون طبيعية للجسم والجسم على حالته الطبيعية وكل حالة بالطبع فالحالة مفارقة للطبع غير طبيعية اذ لو كان شيء من الحركات مقتضى طبيعة الشيء لما كان باطل الذات مع بقاء الطبيعة بل الحركة انما يقتضيها الطبيعة لوجود حال غير طبيعته أما في الكيف وأما في الكم واما في المكان وأما في الوضع وأما مقولة اخرى والعلة في تجدد حركة بعد حركة تجدد الحال الغير الطبيعة وتقدير البعد عن الغاية فاذا كان الامر كذلك لم يكن حركة مستديرة عن طبيعة والا كانت عن حال غير طبيعية اذا وصلت اليها سكنت ولم يجز أن يكون فيها بعينها قصد الى تلك الحالة الغير الطبيعية لان الطبيعية ليست تفعل باختيار بل على سبيل تسخير وان كانت الطبيعية تحرك على الاستدارة فهي تحرك لا محالة اما عن اين غير طبيعي او وضع غير طبيعي هربا طبيعيا عنه وكل هرب طبيعي من شيء فمحال أن يكون هو بعينه قصدا طبيعيا اليه والحركة المستديرة ليست هربا عن شيء الا وتقصده فليست اذا طبيعية الا انها قد يكون بالطبع وان لم تكن قوة طبيعية كان شيئا بالطبع وانما تحرك بتوسط الميل الذي فيه و نقول ان الحركة معنى متجدد النسب وكل شطر منه مختص بنسبة وانه لا ثبات له ولا يجوز ان يكون عن معنى ثابت البتة وحده ولو كان فيجب أن يلحقه ضرب من مثل

من تبدل الاحوال والثابت من جهة ماهو ثابت لايكون عنه الاثابت فان الارادة العقلية الواحدة لايوجب البتة حركة
فانها مجردة عن جميع أصناف التغير والقوة العقلية حاصرة المعقول دائما ولايفرض فيها الانتقال من معقول الى معقول
الا مشاركا الى التخيل والحس فلابد للحركة من مبدء قريب والحركة المستديرة مبدؤها القريب نفس الفلك يتجدد
تصوراتها وارادتها وهى كمال جسم (٥٢) الفلك وصورته ولو كانت قائمة بنفسها من كل وجه لكانت عقلا محضا لايتغير

تعالى لقطعنا قبول الله عز وجل له وأما التوبة فاذا وقعت نصوحا فنحن نقطع بقبولها
وأما القطع على مظهر الخير بانه في الجنة وعلى مظهر الشر والمعاصى بانه فى النار فهذا خطا
لانا لانعلم مافى النفوس ولعل المظهر لخير مبطن للكفر او مبطن على كبائر لانعلمها فواجب
ان لانقطع من أجل ذلك عليه بشىء وكذلك المعلن بالكبائر فانه يمكن ان يبطن الكفر فى
باطن أمره فاذا قرب من الموت آمن فاستحق الجنة اولعل له حسنات فى باطن امره تفىء
على سيئاته فيكون من أهل الجنة فلهذا وجب ان لانقطع على احد بعينه بجنة ولا نار حاشا
من جاء النص فيه من الصحابة رضى الله عنهم بانهم فى الجنة وبان الله علم مافى قلوبهم
فانزل السكينة عليهم واهل بدر واهل السوابق فانا نقطع على هؤلاء بالجنة لان الله تعالى
اخبرنا بذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وحاشا من مات معلنا للكفر فانا نقطع عليه
بالنار ونقف فيمن عدا هؤلاء الا اننا نقطع على الصفات فنقول من مات معلنا للكفر او
مبطنا له فهو فى النار خالدا فيها ومن لقى الله تعالى راجح الحسنات على السيئات والكبائر
اومتساويهما فهو فى الجنة لايعذب بالنار ومن لقى الله تعالى راجح الكبائر على الحسنات ففى
الذر ويخرج منها بالشفاعة الى الجنة وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ورأيت بعض أصحابنا يذهب الى شىء يسميه شاهد الحال وهو ان من
كان مظهر الشىء من الديانات متحملا للاذى فيه غير مستجلب بما يلقى من ذلك حالا فانه
مقطوع على باطنه وظاهره قطعا لاشك فيه كعمر بن عبدالعزيز وسعيد بن المسيب والحسن
البصرى وابن سيرين ومن جرى مجراهم من قبلهم اومعهم او بعدهم فان هؤلاء رضي الله عنهم
رفضوا من الدنيا مالو استعملوه لما حط من وجاهتهم شيأ واحتملوا من المضض مالو خففوه
عن انفسهم لم يقدح ذلك فيهم عند أحد فهؤلاء مقطوع على اسلامهم عند الله عز وجل وعلى
خيرهم وفضلهم وكذلك نقطع على ان عمر بن عبيد كان يدين بابطال القدر بلا شك فى باطن
امره وان ابا حنيفة والشافعى رضى الله عنهما كانا فى باطن امرهما يدينان الله تعالى بالقياس
وان داود بن على كان فى باطن الامر يدين الله تعالى بابطال القياس بلا شك وان احمد بن
حنبل رضى الله عنه كان يدين الله تعالى بالتدين بالحديث فى باطن امره بلاشك وبان القرآن
غير مخلوق بلا شك وهكذا كل من تناصرت احواله وظهر جده فى معتقده وترك المساحة
فيه واحتمل الاذى والمضض من أجله

(قال ابو محمد) وهذا قول صحيح لاشك فيه اذ لايمكن البتة فى بنية الطبائع ان يحتمل
احد اذى ومشقة لغير فائدة يتعجلها او يتاجلها وبالله تعالى التوفيق ولابد لكل ذى عقد
من ان يتبين عليه شاهد عقده بما يبدو منه من مساحة فيه اوصبر عليه واما من كان بغير
هذه الصفة فلا نقطع عقده وبالله تعالى التوفيق

ولا ينتقل ولا يخالط
ما بالقوة بل نسبتها الى
الفلك نسبة النفس الحيوانية
التى لنا الينا الا أن لها ان
تعقل بوجه ما تعقلا شوبا
بالمادة و بالجملة أوهامها أو
مايشابه الاوهام صادقة
وتخيلاتها حقيقة كالعقل
العلى فينا والمحرك الاول
لها غير مادية أصلا وانما
تحركت عن قوة غير
متناهية والقوة التى للنفس
متناهية لكنها بما يعقل
الاول فيسبح عليه نوره
دائما صارت قوتها غير
متناهية وكانت الحركات
المستديرة أيضا غير متناهية
والاجرام السموية لما لم
يبق فى جواهرها أمر
ما بالقوة أعنى فى كمها
وكيفها تركب صورتها فى
مادتها على وجه ولا يقبل
التحليل ولكن عرض لها
فى وضعها واينها اما بالقوة
اذ ليس شىء من أجزاء
مدار الفلك أو كوكب
أولى بان يكون ملاقيا له
أو لجزئه من جزء آخر
فى كان فى جزء الفعل
فهو فى جزء آخر بالقوة
والتشبه بالحيز الاقصى يوجب البقاء على أكمل كمال ولم يكن هذا ممكنا للجرم السماوى
بالعدد فحفظ بالنوع والتعاقب فصارت الحركة حافظة لما يكون من هذا الكمال ومبدؤها الشوق الى التشبه بالحيز الاقصى
فى البقاء على الكمال ومبدء الشوق هو ما يعقل منه ففى الشوق الى التشبه بالاول من حيث هو بالفعل تصدر عنه الحركة
الفلكية صدور الشىء عن التصور الموجب له وان كان غير مقصود فى ذاته بالقصد الاول لان ذلك تصور لما بالفعل فيحدث

عنه طلب لما بالفعل ولا يمكن لما بالشخص فيكون بالتعاقب ثم يتبع ذلك التصور تصورات جزئية على سبيل الانبعاث لا المقصود الاول وتتبع تلك التصورات الحركات المنتقل بها في الاوضاع وهي كانها عبادة ملكية أو فلكية وليس من شرط الحركة الارادية أن تكون مقصودة في نفسها بل اذا كانت القوة الشوقية يشتاق نحو أمر يسبح منها تأثير تحرك الاعضاء فتارة يتحرك على النحو الذي به يوصل الى الغرض وتارة على نحو آخر متشابه واذا بلغ (٥٣) الالتذاذ ينعقل لابد الاول ربما

الكلام في الشفاعة والميزان والحوض وعذاب القبر والكتبة

(قال أبو محمد) اختلف الناس في الشفاعة فانكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع ان لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والاشعرية والكرامية وبعض الرافضة الى القول بالشفاعة واحتج المانعون بقول الله عز وجل * فما تنفعهم شفاعة الشافعين * وبقوله عز وجل * يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله * وبقوله تعالى * قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا * وبقوله تعالى * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة * وبقوله تعالى * من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة * وبقوله تعالى * فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وبقوله تعالى * ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون *

*(قال أبو محمد قول من يؤمن بالشفاعة انه لا يجوز الاقتصار على بعض القرآن دون بعض ولا على بعض السنن دون بعض ولا على القرآن دون بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه عز وجل * لتبين للناس ما نزل اليهم * وقد نص الله تعالى على صحة الشفاعة في القرآن فقال تعالى * لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا * فاوجب عز وجل الشفاعة الا من اتخذ عنده عهدا بالشفاعة وصحت بذلك الاخبار المتواترة المتناصرة بنقل الكواف لها قال تعالى * يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا * وقال تعالى * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له * فنص تعالى على ان الشفاعة يوم القيامة تنفع عنده عز وجل ممن أذن له فيها ورضي قوله ولا احد من الناس اولى بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم لانه أفضل ولد آدم عليه السلام وقال تعالى * من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى * وقال تعالى * ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون * وقال تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه * فقد صحت الشفاعة بنص القرآن الذي يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فصح يقينا ان الشفاعة التي ابطلها الله عز وجل هي غير الشفاعة التي اثبتها عز وجل واذ لا شك في ذلك فالشفاعة التي ابطل عز وجل هي الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار قال تعالى لا يخفف عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا نعوذ بالله منها فاذ لا شك فيه فقد صح يقينا أن الشفاعة التي أوجب الله عز وجل لمن اذن له واتخذ عنده عهدا ورضي قوله فانما هي لمذنبي أهل الاسلام وهكذا جاء الخبر الثابت

(قال أبو محمد) وهما شفاعتان احداهما الموقف وهو المقام المحمود الذي جاء النص في القرآن به في قوله * عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا * وهكذا جاء الخبر الثابت نصا

يدرك منه على نحو عقلي أو نفساني شغل ذلك عن كل شيء ولكن ينبعث منه ما هو أدون منه في المرتبة وهو الشوق الى الاشبه به بقدر الامكان فقد عرفت ان الفلك متحرك بطبعه ومتحرك بالنفس ومتحرك بقوة عقلية غير متناهية وتميز عندك كل حركة عن صاحبتها وعرفت أن المحرك الاول يحملة السماء واحد ولكل كرة من كرات السماء محرك قريب يخصه ومتشوق معشوق يخصه فاول المفارقات الخاصة محرك الكرة الاولى وهي على قول من تقدم بطليوس كرت الثوابت وعلى قول بطليوس كرة خارجة عنها محيطة بها غير مكوكبة وبعد ذلك محرك الكرة التي يلي الاولى ولكل واحد مبدأ خاص وللكل مبدأ فلذلك تشترك الافلاك في دوام الحركة وفي الاستدارة ولا يجوز أن يكون شيء منها لاجل الكائنات السافلة لا قصد حركة ولا قصد جهة حركة ولا تقدير سرعة وتطويل ولا قصد فعل العلة لاجلها وذلك أن كل قصد فيجوز أن يكون أنقص وجودا من المقصود لان كل ما لاجله شيء آخر فهو أتم وجودا من الاخر ولا يجوز أن يستفاد الوجود الاكمل من الشيء الاخس فلا يجوز أن يكون البتة الى معلول قصد صادق والا كان القصد معطيا ومفيد الوجود ما هو أكمل وانما يقصد بالواجب شيء يكون القصد منها له ومفيد وجوده شيء آخر وكل قصد ليس عبثا فانه يفيد كمالا ما لقاصد ولو لم يقصد لم يكن ذلك الكمال حاصلا أن

يكون المستكمل وجوده بالعلة يفيد العلة كالا لم يكن فالعالي اذا لا يريد امر الاجل السافل وانما هو يريد لما هو اعلى منه وهو التشبيه بالاول بقدر الامكان ولا يجوز ان يكون الغرض تشبها بجسم من الاجسام السموية وان كان تشبه السافل بالعالي اذ لو كان كذلك لكانت الحركة من نوع حركة ذلك الجسم ولم يكن مخالفا له واسرع في كثير من المواضع ولا يجوز أن يكون الغرض شيئا يوصل اليه (٥٤) بالحركة بل شيئا موجودا غير جواهر الافلاك من موادها وانفسها وبقي ان يكون لكل واحد من الافلاك شوق تشبه بجوهر عقلي مفارق يخصه ويختلف الحركات وافعالها واحوالها اختلافها الذي لها لاجل ذلك وان كنا لا نعرف كيفيتها وكميتها وتكون العلة الاولى متشوقا للجميع الاشتراك وهذا معنى قول القدماء ان للكل محركا واحدا معشوقا ولكل كرة محركا يخصها ومعشوقا يخصها فيكون اذا لكل فلك نفس محركة تعقل الخير لها وبسبب الجسم تخيل أي تصور الجزئيات وارادة لها ثم يلزمها حركات تعادونها لزوما بالقصد الاول حتى ينتهي الى حركة الفلك الذي يلينا ومدبرها العقل الفعال ويلزم الحركات السموية حركات العناصر على مثال تناسب حركات الافلاك وتعد تلك الحركات موادها لقبول الفيض من العقل الفعال فيعطيها صوره على قدر استعداداتها كما قررنا فقد تبين لك أسباب الحركات ولوازمها وستعلم بواقيها في الطبيعيات * المسئلة الثامنة في العناية الازلية وبيان دخول الشر في القضاء قال الغزالي هي كون الاول عالما لذاته بما عليه الوجود في نظام الخير وعالما لذاته بالخير والكمال بحسب الامكان وراضيا به على النحو المذكور فيتعقل نظام الخير على الوجه الابلغ في الامكان فيفيض منه ما يعلقه نظاما وخيرا على الوجه الابلغ الذي يعقله فيفيض نظاما على أتم تادية الى النظام بحسب الامكان فهذا هو معنى العناية والخير يدخل في القضاء الالهي دخول بالذات لا بالعرض والشر بالعكس منه

والشفاعة الثانية في اخراج اهل الكبائر من النار طبقة طبقة على ما صح في ذلك الخبر واما قول الله تعالى * قل لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا املك لنفس لنفس شيئا * فما حال الفنام في هذا اصلا وليس هذا من الشفاعة في شيء فنعم لا يملك لاحد نفعا ولا ضرا ولا رشدا ولا هدى وانما الشفاعة رغبة الى الله تعالى وضراعة وعاء وقال بعض منكري الشفاعة ان الشفاعة ليست الا في المحسنين فقط واحتجوا بقوله تعالى * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * (قال أبو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان من اذن الله في اخراجه من النار وادخله الجنة واذن للشافع في الشفاعة له في ذلك فقد ارتضاه وهذا حق وفضل لله تعالى على من قد غفر له ذنوبه بان رجحت حسناته على كبائره او بان لم تكن له كبيرة او بان تاب عنها فهو ممن له عن شفاعة كل شافع فقد حصلت له الرحمة والفوز من الله تعالى وأمر به الى الجنة ففيما اذا يشفع له وانما الفقير الى الشفاعة من غلبت كبائره حسناته فادخل النار ولم يأذن تعالى باخراجه منها الا بالشفاعة وكذلك الخلق في كونهم في الموقف هم ايضا في مقام شنيع فهم ايضا محتاجون الى الشفاعة وبالله تعالى التوفيق وبما صحت الاخبار من ذلك نقول

(واما الميزان) فقد انكره قوم فخالفوا كلام الله تعالى جرأة واقداما وتقطع آخرون فقالوا هو ميزان بكفتين من ذهب وهذا اقدام آخر لا يحل قال الله عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم *

(قال ابو محمد) وأمور الاخرة لا تعلم الا بما جاء في القرآن او بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليات عنه عليه السلام شيء يصح في صفة الميزان ولو صح عنه عليه السلام في ذلك شيء لقلنا به فاذ لا يصح عليه السلام في ذلك شيء فلا يحل لاحد ان يقول على الله عز وجل ما لم يخبرنا به لكن نقول كما قال الله عز وجل * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة * الى قوله * وكفى بنا حاسبين * وقال تعالى * والوزن يومئذ الحق * وقال تعالى * فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية واما من خفت موازينه فامه هاوية * فنقطع على ان الموازين توضع يوم القيامة لوزن اعمال العباد قال تعالى عن الكفار * فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا * وليس هذا على ان لا توزن اعمالهم بل توزن لكن اعمالهم شائلة وموازينهم خفاف قد نص الله تعالى على ذلك اذ يقول * ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون * الى قوله * ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون * فاخبر عز وجل ان هؤلاء المكذبين بآياته خفت موازينهم والمكذبون بآيات الله عز وجل كفار بلا شك ونقطع على ان تلك الموازين اشياء يبين الله عز وجل بها لعباده مقادير اعمالهم من خير أو شر من مقدار الذرة التي لا تحس وزنها في موازيننا أصلا فما زاد ولا ندري كيف تلك الموازين الا اننا ندري انها بخلاف موازين الدنيا وان ميزان من تصدق بدينار أو بلوزة اثقل ممن تصدق بكذانة وليس

وهو على وجوه فيقال شر لمثل النقص الذى هو الجهل والضعف والتشويه فى الخلق ويقال شر لمثل الآلام والغم ويقال شر لمثل الشرك والظلم والزنا وبالجملة الشر بالذات هو العدم ولا كل عدم بل عدم مقتضى طباع الشىء من الكمالات الثابتة لنوعه وطبيعته والشر بالعرض هو المعدم والحابس للكمال عن مستحقه والشر بالذات ليس بأمر حاصل الا ان يخبر عن لفظه ونوكان له حصول ما لكان الشر العام وهذا الشر يقابله الوجود على كماله الاقصى أن يكون (٥٥) بالفعل وليس فيه ما بالقوة أصلا فلا

وليس هذا وزنا وندرى ان اثم القاتل اعظم من اثم اللاطم وان ميزان مصلى الفريضة أعظم من ميزان مصلى التطوع بل بعض الفرائض أعظم من بعض فقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من صلى الصبح فى جماعة كمن قام ليلة ومن صلى العتمة فى جماعة كمن قام نصف ليلة وكلاهما فرض وهكذا جميع الاعمال فانما يوزن عمل العبد خيره بشره ولو نصح المعتزلة انفسهم لعلموا ان هذا عين العدل واما من قال بما لا يدرى ان ذلك الميزان ذو كفتين فانما قاله قياسا على موازين الدنيا وقد اخطا فى قياسه اذ فى موازين الدنيا ما لا كفة له فالقرسطون(١) واما نحن فانما اتبعنا النصوص الواردة فى ذلك فقط ولا نقول الا بما جاء به قرآن أو سنة صحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا ننكر الا ما لم يات فيها ولا نكذب الا بما فيهما ابطاله وبالله تعالى التوفيق

(وأما الحوض) فقد صحت الاثار فيه وهو كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم ولمن يرد عليه من امته ولا ندرى لمن انكره متعلقا ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا وغيره وبالله تعالى التوفيق

(واما الصراط) فقد ذكرناه فى الباب الاول الذى قبل هذا وانه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوضع الصراط بين ظهرانى جهنم ويمر عليه الناس فمخدوش (٢) وناج ومكردس (٣) فى نار جهنم وان الناس يمرون عليه على قدر اعمالهم كمر الطرف فما دون ذلك الى من يقع فى النار وهو طريق اهل الجنة اليها من المحشر فى الارض الى السماء وهو معنى قول الله تعالى * وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا . واما كتاب الملائكة لاعمالنا فحق قال الله تعالى . وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال تعالى . انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون . وقال تعالى . وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا اقرا كتابك . وقال تعالى . اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد

(قال ابو محمد) وكل هذا ما لا خلاف فيه بين أحد ممن ينتمى الى الاسلام الا انه لا يعلم أحد من الناس كيفية ذلك الكتاب

(عذاب القبر) قال ابو محمد ذهب ضرار بن عمرو الغطفانى أحد شيوخ المعتزلة الى انكار

(١) اراد بالقرسطون بفتحتين فسكون ميزانا ليس بذى كفتين ولم اعثر عليه بهذا المعنى وهو ليس بعربى ولعله عنى به القبان وهو ميزان معروف لا كفة له

(٢) (٣) المخدوش من الخدش وهو قشر الجلد بعود أونحوه والمكردس الذى جمع يديه ورجلاه وألقى فيها ولفظ الحديث عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفة القيامة وجواز الناس على الصراط فمنهم مسلم ومخدوش ومنهم مكردس فى نار جهنم اه ومسلم بالتشديد على صيغة اسم المفعول اى ناج لمصححه

يلحقه شر وأما الشر بالعرض فله وجود ما وانما يلحق ما فى طباعه أمر بالقوة وذلك لاجل المادة فيلحقها الامر يعرض لها فى نفسها وأول وجودها هيئة من الهيئات المانعة لاستعدادها الخاص للكمال الذى توجهت اليه فتجعله أردى مزاجا وأعصى جوهرا لقبول التخطيط والتشكيل والتقويم فتشوهت الخلقة وانقضت البنة لا لان الفاعل قد حرم بل لان المنفعل لا يقبل وأما الامر الطارىء من خارج فاحد شيئين اما مانع للمكمل وأما مضاد ما حق الكمال مثال الاول وقوع سحب كثيرة وترا كمها واظلال جبال شاهقة يمنع تاثير الشمس فى الثمار على الكمال ومثال الثانى حسن البرد للنبات المصيب لكماله وفى وقته حتى يفسد الاستعداد الخاص ويقال شر للافعال المذمومة ويقال شر لمباديها من الاخلاق مثال الاول الظلم والزنا ومثال الثانى الحقد والحسد ويقال شر للالام والغموم ويقال شر لنقصان كل شىء عن كماله والضابط لكله أما عدم وجود واما عدم كمال فيقول الامور اذا نوهيت موجودة فاما أن تمنع أن يكون الاخير ا على الاطلاق أو شرا على الاطلاق أو خيرا من وجه وهذا القسم اما أن يتساوى فيه الخير والشر أو الغالب فيه احدهما وأما الخير المطلق الذى لا شر فيه فقد وجد فى الطبع والخلقة وأما الشر المطلق الذى لا خير فيه أو الغالب فيه ان المساوى فلا وجود له أصلا فبقى ما فى الغالب وجوده الخير وليس يخلو عن شر فالاحرى به أن يوجد فان لا كونه

اعظم شرا من كونه فواجب ان يفيض وجوده من حيث يفيض منه الوجود لئلا يفوت الخير الكلى لوجود الشر الجزئى وايضا
لو امتنع وجود ذلك الخير من الشر امتنع وجود اسبابه التى تؤدى الى الشر بالعرض فكان فيه اعظم حال فى نظام الخير
الكلى بل وان لم يثبت الى ذلك وصيرنا التفاتنا الى ما ينقسم اليه الامكان في الوجود من اصناف الموجودات المختلفة فى احوالها
وكان الوجود اليراء من الشر (٥٦) من كل وجه قد حصل وبقى نمط من الوجود انما يكون على سبيل أن لا يوجد الا

عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج وذهب اهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي
وسائر المعتزلة الى القول به وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم به
(قال ابو محمد) وقد احتج من انكره بقول الله تعالى . ربنا امتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين *
وبقوله تعالى * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية
(قال أبو محمد) وهذا حق لا يدفع عذاب القبر لان فتنة القبر وعذابه والمسألة انما هي
للروح فقط بعد فراقه للجسد اثر ذلك قبر او لم يقبر برهان ذلك قول الله تعالى * ولو ترى
اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم * الآية وهذا
قبل القيامة بلا شك وأثر الموت وهذا عذاب القبر وقال * انما توفون أجوركم يوم القيامة *
وقال تعالى فى آل فرعون النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل
فرعون اشد العذاب * فهذا العرض المذكور هو عذاب القبر وانما قيل عذاب القبر فاضيف
الى القبر لان المعهود فى اكثر الموتى انهم يقبرون وقد علمنا ان فيهم اكيل السبع والغريق
تاكله دواب البحر والمحرق والمصلوب والمعلق فلو كان على ما يقدر من يظن انه لا عذاب
الا فى القبر المعهود لما كان لهؤلاء فتنة ولا عذاب قبر ولا مسالة ونعوذ بالله من هذا بل
كل ميت فلا بد له من فتنة وسؤال وبعد ذلك سرور أو نكد الى يوم القيامة فيوفون حينئذ
أجورهم وينقلبون الى الجنة أو النار وأيضا فان جسد كل انسان فلا بد من العود الى التراب
يوما ما كما قال الله تعالى * منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى * فكل من
ذكرنا من مصلوب أو معلق او محرق او أكيل سبع أو دابة فانه يعود رمادا أو رجيعا أو يتقطع
فيعود الى الارض ولا بد وكل مكان استقرت فيه النفس أثر خروجها من الجسد فهو قبرها
الى يوم القيامة وأما من ظن ان الميت يحيى في قبره فخطأ لان الآيات التى ذكرنا تمنع من
ذلك ولو كان ذلك لكان الله تعالى قد أماتنا ثلاثا وأحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القرآن الا
من أحياء الله تعالى آية لنبي من الانبياء * والذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم احياهم * و * الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال اني يحيي هذه
الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه * وكذلك الله قوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين
موتها * الى قوله * الى أجل مسمى * فصح بنص القرآن ان روح من مات لا يرجع الى
جسده الا الى أجل مسمى وهو يوم القيامة وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
رأى الارواح ليلة اسرى به عند سماء الدنيا عن يمين آدم عليه السلام ارواح اهل السعادة
وعن شماله ارواح اهل الشقاء واخبر عليه السلام يوم بدر اذ خاطب القتلى واخبرانهم وجدوا
ما توعدهم به حقا قبل ان يكون لهم قبور فقال المسلمون يا رسول الله اتخاطب قوما قد جيفوا
فقال عليه السلام ما انتم باسمع لما اقول منهم فلم ينكر عليه السلام على المسلمين قولهم أنهم قد
جيفوا واعلمهم انهم سامعون فصح ان ذلك لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلا حس له

الكل بلا شرور ما فيه شر ولا يؤدى الى شرور فيلزم من
(قال
قبيحة مشوهه لو لم يكن ذلك لم يكن النظام الكلى يثبت فلم يعبأ ولم يلتفت الى اللوازم الفاسدة التى تعرض بالضرورة وقبل
خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالى وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالى وكل ميسر لما خلق له * المسئلة العاشرة فى المعاد واثبات سعادات

الكلى الوجود الخير الكلى لوجود الشر الجزئى وايضا
النار فان الكون انما يتم
بان يكون فيه نار ولن
يتصور حصولها الا على
وجه يحرق ويسخن ولم
يكن بد من المصادمات
الحادثة أن تصادف النار
ثوب فقير ناسك فيحترق
والامر الدائم الاكثرى
حصول الخير من النار
فاما الدائم فلان أنواعا
كثيرة لا يستحفظ على
الدوام الا بوجود النار
واما الاكثر فلان أكثر
اشخاص الانواع فى كنف
السلامة من الاحراق فما
كان يحسن ان يترك المنافع
الاكثرية والدائمة لاعراض
شرية اقلية فاريدت الخيرات
الكائنة عن مثل هذه الاشياء
ارادة أولية على الوجه الذى
يصلح ان يقال ان الله
تعالى يريد الاشياء ويريد
الشر ايضا على الوجه الذى
بالعرض فالخير مقتضى
بالذات والشر مقتضى
بالعرض وكل بقدر فالحاصل
ان الكل انما رتبت فيه
القوى الفعالة والمنفعلة
السموية والارضية الطبيعية
والنفسانية بحيث تؤدى
الى النظام الكلى مع استحالة
احوال العالم بعضها بالقياس الى بعض ان يحدث في نفس صورة اعتقاد ردىء أو كفر او شر آخر يحدث فى بدن صورة

دائمة للنفوس واشارة الى النبوة وكيفية الوحي والالهام والتقدم على الخوض فيها أصولا ثلاثة الاصل الاول أن لكل قوة نفسانية لذة وخير يخصها وأذى وشر يخصها وحيث ما كان المدرك اشد ادراكا وأفضل ذاته والمدرك أكمل موجودا واشرف ذاتا وادوم ثباتا فاللذة أبلغ وأوفر * الاصل الثاني * انه قد يكون الخروج الى الفعل وكمال ما بحيث يلم ان المدرك لذيذ ولكن لا يتصور كيفيته ولا يشعر به فلم شتق اليه ولم ينزع نحوه ويكون حال المدرك حال الاصم والاعمى (٥٧) المتيقين برطوبة اللحم وملاحة الوجه من غير شعور وتصور وادراك * الاصل الثالث * ان الكمال والامر الملائم قد تيسر للقوة الدراكة وهناك مانع أو شاغل للنفس فتكرهه وتؤثر ضده وتكون القوة المميزة بضدها هو كالعافلا يحس به كالمريض والمخمور فاذا زال العائق عاد الى واجبه في طبعه فصدقت شهوته واشتهت طبيعته وحصل له كمال اللذة فنقول بعد تمهيد الاصول ان النفس الناطقة كالها الخاص بها ان يصير عالما عقليا مرتسما فيها صورة الكل والنظام المعقول في الكل والخير الفائض من واهب الصور على الكل مبتداه من المبداء أو سالكا الى الجواهر الشريفة الروحانية المطلقة ثم الروحانية المتعلقة نوعا ما بالابدان ثم الاجسام العلوية بهيئاتها وقواها ثم كذلك حتى يستوفي نفسها هيئة الوجود كله فيصير عالما معقولا موازيا للعالم الموجود كله مشاهدا لما هو الحسن المطلق والخير والبهاء الحق ومتحدا به ومتشبها في سلكه ومنخرطا بسلكه وصائرا من جوهره فهذا

٨ — فصل — في الملل رابع)

الكمال لا يقاس بسائر الكمالات وداود واما لذة وسعادة بل هذه اللذة أعلى من اللذات الحسية وأعلى من الكمالات الجسمانية بل لا مناسبة له بينها في الشرف والكمال وهذه السعادة لا تتم له الا باصلاح الخير والعمل من النفس وتهذيب الاخلاق والخلق ملكة يصدر بها عن النفس افعال ما بسهولة من غير تقدم رؤية وذلك باستعمال المتوسط بين الخلقين المتضادين لا بان يفعل افعال

(قال ابو محمد) ولم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر يصح ان ارواح الموتى ترد الى اجسادهم عند المسالة ولو صح ذلك عنه عليه السلام لقلنا به فاذ لا يصح فلا يحل لاحد ان يقوله وانما انفرد بهذه الزيادة من رد الارواح المنهال بن عمرو وحده وليس بالقوي تركه شعبة وغيره وسائر الاخبار الثابتة على خلاف ذلك وهذا الذي قلنا هو الذي صح ايضا عن الصحابة رضي الله عنهم لم يصح عن احد منهم غير ما قلنا كما حدثنا محمد بن سعيد بن بيان حدثنا اسماعيل بن اسحاق حدثنا عبدي بن حبيب حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن محمد عبد الله بن يزيد المقرى عن جده محمد بن عبد الله عن سفيان بن عيينة عن منصور ابن صفية عن أمه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن الزبير مطروحا قبل أن يصاب فقيل له هذه اسماء بنت ابي بكر الصديق فمال اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشيء وان الارواح عند الله فقالت اسماء وما يمنعني وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا الى بغي من بغايا بني اسرائيل وحدثنا محمد بن بيان ثنا أحمد بن عون الله حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا محمد بن عبد السلام الحسيني ثنا ابو موسى محمد بن المثنى الزمن ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحق السبيعي عن ابي الاحوص عن ابن مسعود في قول الله عز وجل * ربنا أمتنا اثنتين واحييتنا اثنتين . قال ابن مسعود هي التي في البقرة . وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * فهذا ابن مسعود واسماء بنت أبي بكر الصديق وابن عمر رضي الله عنهم ولا مخالف من الصحابة رضي الله عنهم تقطع اسماء وابن عمر على ان الارواح باقية عند الله وان الجثث ليست بشيء ويقطع ابن مسعود بان الحياة مرتان والوفاة كذلك وهذا قولنا وبالله التوفيق

(قال أبو محمد) وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى موسى عليه السلام قائما في قبره يصلي ليلة الاسراء واخبر انه رآه في السماء السادسة أو السابعة وبلا شك انما رأى روحه واما جسده فوارى بالتراب بلا شك فلي هذا في موضع كل روح يسمى قبرا فتذهب الارواح حينئذ ولا تسأل حيث كانت والله تعالى التوفيق

(مستقر الارواح) قال ابو محمد اختلف الناس في مستقر الارواح وقد ذكرنا بطلان قول اصحاب التناسخ في صدر كتابنا هذا والحمد لله رب العالمين فذهب قوم من الروافض الى ان ارواح الكفار ببرهوت وهو بئر بحضرموت وان ارواح المؤمنين بموضع آخر أظنه الجابية وهذا قول فاسد لانه لا دليل عليه أصلا وما لا دليل عليه فهو ساقط ولا يعجز أحد عن ان يدعي للارواح مكانا آخر غير ما ادعاه وما كان هكذا فلا يدين به الا مخذول وبالله تعالى التوفيق وذهب عوام اصحاب الحديث الى ان الارواح على أفنية قبورها وهذا قول لا حجة له اصلا تصححه الاخبار ضعيف لا يحتج بمثله لانه في غاية السقوط لا يشتغل به أحد من علماء الحديث وما كان هكذا فهو ساقط ايضا وذهب ابو الهذيل العلاف والاشعرية

بمثاله وصائرا من جوهره فهذا

المتوسط بل بان يحصل ملكة التوسط فيحصل فى القوة الحيوانية هيئة الاذعان وفى القوة الناطقة هيئة الاستعلا ومعلوم ان ملكة الافراط والتفريط مقتضيا للقوى الحيوانية فاذا قويت حدثت فى النفس الناطقة هيئة اذعانية قدرسخت فيها من شانها ان تحملها قوى العلاقة مع البدن والانصراف اليه وأما ملكات التوسط فهى من مقتضيات الناطقة واذا قويت قطعت العلاقة من البدن فسعدت السعادة الكبرى ٥٨ ثم للنفوس مراتب فى اكتساب مابين هاتين القوتين أعنى العلمية والعملية والتقصير فيهما

فلم ينبغى ان يحصل عند نفس الانسان من تصور المعقولات والتخلق بالاخلاق الحسنة حتى تجاوز الحد الذى فى مثله يقع فى الشقاوة الابدية وأى تصور وخلق يوجب له بالشقاء المؤبد واى تصور وخلق يوجب له السعادة الموقت قال فليس يمكننى ان أنص عليه الا بالتقريب وليته سكت عنه وقيل فدع عنك الكتابة لست منها ولو سودت وجهك بالمداد قال وأظن ذلك أن يتصور نفس الانسان المبادى المفارقة بصورا حقيقيا وتصدق بها تصديقا يقينيا لوجودها عنده بالبرهان ويعرف العلل الفاعلة للامور الواقعة فى الحركات الكلية دون الجزئية التى لاتتناهى ويتقرر عنده هيئة الكل ونسب أجزائه بعضها الى بعض والنظام الآخذ من المبدأ الاول الى اقصى الموجودات الواقعة فى ترتيبه ويتصور العناية وكيفيتها ويتحقق ان الذات المتقدمة للكل أى وجود يخصها واية وحدة يخصها وانه كيف يعرف حتى لا يلحقها تكثر وتغير بوجه وكيف ترتيب نسبة الموجودات اليها وكلما ازداد استبصارا ازداد للسعادة استعدادا وكانه ليس يتبرأ والانسان عن هذا العالم وعلائقه الا ان يكون أكد العلاقة مع ذلك العالم فصار له شوق وعشق الى ماهناك يصده عن الالتفات الى ماخلفه جملة ثم ان النفوس والقوى الساذجة التى لم تكتسب هذا الشوق ولا تصورت هذه التصورات فان كانت

الى ان الارواح أعراض تفنى ولا تبقى وقتين فاذا مات الميت فلا روح هنالك أصلا ومن عجائب اصحاب هذه المقالة الفاسدة قولهم ان روح الانسان الان غير روحه قبل ذلك وانه لاينفك تحدث له روح ثم تفنى ثم روح ثم تفنى وهكذا ابدا وان الانسان يبدل الف الف روح واكثر فى مقدار اقل من ساعة زمانية وهذا يشبه تخليط من هاج به البرسام وزاد بعضهم فقال ان صحت الآثار فى عذاب الارواح فان الحياة ترد الى أقل جزء لا يتجزأ من الجسم فهو يعذب وهذا أيضا حمق آخر ودعاوى فى غاية الفساد ويلغى عن بعضهم انه يزعم أن الحياة ترد الى عجب الذنب فهو يعذب أو ينعم وتعلق بالحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يا كله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا الخبر صحيح الا انه لاحجة فيه لانه ليس فيه ان عجب الذنب يحيا ولا انه يركب فيه حياة ولا انه يعذب ولا ينتقم وهذا كله مفحم فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم وانما فى الحديث ان عجب الذنب خاصة لا ياكله التراب فلا يحول ترابا وانه منه ابتداء خلق المرء ومنه يبتدأ انشؤه ثانية فقط وهذا خارج احسن خروج على ظاهره وان عجب الذنب خاصة تتبدد اجزاؤه وهى عظام تحسها لا تحول ترابا وان الله تعالى يبتدىء الانشاء الثانى يجمعها ثم يركب تمام الخلق للانسان عليه وانه اول ماخلق من جسم الانسان ثم ركب عليه سائره واذ هذا ممكن لولايات به نص فخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم احق بالتصديق من كل خبر لانه عن الله عز وجل قال تعالى * هو أعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون أمهاتكم * وقال تعالى * ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم * وقال أبو بكر بن كيسان الاصم لا ادرى ماالروح ولم يثبت شيء غير الجسد

(قال ابو محمد) وسنبين ان شاء الله تعالى فساد هاتين المقالتين فى باب الكلام فى الروح والنفس من كتابنا هذا بحول الله وقوته والذى نقول به فى مستقر الارواح هو ماقاله الله تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم لا يبتدأ فهو البرهان الواضح وهو ان الله تعالى قال * واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وقال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا * فصح ان الله عز وجل خلق الارواح جملة وهى الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف

(قال ابو محمد) وهى العاقلة الحساسة واخذه عز وجل عهدها وشهادتها وهى مخلوقة مصورة عاقلة قبل أن يامر الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام وقيل أن يدخلها فى الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها تعالى حيث شاء لان الله تعالى ذكر ذلك بلفظة ثم التى توجب التعقيب والمهلة ثم اقرها عز وجل حيث شاء وهو البرزخ الذى ترجع اليه عند

بقيت على ساذجيتها واستقرت فيها هيئات صحيحة اقناعية وملكات حسنة خلقية سعدت بحسب ما اكتسبت اما اذا كان الامر بالضد من ذلك او حصلت اوائل الملكة العملية وحصل لها شوق قد تبع رأيا مكتسبا الى كمال حالها فصدها عن ذلك عائق مضاد فقد شقي الشقاء الابدي وهؤلاء اما مقصورون في السعي لتحصيل الكمال الانساني واما معاندون متعصبون للآراء فاسدة مضادة للآراء الحقيقية والجاحدون اسوأ حالا والنفوس البليدة ادنى من الخلاص في فطانة تعرالكن ٩٠ النفوس اذا فارقت وقد رسخ فيها نحو من الاعتقاد في العاقبة على مثل ما يخاطب به العامة ولم يكن لهم معنى جاذب الى الجهة التي فوقهم لاكمال فقد ذلك السعادة ولا عدم كمال فتشقى ذلك الشقاوة بل جميع هيآتهم النفسانية متوجهة نحو الاسفل منجذبة الى الاجسام ولا بد لها من تخيل ولا بد للتخيل من أجسام قال فلا بد لها من أجرام سماوية تقوم بها القوة المتخيلة فتشاهد ما قيل لها في الدنيا من احوال القبر والبعث والخيرات الاخروية وتكون الانفس الرديئة أيضا تشاهد ألقاب المصور لهم في الدنيا وتقاسيه فان الصورة الخيالية ليست تضعف عن الحسية بل تزداد تأثيرا كما تشاهد في المنام وهذه هي السعادة والشقاوة بالقياس الى الانفس الحسية واما الانفس المقدسة فانها تبعد عن مثل هذه الاحوال وتتصل عن كثب بالذات وتتغمس في اللذة الحقيقية ولو كان بقي فيها اثر من ذلك اعتقادي او خلقي تأذت به وتخلفت عن درجة عليين الى ان ينفسخ قال والدرجة الاعلى فيما ذكرنا من له النبوة اذ في قواه النفسانية خصائص ثلاث نذكره في الطبيعيات فيها يسمع كلام الله ويرى ملائكته المقربين وقد تحولت على صورتيهما وكما ان الكائنات ابتدأت من الاشرف فالاشرف حتى ترقت في الصعود الى العقل الاول ونزلت في الانحطاط الى المادة وهي الاخس كذلك ابتدأت من الاخس حتى بلغت النفس الناطقة وترقت الى درجة النبوة ومن المعلوم ان نوع الانسان محتاج الى اجتماع ومشاركة في

الموت لا تزال يبعث منها الجملة بعد الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المني المتحدر من أصلاب الرجال وارحام النساء كما قال تعالى * الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وقال عز وجل * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما * الآية وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجمع خلق ابن آدم في بطن أمه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح وهذا نص قولنا والحمد لله فيلوم الله عز وجل في الدنيا كما شاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ الذي رآها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به عند سماء الدنيا ارواح أهل السعادة عن يمين آدم عليه الصلاة والسلام وارواح أهل الشقاوة عن يساره عليه السلام وذلك عند منقطع العناصر وتعجل أرواح الانبياء عليهم السلام وارواح الشهداء الى الجنة وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحاق بن راهويه انه ذكر هذا القول الذي قلنا بعينه وقال علي هذا أجمع أهل العلم

(قال ابو محمد) وهو قول جميع اهل الاسلام حتى خالف من ذكرنا وهذا هو قول الله عز وجل * واصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم * وقوله تعالى * فاما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين * ولا تزال الارواح هنالك حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها في اجسادها ثم يرجوعها الى البرزخ المذكور فتقوم الساعة ويعيد عز وجل الارواح ثانية الى الاجساد وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق في الجنة وفريق في السعير مخلدين ابدا

(قال ابو محمد) قول بعض الاشعرية معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في العهد المأخوذ في قول الله عز وجل * واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم * ان اذ ها هنا بمعنى اذا فقول في غاية السقوط لوجوه خمسة اولها انه دعوى بلا دليل والثانية ان اذ بمعنى اذا لا يعرف في اللغة وثالثها انه لو صح له تأويله هذا الفاسد وهو لا يصح لكان كلاما لا يعقل ولا يفهم وانما اورده عز وجل حجة علينا ولا يحتج الله عز وجل الا بما يفهم لا بما لا يفهم لان الله تعالى قد تطول علينا باسقاط الاصر عنا ولا اصر اعظم من تكليفنا فهم ما ليس في بنيتنا فهمه ورابعها انه لو كان كما ادعى لما كان على ظهر الارض الا مؤمن والعيان يبطل هذا لاننا نشاهد كثيرا من الناس لم يقولوا قط بربنا الله ممن نشأ على الكفر وولدت عليه الى ان مات وممن يقول بان العالم لم يزل ولا يحدث له من الاوائل والاواخر وخامسها ان الله عز وجل انما اخبر بهذه الآية عما فعل ودل بذلك على ان الذكر يعود بعد فراق الروح للجسد كما كان قبل حلوله فيه لانه تعالى اخبرنا انه اقام علينا الحجة بذلك الاشهاد

دليلا كراهية ان نقول يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين اى عن ذلك الاشهاد المذكور فصح ان ذلك الاشهاد قبل هذه الدار التى نحن فيها التى اخبرنا الله عزوجل فيها بذلك الخبر وقبل يوم القيمة ايضا فبطل بذلك قول بعض الاشعرية وغيرها وصح ان قولنا هو نص الآية والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وانما أتى المخالفون منهم انهم عقدوا على اقوال ثم راموا رد كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها وهذا هو الباطل الذى لا يحل ونحن ولله الحمد انما اتينا الى ماذله الله عزوجل وماصح عن رسوله صلى الله عليه وسلم فقلنا به ولم نحكم فى ذلك بطرا ولا هوى ولا رددنا هيا الى قول أحد بل رددنا جميع الاقوال الى نصوص القرآن والسنن والحمد لله رب العالمين كثيرا وهذا هو الحق الذى لا يحل تعديه

(قال أبو محمد) وأما أرواح الانبياء عليهم السلام فهم الذين ذكر الله تعالى انهم المقربون فى جنات النعيم وانهم غير اصحاب اليمين وكذلك اخبر عليهم السلام انه رآهم فى السموات ليلة أسرى به فى سماء سماء، وكذلك الشهداء أيضا هم فى الجنة لقول الله عزوجل . ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . وهذا الرزق للارواح بلا شك ولا يكون الا فى الجنة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث الذى روى نسمة المؤمن طائر يعلق من ثمار الجنة ثم تاوى الى قناديل تحت العرش ورويناهذا الحديث مبينا من طريق ابن مسعود رضى الله عنه وانهم الشهداء وبهذا تتالف الاحاديث والآيات والحمد لله رب العالمين فان قال قائل كيف تخرج الانبياء عليهم السلام والشهداء من الجنة الى حضور الموقف يوم القيمة قيل له وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر شهادة القرآن والحديث الصحيح بدخول الجنة والخروج عنها قبل يوم القيمة فقد خلق الله عزوجل فيها آدم عليه السلام وحواء ثم أخرجهما منها الى الدنيا والملائكة فى الجنة ويخرجون منها برسالات رب العالمين الى الرسل والانبياء الى الدنيا وكل ماجاء به نص قرآن أو سنة فلا ينكره الا جاهل أو مغفل او رديء الدين واما الذى ينكر ولا يجوز ان يكون البتة فخروج روح من دخل الجنة الى النار فالمنع من هذا اجماع من جميع الامة متيقن مقطوع به وكذلك من دخلها يوم القيمة جزاء وتفضلا من الله عزوجل فلا سبيل الى خروجه منها ابدا بالنص وبالله تعالى التوفيق .

﴿ الكلام على من مات من اطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ ﴾

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى حكم من مات من اطفال المسلمين والمشركين ذكورهم وانا ثهم فقالت الازارقة من الخوارج اما اطفال المشركين ففى النار وذهبت طائفة الى انه يوقد لهم يوم القيمة نار ويؤمرون باقتحامها فمن دخلها منهم دخل الجنة ومن لم يدخلها منهم ادخل النار وذهب آخرون الى الوقوف فيهم وذهب جمهور الناس الى انهم فى الجنة وبه نقول

الحاجة الى اثبات الشعر على الاشفار والحاجبين فلا يجوز أن تكون العناية الاولى تقضى أمثال تلك المنافع ولا تقضى هذه التى هى أثبتها ولا ان يكون المبدأ الاول والملائكة بعده تعلم تلك ولا تعلم هذا ولا ان يكون مايعمله فى نظام الامر الممكن وجوده الضرورى حصوله لتمهيد نظم الخير لا يوجد بل كيف يجوز أن لا يوجد وماهو متعلق بوجوده فى على وجوده فلابد اذا من نبى هو انسان متميز من بين سائر الناس بآيات تدل على انها من عند ربه يدعوهم الى التوحيد و ينهاهم عن الشرك ويسن لهم الشرائع والاحكام ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن التباغض والتحاسد ويرغبهم فى الاخرة وثوابها ويضرب لهم للسعادة والشقاوة أمثلا تسكن اليها نفوسهم وأما الحق فلا يلوح لهم الا أمرا مجملا وهو ان ذلك شيء لا عين رأته ولا اذن سمعته ثم يكرر عليهم العبادات ليحصل لهم بعده تذكر المعبود بالتكرير والمذكرات اما حركات واما اعدام حركات يفضى الى حركات فالحركات كالصلوات وفى معناها واعدام الحركات كالصيام ونحوه وان لم يكن لهم هذه المذكرات تناسوا جميع ما دعاهم اليه مع انقراض قرن وينعدم ذلك أيضا فى المعاد منفعة عظيمة فان السعادة فى الاخرة تبتريه النفس عن الاخلاق الرديئة والملكات الفاسدة فيقرر لها بذلك هيئة الانزعاج عن البدن وتحصل لها ملكة التسلط عليه فلا ينفعل عنه و يستفيد به ملكة الالتفات

الى جهة الحق والاعراض عن الباطل ويصير شديد الاستعداد ليتخلص الى السعادة بعد المفارقة البدنية وهذه الافعال لو فعلها فاعل ولم يعتقد انها فريضة من عند الله تعالى ، كان مع اعتقاده ذلك يلزمه في كل فعل ان يتذكر الله ويعرض عن غيره لكان جديرا ان يفوز من هذه الزكابحط فكيف اذا استعملها من يعلم ان النبي من عند الله وبارسال الله وواجب الحكمة الالهية ارساله وان جميع ماسنه فانما هو وجب من عند الله ان سنه فانه متميز (٦١) عن سائر الناس بخصائص تدله

(قال ابو محمد) فاما الازارقة فاحتجوا بقول الله تعالى حاكيا عن نوح عليه السلام انه قال * رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا * ويقول روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها قالت يارسول الله اين اطفالي منك قال في الجنة قالت فاطفالي من غيرك قال في النار فاعادت عليه فقال لها ان شئت اسمعتك تضاغيهم وبحديث آخر فيه الوائدة والمودة في النار وقالوا ان كانوا عندكم في الجنة فهم مومنون لانه لايدخل الجنة الا نفس مسلمة فان كانوا مومنين فيلزمكم ان تدفنوا اطفال المشركين مع المسلمين وان لا تركوه يتزيا اذا بلغ دين ابيه فتكون ردة وخروجا عن الاسلام والكفر وينبغي لكم ان ترثوه وتورثوه من اقاربه من المسلمين

(قال ابو محمد) هذا كل ما احتجوا به مايعلم لهم حجة غير هذا اصلا وكلا لاحجة لهم فيه البتة اما قول نوح عليه السلام فلم يقل ذلك على كل كافر بل قال ذلك على كفار قومه خاصة لان الله تعالى قال له ( ) * انه لن يومن من قومك لا من قد آمن * فاين نوح عليه السلام بهذا الوحي انه لايحدث فيهم مؤمن ابدا وان كل من ولدوه ان ولد له لم يكن الا كافرا ولابد وهذا هو نص الاية لانه تعالى حكى انه قال * رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا * وانما اراد كفار وقته الذين كانوا على الارض حينئذ فقط ولو كان للازارقة ادنى علم وفقه لعلموا ان هذا من كلام نوح عليه السلام ليس على كل كافر لكن على قوم نوح خاصة لان ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كان أبواهما كافرين مشركين وقد ولدا خير الانس والجن من المومنين وأكمل الناس ايمانا ولكن الازارقة كانوا اعرابا جهالا كالانعام بل هم اضل سبيلا وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق الاسود بن سريع التميمي انه عليه السلام قال اوليس خياركم اولاد المشركين

(قال ابو محمد) وهل كان افاضل الصحابة رضي الله عنهم الذين يتولاهم الازارقة كابن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وخديجة ام المومنين وغيرهم رضي الله عنهم الا اولادا لكفار فهل ولدابارهم كفارا وهل ولدوا الا أهل الايمان الصريح ثم آباء الازارقة انفسهم كوالد نافع ابن الازرق وغيرهم من شيوخهم هل كانوا الا اولادا لمشركين ولكن من يضلل الله فلا هادي له واما حديث خديجة رضي الله عنها فساقط مطرح لم يروه قط من فيه خير وأما حديث الوائدة فانه جاء كما نذكره حدثنا يوسف بن عبد البر انا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن اصبغ حدثنا بكر بن حماد حدثنا مسدد عن المعتمر بن سليمان التيمي قال سمعت داود بن ابي هند يحدث عن عامر الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد الجعفي قال

(١) اى في قوله تعالى واوحى الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد آمن

واحب الطاعة بآيات ومعجزات دلت على صدقه وسيأتي شرح ذلك في الطبيعيات لكنك تحدس مما سلف اذا ان الله كيف رتب النظام في الموجودات وكيف سخر الهيولى مطيعة للنفوس الفلكية بل والعقل الفعال بازالة صورة واثبات صورة وحيثما كانت النفس الانسانية أشد استعدادا كانت سبقة للنفوس الفلكية بل وللعقل الفعال كان تأثيرها في الهيولى أشد وأغرب وقد تصفو النفوس صفاء شديد الاستعداد للاتصاف بالعقول المفارقة فيفيض عليها من العلوم مالا يصل اليه من هو في نوعه بالمكر والقياس فبالقوة الاولى يتصرف في الاجرام بالتغليب والاحالة من حال الى حال وبالقوة الثانية يخبر عن غيب ويكلمه ملك فيكون بالانبياء وحيا وبالاولياء الهاما ونحن نبتدئ القول في الطبيعيات المنقولة عن أبي علي بن سينا في الطبيعيات قال ابو علي بن سينا ان للعلم الطبيعي موضوعا ينظر فيه وفي لواحقه كسائر العلوم، موضوعه الاجسام الموجودة بما هي واقعة في التغير وبما هي موصوفة بانحاء الحركات والسكونات وأما مبادىء هذا العلم فمثل تركب الاجسام عن المادة والصورة والقول في حقيقتهما ونسبة كل واحد منهما الى الثاني فقد ذكرناها في العلم الالهي والذي يختص من ذلك التركب بالعلم الطبيعي هو أن تعلم ان الاجسام الطبيعية منها اجسام مركبة من أجسام امامتشابهة الصورة كالسرير وأما مختلفها كبدن الانسان ومنها اجسام مفردة والاجسام المركبة لها أجزاء موجودة

اتيت اناواخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقرى الضيف وتصل الرحم فهل ينفعها من عملها ذلك شيء قال لا قلنا فان أمنا وادت اختا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموؤدة والوائدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فتسلم

* (قال ابو محمد) * وهذه اللفظة يعني لم تبلغ الحنث ليست بلاشك من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها من كلام سلمة بن يزيد الجعفي واخيه فلما اخبر عليه السلام بان تلك الموؤدة في النار كان ذلك انكارا وابطالا لقولهما انها تبلغ الحنث وتصحيحها لانها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظنها لا يجوز الا هذا القول لان كلامه عليه السلام لا يتناقض ولا يتكاذب ولا يخالف كلام ربه عز وجل بل كلامه عليه السلام يصدق بعضه بعضا ويوافق لما اخبر به عز وجل ومعاذ الله من غير ذلك وقد صح اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان اطفال المشركين في الجنة قال الله تعالى * واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت * فنص تعالى على انه لا ذنب للموؤدة فكان هذا مبينا لان اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بان تلك الموؤدة في النار اخبار عن انها قد كانت بلغت الحنث بخلاف ظن اخويها وقد روى هذا الحديث عن داود بن ابي هند محمد بن عدي وليس هو دون المعتمر ولم يذكر فيه لم تبلغ الحنث ورواه ايضا عن داود بن ابي هند عبيدة بن حميد فلم يذكر هذه اللفظة التي ذكرها المعتمر فاما حديث عبيدة فحدثناه احمد بن محمد بن الجسور قال انا وهب بن ميسرة قال حدثنا محمد بن وضاح حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة حدثنا عبيدة ابن حميد عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن علقمة بن قيس عن سلمة بن يزيد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم انا واخي فقلنا يا رسول الله ان امنا كانت تقري الضيف وتصل الرحم في الجاهلية فهل ينفعها ذلك شيئا قال لا قال فانها وأدت اختا لنا في الجاهلية فهل ينفع ذلك اختنا شيئا قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الاسلام فيعفوا الله عنها واما حديث ابن ابي عدي فحدثناه احمد ابن عمر بن انس العذري حدثنا ابو بدر عبد بن احمد الهروي الانصاري حدثنا ابو سعيد الخليل بن احمد السجستاني حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز حدثنا احمد بن محمد بن حنبل حدثنا محمد بن ابي عدي عن داود ابن ابي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة ابن يزيد الجعفي قال انطلقت انا واخي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ان مليكة كانت تصل الرحم وتقري الضيف وتفعل وتفعل هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال لا قال فانها وادت اختا لها في الجاهلية فهل ذلك ينفع اختها قال لا الوائدة والموؤدة في النار الا ان تدرك الوائدة الاسلام فيعفو الله عنها

(قال ابو محمد) هكذا رويناه لها بالهاء على انها اخت الوائد

يتاتى أن يماسه آخر غير مماس الاول وقد ماسه آخر هذا خلف وكذلك في جزء موضوع على جزء متصل وغيره من تركيب المربعات منها المساواة الافطار والاضلاع ومن جهة مسامتات الظل والشمس دلائل على أن الجزء الذي لا يتجزأ محال وجوده فنتكلم بعد هذه المقدمة في مسائل هذا العلم ونحصرها في مقالات * المقالة الاولى في لواحق الاجسام الطبيعية مثل الحركة والسكون والزمان والمكان والخلاء والتناهي والجهات والتماس والالتحام والاتصال والتتالي اما الحركة فيقال على تبدل حال قارة في الجسم يسيرا يسيرا على سبيل التجاه نحو شيء والوصول اليه هو بالقوة وبالفعل فيجب من هذا أن تكون الحركة مفارقة الحال ويجب أن يقبل الحال التنقص والتزيد ويكون باقيا غيره تشابه الحال في نفسه وذلك مثل السواد والبياض والحرارة والبرودة والطول والقصر والقرب والبعد وكبر الحجم وصغره فالجسم اذا كان في مكان فتحرك فقد حصل فيه كمال وفعل أول به يتوصل به الى كمال وفعل ثان هو الوصول فهو في المكان الاول بالفعل وفي المكان الثاني بالقوة فالحركة كمال أول لما بالقوة من جهة ما هو بالقوة ولا يكون وجودها الا في زمان بين القوة المحضة والفعل المحض وليست من الامور التي تحصل بالفعل حصولا قارا مستكملا وقد ظهر انها في كل امر تقبل

بالفعل متناهية وهي تلك الاجسام المفردة التي منها تركبت واما الاجسام المفردة فليس لها في الحال جزء بالفعل وفي قوتها ان تتجزء اجزاء غير متناهية كل واحد منها أصغر من الاخر والتجزيء اما بتفريق الاتصال وأما باختصاص الغرض ببعض منه وأما بالتوهم واذ لم يكن أحد هذه الثلاثة فالجسم المفرد لا جزء له بالفعل قال ومن أثبت الجسم مركبا من أجزاء لا تتجزأ بالفعل فبطلانه بان كل جزء من جزء فقد

التنقص والتزيد وليس شيء من الجواهر كذلك فاذا لاشيء من الحركات في الجوهر وكون الجوهر وفساده ليس بحركة بل هو أمر يكون دفعه وأما الكمية فانها تقبل التزيد والتنقص فخليق أن يكون فيها حركة كالنمو والذبول والتخاخل والتكاثف وأما الكيفية فما يقبل منها التنقص والتزيد والاشتداد كالتبيض والتسود فيوجد فيه الحركة وأما المضاف فابدا عارض لمقولة من البواقي في قبول التنقص والتزيد فاذا أضيف (٦٣) اليه حركة فذلك بالحقيقة لتلك المقولة وأما الاين فان وجود الحركة فيه ظاهر وهو النقلة وامامتى فان وجوده للجسم بتوسط الحركة فكيف يكون فيه الحركة ولو كان كذلك لكان لمتى متى وأما الوضع فان فيه حركة على رأينا خاصة كحركة الجسم المستدير على نفسه اذلو توهم المكان المطيف به معدوما لما امتنع كونه متحركا ولو قدر ذلك في الحركة المكانية لامتنع ومثاله في الموجودات الجرم الاقصى الذي ليس وراءه جسم والوضع يقبل التنقص والاشتداد فيقال انصب وانكس وأما الملك فان ماتبدل الحال فيه تبدل اولا في الاين فاذا الحركة فيه بالعرض واما ان يفعل فتبدل الحال فيه بالقوة اوالعزيمة أو الالة فكانت الحركة في قوة الفاعل أو عزيمته اوآلته أولا وفي الفعل بالعرض على ان الحركة ان كانت خروجا عن هيئة فهي عن هيئة قارة وليس شيء من الافعال كذلك فاذا لاحركة بالذات الا في الكم والكيف والاين والوضع وهو كون الشيء بحيث لايجوز أن يكون على ماهو عليه من اينه وكمه وكيفه ووضعه قبل ذلك ولابعده والكون هو عدم هذه الصورة في مامن شانه أن توجد فيه وهذا العدم له معنى ماويمكن أن يرسم وفرق بين عدم القرنين في الانسان وهو السلب المطلق عقدا وقولا وبين عدم المشي له فهو حالة مقابلة للمشي عند ارتفاع علة المشي وله وجود ماينحو منحى الانحاء وله علة

(قال ابو محمد) وهذا حديث قدرويناه مختصرا كما حدثناه عبد الله ابن ربيع التميمي حدثنا عمر ابن عبد الملك الخولاني حدثنا محمد ابن بكر الوراق البصري حدثنا ابوداود السجستاني حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا يحيى بن زكريا بن ابى زائدة حدثني ابى عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة في النار قال يحيى بن زكريا ابن ابى زائدة قال اني فحدثني ابو اسحق بن عامر حدثه بذلك عن علقمة عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وهذا مختصر وهو على ماذكرنا انه عليه السلام انما عنى بذلك التي بلغت لايجوز غير هذا لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من آبائهم فانما قاله عليه السلام في الحكم لا في الدين ولله تعالى ان يفرق بين احكام عباده ويفعل مايشاء لامعقب لحكمه وايضا فلامتعلق لهم بهذا اللفظ اصلا لانه انما فيه انهم من آبائهم وهذا لاشك فيه انهم توالدوا من آبائهم ولم يقل عليه السلام انهم على دين ابائهم واما قولهم ينبغي ان تصلوا على اطفال المشركين وتورثوهم وترثوهم وان لاتتركوهم يلتزموا دين آبائهم اذا بلغوا فانها ردة فليس لهم ان يعترضوا على الله تعالى فليس ترك الصلاة عليهم يوجب انهم ليسوا مؤمنين فهؤلاء الشهداء وهم افاضل المؤمنين لايصلى عليهم واما انقطاع المواريث بيننا وبينهم فلاحجة في ذلك على انهم ليسوا مؤمنين فان العبد مومن فاضل ولايورث وقد ياخذ المسلم مال عبده الكافر اذا مات وكثير من الفقهاء يورثون الكافر مال العبد من عبيده يسلم ثم يموت قبل ان يباع عليه وكثير من الفقهاء يورثون المسلمين مال المرتد اذا مات كافرا مرتدا أوقتل على الردة وهذا معاذ بن جبل ومعاوية بن ابى سفيان ومسروق بن الاجدع وغيرهم من الائمة رضي الله عنهم يورثون المسلمين من اقاربهم الكفار اذا ماتوا ولله تعالى ان يفرق بين أحكام من شاء من عباده وانما نقف حيث اوقفنا النص ولامزيد وكذلك دفنهم في مقابر ابائهم ايضا وكذلك تركهم يخرجون الى اديان آبائهم اذا بلغوا فان الله تعالى أوجب علينا ان نتركهم وذلك ولانعترض على احكام الله عز وجل ولايسال عما يفعل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الملة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ويشركانه

(قال ابو محمد) فبطل ان يكون لهم في شيء مما ذكروا متعلق وانما هو تشغيب موهوا به لان كل ماذكرنا فانما هي احكام مجردة فقط وليس في شيء من هذه الاستدلالات نص على ان اطفال المشركين كفار ولاعلى انهم غير كفار وهذه النكتتان هما اللتان قصدنا بالكلام فقط وبالله تعالى التوفيق واما من قال فيهم بالوقف فانهم احتجوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذسئل عن الاطفال يموتون فقال عليه السلام الله اعلم بما كانوا عاملين وبقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أم المومنين رضي الله عنها اذا مات صبي من ابناء الانصار فقلت

عصفور من عصافير الجنة فقال لها عليه السلام ومايدريك ياعائشة ان الله خلق خلقا للنار وهم في اصلاب آبائهم

(قال ابو محمد) وهذان الخبران لاحجة لهم في شيء منهما الا انهما انما قالهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يوحي اليه انهم في الجنة وقد قال تعالى آمرا لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول * وما ادري مايفعل بي ولا بكم * قبل ان يخبره الله عز وجل بانه قد غفر له الله ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان بن مظعون رضي الله عنه وما ادري وانا رسول الله مايفعل بي وكان هذا قبل ان يخبره الله عز وجل بانه لايدخل النار من شهد بدرا وهو عليه السلام لايقول الا ماجاءه به الوحي كما امر الله عز وجل ان يقول * ان اتبع الا مايوحى الي فحكم كل شيء من الدين لم يات به الوحي ان يتوقف فيه المرء فاذا جاء البيان فلا يحل التوقف عن القول بما جاء به النص وقد صح الاجماع على ان ماعملت الاطفال قبل بلوغهم من قتل او وطيء اجنبية أو شرب خمر أو قذف أو تعطيل صلاة أو صوم فانهم غير مؤاخذين في الآخرة بشيء من ذلك مالم يبلغوا وكذلك لاخلاف في انه لايؤاخذ الله عز وجل احدا بما لم يفعله بل قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فمن المحال الممتنع أن يكون الله عز وجل يؤاخذ الاطفال بما لم يعملوا مما لو عاشوا بعده لعملوه ولم يؤاخذهم بما عملوا ولا يختلف اثنان في ان انسانا بالغا مات ولو عاش لزنا انه لايؤاخذ بالزنا الذي لم يعمله وقد أكذب الله عز وجل من ظن هذا بقوله الصادق * اليوم تجزى كل نفس ماعملت * وبقوله تعالى هل تجزون الا ماكنتم تعملون * فصح أنه لايجزى أحد بما لم يعمل ولا مما لم يسن فصح ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اعلم بما كانوا عاملين ليس فيه انهم كفار ولا انهم في النار ولا انهم مؤاخذون بما لو عاشوا لكانوا عاملين به مما لم يعملوه بعد وفي هذا احتاطنا لانفسنا عداوانما فيه ان الله تعالى علم مالم يكن ومالا يكون لو كان كيف كان يكون فقط ونعم هذا حق لاشك فيه مسلم فبطل ان يكون لاهل التوقف حجة في شيء من هذين الخبرين اذ لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه المسالة بيان وأما من قال انهم يعذبون بعذاب آبائهم فباطل لان الله تعالى يقول * ولاتكسب كل نفس الا عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى * وأما من قال انهم توقد لهم نار فطل لان الاثر الذي فيه هذه القصة انما جاء في المجانين وفيمن لايبلغه ذكر الاسلام من البالغين على ما نذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فلما بطلت هذه الاقاويل كلها وجب النظر فيما صح من النصوص من حكم هذه المسالة ففعلنا فوجدنا الله تعالى قد قال * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم * وقال عز وجل * قولوا آمنا بالله وما انزل

بالاختيار وأما ان لايصح فيسمى محركا بالطبع والمتحرك بالطبع لايجوز أن يتحرك وهو على حالته الطبيعية لان كل ماقتضاه طبيعة الشيء لذاته ليس يمكن أن يفارقه الا والطبيعة قد فسدت وكل حركة يتعين في الجسم فانما يمكن أن يفارق والطبيعة لم تبطل لكن الطبيعية انما تقتضي الحركة للعود الى حالتها الطبيعية فاذا عادت ارتفع الموجب للحركة وامتنع ان يتحرك فيكون مقدار الحركة على مقدار البعد من الحالة الطبيعية وهذه الحركة ينفي أن تكون مستقيمة ان كانت في المكان لانها لا تكون الا لميل طبيعي وكل ميل طبيعي على اقرب المسافة وكل ماهو على أقرب المسافة فهو على خط مستقيم فالحركة المكانية المستديرة ليست طبيعية ولا الحركة الوضعية فان كل حركة طبيعية فانها تهرب عن حالة غير طبيعية ولا يجوز أن يكون فيه قصد طبيعي بالعود الى مفارقة بالهرب ذلا اختيارها وفي نحو العود فهي اذا غير طبيعية فهي اذا عن اختيار اراد ام لا وان كانت عن غير ارادة فهي ارادة لا طبيعية أو الاختيار وأما الحركات في نفسها فيتطرق اليها الشدة والضعف فيتطرق اليها السرعة والبطء لا يتخلل سكنات وهي قد تكون واحدة بالجنس اذا وقعت في مقولة واحدة او في جنس واحد من الاجناس التي تحت تلك المقولة وقد تكون واحدة بالنوع وذلك اذا كانت ذات جهة مفروضة عن جهة واحدة الى جهة واحدة في نوع واحد

وفى زمن مساو مثل بيض بالتبيض وقد تكون واحدة بالشخص وذلك اذا كانت عن متحرك واحد بالشخص
فى زمان واحد ووحدتها بوجود الاتصال فيها والحركات المتفقة فى النوع لاتتضاد واما تتطابق الحركات فيعنى
بها التى لايجوز أن يقال لبعضها اسرع من بعض أو ابطاء .أو مساو والاسرع هوالذى يقطع شيئا مساويا لما
يقطعه الآخر فى زمان أقصر وضده الابطاء والمساوى معلوم وقد يكون التطابق ٦٥

الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط * الى قوله * لانفرق بين أحد
منهم ونحن له مسلمون * الى قوله * صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون * نص
عزوجل على ان فطر الناس على الايمان وان الايمان هو صبغة الله تعالى وقال عزوجل * واذ
أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى *
فصح يقينا ان كل نفس خلقها الله تعالى من بنى آدم ومن الجن والملائكة فمؤمنون كلهم عقلا
مميزون فاذ ذلك كذلك فقد استحقوا كلهم الجنة بايمانهم حاشا من بدل هذا العهد وهذه
الفطرة وهذه الصبغة وخرج عنها الى غيرها ومات على التبديل وبيقين ندرى ان الاطفال
لم يغيروا شيئا من ذلك فهم من أهل الجنة وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
كل مولود يولد على الفطرة وروى عنه عليه السلام انه قال على الملة فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه ويشركانه كما تنتج البهيمة بهيمة جماوهل يجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم
الذى تجدعونها وهذا تفسير الايات المذكورات حدثنا عبدالله بن ربيع حدثنا محمد بن اسحاق
السكن حدثنا ابوسعيد بن الاعرابى حدثنا ابو داود سليمان بن الاشعث حدثنا الحسن بن
على حدثنا الحجاج بن المنهال قال سمعت حماد بن سلمة يفسر حديث كل مولود يولد على
الفطرة فقال هذا عندنا حيث اخذ الله المهد عليهم فى أصلاب آبائهم حيث قال * الست بربكم
قالوا بلى * وقد صح أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق عياض بن حمار
المجاشعى قال عن الله تعالى انه قال خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالهم الشياطين عن دينهم
فصح يقينا انه كل من مات قبل ان تجتاله الشياطين عن دينه فقدمات حنيفا وهذا حديث
تدخل فيه الملائكة والجن والانس عباد له عز وجل مخلوقين وأيضا فان الله عزوجل أخبر
بقول ابليس له تعالى انه يغوى الناس فقال تعالى * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين * فصح يقينا ان الغواية داخلة على الايمان وان الاصل من كل واحد
فهو الايمان وكل مومن ففى الجنة وأيضا فان الله تعالى قال * فانذرتكم نارا تلظى لايصلاها
الا الاشقى الذى كذب وتولى . وليست هذه صفة الصبيان فصح انهم لايدخلون النار ولا
دار الا الجنة أوالنار فاذا لم يدخلو النار فهم بلا شك فى الجنة وقد صح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى الرؤيا الكبيرة التى رآها انه رأى ابراهيم عليه السلام فى روضة خضراء
مفتخر وفيها من كل نور ونعيم وحواليه من احسن صبيان وأكثرهم فسأل عليه السلام عنهم فاخبر
انهم من مات من اولاد الناس قبل ان يبلغوا فقيل له يارسول الله واولاد المشركين قال
واولاد المشركين فارتفع الاشكال وصح بالثابت من السنن وصحيحها ان جميع من لم يبلغ
من اطفال المسلمين والمشركين فى الجنة ولا يحل لاحد تعدى ماصح بالقرآن والسنن وبالله
تعالى التوفيق فان قال قائل اذا قلتم ان النار دار جزآء فالجنة كذلك ولاجزآء للصبيان قلنا

في القوة وقد يكون بالفعل
وقد يكون بالتخيل واما
تضاد الحركات فان
الضدين هما اللذان
ووضوعهما واحدوهما
ذاتان يستحيل أن
يجتمعا فيه وبينهما غاية
الخلاف فتضاد الحركات
ليس لتضاد المتحركين
ولا بالزمان ولا لتضاد
مايتحرك فيه بل تضادها
هو بتضاد الاطراف
والجهات فعلى هذا
لا تضاد بين الحركة
المستقيمة والحركة
المستديرة المكانية لانهما
لايتضادان فى الجهات بل
المستديرة لا جهة فيها
بالفعل لانه متصل واحد
فالتضاد فى الحركة المكانية
المستقيمة يتصور فالمابطة
ضد الصاعدة والمتيامنة
ضد المتياسرة وأما التقابل
بين الحركة والسكون فهو
كتقابل العدم والملكة وقد
بينا أن ليس كل عدم هو
السكون بل هو عدم مامن
شانه أن يتحرك ويختص
ذلك بالمكان الذى يتاتى فيه
الحركة والسكون فى المكان
المقابل انما يقابل الحركة

٩ - فصل - فى المايل رابع)

عنه لا الحركة اليه بل انما كان هذا
السكون استكمالا لها واذا عرفت ماذكرناه سهل عليك معرفة الزمان بان تقول كل حركة تفرض فى مسافة على مقدار من السرعة
وأخرى معها على مقدارها وابتدأتا معا فانهما يقطعان المسافة معا وان ابتدأ أحدهما ولم يبتدأ الآخر ولكن تركا الحركة معا فان
احدهما يقطع دون مايقطعه الاول وان ابتدأ معه بطىء واتفقا فى الاخذ والترك وجد البطىء قد قطع أقل والسريع اكثر

وكان بين أخذ السريع الاول وتركه امكان تقطع مسافة معينة بسرعة معينة وأقل منها يبطئ معين وبين أخذ السريع الثاني وتركه امكان أقل من ذلك بتلك السرعة المعينة يكون ذلك الامكان طابق جزأ من الاول ولم يطابق جزأ مقتضيا وكان من شان هذا الامكان التقضي لانه لو ثبتت الحركات بحال واحدة لكان يقطع المتفقات في السرعة في وقت ابتدأت وتركت

مسافة واحدة بعينها ولما كان قبل امكان أقل من امكان فوجد في هذا الامكان زيادة ونقصان بتعيناه وكان ذا مقدار مطابق للحركة فاذا هنا مقدار للحركات مطابق لها وكل ما طابق للحركات فهو متصل ويقتضي الاتصال متجدده وهو الذي نسميه الزمان ثم هو لا بد وان يكون في مادة ومادته الحركة فهو مقدار الحركة واذا قدرت وقوع حركتين مختلفتين في العدم وكان هناك امكانان مختلفان بل مقداران مختلفان وقد سبق ان الامكان والمقدار لا يتصور الا في موضع فليس الزمان محدثا حدوثا زمانيا بحيث يسبقه زمان لان كلامنا في ذلك الزمان بعينه وانما حدوثه حدوث ابداع لا يسبقه الا مبدعه وكذلك ما يتعلق به الزمان ويطابقه فالزمان متصل يتهيأ أن ينقسم بالتوهم فاذا قسم ثبت منه انات وانقسم الى الماضي والمستقبل وكونه فيه ككون أقسام العدد في العدد وكون الآن فيه كالوحدة في العدد وكون المتحركات فيه ككون المعدودات في العدد والدهر هو المحيط بالزمان وأقسام الزمان مافصل منه بالتوهم كالساعات والايام والشهور والاعوام وأما المكان فيقال مكان لشيء يكون محيطا بالجسم ويقال لشيء يعتمد عليه الجسم والاول هو الذي يتكلم فيه الطبيعي وهو حاو للمتمكن مفارق له عند الحركة ومساو له وليس في المتمكن وكل هيولى وصورة فهو في المتمكن فليس المكان اذا بهيولى وصورة وللابعاد التي يدعى انها مجردة عن المادة قائمة بمكان الجسم المتمكن لا مع امتناع خلوها كما يراه قوم ولا مع

و بالله تعالى التوفيق انما نقف عند ما جاءت به النصوص في الشريعة فقد جاء النص بان النار دار جزاء فقط وان الجنة دار جزاء وتفضل فهي لاصحاب الاعمال دار جزاء بقدر اعمالهم ولمن لا عمل له دار تفضل من الله تعالى مجرد وقد قال قوم ان الصبيان هم خدم اهل الجنة وقد ذكر الله تعالى الولدان المخلدين في غير موضع من كتابه وانهم خدم اهل الجنة فالمهم هؤلاء والله اعلم

(قال ابو محمد) واما المجانين الذين لا يعقلون حتى يموتوا فانهم كما ذكرنا يولدون على الملة حنفاء مؤمنين ولم يغيروا ولا بدلوا فماتوا مؤمنين فهم في الجنة حدثنا احمد بن محمد الطلنكي بالثغري قال حدثنا محمد بن احمد بن يحيى بن المفرج القاضي حدثنا محمد بن ايوب السموط البرقي انبانا محمد بن عمر بن عبد الخالق البزاز حدثنا محمد بن المثنى ابو موسى الزمن حدثنا معاذ بن هشام الدستوائي حدثنا ابي عن قتادة عن الاسود بن سريع التميمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرض على الله الاصم الذي لا يسمع شيئا والاحمق والهرم ورجل مات في الفترة فيقول الاصم رب جاء الاسلام وما اسمع شيئا و يقول الاحمق جاء الاسلام وما اعقل شيئا و يقول الذي مات في الفترة ما اتانا لك من رسول قال البزاز وذهب عني ما قال الرابع قال فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل الله اليهم ادخلوا النار فوالذي نفسي بيده لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما

﴿ الكلام في القيامة وتغيير الاجساد ﴾

اتفق جميع اهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيمة وعلى تكفير من انكر ذلك ومعنى هذا القول ان لمكث الناس وتناسلهم في دار الابتلا التي هي الدنيا امدا يعلمه الله تعالى فاذا انتهى ذلك الامد مات كل من في الارض ثم يحيي الله عز وجل كل من مات مذ خلق الله عز وجل الحيوان الى انقضاء الاجل المذكور ورد ارواحهم التي كانت باعيانها وجمعهم في موقف واحد وحاسبهم عن جميع اعمالهم ووفاهم جزاءهم ففريق من الجن والانس في الجنة وفريق في السعير و بهذا جاء القرآن والسنن قال تعالى * من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم * وقال تعالى * وان الله يبعث من في القبور * وقال تعالى عن ابراهيم عليه السلام انه قال * رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي * الى آخر الآية وقال تعالى * الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم * وقال تعالى * فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام * الى قوله * وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما * الاية وقال تعالى عن المسيح عليه السلام * واحيي الموتى باذن الله * ولا يمكن البتة ان يكون الاحياء المذكور في جميع هذه الآيات

جواز خلوها كما يظنه مثبتوا الخلاء ونقول فى نفى الخلاء ان فرض خلاء خالى فليس هو لاشياء محضا بل هو ذات مما له كم لان كل خلاء يفرض فقد يوجد خلاء آخر أقل منه أو أكثر ويقبل التجزىء فى ذاته والمعدوم والاشىء ليس يوجد هكذا فليس الخلاء لاشىء فهو ذو كم وكل كم اما متصل واما منفصل والمنفصل لذاته عديم الحد المشترك بين أجزائه وقد تقرر فى الخلاء حد مشترك فهو اذا متصل الاجزاء منحازها فى جهات فهو اذا كم (٦٧) ذو وضع قابل للابعاد الثلاثة

الارد الروح الى الجسد ورجوع الحس والحركة الارادية التى بعد عدمها منه لم يكن غير هذه البتة الا ان العاص حكم بن المنذر بن سعيد القاضى اخبرنى عن اسماعيل بن عبد الله الرعينى انه كان ينكر بعث الاجساد ويقول ان النفس حال فراقها الجسد تصير الى معادها فى الجنة او النار ووقفت على هذا القول بعض العارفين باسماعيل فذكر لى ثقاة منهم انهم سمعوه يقول ان الله تعالى ياخذ من الاجساد جزء الحياة منها

(قال ابو محمد) وهذا تلبيس من القول لم يخرج به عما حكى لى عنه حكم بن المنذر لانه ليس فى الاجساد جزء الحياة الا النفس وحدها

(قال أبو محمد) ولم الق اسماعيل الرعينى قط على اني قد ادركته وكان ساكنا معى فى مدينة من مدائن الاندلس تسمى نجاية مدة ولكنه كان مختفيا وكان له اجتهاد عظيم ونسك وعبادة وصلاة وصيام والله أعلم وحكم بن المنذر ثقة فى قوله بعيد من الكذب وتبرأ منه حكم بن المنذر وكان قبل ذلك يجمعهما مذهب بن مسرة فى القدر وتبرأ منه أيضا ابراهيم بن سهل الاريوانى وكان من رؤوس المرية وتبرأ منه أيضا صهره احمد الطبيب وجماعة من المرية وتولته جماعة منهم وبلغنى عنه انه كان يحتج لقوله هذا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على ميت فقال اما هذا فقد قامت قيامته وبانه عليه السلام كانت الاعراب تساله عن الساعة فينظر الى اصغرهم فيخبرهم انه استوفى عن يمت حتى تقوم قيامتهم أو ساعتهم

(قال ابو محمد) وانما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا قيام الموت فقط بعد ذلك الى يوم البعث كما قال عز وجل * ثم انكم يوم القيامة تبعثون * فنص تعالى على ان البعث يوم القيامة بعد الموت بلفظة ثم التى هى للمهلة وهكذا اخبر عز وجل عن قولهم يوم القيامة * يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا * وانه يوم مقداره خمسون الف سنة وانه يحيى العظام ويبعث من فى القبور فى مواضع كثيرة من القرآن برهان ضرورى وهو ان الجنة والنار موضعان ومكانان وكل موضع ومكان ومساحة متناهية بحدوده بالبرهان الذى قدمنا على وجوب تناهى الاجسام وتناهى كل ما له عدد ويقول الله تعالى * جنة عرضها السموات والارض * فلو لم يكن لتولد الخلق نهاية لكانوا ابدا يحدثون بلا آخر وقد علمنا ان مصيرهم الجنة أو النار ومحال ممتنع غير ممكن ان يسع ما لا نهاية له فيما له نهاية من الاماكن فوجب ضرورة ان للخلق نهاية فاذ ذلك واجب فقد وجب تناهى عالم الذر والتناسل ضرورة وانما كلامنا هذا مع من يؤمن بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وادعى الاسلام واما من انكر الاسلام فكلامنا معه على ما رتبناه فى ديواننا هذا من النقض على اهل الالحاد حتى تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فنرجع اليه بعد التنازع وبالله تعالى التوفيق وقد نص الله تعالى على ان العظام يعيدها ويحييها كما كانت أول مرة واما اللحم فانما هو كسوة كما قال * ولقد خلقنا الانسان

كالجسم الذى يطابقه وكانه جسم تعليمى مفارق للمادة فتقول الخلاء المقدر اما ان يكون موضوعا لذلك المقدار او يكون الوضع والمقدار جزئين من الخلاء والاول باطل فانه اذا رفع المقدار فى الذهن كان الخلاء وحده بلا مقدار وقد فرض انه ذو مقدار فهو خلف وان بقى متقدرا بنفسه فهو مقدار بنفسه لا لمقدار حله وان كان الخلاء مجموع مادة ومقدار فالخلاء اذا جسم فهو ملأ وايضا فان الخلاء يقبل الاتصال والانفصال وكل شىء يقبل الاتصال والانفصال فهو ذو مادة ونقول ان التمانع فى محسوس بين الجسمين وليس التمانع هو من حيث المادة فان المادة من حيث انها مادة لا انحياز لها عن الآخر وانما ينحاز الجسم عن الجسم لاجل صورة البعد فطباع الابعاد يأتى التداخل ويوجب المقاومة أو التنحى وأيضا فان بعدا لو دخل بعدا فاما

أن يكونا جميعا موجودين أو معدومين أو أحدهما موجودا والآخر معدوما فان وجدا جميعا فهما أزيد من الواحد وكل ما هو عظيم وهو أزيد فهو أعظم وان عدما جميعا أو وجد أحدهما وعدم الآخر فليس مداخلة فاذا قيل جسم فى خلاء فيكون بعدا فى بعد وذلك محال ويقول فى نفى النهاية عن الجسم ان كل موجود الذات ذو وضع وترتيب فهو متناه اما أن يكون غير متناه من الاطراف كلها أو غير متناه من طرف فان كان غير متناه من طرف أمكن ان يفصل منه من الطرف المتناهى جزء بالتوهم فيوجد

ذلك المقدار مع ذلك الجزء شيئا على حدة وبانفراده شيئا على حدة ثم يطبق بين الطرفين المتناهيين في التوهم فلا يخلو اما ان يكون بحيث يمتدان معا متطابقين في الامتداد فيكون الزائد والناقص متساويين وهذا محال وأما أن لا يمتد بل يقصر عنه فيكون متناهيا والفصل ايضا كان متناهيا فيكون المجموع متناهيا فالاصل متناه واما اذا كان غير متناه من جميع الاطراف فلا يبعد ان يفرض ذا مقطع يتلافى عليه الاجزاء ويكون طرفا ونهاية ويكون الكلام في الاجزاء والجزئين كالكلام في الاول وبهذا يتأتي البرهان على أن العدد المترتب لذات الموجود بالفعل متناه وان مالا يتناهي بهذا الوجه هو الذي اذا وجد وفرض انه يحتمل زيادة ونقصانا وجب أن يلزم ذلك محال وأما اذا كانت أجزاء لا تتناهى وليست معا وكانت في الماضي والمستقبل فغير ممتنع وجودها واحدا قبل آخر أو بعده لا معا أو كانت ذات عدد غير مترتب في الوضع ولا في الطبع فلا مانع عن وجوده معا وذلك ان ما لا ترتيب له في الوضع أو الطبع فلن تحتمل الانطباق وما لا وجود له معا فقيه أبعد ويقول في اثبات القوى الجسمانية ونفي التناهي عن القوى الغير الجسمانية قال الاشياء التي يمتنع فيها وجود الغير المتناهي بالفعل فليس يمتنع فيها من جميع الوجوه فان العدد لا يتناهى أي بالقوة وكذلك الحركات لا تتناهى بالقوة لا بالقوة التي تخرج الى الفعل بل بمعنى أن الاعداد تأتي أن تتزايد فلا يقف عند نهاية أخيرة واعلم أن القوى تختلف في الزيادة والنقصان بالاضافة الى شدة ظهور الفعل عنها أو الى عدة ما يظهر عنها أو الى مدة بقاء الفعل وبينهما فرقان بعيد فان كل ما يكون زائد النوع الشدة يكون ناقصا بنوع المدة وكل قوة حركتها أشد فمدة حركتها أقصر وعدة حركتها أقصر ولا يجوز ان يكون قوة غير متناهية بحسب اعتبار الشدة لان ما يظهر من الاحوال القابلة لها لا يخلو اما أن يقبل الزيادة على ما ظهر فيكون

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * الى قوله * فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * فاخبر عز وجل ان عنصر الانسان انما هو العظام الذي انتقلت عن السلالة التي من طين الى النطفة الى العلقة الى المضغة الى العظام وان اللحم كسوة العظام وهذا أمر مشاهد لان اللحم يذهب بالمرض حتى لا يبقى منه مالا قدر له ثم يكثر عليه لحم آخر اذا خصب الجسم وكذلك اخبرنا عز وجل انه يبدل الخلق في الآخرة فقال * كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب * وفي الآثار الثابتة ان جلود الكفار تغلظ حتى تكون نيفا وسبعين ذراعا وان ضرسه في النار كاحد وكذلك نجد اللحم الذي في جسد الانسان يتغذى به حيوان آخر فيستحيل لحما لذلك الحيوان اذ ينقلب دودا فصح بنص القرآن العظام هي التي تحيي يوم القيامة ومن انكر ما جاء به القرآن فلا حظ له في الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

﴿الكلام في خلق الجنة والنار﴾

ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج الى ان الجنة والنار لم يخلقا بعد وذهب جمهور المسلمين الى انهما قد خلقتا وما علم لمن قال انهما لم يخلقا بعد حجة أصلا اكثر من ان بعضهم قال قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وذكر اشياء من اعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة وبقول الله تعالى حاكيا عن امرأة فرعون انها قالت * رب ابن لي عندك بيتا في الجنة * قالوا ولو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى (قال أبو محمد) وانما قلنا انهما مخلوقتان على الجملة كما ان الارض مخلوقة ثم يحدث الله تعالى فيها ما يشاء من البنيان

(قال ابو محمد) والبرهان على انهما مخلوقتان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى الجنة ليلة الاسراء واخبر عليه السلام انه رأى سدرة المنتهى في السماء السادسة وقال تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * فصح ان جنة المأوى هي السماء السادسة وقد اخبر الله عز وجل انها الجنة التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة فقال تعالى * لهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون * فليس لاحد بعد هذا ان يقول انها جنة غير جنة الخلد واخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء ولا شك في ان أرواح الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة فصح ان الجنات هي السموات وكذلك اخبر عليه السلام ان الفردوس الاعلى من الجنة التي أمرنا الله تعالى ان نسأله اياها فوقها عرش الرحمن والعرش مخلوق بعد الجنة فالجنة مخلوقة وكذلك اخبر عليه السلام ان النار اشتكت الى ربها فاذن لها بنفسين وان ذلك أشد ما نجده من الحر والبرد وكان القاضي منذر بن سعيد يذهب الى ان الجنة والنار مخلوقتان الا انه كان يقول انهما ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته واحتج في ذلك باشياء

متناهية عليه زيادة فيما أخذه وأما أن لا يقبل فهو النهاية في الشدة فذلك قوة جسمانية متجزئة ومتناهية وأما الكلام في الجهات فمن المعلوم انا لو فرضنا خلاء فقط أو ابعادا أو جسما غير متناه فلا يمكن أن يكون للجهات المختلفة بالنوع وجود البتة فلا يكون فوق وسفل ويمين ويسار وقدام وخلف فالجهات انما هي تتصور في أجسام متناهية فتكون الجهات أيضا متناهية ولذلك يتحقق اليها الاشارة ولذاتها الاختصاص والانفراد عن جهة أخرى واذا كانت الاجسام كرية (٦٩) فيكون تحدد الجهات على سبيل المحيط والمحاط والتضاد فيها على سبيل المركز والمحيط واذا كان الجسم المحدد محيطا كفى لتحديد الطرفين لان الاحاطة تثبت المركز فثبتت غاية القرب منه وغاية البعد منه من غير حاجة الى جسم آخر واما ان فرض محاطا لم يتحدد به وحده الجهات لان القرب يتحدد به والبعد منه يتحدد بجسم آخر لا خلاء وذلك لا ينتهي لا محالة الى محيط ويجب ان يكون الاجسام المستقيمة الحركة لا يتاخر عنها وجود الجهات لامكنتها وحركاتها بل الجهات تحصل بحركاتها فيجب ان يكون الجسم الذي يتحدد الجهات اليه جسما متقدما عليها او يكون احدى الجهات بالطبع غاية القرب منه وهو الفوق ويقابله غاية البعد منه وهو السفل وهذان بالطبع وسائر الجهات لا تكون واجبة في الاجسام بما هي أجسام بل بما هي حيوانات فيتميز فيها جهة القدام الذي اليه الحركة الاختيارية واليمين الذي منه مبدأ القوة والفوق اما بقياس فوق العالم واما الذي اليه اول حركة النشور مقابلاتها الخلف واليسار والسفل والفوق والسفل محدودان بطرف البعد الذي الاولى ان يسمى طولا واليمين واليسار بما الاولى ان يسمي عرضا والقدام والخلف بما الاولى ان يسمى عمقا . المقابلة الثانية في الامور الطبيعية وغير الطبيعية للاجسام ومن المعلوم ان الاجسام تنقسم الى بسيطة ومركبة وان لكل جسم حيزا ما ضرورة فلا يخلو اما أن يكون كل حيز له طبيعيا أو منافيا لطبيعته

باشياء منها انه لو كانت جنة الخلد لما اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين واحتج أيضا بان جنة الخلد لا كذب فيها وقد كذب فيها ابليس وقال من دخل الجنة لم يخرج منها وآدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها

(قال أبو محمد) كل هذا لا دليل له فيه اما قوله ان آدم عليه السلام اكل من الشجرة رجاء ان يكون من الخالدين فقد علمنا ان اكله من الشجرة لم يكن ظنه فيه صوابا ولا اكله لما صوابا وانما كان ظنا ولا حجة فيما كان هذه صفته والله عز وجل لم يخبره بانه مخلد في الجنة بل قد كان في علم الله تعالى انه سيخرجه منها فاكل عليه السلام من الشجرة رجاء الخلد الذي لم يضمن ولا تيقن به لنفسه وأما قوله ان الجنة لا كذب فيها وان من دخلها لم يخرج منها وقد كذب فيها ابليس وقد خرج منها آدم وامرأته فهذا لا حجة له فيه وانما تكون كذلك اذا كانت جزاء لاهلها كما اخبر عز وجل عنها حيث يقول * لا تسمع فيها لاغية * فانما هذا على المستانف لا على ما سلف ولا نص معه على ما ادعى ولا اجماع واحتج أيضا بقول الله عز وجل لآدم عليه السلام * ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * قال وقد عرى فيها آدم عليه السلام

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه بل هو حجة عليه لان الله عز وجل وصف الجنة التي اسكن فيها آدم بانها لا يجاع فيها ولا يعري ولا يظما فيها ولا يضحي وهذه صفة الجنة بلا شك وليس في شيء مما دون السماء مكان هذه صفته بلا شك بل كل موضع دون السماء فانه لا بد ان يجاع فيه ويعرى ويظما ويضحى ولا بد من ذلك ضرورة فصح انه انما اسكن المكان الذي هذه صفته وليس هذا غير الجنة البتة وانما عرى آدم حين اكل من الشجرة فاهبط عقوبة له وقال أيضا قال الله عز وجل * لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا * واخبر آدم انه لا يضحى

(قال ابو محمد) وهذا أعظم حجة عليه لانه لو كان في المكان الذي هو فيه شمس لاضحى فيه ولا بد فصح ان الجنة التي اسكن فيها ادم كانت لا شمس فيها فهي جنة الخلد بلا شك وأيضا فان قوله عز وجل * اسكن انت وزوجك الجنة * اشارة بالالف واللام ولا يكون ذلك الا على معهود ولا تنطلق الجنة هكذا الا على جنة الخلد ولا ينطلق هذا الاسم على غيرها الا بالاضافة وأيضا فلو اسكن آدم عليه السلام جنة في الارض لما كان في اخراجه منها الى غيرها من الارض عقوبة بل قد بين تعالى انها ليست في الارض بقوله تعالى * اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين * فصح يقينا بالنص انه قد اهبط من الجنة الى الارض فصح انها لم تكن في الارض البتة وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في بقاء اهل الجنة والنار ابدا﴾

(قال ابو محمد) اتفقت فرق الامة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها

اولا طبيعيا ولا منافيا او بعضه طبيعيا و بعضه منافيا و يبطل ان يكون كل حيز له طبيعيا لانه يلزم منه ان يكون مفارقة كل مكان له خارجا عن طبعه او التوجه الى كل مكان له ملائما لطبعه وليس الامر كذلك فهو خلف و بطل ان يكون كل حيز منافيا لطبعه لانه يلزم منه ان لا يسكن جسم البتة بالطبع ولا يتحرك ايضا و كيف يسكن او يتحرك بالطبع و كل مكان منافى لطبعه و بطل ان يكون كل مكان لا طبيعيا ولا منافيا

لانا اذا اعتبرنا الجسم على حالته وقد ارتفع عنه العوارض فحينئذ لابد له من حيز يختص به ويتحيز اليه وذلك هو حيزه الطبيعي فلا يزول عنه الا بقسر قاسر ويتعين القسم الرابع ان بعض الاحياز له طبيعي و بعضه غير طبيعي وكذلك يقول فى الشكل ان لكل جسم شكلا ما بالضرورة لتناهي حدوده وكل شكل فاما طبيعي له او بقسر قاسر واذا رفعت القواسر فى النوم واعتبرت الجسم من حيث هو جسم وكان فى نفسه متشابه الاجزاء فلا بد ان يكون شكله كرويا الان فعل الطبيعة فى المادة واحد متشابه فلا يمكن ان يفعل فى جزء زاوية وفى جزء خطا مستقيما او منحنيا فينبغى ان يتشابه الاجزاء فيجب ان يكون الشكل كرويا واما المركبات فقد يكون اشكالها غير كروية لاختلاف أجزائها فالاجسام السموية كلها كروية واذا تشابهت اجزاؤها وقواها فان حيزها الطبيعي وجهاتها واحدة فلا يتصور ارضان فى وسطين فى عالمين ولا ناران فى افقين بل لا يتصور عالمان لانه قد ثبت ان العالم بسيط كروى الشكل فلو قدرنا كرويان احدهما بجنب الآخر كان بينهما خلاء ولا يتصلان الا بجزء واحد لا ينقسم وقد تقدم استحالة الخلاء واما الحركة فمن المعلوم ان كل جسم اعتبر ذاته من غير عارض بل من حيث هو جسم فى حيز فهو اما ان يكون متحركا واما ان يكون ساكنا وذلك ما نعنيه بالحركة الطبيعية والسكون الطبيعي فيقول ان كان الجسم بسيطا كانت اجزاؤه متشابهة واجزاء ما هذا نفسه

الاجهم بن صفوان وابا الهذيل العلاف وقوما من الروافض فماجهم فقال ان الجنة والنار يفنيان و يفنى اهلهما وقال ابو الهذيل ان الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى و يبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم فى ذلك احياء متلذذون أو معذبون وقالت تلك الطائفة من الروافض ان أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذا أهل النار من النار الى حيث شاء الله (قال ابو محمد) أما هذه المقالة ففى غاية الفشاشة والتعرى من شيء يشغب به فكيف من اتقاع أو برهان وما كان هكذا فهو ساقط واما قول ابي الهذيل فانه لا حجة له الا انه قال كلما احصاه العدد فهو ذو نهاية ولا بد والحركات ذات عدد فهى متناهية

(قال ابو محمد) فظن أبو الهذيل لجهله بحدود الكلام وطبائع الموجودات أن ما لم يخرج الى الفعل فانه يقع عليه العدد وهذا خطا فاحش لان ما لم يخرج الى الفعل فليس شيئا ولا يجوز أن يقع العدد الا على شيء وانما يقع العدد على ما خرج الى الفعل من حركات أهل النار والجنة متى ما خرج فهو محدود متناه وهكذا ابدا وقد احكمنا هذا المعنى فى أول هذا الكتاب فى باب ايجاب حدوث العالم وتناهي الموجودات فاغنى عن اعادته و بالله تعالى التوفيق فبطل ما موه به أبو الهذيل ولله الحمد ثم نقول ان قوله هذا خلاف الاجماع المتيقن وأيضا فان الذى فرضه فى الحركات فانه لازم له فى مدد سكونهم وتنعمهم وتاملهم لانه مقر بانهم يبقون ساكنين متنعمين متالمين بالعذاب و بالضرورة ندرى ان للسكون والنعيم والعذاب مددا بعد كل ذلك كامتداد الحركة ومددها ولا فرق وأيضا فلو كان مقاله ابو الهذيل صحيحا لكان أهل الجنة فى عذاب واصب وفى صفة المخذور والمفلوج ومن أخذه الكابوس ومن سقى النبج وهذا غاية النكد والشقاء ونعوذ بالله من هذا الحال وأما جهم بن صفوان فانه احتج بقول الله تعالى * واحصى كل شيء عددا * وبقوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * وقال كلا يجوز أن يوجد شيء لم يزل غير الله تعالى فكذلك لا يجوز أن يوجد شيء لا يزال غير الله تعالى (قال أبو محمد) ما نعلم له حجة غير هذا أصلا وكل هذا لا حجة له فيه اما قوله تعالى * كل شيء هالك الا وجهه * فانما عنى تعالى الاستحالة من شيء الى شيء ومن حال الى حال وهذا عام لجميع المخلوقات دون الله تعالى وكذلك مدد النعيم فى الجنة والعذاب فى النار كلما افنيت مدة أحدث الله عز وجل اخرى وهكذا أبدا بلا نهاية ولا آخر يدل على هذا ما ذكرنا من الدلائل على خلود الجنة والنار وأهلها وأما قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا * فان اسم الشيء لا يقع الا على موجود والاحصاء لا يقع على ما ذكرنا الا على ما خرج الى الفعل ووجد بعد واذا لم يخرج من الفعل فهو لا شيء بعد ولا يجوز ان يعد لا شيء وكل ما خرج الى الفعل من مدة بقاء الجنة والنار وأهلهما فمحصى بلا شك ثم يحدث الله تعالى لهم مددا آخر وهكذا ابدا بلا نهاية ولا آخر وقالوا هل احاط الله تعالى علما بجميع مدة الجنة والنار أم لا فان قلتم لا جهلتم الله وان قلتم نعم جعلتم مدتها محاطا بها وهذا هو التناهي نفسه

واجزاء مكانه كذلك فلم يكن بعض الاجزاء اولى بان يختص ببعض اجزاء المكان من بعض فلم يجب ان يكون شيء منها له طبيعيا فلا يمتنع ان يكون على غير ذلك الطبع بل في طباعه ان يزول عن ذلك الوضع والاين بالقوة وكل جسم لاميل له في طبعه فلا يقبل الحركة عن سبب خارج فبالضرورة في طباعه حركة ما اما لكله واما لاجزائه حتى يكون متحركا في الوضع بحركة الاجزاء واذا صح ان كل قابل تحريك ففيه مبدؤ ميل ثم لا يخلو اما ان يكون على الاستقامة (٧١) او على الاستدارة والاجسام السموية لاتقبل الحركة المستقيمة كما سبق فهي متحركة على الاستدارة وقد بينا استناد حركاتها الى مبادئها واما الكيف فيقول اولا ان الاجسام السموية ليست موادها مشتركة بل هي مختلفة بالطبع كما ان صورها مختلفة ومادة الواحدة منها لايصلح ان يتصور بصورة الاخرى ولو امكن ذلك كذلك لقلبت الحركة المستقيمة وهو محال فلها طبيعة خامسة مختلفة بالنوع بخلاف طبائع العناصر فان مادتها مشتركة وصورها مختلفة وهي تنقسم الى حار يابس كالنار والى حار رطب كالهواء والى بارد رطب كالماء والى بارد يابس كالارض وهذه ارض فيها لاصور ويقبل الاستحالة بعضها الى بعض ويقبل النمو والذبول ويقبل الآثار من الاجسام السموية اما الكيفيات فالحرارة والبرودة فاعلتان فالحار هو الذي يغير جسما آخر بالتحليل والخلخلة بحيث يؤلم الحاس منه والبارد هو الذي يغير جسما بالتعقيد والتكثير بحيث يؤلم الحاس منه واما الرطوبة واليبوسة منفعلتان فالرطب هو سهل القبول للتفريق والجمع والتشكيل والدفع واليابس هو عسر القبول لذلك فبسائط الاجسام المركبة تختلف وتمتاز بهذه القوى الاربع ولا يوجد شيء منها عديما لواحدة من هذه وليست هذه صورا مقومة للاجسام لكنها اذا تركت طباعها ولم يمنعها مانع من خارج ظهر منها اما سكون او ميل او حركة فلذلك قيل قوة طبيعية وقيل النار حارة بالطبع

(قال ابو محمد) ان الله تعالى انما يعلم بالاشياء على ماهي عليه لان من علم الشيء على خلاف ماهو عليه فهو جاهل به مخطيء في اعتقاده ظان للباطل وليس عالما ولا حقا ولا هو عالم به وهذا مالاشك فيه وعلم الله عز وجل هو الحق اليقين على ماهي معلوماته عليه فكل ما كان ذا نهاية فهو في علم الله تعالى ذو نهاية ولا سبيل الى غير هذا البتة وليس للجنة والنار مدد غير متناهية محاط بها وانما لهما مدد كل ما خرج منها الى الفعل فهو محصى محاط بعدده ومالم يخرج الى الفعل فليس بمحصى لكن علم الله تعالى احاط انه لانهاية لهما واما قوله كما لايجوز ان يوجد شيء غير الله تعالى لانهاية له لم يزل فان هذه قضية فاسدة وقياس فاسد لايصح والفرق بينهما ان اشياء ذوات عدد لا اول لها ولم تزل لايمكن ان تتوهم البتة ولا يشكك بل هي محال في الوجود كما ذكرنا في الرد على من قال بان العالم لم يزل فاغنى عن اعادته وليس كذلك قولنا لايزال لان احداث الله تعالى شيئا بعد شيء ابدا بلانهاية متوهم ممكن لاحوالة فيه فقياس الممكن المتوهم على المتمنع المستحيل الذي لايتوهم باطل عند القائلين بالقياس فكيف عند من لايقول به فان قال قائل ان كل ما له اول فله آخر قلنا له هذه قضية فاسدة ودعوى مجردة وما وجب هذا قط لا بقضية عقل ولا بخبر لان كون الموجودات لها اوائل معلوم بالضرورة لان ما وجد بعد فقد حصره عدد زمان وجوده وكل ما حصره عدد فلذلك العدد اول ضرورة وهو قولنا واحد ثم يتمادى العدد ابدا فيمكن الزيادة بلانهاية وتمادي الموجود بخلاف المبدأ لانه اذا أبقي وقتا جاز ان يبقى وقتين وهكذا ابدا بلانهاية وكل ما خرج من مدد البقاء الى حد الفعل فذو نهاية بلاشك كذلك من العدد ايضا ولم نقل ان بقاء الناس في هذه الدنيا لانهاية الا من طريق النص ولو اخبر الله تعالى بذلك لامكن وجاز ان تبقى الدنيا ابدا بلانهاية ولكن الله تعالى قادر على ذلك ولكن النص لايحل خلافه وكذلك لولا اخبار الله تعالى لحل احترامها وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) والبرهان على بقاء الجنة والنار بلانهاية قول الله تعالى * خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ * وقوله تعالى في غير موضع من القرآن * خالدين فيها ابدا * وقوله تعالى * لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى * مع صحة الاجماع بذلك وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وروينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص لو اقام اهل النار في النار ماشاء الله ان يبقوا لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه منها

(قال ابو محمد) وهذا انما هو في اهل الاسلام الداخلين في النار بكبائرهم ثم يخرجون منها بالشفاعة ويبقى ذلك المكان خاليا ولا يحل لاحد ان يظن في الصالحين الفاضلين خلاف القرآن وحاشا لهما من ذلك وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الايمان والوعيد وتوابعه بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والسماء متحركة بالطبع فعرفت الاحياز الطبيعية والاشكال الطبيعية والحركات الطبيعية والكيفيات الطبيعية وعرفت ان اطلاق الطبيعية عليها باى وجه فيقول بعد ذلك ان العناصر قابلة للاستحالة والتغير وبينهما مادة مشتركة والاعتبار فى ذلك بالمشاهدة فانا نرى الماء العذب انعقد حجرا جامدا والحجر يكاس فيعود رمادا وتدام الحيلة حتى تصير ماء فالمادة مشتركة بين الماء والارض ونشاهد هواء صحوا يغلظ (٧٢) دفعة فيستحيل اكثره أو كله ماء وبردا وثلجا وتصع الجمد فى كوز صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عدة لقائه

(الكلام فى الامامة والمفاضلة بين الصحابة)

قال الفقيه الامام الاوحد ابو محمد علي بن أحمد بن حزم رضى الله عنه اتفق جميع أهل السنة وجميع المرجئة وجميع الشيعة وجميع الخوارج على وجوب الامامة وان الامة واجب عليها الانقياد لامام عادل يقيم فيهم احكام الله ويسوسهم باحكام الشريعة التى اتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشا النجدات من الخوارج فانهم قالوا لا يلزم الناس فرض الامامة وانما عليهم ان يتناصفوا الحق بينهم وهذه فرقة ما نرى بقى منهم احد وهم المنسوبون الى نجدة بن عمير الحنفى القائم باليمامة

(قال ابو محمد) وقول هذه الفرقة ساقط يكفى من الرد عليه وابطاله اجماع كل من ذكرنا على بطلانه والقرآن والسنة قد ورد بايجاب الامام من ذلك قول الله تعالى * أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم * مع أحاديث كثيرة صحاح فى طاعة الائمة وايجاب الامامة وأيضا فان الله عز وجل يقول * لا يكلف الله نفسا إلا وسعها * فوجب اليقين بان الله تعالى لا يكلف الناس ما ليس فى بنيتهم واحتمالهم وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته ان قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الاحكام عليهم فى الاموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الاحكام كلها ومنع الظالم وانصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد اقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى فى كل ذلك ممتنع غير ممكن اذ قد يريد واحد أو جماعة ان يحكم عليهم انسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم اما لانها ترى فى اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء واما خلافا مجردا عليهم وهذا الذى لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد فى البلاد التى لا رئيس لها فانه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين فى اكثرها فلا تصح اقامة الدين الا بالاسناد الى واحد أو الى اكثر من واحد فاذ لا بد من احد هذين الوجهين فان الاثنين فصاعدا بينهم او بينهم ما ذكرنا فلا يتم امر البتة فلم يبق وجه تتم به الامور الا الاسناد الى واحد فاضل عالم حسن السياسة قوى على الانفاذ الا انه وان كان بخلاف ما ذكرنا فالظلم والاهمال معه اقل منه مع الاثنين فصاعدا واذ ذلك كذلك ففرض لازم لكل الناس ان يكفوا من الظلم ما امكنهم ان قدروا على كف كله لزمهم ذلك

وتجد من الماء المجتمع على سطحه كالقطر ولا يمكن أن يكون ذلك بالرشح لانه ربما كان ذلك حيث لا يماسه الجمد وكان فوق مكانه ثم لا تجد مثله اذا كان حارا والكوز مملوءا ويجتمع مثل ذلك داخل الكوز حيث لا يماسه الجمد وقد يدفن القدح فى جمد محفور حفرا مهندما ويسد رأسه عليه فيجتمع فيه ماء كثير وان وضع فى الماء الحار الذي يغلى مدة واسد رأسه لم يجتمع شىء وليس ذلك الا لان الهواء الخارج أو الداخل قد استحال ماء فبين الماء والهواء مادة مشتركة وقد يستحيل الهواء ارا وهو ما نشاهد من آلات حادثة مع تحريك شديد على صورة المنافخ فيكون ذلك الهواء بحيث يشتعل فى الخشب وغيره وليس ذلك على طريق الانجذاب لان النار لا تحرك الا على الاستقامة الى العلوى ولا على طريق الكمون اذ من المستحيل أن يكون فى ذلك الخشب من النار الكامنة فيه ذلك القدر الذى فى الجمرة ولا يحرق والكمون أجمع لها والا والمنتشر أضعف تاثيرا من المشتعل فتبين انه هواء اشتعل نارا فبين النار والهواء مادة مشتركة ويقول ان العناصر قابلة للكبر والصغر فلها مادة مشتركة اذ قد تحقق ان المقدار عرض فى الهيولى والكبر والصغر اعراض فى الكميات وقد نشاهد ذلك اذا على الماء انتفخ وتخلخل والخمر ينتفخ فى الدن حتى يتصدع عند الغليان وكذلك القمقمة الصياحة وهى اذا كانت مسدودة

الرأس مملوءة بالماء فاوقدت النار تحتها انكسرت وتصعدت ولا سبب له الا ان الماء صار اكبر مما كان ولا جائز ان يقال ان النار طلبت جهة الفوق بطبعها فانه كان ينبغي ان ترفع الاناء وتطيره لا ان تكسره واذا كان الاناء صلبا خفيفا كان رفعه أسهل من كسره فتعين ان السبب انبساط الماء في جميع الجوانب ودفعه سطح الاناء الى الجوانب فينفس الموضع الذي كان اضعف وله امثلة أخرى تدل على ان المقدار يزيد وينقص ويقول ان العناصر قابلة للتاثيرات السموية اما (٧٣) اثر المحسوسة مثل نضج الفواكه ومد

والافكيف ماقدروا على كمه منه ولو قضية واحدة لا يجوز غير ذلك ثم اتفق من ذكرنا ممن يرى فرض الامامة على انه لا يجوز كون امامين في وقت واحد في العالم ولا يجوز الا امام واحد الا محمد بن كرام السجستاني وابا الصباح السمرقندي واصحابهما فانهم اجازوا كون امامين في وقت واكثر في وقت واحد واحتج هؤلاء بقول الانصار ومن قال منهم يوم السقيفة لهاجرين منا امير ومنكم امير واحتجوا ايضا بامر علي والحسن مع معاوية رضي الله عنهم

(قال أبو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قول الانصار رضي الله عنهم ماذكرنا لم يكن صوابا بل كان خطا اذ اداهم اليه الاجتهاد وخالفهم فيه المهاجرون ولا بد اذا اختلف القائلان على قولين متنافيين من ان يكون احدهما حقا والآخر خطا واذ ذلك كذلك فواجب رد ماتنازعوا فيه الى ما افترض الله عز وجل الرد اليه عند التنازع اذ يقول الله تعالى * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر * فنظرنا في ذلك فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال اذا بويع لامامين فاقتلوا الاخر منهما وقال تعالى * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا * وقال تعالى * ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم * فحرم الله عز وجل التفرق والتنازع واذا كان امامان فقد حصل التفرق المحرم وجد التنازع ووقعت المعصية لله تعالى وقد ثبت مالا يحل لنا وامامان من طريق النظر والمشاهدة ولو جاز ان يكون في العالم امامان لجاز ان يكون فيه ثلاثة واربعة واكثر فان منع من ذلك مانع كان متحكما بلا برهان ومدعيا بلا دليل وهذا الباطل الذي لا يعجز عنه أحد وان جاز ذلك زاد الامر حتى يكون في العالم امام اوفي كل مدينة امام اوفي كل قرية امام اويكون كل احد اماما وخليفة في منزله وهذا هو الفساد المحض وهلاك الدين والدنيا فصح ان قول الانصار رضي الله عنهم وهلة وخطأ رجعوا عنه الى الحق وعصمهم الله تعالى من التمادي عليه واما أمر علي والحسن ومعاوية فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه انذر بخروجة تخرج من طائفتين من امة يقتلها اولى الطائفتين بالحق فكان قاتل تلك الطائفة علي رضي الله عنهم فهو صاحب الحق بلا شك وكذلك انذر عليه السلام بان عمار اتقتله الفئة الباغية فصح ان عليا هو صاحب الحق وكان على السابق الى الامامة فصح بهذا انه صاحبها وان من نازعه فيها فمخطيء فمعاوية رحمه الله مخطيء ماجور مرة لانه مجتهد ولا حجة في خطأ المخطيء فبطل قول هذه الطائفة وأيضا فان قول الانصار رضي الله عنهم منا امير ومنكم امير يخرج على انهم انما ارادوا ان يلي وال منهم فاذا مات ولي من المهاجرين اخر وهكذا ابدا لا على ان يكون امامان في وقت وهذا هو الاظهر من كلامهم واما علي ومعاوية رضي الله عنهما فما سلم قط احدهما للاخر بل كل واحد منهما يزعم انه المحق وكذلك كان الحسن رضي الله عنه الى ان

امطار واظهرها الضوء والحرارة بواسطة الضوء والتحريك الى فوق بتوسط الحرارة والشمس ليست بحارة ولا متحركة الى فوق وانما تاثيراتها ممدات اما دة في قول الصورة من واهب الصور وقد يكون للقوى الفلكية تاثيرات خارجة من العنصريات والافكيف يبرد الافيون أقوى مما يبرد الماء والجزء البارد فيه مغلوب بالتركيب مع الاضداد وكيف يفعل ضوء الشمس في عيون العشى والنباتات بادنى تسخين ملا تفعله النار بالتسخين يكون فوقه فتبين ان العنصر كيف قبلت الاستحالة والتغير والتاثير وتبين ماهلها بالعنصر والجوهر * المقالة الثالثة في المركبات اوالآثار العلوية * قال ابن سينا ان العناصر الاربعة عساها لا توجد كلياتها صرفة بل يكون فيها اختلاط ويشبه ان يكون النار ابسطها في موضعها ثم الارض اما النار فلان ما يخالطها يستحيل اليها لقوتها واما الارض فلان نفوذ قوى ما يحيط بها في كليتها باسرها

كالقليل وعسى ان يكون باطنها القريب من المركز قريب من البساطة ثم الارض على طبقات الطبقة القريبة من المركز والثانية الطين والثالثة بعضها وبعضا طين جففه الشمس وهو التبر والسبب في ان الماء غير محيط بالارض ان الارض ينقاب ماء فتحصل وهدة والماء يستحيل ارضا فتحصل ربوة والارض صلب وليس بسيال كالماء والهواء حتى ينصب بعض اجزائه الى بعض

ويتشكل بالاستدارة واما الهواء فهو اربع طبقات طبقة يلى الارض فيها مائة من البخارات وحرارة لان الارض تقبل الضوء من الشمس فيتحدى فيتعدى لحرارة الى ما يجاورها وهى طبقة لا يخلو من رطوبة بخارية ولكن أقل حرارة وطبقة هي هواء صرف صاف وطبقة دخانية لان الادخنة ترتفع الى الهواء وتقصد مركز النار فيكون كالمتشر فى السطح الاعلى من الهواء الى ان يتصعد (٧٤) فيحترق وأما النار فانها طبقة واحدة ولا ضوء لها بل هى كالهواء الشفاف الذى لا لون له وان رأى لون النار فهى بما يخالطها من الدخان صارت ذات لون ثم فوق النار الاجرام العالية الفلكية والعناصر بطبقاتها طوعها والكائنات الفاسدات تتولد من تاثيراتها والفلك وان لم يكن حارا ولا باردا فانه ينبعث منه فى الاجرام السفلية حرارة وبرودة بقوى تفيض منه اليها ونشاهد هذا من احراق شعاعه المنعكس عن المرأى ولو كان سبب الاحراق حرارة الشمس دون شعاعه لكان كل ما هو اقرب الى العلو أسخن بل سبب الاحراق التفات شعاع الشمس المسخن لما يلتفت به فيسخن الهواء فالفلك اذا هيج باسخانه للحرارة يحر من الاجسام المائية ودخن من الاجسام الارضية واثار شيئا بين الغبار والدخان من الاجسام المائية والارضية والبخار أقل مسافة صعود من الدخان لان الماء اذا سخن صار حارا رطبا والاجزاء الارضية اذا سخنت ولطفت كان حارة يابسة والحار الرطب اقرب الى طبيعة الهواء والحار اليابس أقرب الى طبيعة النار والبخار لا يجاوز مركز الهواء بل اذا وافى منقطع تاثير الشعاع برد وكثف والدخان فانه يتعدى حيز الهواء حتى يوافى نحوم النار واذا احتبسا فيهما حدثت كائنات أخر فالدخان اذا وافى حيز النار اشتعل واذا اشتعل فربما سمى فيه الاشتعال فرئى كانه كوكب يقذف به وربما احترق وثبت فيه الاحتراق فرأيت العلامات الهائلة الحمر والسود وربما كان غليظا ممتدا وثبت فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار بدوران الفلك

اسلم الامر الى معاوية فاذ هذا كذلك فقد صح الاجماع على بطلان قول ابن كرام وابى الصباح وبطل ان يكون لهم تعلق فى شىء اصلا وبالله تعالى التوفيق ثم اختلف القائلون بوجوب الامامة على قريش فذهب اهل السنة وجميع الشيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة الى ان الامامة لا تجوز الا فى قريش خاصة من كان من ولد فهر بن مالك وانها لا تجوز فيمن كان ابوه من غير بنى فهر بن مالك وان كانت امه من قريش ولا فى حليف ولا فى مولى وذهبت الخوارج كلها وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة الى انها جائزة فى كل من قام بالكتاب والسنة قرشيا كان او عربيا او ابن عبد وقال ضرار بن عمرو الغطفانى اذا اجتمع حبشى وقرشى كلاهما قائم بالكتاب والسنة فلو أوجب ان يقدم الحبشى لانه اسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة

(قال ابو محمد) وبوجوب الامامة فى ولد فهر ابن مالك خصوصا نقول بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الائمة من قريش وعلى ان الامامة فى قريش وهذه رواية جاءت بمجيء التواتر ورواها انس ابن مالك وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ومعاوية وروى جابر بن عبد الله وجابر بن سمرة وعبادة بن الصامت معناها ومما يدل على صحة ذلك اذعان الانصار رضى الله عنهم يوم السقيفة وهم اهل الدار والمنعة والعدد والسابقة فى الاسلام رضى الله عنهم ومن المحال ان يتركوا اجتهادهم لاجتهاد غيرهم لولا قيام الحجة عليهم بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الحق لغيرهم فى ذلك فان قال قائل ان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش يدخل فى ذلك الحليف والمولى وابن الاخت لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم ومن انفسهم وابن اخت القوم منهم فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان الاجماع قد تيقن وصح على ان حكم الحليف والمولى وابن الاخت كحكم من ليس له حليف ولا مولى ولا ابن اخت فمن اجاز الامامة فى غير هؤلاء جوزها فى هؤلاء ومن منعها من غير قريش منعها من الحليف والمولى وابن الاخت فاذا صح البرهان بان لا يكون الا فى قريش لا فيمن ليس قرشيا صح بالاجماع ان حليف قريش ومولاهم وابن اختهم كحكم من ليس قرشيا وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقال قوم ان اسم الامامة قد يقع على الفقيه العالم وعلى متولى الصلاة باهل مسجد ما قلنا نعم لا يقع على هؤلاء الا بالاضافة لا بالاطلاق فيقال فلان امام فى الدين وامام بنى فلان فلا يطلق لاحد منهم اسم الامامة بالخلافة من احد من الائمة الا على المتولى لامور اهل الاسلام فان قال قائل بان اسم الامارة واقع بالاخلاف على من ولى جهة من جهات المسلمين وقد سمى بالامارة كل من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جهة من الجهات او سرية او جيشا وهؤلاء مؤمنون فما المانع من ان يوقع على كل واحد اسم أمير المؤمنين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الكذب محرم بالاخلاف وكل ما ذكرنا قائما هو امير لبعض

وكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كانه لحية كوكب وربما حيت الادخنة فى برد الهـواء للتعاقب المذكور فانضغطت مشتعلة وان بقي شيء من الدخان فى تضاعيف الغيم وبرد صار ريحا وسط الغيم فتحرك عنه بشدة يحصل منه صوت يسمى الرعد وان قويت حركته وتحريكه اشتعل من حرارة الحركة والهواء والدخان فصار نارا مضيئة يسمى البرق وان كان المشتعل كثيفا ثقيلا محرقا اندفع بمصادمات الغيم الى جهة الارض ٧٥ فيسمي صاعقة ولكنه نار لطيفة تنفذ فى الثياب والاشياء الرخوة وينصدم بالاشياء الصلبة كالذهب والحديد فتذيبه حتى يذيب الذهب فى الكيس ولا يحرق الكيس ويذيب ذهب المراكب ولا يحرق البحر ولا يخلوا برق عن رعد لانهما جميعا من الحركة ولكن البصر أحد فقد البرق ولا ينتهي الصوت الي السمع وقد يرى متقدما ويسمع متاخرا وامطار الابخار الصاعدة فمنه ما يلطف ويرتفع جدا ويتراكم ويكثر مادته فى أقصى الهواء عند منقطع الشعاع فيبرد فيكثف فيقطر فيكون المتكاثف منه سحابا والقاطر مطرا ومنه ما يقصر انقله عن الارتفاع بل يبرد سريعا وينزل كما يوافيه برد الليلة سريعا قبل ان يتراكم سحابا وهذا هو الطل وربما جمد البخار المتراكم فى الاعالى أعني السحاب فنزل وكان ثلجا وربما جمد البخار الغير المتراكم فى الاعالى أعني مادة الطل فنزل وكان صقيعا وربما جمد البخار بعد ما استحال قطرات ماء وكان بردا وانما يكون جموده فى الشتاء وقد يفارق السحاب وفى الربيع وهو داخل السحاب وذلك اذا سخن خارجة فبطنت البرودة الى داخله فتكاثف داخله واستحال ماء وأجمده شدة البرودة وربما تكاثف الهواء نفسه لشدة البرد فاستحال مطرا ثم ربما وقع على سقيل السحاب صير الثلوج وانوأوها كما يقع فى المرائى والجدران الصقيلة فيري ذلك على أحوال مختلفة بحسب اختلاف بعدها من الزير وقربها وبعدها من المرائي وصفاتها

المؤمنين لا لكلهم فلو سمي أمير المؤمنين لكان مسميه بذلك كاذبا لان هذه اللفظة تقتضي عموم جميع المؤمنين وهو ليس كذلك وانما هو أمير بعض المؤمنين فصح انه ليس يجوز البتة ان يوقع اسم الامامة مطلقا ولا اسم أمير المؤمنين الا على القرشي المتولي لجميع أمور المؤمنين كلهم او الواجب له ذلك وان عصاه كثير من المؤمنين وخرجوا عن الواجب عليهم من طاعته المفترض عليهم من بيعته فكانوا بذلك فئة باغية حلالا قتالهم وحربهم وكذلك اسم الخلافة باطلاق لا يجوز أيضا الا لمن هذه صفته وبالله التوفيق واختلف القائلون بان الامامة لا تجوز الا في صلبة قريش فقالت طائفة هي جائزة فى جميع ولد فهر بن مالك فقط وهذا قول اهل السنة وجمهور المرجئة وبعض المعتزلة وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا فى ولد العباس بن عبد المطلب وهو قول الراوندية وقالت طائفة لا تجوز الخلافة الا فى ولد على ابن ابي طالب ثم قصروها على عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وبلغنا عن بعض بني الحارث بن عبد المطلب انه كان يقول لا تجوز الخلافة الا فى بني عبد المطلب خاصة ويراها فى جميع ولد عبد المطلب وهم ابو طالب وابولهب والحارث والعباس وبلغنا عن رجل كان بالاردن يقول لا تجوز الخلافة الا فى بني أمية بن عبد شمس وكان له في ذلك تاليف مجموع وربما كتابا مؤلفا الرجل من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتج فيه بان الخلافة لا تجوز الا لولد ابي بكر وعمر رضى الله عنهما

(قال ابو محمد) فاما هذه الفرق الاربع فما وجدنا لهم شبهة يستحق ان يشتغل بها الا دعاوى كاذبة لا وجه لها وانما الكلام مع الذين يرون الامر لولد العباس اولولد على فقط لكثرة عددهم

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى ان الخلافة لا تجوز الا فى ولد العباس فقط على ان الخلفاء من ولده وكل من له حظ من علم من غير الخلفاء منهم لا يرضون بهذا ولا يقولون به لكن تلك الطائفة قالت كان العباس عصب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووارثه فاذا كان ذلك كذلك فقد ورث مكانه

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء لان ميراث العباس رضى الله عنه لو وجب له لكان ذلك في المال خاصة واهل المرتبة فما جاء قط فى الديانات انها تورث فبطل هذا التمويه جملة ولله الحمد ولو جاز ان تورث المراتب لكان من ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانا اذا مات وجب ان يرث تلك الولاية عصبة ووارثه وهذا ما لا يقولونه فكيف وقد صح باجماع جميع اهل القبلة حاشا الروافض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * وورث سليمان داود * وبقوله تعالى

وكدورتها واستوائها ورعشها وكثرتها وقلتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب فالهالة تحدث من انعكاس البصر عن الرش المطيف بالنير الى النير حيث يكون الغمام المتوسط لا يخفى النير فيرى دائرة كانه منطقة محورها الخط الواصل بين الناظر وبين النير وما في داخلها ينفذ عنه البصر الى النير ويريه غالبا على أجزاء الرش بجعلها كانها غير موجودة وكان الغالب هناك هؤلاء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون في خلاف جهة النير فينعكس الزوايا من الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التي هي كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة وأما تحصيل الالوان على الجهة الشافية فان لم يستبن لي بعد وسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج الانبساط الهوائي بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى اكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالي فانقطعت رياحا والسموم ما كان منها محترقا وأما الانجزة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت رغاظت فلم ينفذ في مجاري مستحصفة فاجتمعت واندفعت مرة تزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط عالي وهدة في باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ ذلك بحسب

هؤلاء شفاف وأما القوس فان الغمام يكون في خلاف جهة النير فينعكس الزوايا من الرش الى النير لا بين الناظر والنير بل الناظر أقرب الى النير منه الى المرآة فتقع الدائرة التي هي كالمنطقة أبعد من الناظر الى النير فان كانت الشمس على الافق كان الخط المار بالناظر على بسيط الافق وهو المحور فيجب أن يكون سطح الافق يقسم المنطقة بنصفين فترى القوس نصف دائرة فان ارتفعت الشمس انخفض الخط المذكور فصار الظاهر من المنطقة الموهومة أقل من نصف دائرة وأما تحصيل الالوان على الجهة الشافية فان لم يستبن لي بعد وسحب ربما تفوقت وذابت وصارت ضبابا وربما اندفعت بعد التلطف الى أسفل فصارت رياحا وربما هاجت الرياح لاندفاع فيضها من جانب الى جهة وربما هاج الانبساط الهوائي بالتخلخل عند جهة واندفاعه الى أخرى اكثر ما يهيج لبرد الدخان المتصعد المجتمع الكثير ونزوله فان مبادي الرياح فوقانية وربما عطفها مقاومة الحركة الدورية التي تتبع الهواء العالي فانقطعت رياحا والسموم ما كان منها محترقا وأما الانجزة داخل الارض فتميل الى جهة فتبرد فتستحيل ماء فيصعد بالمد فيخرج عيونا وان لم يدعها السخونة تبرد وكثرت رغاظت فلم ينفذ في مجاري مستحصفة فاجتمعت واندفعت مرة تزلزلت الارض فخسفت وقد تحدث الزلزلة من تساقط عالي وهدة في باطن الارض فيموج بها الهواء المحتقن واذا احتبست الابخرة في باطن الجبال والكهوف فيتولد منها الجواهر اذا وصل اليها من سخونة الشمس وتأثير الكواكب حظ ذلك بحسب

حاكيا عن ذكريا عليه السلام انه قال * فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة فيه لان الرواة حملة الاخبار وجميع التواريخ القديمة كلها وكواف بني اسرائيل ينقلون بلا خلاف نقلا يوجب العلم ان داود عليه السلام كان له بنون غير سليمان عليه السلام فصح انه ورث النبوة وبرهان ذلك انهم كلهم مجمعون على انه عليه السلام ولي مكان ابيه عليهما السلام وليس له الا اثنتي عشرة سنة ولداود اربعة وعشرون ابنا كبارا وصغارا وهكذا القول في ميراث يحيى بن زكريا عليهما السلام وبرهان ذلك من نص الاية نفسها قوله عليه السلام يرثني ويرث من آل يعقوب * وهم مثوا الوف يرث عنه النبوة فقط وايضا فمن المحال ان يرغب زكريا عليه السلام في ولد يحجب عصبته عن ميراث فانما يرغب في هذه الخطة ذو الحرص على الدنيا وحطامها وقد نزه الله عز وجل مريم عليها السلام التي كانت في كفالته من المعجزات قال تعالى * كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب * الى قوله * انك سميع الدعاء * وعلى هذ المعنى دعا فقال * هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا * واما من اغتر بقوله تعالى حاكيا عنه عليه السلام انه قال * واني خفت الموالي من ورائي * قيل له بطلان هذا الظن ان الله تعالى لم يعطه ولدا يكون له عقب فيتصل الميراث لهم بل اعطاه ولدا حصورا لا يقرب النساء قال تعالى * وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين فصح ضرورة انه عليه السلام انما طلب ولدا نبيا لا ولدا يرث المال وايضا فلم يكن العباس محيطا بميراث النبي صلى الله عليه وسلم وانما كان يكون له ثلاثة اثمانه فقط وأما ميراث المكانة فقد كان العباس رضي الله عنه حيا قائما اذ مات النبي صلى الله عليه وسلم فما ادعى العباس لنفسه قط في ذلك حقا لا حينئذ ولا بعد ذلك وجاءت الشورى فما ذكر فيها ولا انكره هو ولا غيره ترك ذكره فيها فصح انه رأى محدث فاسد لا وجه للاشتغال به والخلفاء من ولده والافاضل منهم من غير الخلفاء لا يرون لانفسهم بهذه الدعوة ترفعا عن سقوطها ووهيها وبالله تعالى التوفيق وأما القائلون بان الامامة لا تكون الا في ولد علي رضي الله عنه فانهم انقسموا قسمين فطائفة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على علي بن ابي طالب انه الخليفة بعده وان الصحابة بعده عليه السلام اتفقوا على ظلمه وعلى كتمان نص النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء المسلمون الروافض وطائفة قالت لم ينص النبي صلى الله عليه وسلم على علي لكنه كان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحقهم بالامر وهؤلاء هم الزيدية نسبوا الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثم اختلف الزيدية فرقا فقالت طائفة ان الصحابة ظلموه وكفروا من خالفه

من الصحابة وهم الجارودية وقالت اخرى ان الصحابة رضى الله عنهم لم يظلموا ولكنه طربت نفسه بتسليم حقه الى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما وانه اماما وهدى ووقف بعضهم فى عثمان رضى الله عنه وتولاه بعضهم وذكر طائفة ان هذا مذهب الفقيه الحسن ابن صالح بن حى الهمدانى

(قال ابو محمد) وهذا خطأ وقد رأيت لهشام ابن الحكم الرافضى الكبير فى كتابه المعروف بالميزان وقد ذكر الحسن ابن حى وأن مذهبه كان ان الامامة فى جميع ولد فهر ابن مالك (قال ابو محمد) وهذا الذى لا يليق بالحسن بن حى غيره فانه كان احد أئمة الدين وهشام ابن الحكم اعلم به ممن نسب اليه غير ذلك لان هشاما كان جاره بالكوفة واعرف الناس به وأدركه وشاهده والحسن بن حى رحمه الله يحتج بمعاوية رضى الله عنه وبابن الزبير رضى الله عنهما وهذا مشهور عنه فى كتبه ورواياته من روى عنه وجميع الزيدية لا يختلفون فى ان الامامة فى جميع ولد على بن ابى طالب من خرج منهم يدعو الى الكتاب والسنة وجب سل السيف معه وقالت الروافض الامامة فى على وحده بالنص عليه ثم فى الحسن ثم فى الحسين وادعوا نصا آخر من النبى صلى الله عليه وسلم عليهما بعد ابيهما ثم على ابن الحسين لقول الله عز وجل * واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله * قالوا فولد الحسين احق من اخيه ثم محمد بن على بن الحسين ثم جعفر بن محمد بن على ابن الحسين وهذا مذهب جميع متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقى وداود الحوارى وداود الرقى وعلى بن منصور وعلى بن هيثم وابى على السكاك تلميذ هشام بن الحكم ومحمد بن جعفر بن النعمان شيطان الطاق وابى ملك الحضرمى وغيرهم ثم افترقت الرافضة بعد موت هؤلاء المذكورين وموت جعفر بن محمد فقالت طائفة بامامة بن اسماعيل بن جعفر وقالت طائفة بامامة ابنه محمد بن جعفر وهم قليل وقالت طائفة جعفر حي لم يمت وقال جمهور الرافضة بامامة ابنه موسى بن جعفر ثم على ابن موسى ثم محمد بن على بن موسى ثم على ابن محمد بن على بن موسى ثم الحسن بن على ثم مات الحسن عن غير عقب فافترقوا فرقا وثبت جمهورهم على انه ولد للحسن بن على ولد فاخفاه وقيل بل ولد له بعد موته من جارية له اسمها صقيل وهو الاشهر وقال بعضهم بل من جارية له اسمها نرجس وقال بعضهم بل من جارية له اسمها سوسن والاظهر ان اسمها صقيل لان صقيل هذه ادعت الحمل بعد الحسن بن على سيدها فوقف ميراثه لذلك سبع سنين ونازعها فى ذلك اخوه جعفر ابن على وتعصب لها جماعة من ارباب الدولة وتعصب لجعفر آخرون ثم انفش ذلك الحمل وبطل واخذ الميراث جعفر اخوه وكان موت الحسن هذا سنة ستين ومائتين وزادت فتنة الروافض بصقيل هذه ودعواها الى ان حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها وقد عير بها انها فى منزل الحسن بن جعفر النوبختى

اختلاف المواضع والازمان والمواد فمن الجواهر ماهو قابل للاذابة والطرق كالذهب والفضة ويكون قبل ان يصلب رثيقا ونفطا وانطاقيا لحالة رطوبتها واعصابها الجامد التام ومنها ما لا يقبل ذلك وقد يتكون من العناصر اكوان أيضا بسبب القوى الفلكية اذا امتزجت العناصر امتزاجا اكثر اعتدالا من اعتدال فيحصل فى المركب قوة غاذية وقوة ناميه وقوة مولدة وهذه القوى متمايزة بخصائصها * لقلة الرامة فى القوس وقواها *

اعلم ان النفس كجنس واحد ينقسم ثلاثة أقسام أحدها النباتية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى الى من جهة ما يولد ويربيه ويتغذى والغذاء جسم من شأنه ان يشتبه بطبيعة الجسم الذى قيل انه غذاؤه ويزيد فيه مقدرا ما يتحلل أو أكثر أو أقل والثانى النفس الحيوانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعي الى من جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالارادة والثالث النفس الانسانية وهى الكمال الاول لجسم طبيعى الى من جهة ما يفعل الافعال الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط لرأى من جهة ما يدرك الامور الكلية والنفس النباتية قوى ثلاث وهى الغاذية القوة التى تحيل جسما آخر الى مشاكلة الجسم الذي فيه فيلصقه به ما يدل ما يتحلل عنه والقوة المنمية وهى قوة تزيد فى الجسم الذى هى فيه بالجسم المشبه زيادة فى انطاره طولا وعرضا وعمقا بقدر ليبلغ به كماله النشوة والقوة المولدة وهى التى تأخذ من الجسم الذى هى فيه جزؤا وهو شبيه او اجب له بالقوة فيفعل فيه بامتداد اجسام اخر تشبه به من التخليق والتمزيق ما يصير شبيها به بالفعل فالنفس النباتية ثلاث قوى وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة والمحركة على قسمين اما محركة باعثة واما محركة فاعلة والباعثة هى القوة التى وعيه الشوقية وهى القوة التى اذا ارتسمت فى التخييل بعد صورة مطلوبة او مهروب عنها حدثت القوة التى تدركها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى شهوانية وهى قوة تبعث على تحريك يقرب

به من الاشياء المتخيلة ضرورة او نافعة طلبا للذة وشهوة تسمى غضبية وهي قوة تبعث على تحريك تدفع به الشيء المتخيل ضارا او مفسدا طلبا للغلبة واما القوة على انها فاعلة فهي قوة تنبعث في الاعصاب والعضلات من شانها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتاد والرباطات الى جهة المبدأ او ترخيها او تمددها طولا فتصير الاوتاد والرباطات الى خلاف المبدأ واما القدرة المدركة فتنقسم قسمين احدهما قوة تدرك (٧٨) من خارج وهي الحواس الخمس او الثمانية فمنها البصر وهي قوة مرتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجلدية من اشباح الاجسام ذوات اللون المتأدية في الاجسام الشافة بالفعل الى سطوح الاجسام الصقلية ومنها السمع وهي قوة مرتبة في العصب المتفرق في سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحصل منه تموج فاعل للصوت يتأدى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ ويموجه بشكل نفسه وتماس امواج تلك الحركة العصبية فيسمع ومنها الشم وهي قوة مرتبة في زائدتي مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتي الثدي تدرك ما يؤدى اليه من الهواء المنتشق من الرائحة المخالطة البخار الريح والمطعم فيه بالاستحالة من جرم ذي رائحة ومنها الذوق وهي قوة مرتبة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك الطعوم المتحالة من الاجسام المماسة المخالطة للرطوبة العذبة التي فيه فتخيله ومنها اللمس وهي قوة منبثة في جلد البدن كله ولحمه فاشية فيه والاعصاب تدرك ما تماسه وتؤثر فيه بالمضادة ويغيره في المزاج أو الهيئة ويشبه أن تكون هذه القوة لانوعا بل جنسا لاربع قوى منبثة معا في الجلد كله الواحدة حاكمة في التضاد الذي بين الحار والبارد والثانية حاكمة في التضاد الذي بين الخشن والاملس الا ان اجتماعها في آلة واحدة توهم اتحادها في الذات والمحسوسات كلها تتأدى الى آلات الحس فتنطبع

الكاتب فوجدت فيه وحملت الى قصر المعتضد فبقيت هنالك الى ان ماتت في القصر في ايام المقتدر فهم الى اليوم ينتظرون ضالة منذ مائة عام وثمانين عاما وكانت طائفة قديمة قد بادت كان رئيسهم المختار بن ابي عبيد وكيسان ابا عمرة وغيرهما يذهبون الى ان الامام بعد الحسين محمد اخوه المعروف بابن الحنفية ومن هذه الطائفة كان السيد الحميري وكثير عزة الشاعران وكانوا يقولون ان محمد ابن الحنفية حي يجبل رضوى ولهم من التخليط ما تضيق عنه الصحف

﴿قال ابو محمد﴾ وعمدة هذه الطوائف كلها في الاحتجاج احاديث موضوعة مكذوبة لا يعجز عن توليد مثلها من لادين له ولا حياء

﴿قال ابو محمد﴾ لا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقوننا ولا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها وانما يجب ان يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به سواء صدقه المحتج او لم يصدقه لان من صدق بشيء ازمه القول به او بما يوجبه العلم الضروري فيصير الخصم يومئذ مكابرا منقطعا ان ثبت على ما كان عليه الا ان بعض ما يشغبون به احاديث صحاح توافقهم على صحتها منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا لا يوجب له فضلا على من سواه ولا استحقاق الامامة بعده عليه السلام لان هرون لم يل امر بني اسرائيل بعد موسى عليهما السلام وانما ولي الامر بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام كما ولي الامر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه في الغار الذي سافر معه الى المدينة واذا لم يكن على نبيا كما كان هرون نبيا ولا كان هرون خليفة بعد موت موسى على بني اسرائيل فقد صح ان كونه رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة هارون من موسى انما هو في القرابة فقط وايضا فانما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول اذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك فقال المنافقون استثقله فخلفه فلحق علي برسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى ذلك اليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ انت مني بمنزلة هارون من موسى يريد عليه السلام انه استخلفه على المدينة مختارا استخلافه كما استخلف موسى عليه السلام هارون عليه السلام ايضا مختارا الاستخلافه ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في اسفاره رجالا سوى علي رضي الله عنه فصح ان هذا الاستخلاف لا يوجب له فضلا على غيره ولا ولاية الامر بعده كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين

﴿قال ابو محمد﴾ * وعمدة ما احتجت به الامامية ان قالوا لا بد من ان يكون امام معصوم عنده جميع علم الشريعة ترجع الناس اليه في احكام الدين ليكونوا اما تعبدوا به علمي يقين قال

فيها فتدركها القوة الحاسة والقسم الثاني قوى يدرك صور المحسوسات ومنها مايدرك معانى المحسوسات والفرق بين القسمين هو أن الصورة هو الشيء الذى تدركه النفس الناطقة والحس الظاهر معا ولكن الحس يدركه أولا ويؤديه الى النفس مثل ادراك الشاة صورة الذئب وأما المعنى فهو الذى تدركه من المحسوس من غير أن يدركه الحس أولا مثل ادراك الشاة المعنى المضاف فى الذئب الموجب لخوفها اياه وهربها عنه ومن المدركات الباطنة مايدرك ويفعل ٧٩ ومنها مالا يدرك ولا يفعل والفرق بين القسمين

(قال ابو محمد) هذا لاشك فيه وذلك معروف ببراهينه الواضحة واعلامه المعجزة وآياته الباهرة وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا تبيان دينه الذى الزمنا اياه صلى الله عليه وسلم فكان كلامه وعهوده وما بلغ من كلام الله تعالى حجة نافذة معصومة من كل آفة الى من بحضرته والى من كان فى حياته غائبا عن حضرته والى كل من يأتى بعده وته صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة من جن وانس قال عز وجل * اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء * فهذ نص ما قلنا وابطال اتباع أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما الحاجة الى فرض الامامة لتنفيذ الامام عهود الله تعالى الواردة الينا على من عند فقط لا لان يأتى الناس مالا يشاؤنه فى معرفته من الدين الذى انام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ دعى الى التحاكم الى القرآن اجاب واخبر ان التحاكم الى القرآن حق فان كان على اصاب فى ذلك فهو قولنا وان كان اجاب الى الباطل فهذه غير صفته رضي الله عنه ولو كان التحاكم الى القرآن لا يجوز بحضرة الامام لقال على حينئذ كيف تطلبون تحكيم القرآن وانا الامام المبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان قالوا اذ مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فلابد من امام يبلغ الدين قلنا هذا باطل ودعوى بلا برهان وقول لا دليل على صحته وانما الذى يحتاج اليه اهل الارض من رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانه وتبليغه فقط سواء فى ذلك من كان بحضرته ومن غاب عنه ومن جاء بعده اذ ليس فى شخصه صلى الله عليه وسلم اذا لم يتكلم بيان عن شيء من الدين فالمراد منه عليه السلام كلام باق ابدا مبلغ الى كل من فى الارض وايضا فلو كان ما قال لوامن الحاجة الى امام موجودا بدا لانتقض ذلك عليهم بمن كان غائبا عن حضرة الامام فى اقطار الارض اذ لا سبيل الى ان يشاهد الامام جميع أهل الارض الذين فى المشرق والمغرب من فقير وضعيف وامرأة ومريض ومشغول بمعاشه الذى يضيع ان اغفله فلابد من التبليغ عن الامام فالتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى بالاتباع من التبليغ عمن هو دونه وهذا ما لا انفكاك لهم منه

(قال ابو محمد) لاسيما وجميع ائمتهم الذين يدعون بعد على والحسن والحسين رضي الله عنهم ما امروا قط فى غير منازل سكناهم وماحكموا على قرية فما فوقها بحكم فى الحاجة اليهم لاسيما مذ مائة عام وثمانين عاما فانهم يدعون اماما مضى لا لم يخلق كمنقذ مغرب وهم اولو فحش وقحة وبهتان ودعوى كاذبة لم يعجز عن مثلها احد وايضا فان الامام المعصوم لا يعرف انه معصوم الا بمعجزة ظاهرة عليه او بنص تنقله العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم على كل امام بعينه واسمه ونسبه والا فهى دعوى لا يعجز عن مثلها احد لنفسه اولمن شاء ولقد يلزم كل ذى عقل سليم ان يرغب بنفسه عن اعتقاد هذا الجهل الغث البارد السخيف الذى ترتفع عقول الصبيان عنه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وبرهان آخر ضروري وهو ان رسول الله

أن الفعل فيها هو ان تركب الصور والمعانى المدركة بعضها مع بعض ويفصل بعضها عن بعض فيكون ادراك وفعل أيضا فيما ادرك والادراك لا مع الفعل هو أن تكون الصورة أو المعنى ترتسم فى القوة فقط من غير أن يكون لها فعل وتصرف فيه ومن المدركات الباطنة مايدرك أولا ومنها مايدرك ثانيا والفرق بين القسمين أن الادراك الاول هو ان يكون حصول الصورة على نحو من الحصول قد وقع للشيء من غير الادراك الثانى هو ان يكون حصولها من جهة شيء آخر أدى اليها من القوة الباطنة المدركة الحيوانية قوة بنطاسيه وهو الحس المشترك وهى قوة مترتبة فى التجويف الاول من مقدم الدماغ تقبل بذاتها جمع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس متادية اليها من الخيال والمصورة وهى قوة مترتبة فى التجويف المقدم من الدماغ

يحفظ ماقبله الحس المشترك من الحواس ويبقى فيها بعد غيبة المحسوسات والقوة التى تبقى متخيلة بالقياس الى النفس الحيوانية وتسمى مفكرة بالقياس الى النفس الانسانية فهو قوة مرتبة فى التجويف الاوسط من الدماغ عند الدودة من شأنها ان تركب بعض ما فى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض بحسب الاختيار ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الغير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الحاكمة بان الذئب مهروب عنه

وان الولد معطوف عليه ثم القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة مترتبة في التجويف المؤخر من الدماغ تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات ونسبة الحافظة الى الوهمية كنسبة الخيال الى الحس المشترك الا ان ذلك في المعاني وهذا في الصور فهذه خمس قوى الحيوانية واما النفس الناطقة للانسان فتنقسم قواها ايضا الى قوة عالمة وقوة عاملة كل واحد من (٨٠) القوتين يسمى عقلا باشتراك الاسم فالعاملة قوة هي مبدء تحرك لبدن الانسان الى الافاعيل الجزئية الخصة بالرؤية على مقتضى آراء تخصها اصطلاحيه ولها اعتبار بالقياس الى القوة الحيوانية النزوعيه واعتبار بالقياس الى القوة المخيلة والمتوهمة واعتبار بالقياس الى نفسها وقياسها الى النزوعية ان يحدث عنها فيها هيئات تخص الانسان يتهيء بها لسرعة فعل وانفعال مثل الخجل والحياء والضحك وقياسها الى المتخيلة والمتوهمة هو ان يستعملها في استنباط التدابير في الامور الكائنة الفاسدة واستنباط الصناعات الانسانية وقياسها الى نفسها ان فيما بينها وبين العقل النظري يتولد الاراء الذائعة المشهورة مثل ان الكذب قبيح والصدق حسن وهي هذه القوى هي التي يجب ان تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه احكام القوة العالمة حتى لا ينفعل عنها البتة بل تنفعل عنه فلا يحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفدة من الامور الطبيعية وهي التي تسمى اخلاقا رديلة بل تحدث في القوى البدنية هيئات انقيادية لها وتكون متسلطة عليها واما القوة العالمة النظرية فهي قوة من شانها ان تنطبع بالصور الكلية المجردة من المادة فان كانت مجردة بذاتها فذاك وان لم يكن فانها تصيرها مجردة بتجريدها اياها حتى لا يبقى فيها من علائق المادة شيء ثم لها الى هذه الصور نسب وذلك ان الشيء الذي من شانه ان يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون

صلى الله عليه وسلم مات وجمهور الصحابة رضي الله عنهم حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين فما منهم احد اشار الى علي بكلمة يذكر فيها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم نص عليه ولا ادعى ذلك علي قط لا في ذلك الوقت ولا بعده ولا ادعاه له احد في ذلك الوقت ولا بعده ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة ولا يجوز اتفاق اكثر من عشرين الف انسان متنابذي الهمم والنيات والانساب اكثرهم موتور في صاحبه في الدماء من الجاهلية على طي عهد عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وما وجدنا قط رواية عن احد بهذا النص المدعى الا رواية واحدة واهية عن مجهولين الى مجهول يكنى بالحمراء لا يعرف من هو في الخلق ووجدنا عليا رضي الله عنه تاخر عن البيعة ستة اشهر فما كرهه ابو بكر على البيعة حتى بايع طائعا مراجعا غير مكره فكيف حمل لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء الوكى ان يبايع طائعا رجلا اما كافرا واما فاسقا جاحدا لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعينه على امره ويجلسه في مجالسه ويواليه الى ان مات ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب مبادرا غير متردد ساعة فما فوقها غير مكره بل طائعا وصحبه واعانه على امره وانكحه من ابنته فاطمة رضي الله عنها ثم قبل ادخاله في الشورى احد ستة رجال فكيف حمل لعلي عند هؤلاء الجهال ان يشارك بنفسه في شورى ضلة وكفر ويغر الامة هذا الغرور وهذا الامر ادى اما كامل الى تكفير علي بن ابي طالب رضي الله عنه لانه في زعمه اعان الكفار على كفرهم وايدهم على كتمان الديانة وعلى ما لا يتم الدين الا به

(قال ابو محمد) ولا يجوز ان يظن بعلي رضي الله عنه انه أمسك عن ذكر النص عليه خوف الموت وهو الاسد شجاعة قد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم مرات ثم يوم الجمل وصفين فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين وما الذي الف بين بصائر الناس على كتمان حق علي ومنعه ما هو احق به من مقامات رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان قتل عثمان رضي الله عنه ثم ما الذي حمى بصائرهم في عونه اذ دعا الى نفسه فقامت معه طوائف من المسلمين عظيمة وبذلوا دماءهم دونه ورأوه حينئذ صاحب الامر والاولى بالحق ممن نازعه فما الذي منعه ومنعهم من الكلام واظهار النص الذي يدعيه الكذابون اذ مات عمر رضي الله عنه وبقي الناس بلا رأس ثلاثة ايام او يوم السقيفة وانظر من هذا بقاؤه ممسكا عن بيعة ابي بكر رضي الله عنه ستة اشهر فما شاهلها ولا اجبر عليها ولا كلفها وهو يتصرف بينهم في امور هم لو انه رأى احقا فيها واستدرك امره فبايع طالبا حظ نفسه في دينه راجعا الى الحق لما بايع فان قالت الروافض انه بعد ستة اشهر رأى الرجوع الى الباطل فهذا هو الباطل حقا لما فعل علي رضي الله عنه ثم ولي علي رضي الله عنه فما غير حكما من احكام ابي بكر وعمر وعثمان ولا ابطل عهدا من عهودهم ولو كان ذلك عنده باطلا لما كان في

سعة

بالفعل والقوة على ثلاثة أوجه قوة مطلقة هيولانية وهو الاستعداد المطلق من غير فعل ما كقوة الطفل على الكتابة وقوة ممكنة وهو استعداد مع فعل ما كقوة الطفل بعد ما تعلم بسائط الحروف وقوة تسمى ملكة وهى قوة لهذا الاستعداد اذا تم بالآلة ويكون له ان يفعل متى شاء بلا حاجة الى اكتساب فالقوة النظرية قد تكون نسبتها الى الصور نسبة الاستعداد المطلق وتسمى عقلا هيولانيا واذا حصل فيها من المعقولات الاولى التى يتوصل بها الى المعقولات الثانية التى تسمى عقلا بالفعل واذا حصلت فيها المعقولات الثانية المكتسبة وصارت مخزونة له بالفعل متى شاء طالعها فان كانت حاضرة عنده بالفعل تسمى عقلا مستفادا وان كانت مخزونة تسمى بالملكة وهاهنا ينتهى النوع الانسانية و يتشبه بالمبادىء الاولى بالوجود كله وللناس مراتب فى هذا الاستعداد فقد يكون عقلا شديد الاستعداد حتى لا يحتاج فى ان يتصل بالعقل الفعال الى كثير شىء من تجريح وتعليم حتى كانه يعرف كل شىء من نفسه لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على حدود وسطى فيه اما دفعة فى زمان واحد واما دفعات فى أزمنة شتى وهى القوة القدسية التى تناسب روح القدس فيفيض عليها من المعقولات ما يحتاج اليه فى تكميل القوة العملية فالدرجة العليا منها النبوة وربما يفيض عليها وعلى

سمعة من أن يمضى الباطل وينفذه وقد ارتفعت التقية عنه وأيضا فقد نزع الانصار رضى الله عنهم أبا بكر رضى الله عنه ودعوا الى بيعة سعد بن عبادة رضى الله عنه ودعا المهاجرون الى بيعة ابى بكر رضى الله عن جميعهم وقعد على رضى الله عنه فى بيته لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام ثم استبان الحق للزبير رضى الله عنه فبايع سريعا وبقى على وحده لا يرقب عليه ولا يمنع من لقاء الناس ولا يمنع احد من لقائه فلا يخلو رجوع الانصار كلهم الى بيعة ابى بكر من ان يكون عن غلبة أو عن ظهور حقه اليهم فاوجب ذلك الانقياد لبيعته او فعلوا ذلك مطارفة اغير معنى ولا سبيل الى قسم رابع بوجه من الوجوه فان قالوا بايعوه بغلبة كذبوا لانه لم يكن هنالك قتال لا تضارب ولا سباب ولا تهديد ولا وقت طويل ينفسح الموعيد ولا سلاح ماخوذ ومحال ان يترك أزيد من الى فارس انجاد ابطال كلهم عشيرة واحدة قد ظهر من شجاعتهم ما لا مرمى وراءه وهو انهم بقوا ثمانية اعوام متصلة محاربين لجميع العرب فى اقطار بلادهم موطنين على الموت متعرضين مع ذلك للحرب مع قيصر والروم بهرقلة وغيرها ولكسرى والفرس ببصري من يخاطبهم يدعوه الى اتباعه وان يكون كاحد من بين يديه هذه صفة الانصار التى لا ينكرها الا رقيع مجاهر بالكذب فمن المحال الممتنع أن يرهبوا ابا بكر ورجلين أتيا معه فقط لا يرجع الى عشيرة كثيرة ولا الى موال ولا الى عصبة ولا مال فرجعوا اليه وهو عندهم مبطل وبايعوه بلا تردد ولا تطويل وكذلك يبطل ان يرجعوا عن قولهم وما كانوا قد رأوه من أن الحق حقهم وعن بيعة ابن عمهم مطارفة بلا خوف ولا ظهور الحق اليهم فمن المحال اتفاق أهواء هذا العدد العظيم على ما يعرفون انه باطل دون خوف يضطرهم الى ذلك ودين طمع يتعجلونه من مال او جاه بل فيما فيه ترك العز والدنيا والرياسة وتسليم كل ذلك الى رجل لا عشيرة له ولا منعة ولا حاجب ولا حرس على بابه ولا قصر ممتنع فيه ولا موالى ولا مال فاين كان على وهو الذى لا نظير له فى الشجاعة ومعه جماعة من بنى هاشم وبنى المطلب من قتل هذا الشيخ الذى لا دافع دونه لو كان عنده ظلما وعن منعه وزجره بل قد علم والله على رضى الله عنه أن ابا بكر رضى الله عنه على الحق وان من خالفه على الباطل فاذ عن للحق بعد ان عرضت له فيه كبوة كذلك الانصار رضى الله عنهم واذ قد بطل كل هذا فلم يبق الا أن علياً والانصار رضى الله عنهم انما رجعوا الى بيعة ابى بكر رضى الله عنه لبرهان حق صح عندهم عن النبى صلى الله عليه لا لاجتهادكاجتهادهم ولا لظن كظنونهم فاذ قد بطل أن يكون الامر فى الانصار وزالت الرياسة عنهم فما الذى حملهم كلهم أولهم عن آخرهم على ان يتفقوا على جحد نص النبى صلى الله عليه وسلم على امامة على ومن المحال ان تتفق آراؤهم كلهم على معونة من ظلمهم وغصبهم حقهم الا ان تدعى الروافض انهم كلهم اتفق لهم نسيان ذلك العهد فهذه أعجوبة من المحال غير ممكنة ثم لو أمكنت لجاز لكل أحد أن يدعى فيما شاء من المحال انه قد كان وان الناس كلهم نسوه وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأيضا فان كان جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفقوا على جحد ذلك النص وكتمانه واتفقت طبائعهم كلهم على نسيانه فمن أين وقع الروافض أمره ومن بلغه اليهم وكل هذا عن هوس ومحال فبطل أمر النص على على رضى الله عنه بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فان قال قائل ان على بن ابى طالب رضى الله عنه كان قد قتل الاقارب بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتولد له بذلك حقد فى قلوب جماعة من الصحابة ولذلك انحرفوا عنه قيل له هذا تمويه

ضعيف كاذب لانه ان ساغ لكم ذلك في بني عبد شمس وبني مخزوم وبني عبد الدار وبني عامر لانه قتل من كل قبيلة من هذه القبائل رجلا أو رجالا فقتل من بني عامر بن لؤي رجلا واحدا وهو عمرو بن ود وقتل من بني مخزوم وبني عبد الدار رجالا وقتل من بني عبد شمس الوليد بن عقبة والعاص بن سهل بن العاص بلاشك وشارك في قتل عتبة بن ربيعة وقيل قتل عقبة بن ابي معيط وقيل قتله غيره وهو عاصم بن ثابت الانصاري ولا مزيد فقد علم كل من له أقل علم بالاخبار انه لم يكن لهذه القبائل ولا لاحد منها يوم السقيفة حل ولا عقد ولا رأي ولا أمر اللهم الا ان ابا سفيان بن حرب بن امية كان مائلا الى علي في ذلك الوقت عصبية للقرابة لاننا وكان ابنه يزيد وخالد بن سعيد بن العاص والحارث بن هشام ابن المغيرة المخزومي مائلين الى الانصار تدينا والانصار قتلوا أباجهل بن هشام أخاه وقد كان محمد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة شديد الميل الى علي حين قصة عثمان وبعدها حتى قاله معاوية على ذلك فعرفونا من قتل علي من بني تيم بن مرة أو من بني عدي بن كعب حتى يظن أهل النحلة انهما حقدا عليه ثم اخبرونا من قتل من الانصار أو من جرح منهم أو من اذى منهم ألم يكونوا معه في تلك المشاهد كلها بعضهم متقدم وبعضهم مساوله وبعضهم متاخر عنه فاي حقد كان له في قلوب الانصار حتى يتفقوا كلهم على جحد النص عليه وعلى ابطال حقه وعلى ترك ذكر اسمه جملة وايثار سعد بن عبادة عليه ثم على ايثار ابي بكر وعمر عليه والمسارعة الى بيعته بالخلافة دونه وهو معهم وبين أظهرهم يرونه غدوا وعشيا لا يحول بينهم وبينه أحد ثم اخبرونا من قتل علي من أقارب أولاد المهاجرين من العرب من مضر وربيعة واليمن وقضاعة حتى يصفقوا (١) كلهم على كراهية ولا يته ويتفقوا كلهم على جحد النص عليه ان هذه لعجائب لا يمكن اتفاق مثلها في العالم أصلا ولقد كان لطلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص من القتل في المشركين كالذي كان لعلي فما الذي خصه باعتقاد الاحقاد دونهم لو كان للروافض حياء أو عقل ولقد كان لابي بكر رحمه الله ورضي عنه في مضادة قريش في الدعاء الى الاسلام ما لم يكن لعلي فما منعهم ذلك من بيعته وهو اسوأ الناس اثرا عند كفارهم ولقد كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في مغالبة كفار قريش واعلانه الاسلام على زعمهم ما لم يكن لعلي رضي الله عنه فليت شعري ما الذي أوجب أن ينسى آثار هؤلاء كلهم ويعادر اعاليا من بينهم كلهم لولا قلة حياء الروافض وبه فاقة وجهوهم حتى بلغ الامر بهم الى ان عدوا على سعد بن ابي وقاص وابن عمر واسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافع بن خديج الانصاري ومحمد بن مسلمة الانصاري وزيد بن ثابت الانصاري وابي هريرة وابي الدرداء وجماعة غيرهؤلاء من المهاجرين انهم لم يبايعوا عليا اذ ولي الخلافة ثم بايعوا معاوية ويزيد ابنه من ادركه وادعوا ان تلك الاحقاد حملتهم على ذلك

(قال ابو محمد) حمق الرافضة وشدة ظلمة جهلهم وقلة حياتهم هو رمي في الدمار والبوار والعار والنار وقلة المبالاة بالفضائح وليت شعري أي حماسة وأي كلمة حسنة كانت بين علي وبين هؤلاء أو احد منهم وانما كان هؤلاء ومن جرى مجراهم لا يرون بيعة في فرقة فلما اتفق المسلمون على مبايعة من كان دخلوا في الجماعة وهكذا فعل من ادرك من هؤلاء ابن الزبير رضي الله عنه ومروان فانهم قعدوا عنهما فلما انفرد عبد الملك بن

(١) يصفقوا كلهم بضم حرف المضارعة من أصفق يصفق كاجمع اي يجمعوا عليه

مروان

المتخيلة من روح القدس مقبول تحاكيه المتخيلة (٨٢) بامثلة محسوسة او كلمات مسموع تامثلة فيعبر عن هذه الصورة بملك في صورة رجل وعن الكلام بوحي في صورة عبرة.

المقالة الخامسة في ان النفس الانسانية جوهر ليس بجسم ولا قائم بجسم وان ادراكها قد يكون بالات وقد يكون بذاتها لا بالات وانها واحدة وقواها كثيرة وانها حادثة مع حدوث البدن وباقية بعد فناء البدن اما البرهان على النفس ليست بجسم هو ان نحس من ذواتنا ادراكا معقولا مجردا عن المواد وعوارضها اعني الكم والاين والموضع وما الان المدرك لذاته كذلك كالعلم بالوحدة والعلم بالوجود مطلقا واما الان العقل مجرد عن العوارض فالانسان مطلقا فيجب ان ينظر في ذات هذه الصور المجردة كيف هي في تجردها اما بالقياس الى الشيء الماخوذ عنه واما بالقياس الى مجرد الاخذ ولا يشك انها بالقياس الى الماخوذ عنه ليست مجردة فبقي انها مجردة عن الوضع والاين عند وجودها في العقل والجسم ذو وضع واين ومالا وضع له لا يحل ماله وضع واين وهذه الطريقة اقوى الطرق فان الشيء المعقول الواحد الذات المتجرد عن المادة لا يخلو اما ان يكون له نسبة الى بعض الاجزاء دون بعض فيحل في جهة حتى يكون متيامنا او متياسرا بالنسبة الى المحل او تكون نسبته الى الكل نسبة

مروان بايعه من ادركه منهم لا رضا عنه ولا عداوة لابن الزبير ولا تفضيلا لعبد الملك على ابن الزبير لكن لما ذكرنا وهكذا كان امرهم في علي ومعاوية فلاحت نوكة هؤلاء المجانين والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وهذا زيد بن حارثة قتل يوم بدر حنظلة بن ابي سفيان وهذا الزبير بن العوام قتل يوم بدر أيضا عبيدة بن سعيد بن العاص وهذا عمر بن الخطاب قتل يوم مئذ العاص بن هشام بن المغيرة فهلا عاداهم اهل هؤلاء المقتولين وما الذي خص عليا اولياء من قتل دون سائر من قتلوا ولا جنون الرافضة وعدم الحياء من وجوههم ثم لو كان ما ذكروه حقا فما الذي كان دعا عمر الى ادخاله في الشورى مع من ادخله فيها ولو اخرجه منها كما أخرج سعيد بن زيد أو قصد الى رجل غيره فولاه ما اعترض عليه أحد في ذلك بكلمة فصح ضرورة بكل ما ذكرنا ان القوم انزلوه منزلته غير عالين ولا مقصرين رضي الله عنهم اجمعين وانهم قدموا الاحق فالاحق والافضل فالافضل وساووه بنظرائه منهم ثم اوضح برهانه وابين بيانه في بطلان اكاذيب الرافضة ان عليا رضي الله عنه لما ادعى الى نفسه بعد قتل عثمان رضي الله عنه سارعت طوائف المهاجرين والانصار الى بيعته فهل ذكر احد من الناس ان احدا منهم اعتذر اليه مما سلف من بيعتهم لابي بكر وعمر وعثمان او هل تاب احد منهم من جحده للنص على امامته او قال احد منهم لقد ذكرت هذا النص الذي كنت انسيته في امر هذا الرجل ان عقولا خفي عليها هذا الظاهر اللائح لمقول مخذولة لم يرد الله ان يهديها ثم مات عمر رضي الله عنه وترك الامر شورى بين ستة من الصحابة على احدهم ولم يكن في تلك الايام الثلاثة سلطان يخاف ولا رئيس يتوقى ولا مخافة من احد ولا جند معد للتغلب أفترى لو كان لعلي رضي الله عنه حق ظاهر يختص به من نص عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من فضل باين على من معه ينفرد به عنهم اما كان الواجب علي ان يقول ايها الناس كم هذا الظلم لي وكم هذا الكتمان بحقي وكم هذا الجحد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكم هذا الاعراض عن فضلي البائن علي هؤلاء المقرونين بي فاذلم يفعل لا يدري لماذا اما كان في بني هاشم احد له دين يقول هذا الكلام أما العباس عمه وجميع العالمين على توقيره وتعظيمه حتى ان عمر توسل به الى الله تعالى بحضرة الناس في الاستسقاء واما احد بنيه وأما عقيل اخوه واما احد بني جعفر اخيه او غيرهم فاذلم يكن في بني هاشم احد يتقي الله عز وجل ولا ياخذه في قول الحق مداهنة اما كان في جميع اهل الاسلام من المهاجرين والانصار وغيرهم واحد يقول يا معشر المسلمين قد زالت الرقبة وهذا علي له حق واجب النص وله فضل بائن ظاهر لا يمتري فيه فبايعوه فامره وبين ان اتفاق جميع الامة اولها عن آخرها من برقة الى اول خراسان ومن الجزيرة الى اقصى اليمن اذ بلغهم الخبر على الكرت عن حق هذا الرجل واتفاقهم على ظلمه ومنعه من حقه وليس هناك شيء يخافونه لاحدى عجائب المحال المدفع وفيهم الذين بايعوه بعد ذلك اذ صار الحق حقه وقتلوا انفسهم دونه فاين كانوا عن اظهار ما تنبهت له الروافض الانذال ثم المحب اذ كان غيظهم عليه هذا الغيظ واتفاقهم على جحده حقه هذا الاتفاق كيف تورعوا عن قتله ليستريحوا منه ام كيف اكرموه وبروه وادخلوه في الشورى وقال هشام بن الحكم كيف يحسن الظن بالصحابة ان لا يكتموا النص على علي وهم قد اقتتلوا وقتل بعضهم بعضا فهل يحسن بهم الظن في هذا

مرتفع الحلول في جملة الجسم أو في جزء من اجزائه وان تحققت النسبة صار الشيء المعقول ذا وضع وقد وضع غير ذي وضع هذا خلف وبه تبين ان الصور المنطبعة في المادة لا تكون الا أشباحا لامور جزوية منقسمة ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة الى جزء منها وايضا فان الشيء المتكثر في اجزاء الجدله من جهة التمام وحدة هو بها لا ينقسم فتلك الوحدة بما هي وحدة كيف تنقسم في منقسم وايضا من شان القوة الناطقة ان تعقل بالفعل واحدا واحدا من المعقولات غير متناهية بالقوة ليس واحد اولى من الاخر وقد صح لنا ان الشيء الذي يقوى على امور غير متناهية بالقوة لا يجوز ان يكون محله جسما ولا قوة في جسم ومن الدليل القاطع على ان محل المعقولات ليس بجسم ان الجسم ينقسم بالقوة بالضرورة ومالا ينقسم لا يحل المنقسم والمعقول غير منقسم فلا يحل المنقسم اما ان الجسم منقسم فقد دللنا عليه واما ان المعقول المجرد لا ينقسم فقد فرغنا عنه واما ان مالا ينقسم لا يحل منقسما فانا لو قسمنا المحل فلا يخلو اما ان يبطل الحال فيه وهذا كذب اولا يبطل ولا يخلو اما ان بقي حالا في بعضه كما كان حالا في كله وهذا محال فانه يجب ان يكون حكم البعض حكم الكل

(*قال ابو محمد)*لو علم الفاسق ان هذا القول اعظم حجة عليه لم ينطق بهذا السخف لان علي بن ابي طالب رضي الله عنه اول من قاتل حين افترق الناس فكل ما لحق المقتتلين منهم من حسن الظن بهم او من سوء الظن بهم فهو لاحق لعلي في قتاله ولا فرق بينه و بين سائر الصحابة في ذلك كله و بالله تعالى التوفيق فان خصه متحكم كان كمن خص غيره منهم متحكما ولا فرق وايضا فان اقتتالهم رضي الله عنهم او كدبرهان على انهم لم يغاروا على ما رأوه باطلا بل قاتل كل فريق منهم على ما رأوه حقا ورضي بالموت دون الصبر على خلاف ما عنده وطائفة منهم قعدت اذ لم تر الحق في القتال فدل على بانه لو كان عندهم نص على علي او عند واحد منهم لاظهروه اولاظهره كما اظهروا ما رأوا ان يبذلوا انفسهم للقتال والموت دونه فاز قالوا قد اقررتم انه لابد من امام فباي شيء يعرف الامام لاسيما وانتم خاصة معشر اهل الظاهر لا تاخذون الا بنص قرآن او خبر صحيح وهذا ايضا مما سالناه عنه اصحاب القياس والرأي

*قال ابو محمد)*فجوابنا و بالله تعالى التوفيق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نص على وجوب الامامة وانه لا يحل بقاء ليلة دون بيعة وافترض علينا بنص قوله الطاعة للقرشي اماما واحدا لا ينازع اذا قادنا بكتاب الله عز وجل فصح بهذه النصوص النص على صفة الامام الواجب طاعته كما صح النص على صفة الشهود في الاحكام وصفة المساكين والفقراء الواجب لهم الزكاة وصفة من يؤم في الصلاة وصفة من يجوز نكاحها من النساء وكذلك سائر الشريعة كلها ولا يحتاج الى ذكر الاسماء اذ لم يكلفنا الله عز وجل ذلك فكل قرشي بالغ عاقل بادر اثر موت الامام الذي لم يعهد الى احد فبايعه واحد فصاعدا فهو الامام الواجب طاعته ما قاد بنا بكتاب الله تعالى و بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امر الكتاب باتباعها فان زاغ عن شيء منهما منع من ذلك واقيم عليه الحد والحق فان لم يؤثر أداه الا بخلعه خلع وولي غيره ونهم فان قالوا قد اختلف الناس في تاويل القرآن والسنة ومنع من تاويلهما بغير نص آخر قلنا ان التاويل الذي لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه وقد جاء النص بالمنع من ذلك وليس الاختلاف حجة وانما الحجة في نص القرآن والسنن وما اقتضاه لفظهما العربي الذي خوطبنا به و به ألزمتنا الشريعة

قال ابو محمد) ثم نسالهم فنقول لهم ان عمدة احتجاجكم في ايجاب امامتكم التي تدعيها جميع فرقكم انما هي وجهان فقط احدهما النص عليه باسمه والثاني شدة الفاقة اليه في بيان الشريعة اذ علمها عنده لا عند غيره ولا مزيد فاخبرونا باي شيء صار محمد بن علي بن الحسين اولى بالامامة من اخوته زيد وعمرو وعبد الله وعلي والحسين فان ادعوا نصا من ابيه عليه او من النبي صلى الله عليه وسلم أنه لباقر لم يكن ذلك بدع من كذبهم ولم يكونوا اولى بتلك الدعوى من السبائية في دعواهم النص على ابن الحنفية وان ادعوا انه كان افضل من اخوته كانت ايضا دعوى بلا برهان والفضل لا يقطع على ما عند الله عز وجل فيه بما يبدو من الانسان فقد يكون باطنه خلاف ظاهره وكذلك يسالون ايضا ما الذي جعل موسى بن جعفر اولى بالامامة من اخيه محمد او اسحق او علي فلا يجدون الى غير الدعوى سبيلا وكذلك أيضا يسالون ما الذي خص علي بن موسى بالامامة دون اخوته وهم سبعة عشر ذكرا فلا يجدون شيئا غير الدعوى وكذلك يسالون ما الذي جعل محمد بن علي بن موسى اولى بالامامة من اخيه علي بن علي وما الذي جعل علي بن محمد اولى بالامامة من اخيه موسى بن محمد وما

واما ان ينقسم بانقسام محله وقد فرض غير منقسم ثم لو فرض انقسام الحال فيه فلا يخلو اما ان يكون اجزاؤه متشابهة كالشكل المعقول او العدد وليس كل صورة معقولة بشكل وتكون الصورة المعقولة خيالية لا عقلية صرفة واظهر من ذلك انه ليس يمكن ان يقال ان كل واحد من الجزؤين هو بعينه الكل في المعنى وان كانا غير متشابهين مثل اجزاء الحد من الجنس والفصل فيلزم منه محالات منها ان كل جزؤ من الجسم يقبل القسمة ايضا فيجب ان يكون الاجناس والفصول غير متناهية وهذا باطل وايضا فانه ان وقع الجنس في جانب والفصل في جانب ثم لو قسمنا الجسم لكان يجب ان يقع نصف الجنس في جانب ونصف الفصل في جانب وهو محال ثم ليس احد الجزءين اولى لقبول الجنس منه لقبول الفصل وايضا ليس كل معقول يمكن أن يقسم الى معقولات ابسط فان هاهنا معقولات هي ابسط المعقولات وهي مبادىء التركيبات في سائر المعقولات ليس لها اجناس ولا فصول ولا انقسام في الكم ولا في المعنى فلا يتوهم فيها اجزاء متشابهة تتبين بهذه الجملة ان محل المعقولات ليس بجسم ولا قوة في جسم فهو اذا جوهر معقول علاقته مع البدن لا علاقة حلول ولا علاقة انطباع بل علاقة التدبير والتصرف وعلاقته من جهة العلم

الحواس

الذى جعل الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى احق بالامامة من اخيه جعفر بن على فهل هاهنا شيء غير الدعوى الكاذبة التى لاحياء لصاحبها والتى لو ادعى مثلها مدع للحسن ابن الحسن او لعبد الله بن الحسن او لاخيه الحسن بن الحسن او لابن اخيه على بن الحسن أو لمحمد بن عبد الله القائم بالمدينة او لاخيه ابراهيم او لرجل من ولد العباس او من بنى أمية أو من اى قوم من الناس كان لساواهم فى الحماقة ومثل هذا لايشتغل به من له مسكة من عقل أو منحة من دين ولو قلت اورقة من الحياء فبطل وجه النص واما وجه الحاجة اليه فى بيان الشريعة فاظهر قط من اكثر ائمتهم بيان لشيء مما اختلف فيه الناس وما بايديهم من ذلك شيء الادعاوى مفتعلة قد اختلفوا ايضا فيها كما اختلف غيرهم من الفرق بسواء سواء الا انهم اسوأ حالا من غيرهم لان كل من قلد انسانا كاصحاب ابى حنيفة لابى حنيفة واصحاب مالك لمالك واصحاب الشافعى للشافعى واصحاب احمد لاحمد فان لهؤلاء المذكورين اصحابا مشاهير نقلت عنهم اقوال صاحبهم ونقلوها عنه ولاسبيل الى اتصال خبر عندهم ظاهر مكشوف يضطر الخصم الى ان هذا قول موسى بن جعفر ولا انه قول على بن موسى ولا انه قول محمد بن موسى ولا انه قول على بن محمد ولا انه قول الحسن بن على واما من بعد الحسن بن على فعدم بالكلية وحماقة ظاهرة واما من قبل موسى ابن جعفر فلو جمع كل ماروى فى التقية عن الحسن والحسين رضى الله عنهما لما بلغ اوراقا فاترى المصلحة التى يدعونها فى امامهم ظهرت ولا نفع الله تعالى بها قط فى علم ولا عمل لا عندهم ولا عند غيرهم ولا ظهر منهم بعد الحسين رضى الله عنه من هؤلاء الذين سموا احداً ولا امر منهم احد قط بمعروف معلن وقد قرأنا صفة هؤلاء المخاذلين المنتمين الى الامامية القائلين بان الدين عند أئمتهم لما رأينا الادعاوى باردة وآراء فاسدة كاسخف مايكون من الاقوال ولايخلو هؤلاء الائمة الذين يذكرون من ان يكونوا مامورين بالسكوت او منسوحا لهم فيه فان يكونوا مامورين بالسكوت فقد ابيح للناس البقاء فى الضلال وسقطت الحجة فى الديانة عن جميع الناس وبطل الدين ولم يلزم فرض الاسلام وهذا كفر مجرد وهم لايقولون بهذا أو يكونوا مامورين بالكلام والبيان فقد عصوا الله اذ سكتوا وبطلت امامتهم وقد لجا بعضهم اذ سئلوا عن صحة دعواهم فى الائمة الى ان ادعوا الالهام فى ذلك فاذ قد صاروا الى هذا الشغب فانه لايضيق عن احد من الناس ولايعجز خصومهم عن ان يدعوا انهم الهموا بطلان دعواهم قال هشام بن الحكم لابد ان يكون فى اخرة الامام آفات يبين بها انهم لايستحقون الامامة

(قال ابو محمد) وهذه دعوى مردودة تزيد فى الحماقة ولاندرى فى زيد وعمرو وعبد الله والحسن وعلى بن على بن الحسين آفات تمنع الا ان الحسن اخا زيد ومحمد كان اعرج وقد علمنا ان العرج عيب يمنع من الامامة انما هو عيب فى العبيد المتخذين للمشي وما يعجز خصومهم ان يدعوا فى محمد بن على وفى جعفر بن محمد وفى سائر أئمتهم تلك الآفات التى ادعاها هشام لاخوتهم ثم ان بعض أئمتهم المذكورين مات ابوه وهو ابن ثلاث سنين فسالهم من اين علم هذا الصغير جمع علم الشريعة وقد عدم توقيف ابيه له عليها لصغره فلم يبق الا ان يدعوا له الوحى فهذه نبوة وكفر صريح وهم لايبلغون الى ان يدعوا له النبوة وان يدعوا له معجزة تصحح قوله فهذه دعوى باطلة ماظهر منها فى شيء اريدعوا له الالهام فما يعجز احد عن هذه الدعوى

يستغنى به عن البدن وقوة فان من شان هذا الجوهر أن يعقل ذاته ويعقل انه عقل ذاته وليس بينه وبين ذاته علاقة ولا بينه وبين آلته آلة فان ادراك الشيء لايكون الا بحصول صورته فيه ومايقدر آلة من قلب أو دماغ لايخلو اما أن تكون صورته بعينها حاصلة للعقل حاضرة واما ان صورة غيرها بالعدد حاصلة وباطل أن يكون صورة الآلة حاضرة بعينها فانها فى نفسها حاصلة أبدا فيجب أن يكون ادراك العقل لها حاصل أبدا وليس الامر كذلك فانه تارة يعقل وتارة يعرض عن الادراك والاعراض عن الحاضر محال ويجب أن يكون الصورة غير الآلة بالعدد فانها اما أن تحل فى نفس القوة من غير مشاركة الجسم فيدل ذلك على انها قائمة بنفسها وليس فى الجسم واما بمشاركة الجسم حتى لاتكون هذه الصورة المغايرة فى نفس القوة العقلية وفى الجسم الذى هو الآلة فيؤدى الى اجتماع صورتين متماثلين فى جسم واحد وهو محال والمغايرة بين أشياء تدخل فى حد واحد اما لاختلاف المواد اولاختلاف مابين

السكاكى والجزئى وليس هذان الوجهان فثبت انه لايجوز أن يدرك المدرك آلة هى آلته فى الادراك ولايختص ذلك بالعقل فان الحس

لكل أمة عملها الا وجود من يعتقد هذه الاقوال السخيفة لكان اقوى حجة واوضح برهان والافما خلق الله عقلا يسع فيه مثل هذه الحماقات والحمد لله على عظيم منه علينا وهو المسؤل منه دوامها بمنه آمين

(قال ابو محمد) وايضا فلو كان الامر في الامامة على ما يقول هؤلاء السخفاء لما كان الحسن رضى الله عنه في سعة من ان يسلمها لمعاوية رضى الله عنه فيمينه على الضلال وعلى ابطال الحق وهدم الدين فيكون شريكه في كل مظلمة ويبطل عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويوافقه على ذلك الحسين اخوه رضى الله عنهما فما انقض قط بيعة معاوية الى ان مات فكيف استحل الحسن والحسين رضى الله عنهما ابطال عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما طائعين غير مكرهين فلما مات معاوية قام الحسين يطلب حقه اذ رأى انها بيعة ضلالة فلولا انه رأى بيعة معاوية حقا لما سلمها له ولفعل كما فعل بيزيد اذ ولى يزيد هذا لا يمترى فيه ذو انصاف هذا ومع الحسن أزيد من مائة الف عنان يموتون دونه فتلله لولا ان الحسن رضي الله عنه علم انه في سعة من اسلامها الى معاوية وفي سعة من ان لا يسلمها لما جمع بين الامرين فامسكها ستة اشهر لنفسه وهي حقه وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة وذلك له مباح بل هو الافضل بلا شك لان جده رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خطب بذلك على المنبر بحضرة المسلمين وارام الحسن معه على المنبر وقال ان ابني هذا السيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين رويناه من طريق البخاري حدثنا صدقة انبانا ابن عيينة انا موسى انا الحسن سمع ابا بكرة يقول انه سمع ذلك وشهده من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من اعلامه صلى الله عليه وسلم وانذاره بالغيوب التي لا تعلم البتة الا بالوحي ولقد أمتع زيادوهو فقمة (١) القاع لا عشيرة ولا نسب ولا سابقة ولا قدم فما اطاقه معاوية الا بالمدارات وحتى ارضاه وولاه فان ادعوا انه قد كان في ذلك عند الحسن عهد فقد كفروا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر أحدا بالعيون على اطفاء نور الاسلام بالكفر وعلى نقض عهود الله تعالى بالباطل عن غير ضرورة ولا اكراه وهذه صفة الحسن والحسين رضى الله عنهما عند الروافض واحتج بعض الامامية وجميع الزيدية بان عليا كان احق الناس بالامامة لبينونة فضله على جميعهم والكثرة فضائله دونهم

(قال ابو محمد) وهذا يقع الكلام فيه ان شاء الله تعالى في الكلام في المفاضلة بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الكلام ها هنا في الامامة فقط فنقول وبالله تعالى التوفيق هبكم انكم وجدتم لعلي رضي الله عنه فضائل معلومة كالسبق الى الاسلام والجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة العلم والزهد فهل وجدتم مثل ذلك للحسن والحسين رضى الله عنهما حتى اوجبتم لهما بذلك فضلا في شيء مما ذكرنا على سعد بن ابي وقاص وسيد بن زيد

(١) مثل يضرب للدليل والفقع بفتح اوله وكسره وسكون ثانيه الابيض الرخو من الكمأة وهو أردؤها ويجمع على فقعه كقرده والقاع المطمئن المستوى من الارض مشبهه بالفقعه اى الكمأة البيضاء الرخوة التي تطلع من الارض فتظهر بيضاء ضعيفة فتطؤها الدواب بارجلها وفي النهاية لابن الاثير (في حديث عائشة) قالت لابن جرموز يا بن فتح القردد الفقع ضرب من أردأ الكمأة والقردد ارض مرتفعة الى جنب وهدة اه وابن حزم يستعمل المفرد المذكر وجاء بالتثنية مفردة مؤنثة ليشاكل بينها وبين الكمأة التي هي واحدة الكمأ ولم أر فيما اطلعت عليه من كتب اللغة فقمة بالتاء الا جمعا كقردة وليس مراد ها هنا كتبه مصححه

انما يحس شيئا خارجا ولا يحس ذاته ولا آلته ولا احساسه وكذلك الخيال ولا يتخيل ذاته ولا فعله ولا آلته ولهذا

أن القوى الدراكة بانطباع الصور في الآلات يعرض لها الكلال من ادامة العمل والامور القوية الشاقة الادراك توهنها وربما تفسدها كالضوء الشديد للبصر والرعد القوي للسمع وكذلك عند ادراك القوي لا يقوى على ادراك الضعيف والامر بالقوة العقلية بالعكس فان ادامتها للفعل وتصورها الامور الاقوى يكسبها قوة وسهولة قبول وان عرض لها كلال وملال فلاستعانة لعقل بالخيال على ان القوى الحيوانية ربما تعين النفس الناطقة في أشياء منها أن يورد عليها الحس جزئيات الامور فيحدث لها أمور أربعة أحدها انتزاع النفس الكليات المفردة عن الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائقها ولواحقها ومراعاة المشترك فيها والمتباين به والذاتي وجوده والعرضي فيحدث للنفس من ذلك مبادي التصور وذلك بمعاونة استعمال الخيال والوهم الثاني ايقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب وايجاب فما كان التاليف منها بسلب وايجاب ذاتيا بينا بنفسه أخذه وما كان ليس كذلك تركه الى ان يصادف الواسطة والثالث باحضار المقدمات التجربية ان يوجد الحس محمولا لازم الحكم لموضوع أو تالي لازم تقدم فيحصل له اعتقاد مستفاد من حس وقياس ما والرابع الاخبار وعبد

وعبد الله بن عمرو عبد الله بن العباس هذا مالا يقدر احد على ان يدعي لهما فيه كلمة فما فرقهما يعني مما يكونان به فوق من قد ذكرنا في شيء من هذه الفضائل فلم يبق الا دعوي النص عليهما وهذا مالا يعجز عن مثله احد ولو استجازت الخوارج التوقح بالكذب في دعوى النص على عبد الله بن وهب الراسبي لما كانوا الا مثل الرافضة في ذلك سواء بسواء ولو استحلت الامورية ان تجاهر بالكذب في دعوى النص على معاوية لكان امرهم في ذلك اقوى من امر الرافضة لقوله تعالى * ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا * ولكن كل امة ما عدا الرافضة والنصارى فانها تستحي وتصون انفسها عما لا تصون النصارى والروافض انفسهم عنه من الكذب الفاضح البارد وقلة الحياء فيما يأتون به ونعوذ بالله من الخذلان (قال ابو محمد) وكذلك لا يجدون لعلي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل على سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير ولا على ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ولا على ابن عمه الحسن بن الحسن وكذلك لا يجدون لمحمد بن علي بن الحسين بسوقا في علم ولا في عمل ولا ورع على عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ولا على محمد بن عمر وبن ابي بكر بن المنكدر ولا على ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ولا على اخيه زيد بن علي ولا على عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ولا على عمر بن عبد العزيز وكذلك لا يجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا في دين ولا في عمل على محمد بن مسلم الزهري ولا على ابن ابي ذؤيب ولا على عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر ولا على عبيد الله بن عمر وبن حفص بن عاصم بن عمر ولا على ابني عمه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن وعلي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بل كل من ذكرنا فوقه في العلم والزهد وكلهم ارفع محلا في الفتيا والحديث لا يمنع احد منهم من شيء من ذلك وهذا ابن عباس رضي الله عنه قد جمع فقهه في عشرين كتابا ويبلغ حديثه نحو ذلك اذا تقصي ولا تبلغ فتيا الحسن والحسين ورقتين ويبلغ حديثهما رقة أو رقتين وكذلك على بن الحسين الا ان محمد بن علي يبلغ حديثه وفتياه جزأ صغيرا وكذلك جعفر بن محمد وهم يقولون ان الامام عنده جميع علم الشريعة فما بال من ذكرنا ظهر وابعض ذلك وهو الاقل الانقص وكتموا سائره وهو الاكثر الاعظم فان كان فرضهم الكتمان فقد خالفوا الحق اذ اعلنوا ما اعلنوا وان كان فرضهم البيان فقد خالفوا الحق اذ كتموا ما كتموا وأما من بعده جعفر بن محمد فما عرفنا لهم علما اصلا لا من رواية ولا من فتيا على قرب عهدهم منا ولو كان عندهم من ذلك شيء لعرف كما عرف عن محمد بن علي وابنه جعفر وعن غيره منهم ممن حدث الناس عنه فبطلت دعوام الظاهرة الكاذبة اللائحة السخيفة التي هي من خرافات السمر ومضاحك السخفاء فان رجعوا الى ادعاء المعجزات لهم قلنا لهم ان المعجزات لا تثبت الا بنقل التواتر لا بنقل الاحاد الثقات فكيف بولد الوقحاء الكذابين الذين لا يدرى من هم. قد وجدنا من يروى لبشر الحافي وشيبان الراعي ورابعة العدوية اضعاف ما يدعونه من الكذب لاشتهارهم واظهارهم وافشى وكل ذلك حماقة لا يشتغل ذو دين ولا ذو عقل بها نحمد الله على السلامة فاذ قد بطل كل ما يدعونه ولله تعالى الحمد فلنتقل على الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبرهان وبالله تعالى نتأيد

(قال ابو محمد) قد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف احدا ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف ابا بكر رضي الله عنه على الصلاة كان ذلك

الى يتم بها التصديق لشدة التواتر فالنفس الانسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادىء للتصور والتصديق وأما اذا كان استكمالات النفس وقويت فانها تنفرد بفاعليها على الاطلاق وتكون القوى الحسية والخالية وغيرها صارفة لها عن فعلها وربما يصير الوسائط والاسباب عوائق قال والدليل على أن النفس الانسانية حادثة مع حدوث البدن انها متفقة في النوع والمعنى فان وجدت قبل البدن فاما أن تكون متكثرة الذوات أو تكون ذاتا واحدة ومحال أن يكون متكثرة الذوات فان تكثرها اما ان يكون من جهة الماهية والصورة واما ان يكون من جهة النسبة الى العنصر والمادة وبطل الاول لان صورتها واحدة وهي متفقة في النوع والماهية لا تقبل اختلافا ذاتيا وبطل الثاني لان البدن والعنصر فرض غير موجود قال ومحال أن تكون واحدة الذات لانه اذا حصل بدنان حصلت فيهما نفسان فاما أن يكونا قسمي تلك النفس الواحدة وهو محال لان ما ليس له عظم ولا حجم لا يكون منقسما واما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين وهذا لا يحتاج الى كثير تكلف في ابطاله فقد صح ان النفس تحدث كما حدث البدن

المالح لاستعماله اياه ويكون البدن الحادث مملكته وآلته ويكون في هيئة جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحقاقا نزاع طبيعي

الى الاشتغال به واستعماله والاهتمام باحواله والانجذاب اليه بخصة ويصرفه عن كل الاجسام غيره بالطبع اما بواسطة

واما بمفارقة البدن فان الانفس قد وجد كل واحد منها ذاتا مفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف ازمنة حدوثها واختلاف هيئتها التي هي بحسب ابدانها المختلفة لاحالة باحوالها ولانها لا تموت بموت البدن لان كل شيء يفسد بفساد شيء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق فاما ان يكون تعلقه به تعلق المكافي في الوجود وكل واحد منهما جوهر قائم بنفسه فلا تأثر للمكافاة في الوجود في فساد احدهما بفساد الثاني لانه امر اضافي وفساد احدهما يبطل الاضافة لا الذات واما ان يكون تعلقه به تعلق المتأخر في الوجود فالبدن علة للنفس والعلل اربع فلا يجوز ان يكون علة فاعلية فان الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئا لا بقواه والقوى الجسمانية ما اعراض أو صور مادية فمحال ان يفيد امرا قائما بالمادة وجود ذات قائمة بنفسها لا في مادة ولا يجوز ان يكون علة قابلية فقد بينا ان النفس ليست منطبعة في البدن ولا يجوز ان يكون علة صورية او كمالية فان الاولى ان يكون الامر بالعكس فاذا تعلق النفس بالبدن ليس تعلقا على انه علة ذاتية لها فانهم البدن والمزاج علة بالعرض للنفس فانه اذا حدث بدن يصلح ان يكون آلة للنفس ، مملكة

دليلا على انه اولاهم بالامامة والخلافة على الامور وقال بعضهم لا ولكن كان بينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على استخلاف ابي بكر بعده على امور الناس نصا جليا

* (قال ابو محمد) * وبهذا نقول لبراهين احدها اطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم * للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون * فقد اصفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع اخوانهم من الانصار رضي الله عنهم على ان سموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الخليفة في اللغة هو الذي يستخلفه لا الذي يخلفه دون ان يستخلفه هو ولا يجوز غير هذا البتة في اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفته ومستخلفه فان قام مكانه دون ان يستخلفه هو لم يقل الا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضروريين احدهما انه لا يستحق ابو بكر هذا الاسم على الاطلاق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا ان خلافته المسمى هو بها هي غير خلافته على الصلاة والثاني ان كل من استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي في غزوة تبوك وابن ام مكتوم في غزوة الخندق وعثمان ابن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق احد منهم قط بلا خلاف من احد من الامة ان يسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاطلاق فصح يقينا بالضرورة التي لا محيد عنها انها للخلافة بعده على امته ومن الممتنع ان يجمعوا على ذلك وهو عليه السلام لم يستخلفه نصا ولو لم يكن هاهنا الا استخلافه اياه على الصلاة ما كان ابو بكر اولى بهذه التسمية من غيره ممن ذكرنا وهذا برهان ضروري نعارض به جميع الخصوم وايضا فان الرواية قد صحت بان امرأة قالت يا رسول الله أرأيت ان رجعت ولم اجدك كانها تريد الموت قال فات ابا بكر وهذا نص جلي على استخلاف ابي بكر وايضا فان الخبر قد جاء من الطرق الثابتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها في مرضه الذي توفي فيه عليه السلام لقد هممت ان أبعث الى ابيك واخيك فاكتب كتابا واعهد عهد الكيلا يقول قائل انا احق او يتمنى متمن ويابى الله والمؤمنون الا ابا بكر وروي ايضا ويابى الله والمسلمون الا ابا بكر فهذا نص جلي على استخلافه عليه الصلاة والسلام ابا بكر على ولاية الامة بعده

* (قال ابو محمد) * ولو انا نستجيز التدليس والامر الذي لو ظفر به خصومنا طاروا به فرحا أو أبلسوا اسفا لاحتججنا بما روي اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر

* (قال ابو محمد) * ولكنه لم يصح ويعيذنا الله من الاحتجاج بما لا يصح

* (قال ابو محمد) * واحتج من قال لم يستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن ابيه انه قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابا بكر وان لا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما روي عن عائشة رضي الله عنها ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف فمن المحال ان يعارض الاجماع من الصحابة الذي ذكرنا والاثر ان الصحيحان المسندان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من لفظه بمثل هذين الاثرين المرقفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما

مما لا يقوم به حجة مما له وجه ظاهر من أن هذا الاثر خفي على عمر رضي الله عنه كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كالاستئذان وغيره او انه اراد استخلافا بعد مكتوب ونحن نقران استخلاف ابي بكر لم يكن بكتاب مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك نصا وقد يخرج كلامها على سؤال سائل وانما الحجة في روايتها لا في قولها وأما من ادعى انه انما قدم قياسا على تقديمه الى الصلاة فباطل بيقين لانه ليس كل من استحق الامامة في الصلاة يستحق الامامة في الخلافة اذ يستحق الامامة في الصلاة اقرأ القوم وان كان اعجميا او عربيا ولا يستحق الخلافة الا قرشي فكيف والقياس كله باطل

(قال ابو محمد) في نص القرآن دليل على صحة خلافة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وعلى وجوب الطاعة لهم وهو ان الله تعالى قال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراب * فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا * وكان نزول سورة براءة التي فيها هذا الحكم بعد غزوة تبوك بلا شك التي تخلف فيها الثلاثة المعذورون الذين تاب الله عليهم في سورة براءة ولم يغز عليه السلام بعد غزوة تبوك الى أن مات صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ايضا * سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل * فبين ان العرب لا يغزون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تبوك لهذا ثم عطف سبحانه وتعالى عليهم اثر منعه اياهم من الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلق باب التوبة فقال تعالى * قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما * فاخبر تعالى انهم سيدعوهم غير النبي صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون ووعدهم على طاعة من دعاهم الى ذلك بجزيل الاجر العظيم وتوعدهم على عصيان الداعي لهم الى ذلك العذاب الاليم

(قال ابو محمد) ومادعا اولئك الاعراب احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوم يقاتلونهم او يسلمون الا ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فان ابا بكر رضي الله عنه دعاهم الى قتال مرتدي العرب بني حنيفة واصحاب الاسود وسجاح وطليحة والروم والفرس وغيرهم ودعاهم عمر الى قتال الروم والفرس وعثمان دعاهم الى قتال الروم والفرس والترك فوجب طاعة ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم بنص القرآن الذي لا يحتمل تاويلا واذ قد وجبت طاعتهم فرضا قد صحت امامتهم وخلافتهم رضي الله عنهم وليس هذا بموجب تقديمهم في غير ما أمر الله تعالى بطاعتهم فيه لان الله تعالى لم يامر بذلك الا في دعائهم الى قتال هؤلاء القوم وفيما يجب الطاعة فيه للائمة جملة وبالله تعالى التوفيق. واما ما افتوا به باجتهادهم فما اوجبوه قط اتبع اقوالهم فيه فكيف ان يوجب ذلك غيرهم وبالله تعالى التوفيق. وايضا فان هذا اجماع الائمة كلها اذ ليس احد من اهل العلم الا وقد حالف بعض فتاوى هؤلاء الائمة الثلاثة رضي الله عنهم فصح ما ذكرنا والحمد لله رب العالمين

(فصل قال ابو محمد) وجميع فرق اهل القبلة ليس منهم احد يجيز امامة امرأة ولا امامة صبي لم يبلغ الا الرافضة فانها تجيز امامة الصغير الذي لم يبلغ والحمل في بطن امه وهذا خطا لان من لم يبلغ فهو غير مخاطب والامام مخاطب باقامة الدين وبالله تعالى التوفيق. قال الباقلاني واجب ان يكون الامام افضل الامة

لما احدثت العلل المفارقة النفس الجزئية فان احداثها بلا سبب يخصص احداث واحد دون واحد يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد ولان كل كائن بعد ما لم يكن يستدعي ان يتقدمه مادة يكون فيها تهيؤ قبوله او تهيؤ نسبته اليه كما تبين ولانه لو كان يجوز ان يكون النفس الجزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة ولكن اذا حدث التهيؤ والاستعداد في الآلة حدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس اذا وجب حدوث شيء من حدوث شيء وجب ان يبطل مع بطلانه واما القسم الثالث مما ذكرنا وهو ان تعلق النفس بالجسم تعلق التقدم ان كان بالزمان فيستحيل ان يتعلق وجوده به وقد تقدمه في الزمان وان كان بالذات فليس فرض عدم المتاخر يوجب عدم المتقدم على ان فساد البدن بامر يخصه من تغير المزاج والتركيب

(قال ابو محمد) وهذا خطأ متيقن لبرهانين أحدهما انه لا يمكن ان يعرف الافضل الا بالظن في ظاهر امره وقد قال تعالى * ان الظن لا يغني من الحق شيئا * والثاني ان قريشا قد كثرت وطبقت الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب ومن الجنوب الى الشمال ولا سبيل ان يعرف الافضل من قوم هذا مبلغ عددهم بوجه من الوجوه ولا يمكن ذلك اصلا ثم يكفي من بطلان هذا القول اجماع الامة على بطلانه فان جميع من ادرك من الصحابة رضي الله عنه من جميع المسلمين في ذلك العصر قد اجمعوا على صحة امامة الحسن او معاوية وقد كان في الناس افضل منهم بلا شك كسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد وابن عمر وغيرهم فلو كان ما قاله الباقلاني حقا لكانت امامة الحسن ومعاوية باطلة وحاشا لله عز وجل من ذلك. وايضا فان هذا القول الذي قاله هذا المذكور دعوى فاسدة ولا على صحتها دليل لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من قول صاحب ولا من قياس والعجب كله ان يقول انه جائز ان يكون في هذه الامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث الى ان مات ثم لا يجيز ان يكون احد افضل من الامام

(قال ابو محمد) وهذا القول منه في النبي صلى الله عليه وسلم كفر مجرد ولا خفاء به وفيه خلاف لاهل الاسلام وانما يجب ان يكون الامام قرشيا بالغا ذكرا مميزا برئيا من المعاصي الظاهرة حاكما بالقرآن والسنة فقط ولا يجوز خلعه مادام يمكن منعه من الظلم فان لم يمكن الا بازالته ففرض ان يقام كل ما يوصل به الى دفع الظلم لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وبالله تعالى التوفيق

الكلام في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة

* (قال ابو محمد) * اختلف المسلمون فيمن هو افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام فذهب بعض اهل السنة وبعض اهل المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة الى ان افضل الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وقد روينا هذا القول نصا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم وعن جماعة من التابعين والفقهاء وذهبت الخوارج كلها وبعض اهل السنة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة الى ان افضل الصحابة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وروينا عن ابي هريرة رضي الله عنه ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جعفر بن ابي طالب وبهذا قال عاصم النبيل وهو الضحاك بن مخلد وعيسى بن حاضر قال عيسى وبعد جعفر حمزة رضي الله عنه . وروينا عن نحو عشرين من الصحابة انا كرم الناس علي رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والزبير بن العوام وروينا عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وثلاث رجال لا يعد احد عليهم بفضل سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر وروينا عن ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها انها ذكرت الفضل ومن هو خير فقالت ومن هو خير من ابي سلمة اول بيت هاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عن مسروق بن الاجدع او تميم بن حذلم وابراهيم النخعي وغيرهم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود قال تميم وهو من كبار التابعين رأيت ابا بكر وعمر فلما رايت مثل عبد الله بن مسعود وروينا عن بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ان افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وانه افضل من ابي بكر رضي الله عنهما وبلغني عن محمد بن

ليس ذلك مما يتعلق بالنفس فبطلان البدن لا يقتضي بطلان النفس ونقول ان شيئا آخر لا يفسد النفس ايضا بل هي في ذاتها لا تقبل الفساد لان كل شيء من شانه ان يفسد بامر ما ففيه قوة بان يفسد وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى ومحال ان يكون من جهة واحدة في شيء واحد قوة ان يفسد وفعل ان يبقى فان تهيؤه للفساد شيء وفعله للبقاء شيء اخر فالاشياء المركبة يجوز ان يجتمع فيها الامران لوجهين اما البسيطة فلا يجوز ان يجتمع فيها ومن الدليل على ذلك ايضا ان كل شيء يبقى وله قوة ان يفسد فله قوة ان يبقى ايضا لان بقاءه ليس بواجب ضروري واذ لم يكن واجبا كان ممكنا والامكان هو طبيعة القوة فاذا يكون له في جوهره قوة ان يبقى وفعل ان يبقى فيكون فعل ان يبقى منه امر ايعرض للشيء الذي له قوة ان يبقى فذلك الشيء الذي له قوة على البقاء وفعل البقاء امر مشترك له فعل البقاء كالصورة

عبدالله الحاكم النيسابوري انه كان يذهب الى هذا القول. قال داود بن علي الفقيه رضى الله عنه افضل الناس بعد الانبياء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل الصحابة الاولون من المهاجرين ثم الاولون من الانصار ثم من بعدهم منهم ولا نقطع على انسان منهم بعينه انه افضل من آخر من طبقته ولقد رأينا من متقدمي اهل العلم ممن يذهب الى هذا القول وقال لي يوسف بن عبد الله بن عبد البر النميري غير مامرة ان هذا هو قوله ومعتقده (قال ابو محمد) والذي نقول به وندين الله تعالى عليه ونقطع علي انه الحق عند الله عز وجل ان افضل الناس بعد الانبياء عليهم السلام نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ابو بكر ولا خلاف بين احد من المسلمين في ان امة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الامم لقول الله عز وجل * كنتم خير أمة اخرجت للناس * وان هذه قاضية على قوله تعالى لبني اسرائيل * وفضلناكم على العالمين * وانها مبينة لان مراد الله تعالى من ذلك عالم الامم حاشا هذه الامة

(قال ابو محمد) ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الكلام المهمل دون تحقيق المعنى المراد بذلك الكلام فانه طمس للمعاني وصد عن ادراك الصواب وتعريج عن الحق وابعاد عن الفهم وتخليط وعمى فلنبدأ بيون الله تعالى وتأييده بتقسيم وجوه الفضل التي بها يستحق التفاضل فاذا استبان معنى الفضل وعلى ماذا تقع هذه اللفظة فبالضرورة نعلم حينئذ ان من وجدت فيه هذه الصفات أكثر فهو افضل بلا شك فنقول ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ان الفضل ينقسم الى قسمين لاثالث لهما فضل اختصاص من الله عز وجل بلا عمل وفضل مجازاة من الله تعالى بعمل فاما فضل الاختصاص دون عمل فانه يشترك فيه جميع المخلوقين من الحيوان الناطق والحيوان غير الناطق والجمادات كفضل الملائكة في ابتداء خلقهم على سائر الخلق وكفضل الانبياء في ابتداء خلقهم على سائر الجن والانس وكفضل ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم على سائر الاطفال وكفضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق وكفضل ذبيحة ابراهيم عليه السلام على سائر الذبائح وكفضل مكة على سائر البلاد وكفضل المدينة بعد مكة على غيرها من البلاد وكفضل المساجد على سائر البقاع وكفضل الحجر الاسود على سائر الحجارة وكفضل شهر رمضان على سائر الشهور وكفضل يوم الجمعة وعرفة وعاشوراء والعشر على سائر الايام وكفضل ليلة القدر على سائر الليالي وكفضل صلاة الفرض على النافلة وكفضل صلاة العصر وصلاة الصبح على سائر الصلوات وكفضل السجود على القعود وكفضل بعض الذكر على بعض فهذا هو فضل الاختصاص المجرد بلا عمل فاما فضل المجازاة بالعمل فلا يكون البتة الا للحي الناطق من الملائكة والانس والجن فقط وهذا هو القسم الذي تنازع الناس فيه في هذا الباب الذي نتكلم فيه الان من أحق به فوجب ان ننظر أيضا في اقسام هذا القسم التي بها يستحق الفضل فيه والتقدم فنحصرها ونذكرها بحول الله وقوته ثم ننظر حينئذ من هو أحق به واسعد بالسبق فيه فيكون بلا شك افضل ممن هو أقل حظا فيها بلا شك وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله تعالى نستعين ان العامل بفضل العامل في عمله بسبعة أوجه لا ثامن لها وهي المائية وهي عين العمل وذاته والكمية وهي العرض في العمل والكيفية والكم الزمان والمكان والاضافة فاما المائية فهي ان تكون الفروض من أعمال احدهما موفاة كلها ويكون الاخر يضيع بعض فروضه وله نوافل او يكون كلاهما وفي جميع فرضه ويعملان نوافل زائدة الا ان نوافل احدهما أفضل من نوافل

وقوة البقاء كالمادة فيكون مركبا من مادة وصورة وقد فرضنا واحدا فردا فهو خلف فقد بان كل أمر بسيط فغير مركب فيه قوة ان يبقى وفعل ان يبقى بل ليس فيه قوة ان يعدم باعتبار ذاته والفساد لا يتطرق الا الى المركبات واذا تقرر ان البدن اذا تهيأ واستعدا استحق من واهب الصور نفسا مدبرة ولا يختص هذا ببدن دون بدن بل كل بدن حكمه كذلك فاذا استحق النفس وقارنته في الوجود فلا يجوز ان يتعلق به نفس أخرى لانه يودي الى ان يكون لبدن واحد نفسان وهو محال فالتناسخ اذا باطل *

المقالة السادسة * في وجه خروج العقل النظري من القوة الى الفعل وأحوال خاصة بالنفس الانسانية من الرؤيا الصادقة والكاذبة وادراكها علم الغيب ومشاهدتها صور الاوجود لها من خارج من تلك الوجوه ومعنى النبوة والمعجزات وخصائصها التي التي تتميز بها عن المخاريق أما الاول فقد بينا ان النفس الانسانية لها قوة هيولانية

الآخر كان يكون احدهما يكثر الذكر في الصلاة والآخر يكثر الذكر في حال جلوسه وما أشبه هذا وكانسان قاتل احدهما في المعركة والموضع المخوف وقاتل الآخر في الردة او جاهد احدهما واشتغل الآخر بصيام وصلاة تطوع او يجتهدان فيصادف احدهما ويحرمه الآخر فيفضل احدهما الآخر في هذه الوجوه بنفس عمله او بان ذات عمله افضل من ذات عمل الاخر فهذا هو التفاضل في المائية من العمل وأما الكمية وهي العرض فان يكون احدهما يقصد بعمله وجه الله تعالى لايمزج به شيئا البتة ويكون الآخر يساويه في جميع عمله الا انه ربما مزج بعمله شيئا من حب البر في الدنيا وان يستدفع بذلك الاذى عن نفسه وربما مزجه بشيء من الرياء ففضله الاول بعرضه في عمله وأما الكيفية فان يكون احدهما يوفي عمله جميع حقوقه ورتبه لامنقصا ولا متزيدا ويكون الآخر ربما انتقص بعض رتب ذلك العمل وسننه وان لم يبطل منه فرضا او يكون احدهما يصفي عمله من الكبائر وربما أتى الآخر ببعض الكبائر ففضله الاخر بكيفية عمله وأما الكم فان يستويا في أداء الفرض ويكون احدهما اكثر نوافل ففضله هذا بكثرة عدد نوافله كما روي في رجلين اسلما وهاجرا ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استشهد احدهما وعاش الاخر بعده سنة ثم مات على فراشه فرأى بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحدهما في النوم وهو آخرهما موتا في افضل من حال الشهيد فسأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كلاهما معناه فاين صلاته وصيامه بعده ففضل احدهما الآخر بالزيادة التي زادها عليه في عدد اعماله وأما الزمان فكمن عمل في صدر الاسلام او في عام المجاعة او في وقت نازلة بالمسلمين وعمل غيره بعد قوة الاسلام وفي زمن رخاء وأمن فان الكلمة في اول الاسلام والتمرة والصر حينئذ وركعة في ذلك الوقت تعدل اجتهاد الازمان الطوال وجهادها وبذل الاموال الجسام بعد ذلك ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا لي أصحابي فلو كان لاحدكم مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مداحدهم ولا نصيفه فكان نصف مد شعيرا وتمر في ذلك الوقت افضل من جبل احد ذهبا تنفقه نحن في سبيل الله عز وجل بعد ذلك قال الله تعالى * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى

(قال ابو محمد) هذا في الصحابة فيما بينهم فكيف بمن بعدهم معهم رضي الله عنهم أجمعين (قال ابو محمد) وهذا يكذب قول أبي هاشم محمد بن علي الجبائي وقول محمد بن الطيب الباقلاني فان الجبائي قال جائز ان يعمل عمر امرىء ان يعمل ما يوازي عمل نبي من الانبياء وقال الباقلاني جائز ان يكون في الناس من هو أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث بعث بالنبوة الى ان مات

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وردة وخروج عن دين الاسلام بالامرية وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اخباره انا لا ندرك احدا من اصحابه وفي اخباره عليه السلام عن اصحابه رضي الله عنهم بانه ليس مثلهم وانه اتقاهم لله واعلمهم بما يأتي وما يذر وكذلك قالت الخوارج والشيعة فان الشيعة يفضلون أنفسهم وهم شر خلق الله عز وجل على ابي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعائشة وجميع الصحابة رضي الله عنهم حاشا علي والحسن والحسين وعمار بن ياسر والخوارج يفضلون انفسهم وهم شر خلق الله تعالى وكلاب النار على عثمان

أي استعداد اقبول المعقولات فالاول وكل ما خرج من القوة الى الفعل لابد له من سبب يخرجه الى الفعل وذلك السبب يجب ان يكون موجودا بالفعل فانه لو كان موجودا بالقوة لاحتاج الى مخرج آخر فاما ان يتسلسل أو ينتهي الى مخرج هو موجود بالفعل لا قوة فيه فلا يجوز ان يكون ذلك جسما لان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة أمر بالقوى فهو اذا جوهر مجرد عن المادة وهو الفعال وانما سمي فعالا لان كل المعقول الهيولانية منفعلة وقد سبق اثباته في الالهيات من وجه آخر وليس يخص فعله بالقول والنفوس بل وكل صورة في العالم فانما هي من فيضه العام فيعطي كل قابل ما استعده له من الصور واعلم ان الجسم وقوة في جسم لا يوجد شيئا فان الجسم مركب من مادة وصورة والمادة طبيعتها عدمية فلو أثر الجسم لاثر بمشاركة المادة وهي عدم والعدم لا يؤثر في الوجود فالعقل الفعال

وعلى وطاعة والبر بر ولقد خاب من خالف كلام الله تعالى وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابو محمد) وكذلك القليل من الجهاد والصدقة فى زمان الشدائد أفضل من كثيرهما فى وقت القوة والسعة وكذلك صدقة المرء بدرهم فى زمان فقره وصحته يرجو الحياة ويخاف الفقر أفضل من الكثير يتصدق به فى عرض غناه وفيه وصيته بعد موته وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف وهو انسان كان له درهمان تصدق باحدهما والآخر عمد الى عرض ماله تصدق منه بمائة الف وكذلك صبر المرء على اداء الفرائض فى حال خوفه ومرضه وقليل تنفله فى زمان مرضه وخوفه أفضل من عمله وكثير تنفله فى زمان صحته وامنه ففضل من ذكرنا غيرهم بزمان عملهم وكذلك من وفق لعمل الخير فى زمان آخر اجله هو أفضل ممن خلط فى زمان آخر أجله وأما المكان فكصلاة فى المسجد الحرام او مسجد المدينة فهما افضل من الف صلاة فيما عداهما وتفضيل الصلاة فى المسجد الحرام على الصلاة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة درجة وكصيام فى بلد العدو او فى الجهاد على صيام فى غير الجهاد ففضل من عمل فى المكان الفاضل غيره ممن عمل فى غير ذلك المكان كمكان عمله وان تساوى العملان واما الاضافة فركعة من نبى أو ركعة مع نبى أو صدقة من نبى او صدقة معه او ذكر منه او ذكر معه وسائر أعمال البر منه او معه فقليل ذلك أفضل من كثير الاعمال بعده وبين ذلك ما قد ذكرنا آنفا من قول الله عز وجل * لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل * واخباره عليه السلام ان احدنا لو انفق مثل احد ذهبا ما بلغ نصف مد من احد من الصحابة رضى الله عنهم

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان كل عمل عملوه بانفسهم بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازى شيئا من البر عمله ذلك الصاحب بنفسه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا ما عمله غير ذلك الصاحب بعد النبى صلى الله عليه وسلم ولو كان غير ما نقول لجاز ان يكون انس وابو امامة الباهلى وعبد الله بن أبى اوفى وعبد الله بن بسر وعبد الله بن الحارث بن جزء وسهل بن سعد الساعدى رضى الله عنهم أفضل من أبى بكر وعمر وعثمان وابى عبيدة وزيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وسعد بن معاذ وعثمان بن مظعون وسائر السابقين من المهاجرين والانصار المتقدمين رضى الله عنهم اجمعين لان بعض اولئك عمروا الله عز وجل بعد موت اولئك بعضهم بعد موت بعض بتسعين عاما فما فوق ذلك الى خمسين عاما وهذا مالا يقوله احد يعتد به

(قال ابو محمد) وبهذا قطعنا على ان من كان من الصحابة حين موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من آخر منهم فان ذلك المفضول لا يلحق درجة الفاضل له حينئذ ابدا وان طال عمر المفضول وتعجل موت الفاضل وبهذا ايضا نقطع على فضل احد منهم رضى الله عنهم حاشا من ورد فيه النص من النبى صلى الله عليه وسلم ممن مات منهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم بل نقف فى هؤلاء على ما نبينه بعد هذا ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فهذه وجوه الفضائل بالاعمال التى لا يفضل ذو عمل ذا عمل فيما سواها البتة ثم نتيجة هذه الوجوه كلها وثمرتها ونتيجة فضل الاختصاص المجرد دون عمل ايضا لا ثالث لهما البتة احدهما ايجاب الله تعالى تعظيم الفاضل فى الدنيا على المفضول فهذا الوجه يشترك فيه كل فاضل بعمل او اختصاص مجرد بلا عمل من عرض او جماد او حى ناطق او غير ناطق

هو المجرد عن المادة وعن كل قوة فهو بالفعل من كل وجه وأما الثانى من الاحوال الخاصة بالنفس النوم والرؤيا فالنوم غرور القوة الظاهرة فى أعماق البدن وانحباس الارواح من الظاهر الى الباطن ونعنى بالارواح هاهنا أجساما لطيفة مركبة من بخار الاخلاط التى منها القلب وهى مراكب القوى نفسانية والحيوانية ولهذا اذا وقعت سدة فى مجاريها من الاعصاب المؤدية للحس بطل الحس وحصل الصرع والسكتة فاذا ركدت الحواس ورقدت بسبب من الاسباب بقيت النفس فارغة عن شغل الحواس لانها لا تزال مشغولة بالتفكر فيما يورد الحواس عليها فاذا وجدت فرصة ورفع عنها المانع واستعدت الابصار للجواهر الروحانية الشريفة العقلية التى فيها نقش الموجودات كلها فانطبع فى النفس ما فى تلك الجواهر من صور الاشياء لاسيما ما يناسب أغراض الرأى ويكون انطباع تلك الصورة فى

وقد امرنا الله تعالى بتعظيم الكعبة والمساجد ويوم الجمعة والشهر الحرام وشهر رمضان وناقة صالح وابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله والملائكة والنبيين على جميعهم صلوات الله وسلامه والصحابة اكثر من تعظيمنا وتوقيرنا غير ماذكرنا ومن ذكرنا من المواضع والايام والوقت والاطفال والكلام والناس هذا مالا شك فيه وهذا خاصة كل فاضل لا يخلو منها فاضل اصلا ولا يكون البتة الا الفاضل والوجه الثاني هو ايجاب الله تعالى للفاضل درجة في الجنة أعلى من درجة المفضول اذ لا يجوز عند احد من خلق الله تعالى ان يامر باجلال المفضول اكثر من اجلال الفاضل ولا ان يكون المفضول اعلى درجة في الجنة من الفاضل ولو جاز ذلك لبطل معنى الفضل جملة ولكان لفظا لا حقيقة له ولا معنى تحته وهذا الوجه الثاني الذي هو علو الدرجة في الجنة هو خاصة لكل فاضل يعمل فقط من الملائكة والانس والجن وبالله تعالى التوفيق

* (قال ابو محمد) * فكل مامور بتعظيمه فاضل وكل فاضل فمامور بتعظيمه وليس الاحسان والبر والتوقير والتذلل المفترض في الابوين الكافرين من التعظيم في شيء فقد يحسن المرء الى من لا يعظم ولا يوقر كاحسان المرء الى جاره وغلامه واجيره ولا يكون ذلك تعظيما وقد يبر الانسان جاره والشيخ من أكرته (١) ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يوفر الانسان من يخاف ضره ولا يسمى ذلك تعظيما وقد يتذلل الانسان للمتسلط الظالم ولا يسمى ذلك تعظيما وفرض على كل مسلم البراءة من ابويه الكافرين وعداوتهما في الله عز وجل قال الله عز وجل * لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه * وقال عز وجل * قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده * وقال عز وجل * وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه ان ابراهيم لاواه حليم * فقد صح بيقين ان ما وجب للابوين الكافرين من بر واحسان وتذلل ليس هو التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل لان التعظيم الواجب لمن فضله الله عز وجل هو مودة في الله ومحبة فيه وولاية له وأما البر الواجب للابوين الكافرين والتذلل لهما والاحسان اليهما فكل ذلك مرتبط بالعداوة لله تعالى وللبراءة منه واسقاط المودة كما قال الله تعالى في نص القرآن وبالله تعالى التوفيق

* (قال ابو محمد) * وقد يكون دخول الجنة اختصاصا مجردا دون عمل وذلك للاطفال كما ذكرنا قبل فاذ قد صح ماذكرنا قبل يقينا بلا خلاف من احد في شيء منه فبيقين ندري انه لا تعظيم يستحقه احد من الناس في الدنيا بايجاب الله تعالى ذلك علينا بعد التعظيم الواجب علينا للانبياء عليهم السلام اوجب ولا أوكد مما الزمناه الله تعالى من التعظيم الواجب علينا لنساء النبي صلى الله عليه وسلم بقول الله تعالى * النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم * فاوجب الله لهن حكم الامومة على كل مسلم هذا سوى حق اعظامهن بالصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلهن رضي الله تعالى عنهن مع ذلك حق الصحبة له كسائر الصحابة الا ان لهن من الاختصاص في الصحبة ووكيد الملازمة له عليه السلام ولطيف المنزلة عنده عليه السلام والقرب منه والحظوة لديه مالیس لاحد من الصحابة رضي الله عنهم فمن اعلى

(١) أكرته ثلاثي من باب نصر أي وقد بين الشيخ امرأة أكرته أي أجرته للحراثة والزرع

النفس كانطباع صورة في مرآة فان كانت الصور جزوية ووقعت من النفس في المصورة وحفظها الحافظة على وجهها من غير تصرف المخيلة صدقت الرؤيا ولا يحتاج الى تعبير وان وقعت في المتخيلة حاكت ما يناسبها من الصور المحسوسة وهذه تحتاج الى تعبير وتاويل ولما تكن تصرفات الخيال مضبوطة واختلفت باختلاف الاشخاص والاحوال اختلفت التعبير واذا تحركت المتخيلة منصرفة عن عالم العقل الى عالم الحس واختلطت تصرفاتها كانت الرؤيا أضغاث أحلام لا تعبير لها وكذلك لو غلبت على المزاج احدى الكيفيات الاربع رأى في المنام أحوالا مختلطة وأما الثالث في ادراك علم الغيب في اليقظة ان بعض النفوس يقوى قوة لا تشغله الحواس ولا يتسع بالقوة للنظر الى عالم العقل والحس جميعا فيطلع الى عالم الغيب فيظهر له بعض الامور كالبرق الخاطف وتبقى المتصور المدرك في الحافظة بعينه وكان ذلك

درجة في الصحبة من جميع الصحابة ثم فضلهن سائر الصحابة بحق زائد وهو حق الامومة الواجب لهن كلهن بنص القرآن فوجدنا الحق الذي به استحق الصحابة الفضل قد شاركنهم فيه وفضلنهم فيه ايضا ثم فضلنهم بحق زائد وهو حق الامومة ثم وجدنا هن لا عمل من الصلاة والصدقة والصيام والحج وحضور الجهاد يسبق فيه صاحب من الصحابة الا كان فيهن فقد كن يجهدن انفسهن في ضيق عيشهن على الكد في العمل بالصدقة والعتق ويشهدن الجهاد معه عليه السلام وفي هذا كفاية بينة في انهن افضل من كل صاحب ثم لا شك عند كل مسلم وبشهادة نص القرآن اذ خيرهن الله عز وجل بين الدنيا وبين الدار الاخرة والله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة فهن ازواجه في الآخرة بيقين فاذ هن كذلك فهن معه صلى الله عليه وسلم بلا شك في درجة واحدة في الجنة في قصوره وعلى سرره اذ لا يمكن البتة ان يحل بينه وبينهن في الجنة ولا ان ينحط عليه السلام الي درجة يسفل فيها عن احد من الصحابة هذا مالا يظنه مسلم فاذا لا شك في حصولهن على هذه المنزلة فبالنص والاجماع علمنا انهن لم يؤتين ذلك اختصاصا مجردا دون عمل بل باستحقاقهن لذلك باختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة اذ امره الله عز وجل ان يخيرهن فاخترن الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم وهو افضل الناس ثم قد حصل لهن افضل الاعمال في جميع الوجوه السبعة التي قدمنا أنفا أنه لا يكون التفاضل الا بها في الاعمال خاصة ثم قد حصل لهن على ذلك أوكد التعظيم في الدنيا ثم قد حصل لهن ارفع الدرجات في الآخرة فلا وجه من وجوه الفضل الا ولهن فيه اعلى الحظوظ كلها بلا شك وماربة ام ابراهيم داخلة معهن في ذلك لانها معه عليه السلام في الجنة ومع ابنها منه بلا شك فاذ قد ثبت كل ذلك على رغم الأبي فقد وجب ضرورة ان يشهد لهن كلهن بانهن افضل من جميع الخلق من كلهن بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام وكيف ومعنا نص النبي صلى الله عليه وسلم كما حدثنا احمد بن محمد بن عبد الله الطلمنكي ثنا محمد بن احمد بن مفرج ثنا محمد بن أيوب الرقي الصموت ثنا احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار ثنا احمد بن عمرو حدثنا المعتمر بن سليمان التيمي ثنا حميد الطويل عن انس بن مالك قال قيل يارسول الله من احب الناس اليك قال عائشة قال من الرجال قال فابوها * حدثنا عبد الله بن يوسف بن نامي قال حدثنا احمد بن فتح حدثنا عبد الوهاب ابن قيس حدثنا احمد بن محمد الاشقر حدثنا احمد بن علي القلانسي ثنا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن يحيى بن خالد بن عبد الله هو الطلحان عن خالد الحذاء عن ابي عثمان النهدي قال اخبرني عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى جيش ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك فقال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر فعد رجالا فهذان عدلان انس وعمرو يشهدان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان عائشة احب الناس اليه ثم ابوها وقد قال عز وجل عنه عليه السلام * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * فصح ان كلامه عليه السلام انها احب الناس اليه وحي اوحاه الله تعالى اليه ليكون كذلك ويخبر بذلك لا عن هوى له ومن ظن ذلك فقد كذب الله تعالى لكن لاستحقاقها لذلك الفضل في الدين والتقديم فيه على جميع الناس الموجب لان يجبها رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من محبته لجميع الناس فقد فضلها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابيها وعلى عمر وعلى وعلى فاطمة تفضيلا ظاهرا بلا شك فان قال قائل فقل ان ابراهيم ابن

وحيا صريحا وان وقع في المتخيلة واشتغلت بطبيعة المحاكاة كان ذلك مفتقرا الى التأويل وأما الرابع في مشاهدة النفس صورا محسوسة لا وجود لها وذلك ان النفس تدرك الامور الغائبة ادراكا قويا فيبقى عين ما أدركته في الحفظ وقد يقبله قبولا ضعيفا فيستولي عليه المتخيلة ويحاكيه بصورة محسوسة واستتبعت الحس المشترك وانطبعت الصورة في الحس المشترك سراية اليه من المصورة المتخيلة والابصار هو وقوع صورة في الحس المشترك فسواء وقع فيه امر من خارج بواسطة البصر أو وقع فيه أمر من داخل بواسطة الخيال كان ذلك محسوسا فمنه ما يكون من قوة النفس وقوة آلات الادراك ومنه ما يكون من ضعف النفس والالات وأما الخامس فالمعجزات والكرامات قال خصائص للمعجزات والكرامات ثلاث خاصية في قوة النفس وجوهرها ليؤثر في هيولا العالم بازالة صورة وايجاد صورة وذلك

رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لكونهم مع
ابيه عليه السلام في الجنة في درجة واحدة قلنا له وبالله تعالى التوفيق ان ابراهيم ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما استحق تلك المنزلة بعمل كان منه وانما هو اختصاص مجرد وانما تقع
المفاضلة بين الفاضلين اذا كان فضلهما واحدا من وجه واحد فتفاضلا فيه واما ان كان الفضل من
وجهين اثنين فلا سبيل الى المفاضلة بينهما الان معنى قول القائل أي هذين افضل انما هو اي هذين
اكثر أوصافا في الباب الذي اشتركا فيه ألا ترى انه لا يقال ايهما افضل رمضان او ناقة صالح ولا
ايهما افضل الكعبة او الصلاة بل نقول ايهما افضل مكة او المدينة وانهما افضل رمضان او
ذو الحجة وايهما افضل الزكاة ام الصلاة وايهما افضل ناقة صالح أو ناقة غيره من الانبياء فقد
صح أن التفاضل انما يكون في وجه اشتراك فيه المسؤل عنهما فبسق احدهما فيه فاستحق ان يكون
افضل وفضل ابراهيم ليس على عمل اصلا وانما هو اختصاص مجرد واكرام لابيه صلى الله عليه
وسلم وأما نساؤه عليه السلام فكونهن وكون سائر أصحابه عليهم السلام في الجنة انما هو جزاء
لهن ولهم على أعمالهن وأعمالهم قال الله بعد ذكر الصحابة رضي الله عنهم * جزاء بما
كانوا يعملون * وقال بعد ذكر الصحابة * وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم
مغفرة واجرا عظيما * وقال تعالى مخاطبا لنسائه عليه السلام * ومن يقنت منكن لله ورسوله
وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين * وهذا نص قولنا ولله الحمد وقال تعالى * وتلك الجنة
التي أورثتموها بما كنتم تعملون * وقال تعالى * غرف من فوقها غرف مبنية * وقال تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى * فان قال
قائل فكيف تقولون في قوله عليه السلام لن يدخل الجنة احد بعمله قيل ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل قلنا نعم هذا حق موافق للآيات المذكورة
وهكذا نقول انه لو عمل الانسان دهره كله ما استحق على الله تعالى شيئا لانه لا يجب على
الله تعالى شيء اذ لا موجب للاشياء الواجبة غيره تعالى لانه المبتدي لكل ما في العالم
والخالق له فلولا ان الله تعالى رحم عباده فحكم بان طاعتهم له يعطيهم بها الجنة لما وجب
ذلك عليه فصح انه لا يدخل احد الجنة بعمله مجردا دون رحمة الله تعالى لكن يدخلها برحمة
الله تعالى التي جعل بها الجنة جزاء على أعمالهم التي اطاعوه بها وبالله تعالى التوفيق
وبه نتأيد وعليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) فاذ لا شك في هذا كله فقد امتنع يقينا ان يجازى بالافضل من كان انقص
فضلا وان يجازى بالانقص من كان اتم فضلا وصح ضرورة انه لا يجزى احد من اهل
الاعمال في الجنة الا بما استحقه برحمة الله تعالى جزاء على عمله ولله تعالى ان يتفضل على من
شاء بما شاء وجائز ان يقدم على ذوي الاعمال الرفيعة قال تعالى * يختص برحمته من يشاء
وقال تعالى * ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * فلا يجوز خلاف هذه النصوص لاحد لان
من خالفها كذب القرآن ولولا هذه النصوص لما ايقنا ان يعذب الله تعالى على الطاعة له
وان ينعم على معصيته وان يجزي لا بالفضل بالانقص الا بالانقص بالافضل اذ كل شيء ملكه
وخلقه لا مالك لشيء سواه ولا معقب لحكمه ولا حق لاحد عليه لكن قد أمنا ذلك كله
باخبار الله تعالى انه لا يجزي ذا عمل الا بما له وانه يتفضل على من يشاء فلزم الاقرار بكل
ذلك وبالله تعالى التوفيق فلو قال قائل انما فضل في الجنة وأعلى قدرا مكان ابراهيم ابن رسول

ان الهيولى منقادة لتاثير
النفوس الشريفة المفارقة
مطيعة لقواها السارية في
العالم وقد تبلغ نفس انسانية
في الشرف الى حد يناسب
تلك النفوس فيفعل فعلها
وتقوى على ما قويت هي
فتزيل جبلا عن مكانه
وتذيب جوهرا فيستحيل
ماء ويحمد جسما سائلا
فيستحيل حجرا ونسبة
هذه النفس الى تلك النفوس
كنسبة السراج الى الشمس
وكما ان الشمس تؤثر في
الاشياء تسخينا بالاضاءة
كذلك السراج يؤثر بقدرة
وأنت تسلم ان للنفس
تاثيرات جزئية في البدن
فانه اذا حدث في النفس
صورة الغلبة والغضب حمي
المزاج واحمر الوجه واذا
حدثت صورة مشتهيات
فيها حدثت في الوعية الماء
حرارة منجرة مهيجة
للريح حتى يعلى عروق آلة
الوقاع فتنعقد والمؤثر
ها هنا مجرد التصور لا غير
والخاصية الثانية أن تصفو
النفس صفاء يكون شديد
الاستعداد للاتصال بامر
الفعال - تي يفيض عليها
العلوم فانا قد ذكرنا
حال القوة القدسية التي

الله عليه وسلم أومكان ابى بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم قلنا مكان ابراهيم اعلى بلاشك ولكن ذلك المكان اختصاص مجرد لابراهيم المذكور لم يستحقه بعمل ولا استحق ايضا ان يقصر به عنه ومواضيع هؤلاء المذكورين جزاءلهم على قدر فضلهم وسوابقهم وكذلك نساؤه صلى الله عليه وسلم مكانهم جزاء لهن على قدر فضلهن وسوابقهن فلا يقال ان ابراهيم ابن رسول الله صلي الله عليه وسلم افضل من ابي بكر او عمر ولا يقال ايضا ان أبابكر وعمر افضل من ابراهيم والمفاضلة واقعة بين الصحابة وبين نساء رسول الله صلي الله عليه وسلم لان اعمالهم وسوابقهم لها مراتب متناسبة بلاشك فان قال قائل انهن لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحصلن تلك الدرجة وانما تلك الدرجة له عليه السلام قلنا وبالله تعالى التوفيق نعم ولاشك ايضا في ان جميع الصحابة لولا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماحصلوا ايضا على الدرج التي لهم فيها فاماهي اذا على قولكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قائم ولا فرق وبقي الفضل والتقدم لمن كما كان في كل ذلك ولا فرق

(قال ابو محمد) واما فضلهن على بنات النبي صلى الله عليه وسلم فبين بنص القرآن لاشك فيه قال الله عز وجل * يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول * فهذا بيان قاطع لايسع احدا جهله فان عارضنا معارض يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائها فاطمة بنت محمد قلنا له وبالله تعالى التوفيق في هذا الحديث بيان جلي لما قلنا وهو انه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة وانما قال خير نسائها فخص ولم يعم وتفضيل الله عز وجل النساء النبي صلى الله عليه وسلم على النساء عموم لاخصوص لايجوز ان يستثنى منه احدا لامن استثناه نص آخر فصح انه عليه السلام انما فضل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه صلى الله عليه وسلم فاتفقت الآية مع الحديث وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذا ايضا عموم موفق الآية ووجب ان يستثنى ماخصه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله نسائها من هذا العموم فصح ان نساءه عليه السلام افضل النساء جملة حاشا اللواتي خصهن الله تعالى بالنبوة كام اسحق وام موسى وأم عيسى عليهم السلام وقد نص الله تعالى على هذا بقوله الصادق * يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين * ولاخلاف بين المسلمين في ان جميع الانبياء كل نبي منهم افضل ممن ليس بنبي من سائر الناس ومن خالف هذا فقد كفر وكذلك أخبر عليه السلام فاطمة انها سيدة نساء المومنين ولم يدخل نفسه صلى الله عليه وسلم في هذه الجملة بل اخبر عمن سواه وبرهان آخر وهو قول الله تعالي مخاطبا لهن * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين *

(قال ابو محمد) فهذا فضل ظاهر وبيان لائح في انهن افضل من جميع الصحابة رضى الله عنهم وبهذه الآية صحة متيقنة لايمترى فيها مسلم فابو بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وسائر الصحابة رضي الله عنهم اذا عمل الواحد منهم عملا يستحق عليه مقدارا ما من الاجر وعملت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك العمل بعينه كان لها مثل ذلك المقدار من الاجر فاذا كان لنصف الصحابي وفاطمة رضى الله عنهم ينفي باكثر من مثل جبل احد ذهبا من بعد كان للمرأة من نسائه عليه السلام في نصفها اكثر من مائتي ثلثين مثل جبل احد ذهبا وهذه فضيلة ليست لاحد بعد الانبياء عليهم السلام الاهن وقد صح عن النبي صلى

تحصل لبعض النفوس حتى تستغني في اكثر أحواله عن التفكر والتعلم والشريف البالغ منه يكاد زيتها تضيء ولو لم تمسسه نار نور على علي نور والخاصية الثالثة للقوة المتخيلة بان تقوى النفس وتتصل في اليقظة بعالم الغيب كما سبق وتحاكي المتخيلة ماأدرك النفس بصورة جميلة وأصوات منظومة فيرى في اليقظة ويسمع فتلون الصورة المحاكية للجوهر الشريف صورة عجيبة في غاية الحسن وهو الملك الذي يراه النبي وتكون المعارف التي تتصل بالنفس من اتصالها بالجواهر الشريفة تتمثل بالكلام الحسن المنظوم الواقع في الحس المشترك فيكون مسموعا قال والنفوس وان اتفقت في النوع الا انها تتمايز بخواص تختلف افاعيلها

الله عليه وسلم انه يوعك كوعك رجلين من اصحابه لان له (١) على ذلك كفلين من الاجر
(قال أبو محمد) وليس بعد هذا بيان في فضلهن على كل احد من الصحابة الا من أعمى الله
قلبه من الحق ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وقد اعترض علينا بعض اصحابنا في هذا المكان بقول الله تعالى عن أهل الكتاب اذ آمنوا * اولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا * قال فيلزم انهم أفضل منا فقلت له ان هذه الآية والخبر الذي فيه ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين فذكر مؤمن اهل الكتاب والعبد الناصح ومعتق امته ثم يتزوجها فيهما بين الوجه الذي أجروا به مرتين وهو الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم و بالنبي الاول المبعوث بالكتاب الاول ونحن نؤمن بهذا كله كما آمنوا فنحن شركاء ذلك المؤمن منهم في ذلك الايمانين وكذلك العبد الناصح يؤجر اطاعة سيده اجرا ولطاعة الله أجرا وكذلك معتق امته ثم يتزوجها يؤجر على عتقه اجرا ثم على نكاحه اذا اراد به وجه الله تعالى اجرا ثانيا فصح بالنص يقينا ان هؤلاء انما يؤتون اجرهم مرتين في خاص من اعمالهم لا في جميع اعمالهم وليس في هذا ما يمنع من ان يؤجر غيرهم في غير هذه الاعمال اكثر من اجور هؤلاء وايضا فانما يضاعف لهؤلاء على ما عمله اهل طبقتهم وليست المضاعفة لاجور نساء النبي صلى الله عليه وسلم مرتين من هذا في ورد ولا صدر لان المضاعفة لهن انما هي في كل عمل عملنه بنص القرآن اذ يقول تعالى * ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين * فكل عمل عمله صاحب من الصحابة له فيه اجر فلكل امرأة منهن في مثل ذلك العمل اجران والمضاعفة لهن انما تكون على ما عمله طبقتهن من الصحابة وقد علمنا ان بين عمل الصاحب وعمل غيره اعظم مما بين احد ذهبا ونصف مد شعير فيتم لكل واحدة منهن مثلا ذلك مرتين وهذا لا يخفى على ذي حس سليم فبطلت المعارضة التي ذكرناها والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واعترض علينا ايضا بعض الناس في الحديث الذي فيه ان عائشة احب الناس اليه ومن الرجال ابوها بان قال قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاسامة بن زيد ان اباه كان احب الناس الى وان هذا احب الناس الى بعده وصح انه عليه السلام قال للانصار انكم احب الناس الى

(قال ابو محمد) واما هذا اللفظ الذي في حديث اسامة بن زيد انه احب الناس اليه عليه السلام فقد روى من طريق حماد بن سلمة عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه واما الذي فيه ذكر اسامة وزيد رضي الله عنهما فانما رواه عمر بن حمزة عن سالم بن عبد الله عن ابيه وعمر بن حمزة هذا ضعيف والصحيح من هذا الخبر هو ما رواه عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد لا مغمز فيه فذكر فيه انه عليه السلام قال يعني لزيد بن حارثة وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا من احب الناس الى بعده وهذا يقضي على حديث موسى بن عقبة عن سالم عن ابيه لانه مختصر من حديث عبد الله بن دينار و بهذا ينتفي التعارض بين الروايتين عن ابن عمر وعن انس وعمر والا فليس احدهما اولى من الآخر واما حديث الانصار فرووه كما ذكره هشام بن زيد عن انس ورواه عبد العزيز بن صهيب عن انس عن رسول الله صلى الله عليه

(١) الوعك الحمى وقيل المها وقد وعكه المرض وعكا ووعك فهو موعوك والكفل بالكسر الحظ والنصيب

اختلافات عجيبة وفي الطبيعة أسرار والاتصالات العلويات بالسفليات عجائب وجل جناب الحق عن ان يكون شريعة لكل وارد وان يرد عليه الا واحد بعد واحد وبعد فما يشتمل عليه هذا الفن ضحكة للغفل عبرة للمحصل فمن سمعه فاشمأز عنه فليتهم نفسه بانها لا تناسبه وكل ميسر لما خلق له تمت بحمد الله (آراء العرب في الجاهلية) قد ذكرنا في صدر هذا الكتاب ان العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد وأجملنا القول فيه حيث كانت المقارنة بين الفريقين والمقاربة بين الامتين مقصورة على اعتبار خواص الاشياء والحكم باحكام الماهيات والغالب عليهم الفطرة والطبع وان الروم والعجم

وسلم انه قال انتم من احب الناس الى وهو حديث واحد وزيادة العدل مقبولة فصح بزيادة من فى الحديث من طريق العدول ان الانصار وزيد واحارة رضى الله عنهم من جملة قوم هم احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا حق لاشك فيه لانهم من اصحابه واصحابه احب الناس اليه بلاشك وليس هكذا جواب فى عائشة رضى الله عنها اذ سئل من احب الناس اليك فقال عائشة فقيل من الرجال قال ابوها لان هذا قطع على بيان ما سال عنه السائل من معرفة من المنفرد البائن عن الناس بمحبته عليه السلام واعترض علينا بعض الاشعرية بان قال ان الله تعالى يقول * انك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء * فصح ان محبته عليه السلام لمن أحب ليس فضلا لانه قد احب عمه وهو كافر

(قال ابو محمد) فقلنا ان هذه الآية ليست على ماظن وانما مراد الله تعالى * انك لاتهدي من احببت * اى احببت هداه برهان ذلك قوله تعالى * ولكن الله يهدى من يشاء * اى من يشاء هداه وفرض على النبى صلى الله عليه وسلم وعلينا ان نحب الهدى لكل كافر لان نحب الكافر وايضا فلو صح ان معنى الآية من احببت كما ظن هذا المعترض لما كان علينا بذلك حجة لان هذه آية مكية نزلت فى ابى طالب ثم انزل الله تعالى فى المدينة لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم * وانزل الله تعالى في المدينة * لقد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده * وان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اباطالب فقد حرم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبته وافترض عليه عداوته وبالضرورة يدرى كل ذى حس سليم ان العداوة والمحبة لايجتمعان اصلا والمودة هي المحبة فى اللغة التى بها نزل القرآن بلا خلاف من أحد من اهل اللغة فقد بطل ان يحب النبى صلى الله عليه وسلم احدا غير مؤمن وقد صحت النصوص والاجماع على ان محبة رسول صلى الله عليه وسلم لمن احب فضيلة وذلك كقوله عليه السلام لعلى لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاذ لاشك ولا خلاف فى ان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ماقال اهل الجهل والكذب فقد صح يقينا ان كل من كان اتم حظا فى الفضيلة فهو افضل ممن هو اقل حظا فى تلك الفضيلة هذا شيء يعلم ضرورة فاذا كانت عائشة اتم حظا فى المحبة التى هى اتم فضيلة فهى افضل ممن حظه فى ذلك اقل من حظها ولذلك لما قيل له عليه السلام من الرجال قال ابوها ثم عمر فكان ذلك موجبا لفضل أبي بكر ثم عمر على سائر الصحابة رضي الله عنهم فالحكم بالباطل لايجوز فى ان يكون يقدم أبو بكر ثم عمر فى الفضل من اجل تقدمهما فى المحبة عليهما وما علم نصا فى وجوب القول بتقديم ابى بكر ثم عمر على سائر الصحابة الا هذا الخبر وحده

(قال ابو محمد) وقد نص النبى صلى الله عليه وسلم على ماينكح له من النساء فذكر الحسب والمال والجمال والدين ونهى صلى الله عليه وسلم عن كل ذلك بقوله فعليك بذات الدين تربت يداك فمن المحال الممتنع ان يكون يحض على نكاح النساء واختيارهن للدين فقط ثم يكون هو عليه السلام يخالف ذلك فيحب عائشة لغير الدين وكذلك قوله عليه السلام فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام لا يحل لمسلم ان يظن فى ذلك شيئا غير الفضل عند الله تعالى فى الدين فوصف الرجل امرأته للرجال لايرضى به الاخسيس نذل ساقط ولا

يتقاربان على مذهب واحد حيث كانت المقاربة مقصورة على اعتبار كيفيات الاشياء والحكم باحكام الطبائع والغالب عليهما الاكتساب والجهد والآن نذكر أقاويل العرب فى الجاهلية ونعقبها بذكر أقاويل الهند وقبل ان نشرع فى مذاهبهم نريد ان نذكر حكم البيت العتيق ونصل بذلك حكم البيوت المبنية فى العالم فان منها مابنى على دين الحق قبلة للناس منها مابنى على الرأي الباطل فتنة للناس وقد ورد فى التنزيل ان * أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا وهدى للعالمين وقد اختلفت الروايات فى أول من بناه قيل ان آدم لما هبط الى الارض وقع الى سرنديب من ارض الهند وكان يتردد فى

يحل لمن له ادني مسكة من عقل ان يمر هذا بباله عن فاضل من الناس فكيف عن المقدس المطهر البائن فضله على جميع الناس صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولولا انه بلغنا عن بعض من تصدر لنشر العلم من زماننا وهو المهلب بن ابي صفرة التميمي صاحب عبدالله بن ابراهيم الاصيلي انه اشار الى هذا المعنى القبيح وصرح به ما انطلق لنا بالايماء اليه لسان ولكن المنكر اذا ظهر وجب على المسلمين تغييره فرضا على حسب طاقتهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) وكذلك عرض الملك لما رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ولادتها في سرعة من حرير يقول له هذه زوجتك فيقول عليه السلام ان يكن من عند الله يمضيه فهل بعد هذا في الفضل غاية

(قال ابو محمد) واعترض علينا مكي بن ابي طالب المقرى بان قال يلزم على هذا ان تكون امرأة ابي بكر أفضل من علي لان امرأة ابي بكر مع ابي بكر في الجنة في درجة واحدة وهي اعلى من درجة علي فمنزلة امرأة أبي بكر اعلى من منزلة علي فهي افضل من علي

(قال ابو محمد) فاجبناه بان قلنا له وبالله تعالى نتائيد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه احدها ان ما بين درجة ابي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم وبين درجة ابي بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضي الله عنهم بل قد ايقنا ان درجة اقل رجل منا في الفضل أقرب نسبة من اعلى درجة لاعلى رجل من الصحابة من نسبة درجة افضل الصحابة الى درجة النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا فليس بين ابي بكر وعلي في المباينة في الفضل ما يوجب ان تكون امرأة ابي بكر التابعة له افضل من علي بل منازل المهاجرين الاولين الذين اوذوا في سبيل الله عز وجل متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السوابق مشهدا مشهدا درجهم في الفضل متقاربة وان تفاضلت ثم منازل الانصار الاولين متقاربة وان تفاضلت ثم كذلك اهل السابق بعد الهجرة مشهدا مشهدا درجهم متقاربة في الفضل ثم كذلك من اسلم بعد الفتح أيضا ويزداد الافضل فالافضل من المشركين في المشاهد جزاء على ذلك فنقول ان امرأة ابي بكر المستحقة بعملها الكون معه في درجته مثل ام رومان لسنا ندري اهي افضل ام علي لانا لا نص معنا في ذلك والتفضيل لا يعرف الا بنص وقد قال عليه السلام خيركم القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم او كما قال عليه السلام فجعلهم طبقات في الخير والفضل فلا شك ما كذلك في الجزاء في الجنة والا فكان يكون الفضل لا معنى له وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * وايضا فلسنا نشك ان المهاجرات الاوليات من نساء الصحابة رضي الله عنهم يشاركن الصحابة في الفضل ففاضلة ومفضولة وفاضل ومفضول ففيهن من يفضل كثيرا من الرجال وفي الرجال من يفضل كثيرا منهن وماذكر الله تعالى منزلة من الفضل الا وقرن النساء مع الرجال فيها كقوله تعالى * ان المسلمين والمسلمات * الاية حاشا الجهاد فانه فرض على الرجال دون النساء ولسنا ننكر ان يكون لابي بكر رضي الله عنه قصور ومنازل مقدمة على جميع الصحابة ثم يكون لمن لم تساهل من نسائه تلك المنزلة منازل في الجنة دون منازل من هو افضل منهن من الصحابة فقد نكح الصابة رضي الله

عنهم

الارض متحيرا بين فقدان زوجته ووجدان توبته حتى وافى حواء بجبل الرحمة من عرفات وعرفها وصار الى ارض مكة ودعا وتضرع الى الله تعالى حتى باذنه في بناء بيت يكون قبلة لصلاته ومطافا لعبادته كما كان قد عهد في السماء من البيت المعمور الذي هو مطاف الملائكة ومزار الروحانيين فانزل الله تعالى عليه مثال ذلك البيت على شكل سرادق من نور فوضعه مكان البيت وكان يتوجه اليه ويطوف به ثم لما توفى تولى وصيه شيث بناء البيت من الحجر والطين على الشكل المذكور حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ثم لما خربت ذلك بطوفان نوح وامتد الزمان حتى غيض الماء وقضي الامر وانتهت النبوة الى

عنهم التابعات بعد الصاحبات وعليهن فيكون تلك المنازل زائدة في فضل ازواجهن من الصحابة فينزلون اليهن ثم ينصرفون الى منازلهن العالية بل قد صح هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم وانه قال كلاما معناه واكثر نصه انه عليه السلام زعيم ببيت في ربض الجنة وفي وسط الجنة وفي أعلى الجنة لمن فعل كذا امر اوصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح نص ما قلنا من ان لمن دونه عليه السلام منازل عالية واخر مسفلة عن تلك المنازل ينزلون اليها ثم يصعدون الى الاعالي وهذا مبعد عن النبي صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما ان جميع نسائه عليه السلام لهن حق الصحبة التي يشترك فيها جميع الصحابة ويفضلهن فيها بقرب الخاصة فليس في نسائه عليه السلام ولا واحدة يفضلها بالصحبة التي هي فضيلتهم التي بها مانوا عمن سواهم فقط وقد كفينا الباب والوجه الثاني ان تاخر بعض الصحابة عن بعضهم في بعض الاماكن موجود وان كان ذلك المتاخر في بعض الاماكن متقدما في مكان آخر فقد علمنا ان بلالا عذب في الله عز وجل مالم يعذب علي وان عليا قاتل مالم يقاتل بلال وان عثمان انفق مالم ينفق بلال ولا علي فيكون المفضول منهم في الجملة متقدما للذي فضله في بعض فضائله ولا سبيل ان يوجد هذا فيما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان يتقدمه احد من ولد آدم في شيء من الفضائل اولها عن آخرها ولا الى ان يلحقه لاحق في شيء من الفضائل من بني آدم فلا سبيل الى ينسفل النبي صلى الله عليه وسلم الى درجة يوازيه فيها صاحب من الصحابة فكيف ان يعلو عليه الصاحب هذا أمر تقشعر منه جلود المؤمنين وقد استعظم ابو أيوب رضي الله عنه ان يسكن في غرفة على بيت يسكنه النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يظن بان هذا يكون في دار الجزاء فاذا كان العالي من الصحابة في اكثر منازله ينسفل أيضا في بعضها عن صاحب آخر قد علاه في منازل أخر على قدر تفاضلهم في اعمالهم كما ذكرنا آنفا فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الصائمين يدعون من باب الريان وان المجاهدين يدعون من باب الجهاد وان المتصدقين يدعون من باب الصدقة وان ابا بكر يرجو له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعى من جميع تلك الابواب وقد يجوز ان يفضل ابابكر رضي الله عنه غيره من الصحابة في بعض تلك الوجوه ممن انفرد بباب منها ولا يجوز ان يفضل احد رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من ابواب البر فبطل هذا الاعتراض جملة والحمد لله رب العالمين واعترض ايضا علينا مكي بن ابي طالب بان قال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من موسى عليه السلام ومن كل واحد من الانبياء عليهم السلام وكان عليه السلام اعلى درجة في الجنة من جميع الانبياء عليهم السلام وكان نساؤه عليه السلام معه في درجته في الجنة فدرجتهن فيها اعلى من درجة موسى عليه السلام ومن درج سائر الانبياء عليهم السلام فهن على هذا الحكم افضل من موسى وسائر الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فاجبناه بان هذا الاعتراض ايضا لا يلزمنا ولله الحمد لان الجنة دار ملك وطاعة وعلو منزلة ورياسة واتباع من التابع للمتبوع كما قال عز وجل * واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * وقال تعالى عن موسى عليه السلام * وكان عند الله وجيها * واخبر عز وجل عن جبريل صلى الله عليه وسلم * فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين * فقد علمنا ان ملك الدنيا غرور وان ملك الآخرة هو الحقيقة وقد اخبر عليه السلام انه رأى الانبياء عليهم السلام مع اتباعهم فالنبي معه الواحد والاثنان والثلاثة والنفر والجماعة فاخبر عز وجل

الخليل ابراهيم وحمله هاجر الى الموضع المبارك وبلاة اسماعيل هنالك ونشوءه وتربيته ثم وعود ابراهيم اليه واجتماعه به في بناء البيت وذلك قوله تعالى * واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل * فرفعا قواعد البيت على مقتضى اشارة الوحي موعيا فيه جميع المناسبات التي بينها وبين البيت المعمور وشرعا المناسك والمشاعر محفوظا فيها جميع المناسبات التي بينها وبين الشرع وتقبل الله ذلك منهما وبقي الشرف والتعظيم الى زماننا والى يوم القيامة دلالة على حسن القبول فاختلفت اراء العرب في ذلك وأول من وضع فيه الاصنام عمرو ابن لحي لما ساد قومه بمكة وأستولى على امر

ان هنالك الملك الكبير والطاعة والوجاهة والاتباع والاستشمار وانما عرض الله تعالى علينا في الدنيا من الملك طرفا لنعلم به مقدار الملك الذي في دار الجزاء كما عرض علينا من اللذات والحرير والديباج والخمر والذهب والفضة والمسك والجواري والحلي واعلمنا ان هذا كله خالصة انا هنالك وكما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان آخر من يدخل الجنة يزكو على اعظم ملك عرفه في الدنيا فيتمنى مثل ملكه فيعطيه الله تعالى مثل الدنيا عشر مرات

(قال ابو محمد) فلما صح ماذكرنا وكانت الملائكة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها وكانت طبقة المرسلين النبيين طبقة واحدة والنبيون غير المرسلين طبقة واحدة لانهم ايضا يتفاضلون فيها وكل الصحابة طبقة واحدة الا انهم يتفاضلون فيها فوجب بلاشك ان لا يكون اتباع الرسل من النساء والاصحاب كالمتبوعين الذين هم الرسل لان بالضرورة نعلم ان تابع الاعلى ليس لاحقا بنظير متبوعه فكيف ان يكون اعلى منه كما ان التابعيات من نساء الصحابة رضي الله عنهم لا يلحقن بنظراء ازواجهن من الصحابة اذ ليس هن معهم في طبقة وانما ينظر بين اهل كل طبقة ومن هو في طبقته ونساء النبي صلى الله عليه وسلم طبقة واحدة مع الصحابة فصح التفاضل بينهم وليس واحدة منهن ولا منهم مع الانبياء في طبقة فلم يجز ان ينظر بينهم وقد اخبر عليه السلام انه رأى ليلة الاسراء الانبياء عليهم السلام في السموات سماء سماء وبالضرورة ان نعلم ان منزلة النبي الذي هو متبوع في سماء الدنيا امره هناك مطاع اعلى من منزلة التابع في السماء السابعة للنبي الذي هنالك واذ قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان كل نبي يأتي مع أمته فنحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم فان كان ما الزمناه مكي لازما لنا فيلزمه مثل ذلك فينا ايضا ان نكون افضل من الانبياء وهذا غير لازم لما ذكرنا من انه لا ينظر في الفضل الا بين من كان من اهل طبقة واحدة فمن كان منهم اعلى منزلة من الآخر كان افضل منه بلاشك وليس ذلك في الطباق المختلفة الا ترى ان كون مالك خازن النار في مكان غير مكان خازن الجنة وغير مكان جبرائيل لا تحط درجته عن درجة من في الجنة من الناس الذين هم جملة افضل منهم لان مالكا متبوع للنار ومقدم مطاع مفضل بذلك على التابعين والخدمة في الجنة بلاشك فبطل هذا الشغب ويجمع هذا الجواب باختصار وهو ان الرؤساء والمتبوعين في كل طبقة في الجنة اعلى من التابعين لهم ونساء النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كلهم اتباع له عليه السلام وجميع الانبياء متبوعون فانما ينظر بين المتبوعين ايهم افضل وينظر بين الاتباع ايهم افضل ويعلم الفضل بعلو درجة كل فاضل من دونه في الفضل ولا يجوز ان ينظر بين الاتباع والمتبوعين لان المتبوعين لا يكونون البتة احط درجة من التابعين وبالله الله تعالى التوفيق. فان قال قائل فكيف يقولون في الحور العين أهن أفضل من الناس ومن الانبياء كما قلتم في الملائكة. فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الفضل لا يعرف الا ببرهان مسموع من الله تعالى في القرآن أو من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ولم نجد الله تعالى نص على فضل الحور العين كما نص على فضل الملائكة وانما نص على انهن مطهرات حسان عرب أتراب يجامعن ويشاركن أزواجهن في اللذات كلها وانهن خلقن ليلتذ بهن المومنون فاذ الامر هكذا فانما محل الحور العين محل من هن له فقط ان ذلك اختصاص لهن بلا عمل وتكليف فهن خلاف الملائكة في ذلك وبالله الله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ومما يؤكد قولنا قول الله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون وهذا النص اذ قد صح فقد وجب الاقرار به

البيت ثم صار الى مدينة البلقا بالشام فراى قوما يعبدون الاصنام فسالهم عنها فقالوا هذه أرباب اتخذناها على شكل الهياكل العلوية والاشخاص البشرية نستعين بها فننتصر ونستسقي بها فنسقى فاعجبه ذلك فاطلب منهم صنما من أصنامهم فدفعوا اليه هبل فسار به الى مكة ووضعه في الكعبة وكان معه أساف ونائلة على زوجين فدعاء الناس الى تعظيمهما والتقرب اليهما والتوسل بهما الى الله تعالى وكان ذلك في أول ملك شابور ذي الاكتاف الى ان أظهر الله الاسلام وأخرجت وأبطلت وبهذا يعرف كذب من قال ان بيت الله الحرام انما هو بيت زحل بناه الباني الاول على طوالع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل

فلو عجزنا عن تفضيل بعض أقسام هذه الاعتراضات لما الزمنا في ذلك نقصا اذ لا يجوز الاعتراض على هذا النص وكلما صح بيقين فلا يجوز ان يعارض بيقين آخر والبرهان لا يبطله برهان وقد أوضحنا ان الجنة دار جزاء على أعمال المكلفين فاعلاهم درجة أعلاهم فضلا ونساء النبي صلى الله عليه وسلم أعلا دوجة في الجنة من جميع الصحابة فهن أفضل منهن فمن أبى هذا فليخبرنا ما معنى الفضل عنده اذ لا بد ان يكون لهذه الكلمة معنى فان قال لا معنى لها فقد كفانا مؤنته وان قال لها معنى سألناه ما هو فانه لا يجد غير ما قلناه وبالله تعالى التوفيق فكيف وقد انبنا بتأييد الله عز وجل لنا على كل ما اعترض علينا به في هذا الباب ولاح الوجه في ذلك بيننا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) واستدركنا بيانا زائدة في قول النبي صلى الله عليه وسلم في ان فاطمة سيدة نساء المؤمنين أو نساء هذه الامة فنقول و بالله تعالى التوفيق ان الواجب مراعاة الفاظ الحديث وانما ذكر عليه السلام في هذا الحديث السيادة ولم يذكر الفضل وذكر عليه السلام في حديث عائشة الفضل نصا بقوله عليه السلام وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام

(قال ابو محمد) والسيادة غير الفضل ولا شك ان فاطمة رضي الله عنها سيدة نساء العالمين بولادة النبي صلى الله عليه وسلم لها فالسيادة من باب الشرف لا من باب الفضل فلا تعارض بين الحديث البتة والحمد لله رب العالمين وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما وهو حجة في اللغة العربية كان ابو بكر خيرا وافضل من معاوية وكان معاوية اسود من ابي بكر ففرق ابن عمر كما ترى بين السادة والفضل والخير وقد علمنا ان الفضل هو الخير نفسه لان الشيء اذا كان خيرا من شيء آخر فهو افضل منه بلا شك

(قال ابو محمد) وقد قال قائل ممن يخالفنا في هذا قال الله عز وجل * وليس الذكر كالانثى * فقلنا و بالله تعالى التوفيق فانت اذا عندنفسك افضل من مريم وعائشة وفاطمة لانك ذكر وهؤلاء أناث فان قال هذا الحق بالفوكي وكفر بان سئل عن معنى الاية قيل له الاية على ظاهرها ولا شك في ان الذكر ليس كالانثى لانه لو كان كالانثى لكان انثى والانثى ايضا ليست كالذكر لان هذه انثى وهذا ذكر وليس هذا من الفضل في شيء البتة وكذلك الحمرة غير الخضرة والخضرة ليست كالحمرة وليس هذا من باب الفضل فان اعترض معترض بقول الله تعالى * وللرجال عليهن درجة قيل له انما هذا في حقوق الازواج على الزوجات ومن اراد حمل هذه الاية على ظاهرها لزمه ان يكون كل يهودي وكل مجوسي وكل فاسق من الرجال افضل من أم موسى وأم عيسى وأم اسحاق عليهم السلام ومن نساء النبي صلى الله عليه وسلم و بناته وهذا كفر ممن قاله باجماع الامة وكذلك قوله تعالى * او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين * انما ذلك في تقصيرهن في الاغلب عن المحاجة لقلة ذريعتهن وليس في هذا ما يحط من الفضل عن ذوات الفضل منهن فان اعترض معترض فقال الذي امرنا بطاعتهم من خلفاء الصحابة رضي الله عنهم افضل من نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى * اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم * فالجواب و بالله تعالى التوفيق ان هذا خطأ من جهات احداها ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم من جملة اولي الامر منا الذين امرنا بطاعتهم فيما بلغن الينا عن النبي صلى الله عليه وسلم كالائمة من الصحابة سواء

ولهذا المعنى اقترن الدوام بالبقاء والتعظيم له لقاء لان زحل يدل على البقاء وطول العمر اكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خط لان البناء الاول كان مستند الى الوحي على يدى أصحاب الوحي ثم اعلم ان البيوت تنقسم الى بيوت الاصنام وبيوت النيران وقد ذكرنا مواضع التي كان بيوت النيران ثمة في مقالات المجوس فاما بيوت الاصنام التي كانت للعرب والهند فهي البيوت المعروفة المبنية على السبع الكواكب فمنها ما كانت فيها اصنام فحولت الى النيران ومنها ما لم تحول ولقد كان بين اصحاب الاصنام و بين أصحاب النيران مخالفات كثيرة والامر دول فيما بينهم وكان كل من استولى وقهر

ولا فرق والوجه الثاني ان الخلافة ليست من قبيل فضل الواحد في دينه فقط وجبت لمن وجبت له وكذلك الامارة لان الامارة قد تجوز لمن غيره أفضل منه وقد كان عمر رضي الله عنه مأمورا بطاعة عمرو بن العاص اذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل فبطل ان تكون الطاعة انما تجب للافضل فالافضل وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص وخالد بن الوليد كثيرا ولم يأمر أبا ذر وأبو ذر افضل خير منهما بلا شك وأيضا فانما وجبت طاعة الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم في أوامرهم منذ ولوا لا قبل ذلك ولا خلاف في ان الولاية لم تزدهم فضلا على ما كانوا عليه وانما زادهم فضلا عدلهم في الولاية لا الولاية نفسها وعدلهم داخل في جملة اعمالهم التي يستحقون الفضل بها الا ترى ان معاوية والحسن اذ وليا كانت طاعتهما واجبة على سعد بن ابي وقاص وسعد أفضل منهما بيون بعيد جدا وهي حي معهما مأمور بطاعتهما وكذلك القول في جابر وأنس بن مالك وابن عمر رضي الله عنهم في وجوب طاعة عبد الملك بن مروان والذي بين جابر وأنس وابن عمرو بين عبد الملك في الفضل كالذي بين النور والظلمة فليس في وجوب طاعة الولاة ما يوجب لهم فضلا في الجنة فان اعترض معترض بقول الله تعالى * والذين امنوا واتبعوهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين * فبيان اعتراضه ظاهر في آخر الآية وهو أن الحاق الذرية بالاباء لا يقتضي كونهم معهم في درجة ولا هذا مفهوم من نص الاية بل انما فيها الحاقهم بهم فيما ساووهم فيه بنص الاية ثم بين تعالى ذلك ولم يدعنا في شك بقوله * كل امرىء بما كسب رهين * فصح ان كل واحد من الاباء والابناء يجازى حسب ما كسب فقط وليس حكم الازواج كذلك بل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم معه في قصوره وعلى سرره ملتذبهن ومعهن جزاء لهن بما عملن من الخير وبصبرهن واختيارهن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والدار الاخرة وهذه منزلة لا يحلها احد بعد النبيين والمرسلين عليهم الصلاة والسلام فهن افضل من كل واحد دون الانبياء عليهم السلام فان شغب مشغب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين اسأب للب الرجل الحازم من احداكن فقاله وبالله تعالى التوفيق ان حملت هذا الحديث على ظاهره فيلزمك ان تقول انك اتم عقلا ودينا من مريم وآسية وام اسحاق ومن عائشة وفاطمة فان تمادى على هذا سقط الكلام معه ولم يبعد عن السفسطة وان قال لا اسقط اعترضه واعترض بان من الرجال من هو ناقص دينا وعقلا من كثير من النساء فان سأل عن معنى هذا الحديث · قيل له قد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة على المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها اذا حاضت لا تصلي ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل في غير هذين الوجهين فقد اد بالضرورة ندري ان في النساء من هن افضل من كثير من الرجال وانهن ديانة وعلما غير الوجوه التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام لا يقول الا حقا فصح يقينا انه انما عبر عليه السلام ما قد بينه في الحديث نفسه من الشهادة والحيض فقط وليس ذلك مما ينقص الفضل فقد علمنا ان ابا بكر وعمر وعليا لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به اربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب اننا افضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة

غير البيت الى مشاهد مذهبه ودينه ومنها بيت فارس على رأس جبل باصفهان على ثلاث فراسخ كانت فيه اصنام الى ان أخرجها كسنا شف الملك لما تنجس وجعلها بيت نار ومنها البيت الذي بمولتان من أرض الهند فيه أصنام لم تغير ولم تبدل ومنها بيت سدوسان من أرض الهند أيضا وفيه أصنام كبيرة كثيرة العجب والهند ياتون البيتين في أوقات من السنة حجا وقصدا اليها ومنها النور بهار الذي بناه منوجهر بمدينة بلخ على اسم القمر فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ ومنها بيت عمدان الذي بمدينة صنعاء اليمن بناه الضحاك على اسم الزهرة وخربه عثمان ذو النورين ومنها بيت كاووسان بناه كاووس الملك بناه عجيبا على

من باب التفاضل في ورد ولا صدر لكن تقف فيها عند ما هذه النص فقط ولا شك عند كل مسلم في ان صواحبه من نسائه وبناته عليهم السلام كخديجة وعائشة وفاطمة وأم سلمة افضل دينا ومنزلة عند الله تعالى من كل تابع أتى بعدهن ومن كل رجل يأتي في هذه الامة الى يوم القيامة فبطل الاعتراض بالحديث المذكور وصح انه على ما فسرناه وبيناه والحمد لله رب العالمين وايضا فقول الله تعالى * يا نساء النبي لستن كاحد من النساء مخرج لهن عن سائر النساء في كل ما اعترض به معترض مما ذكرناه وشبهه

(قال ابو محمد) فان اعترض معترض بقول النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وامرأة فرعون فان هذا الكمال انما هو الرسالة والنبوة التي انفرد بها الرجال وشاركهم بعض النساء في النبوة وقد يتفاضلون أيضا فيها فيكون بعض الانبياء اكمل بعض ويكون بعض الرسل اكمل من بعض قال الله عز وجل * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * فانما ذكر في هذا الخبر من بلغ غاية الكمال في طبقته ولم يتقدمه منهم احد وبالله تعالى التوفيق فان اعترض معترض بقوله عليه السلام لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة فلا حاجة له في ذلك لانه ليس امتناع الولاية فيهن بموجب لهن نقص الفضل فقد علمنا ان ابن مسعود وبلالا وزيد ابن حارثة رضي الله عنهم لم يكن لهم حظ في الخلافة وليس بموجب ان يكون الحسن وابن الزبير ومعاوية أفضل منهم والخلافة جائزة لهؤلاء غير جائزة لاولئك ومنهم في الفضل مالا يجهله المسلم

(قال ابو محمد) وأما أفضل نسائه فعائشة وخديجة رضي الله عنهما لعظم فضائلهما واخباره عليه السلام ان عائشة أحب الناس اليه وان فضلها على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وقد ذكر عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال أفضل نسائها مريم بنت عمران وافضل نسائها خديجة بنت خويلد مع سابقة خديجة في الاسلام وثباتها رضي الله عنها ولام سلمة وسودة وزينب بنت جحش وزينب بنت خزيمة وحفصة سوابق في الاسلام عظيمة واحمال للمشقات في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم والهجرة والغربة عن الوطن والدعاء الى الاسلام والبلاء في الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم ولكلهن بعد ذلك الفضل المبين رضوان الله عليهن أجمعين

(قال ابو محمد) وهذه مسألة نقطع فيها على اننا المحققون عند الله عز وجل وان من خالفنا فيها مخطىء عند الله عز وجل بلا شك وليست مما يسع الشك فيه أصلا

(قال ابو محمد) فان قال قائل هل قال هذا أحد قبلكم قلنا له وبالله تعالى التوفيق وهل قال غير هذا أحد قبل من يخالفنا الآن وقد علمنا ضرورة ان لنساء النبي صلى الله عليه وسلم منزلة من الفضل بلا شك فلا بد من البحث عنها فليقل مخالفنا في أي منزلة نضعهن ابعد جميع الصحابة كلهم فهذا ما لا يقوله احد ام بعد طائفة منهم فعليه الدليل وهذا ما لا سبيل له الى وجوده واذ قد بطل هذان القولان احدهما بالاجماع على انه باطل والثاني لانه دعوى لا دليل عليها ولا برهان فلم يبق الا قولنا والحمد لله رب العالمين الموفق للصواب بفضله ثم نقول وبالله تعالى نستعين قد صح ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه خطب الناس حين ولي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس اني وليتكم ولست بخيركم فقد صح

اسم الشيء بمدينة فرغانة وخربه المعتصم واعلم ان العرب اصناف شتى فنهم معطلة العرب وهي اصناف فصنف منهم أنكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع الحي الدهر المغني وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضروريات فكرية وآيات قرآنية فطرية في كم آية وكم سورة فقال تعالى . اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت

عنه رضي الله عنه انه اعلن بحضرة جميع الصحابة رضي الله عنهم انه ليس بخيرهم ولم ينكر هذا القول منهم أحد فدل على متابعتهم له ولا خلاف انه ليس في احد من الحاضرين لخطبته انسان يقول فيه احد من الناس انه خير من ابي بكر الا علي وابن مسعود وعمرو اما جمهور الحاضرين من مخالفينا في هذه المسالة من أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج فانهم لا يختلفون في ان ابابكر افضل من علي وعمر وابن مسعود وخيرمنهم فصح انه لم يبق الا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فان قال قائل انما قال ابو بكر هذا تواضعا قلنا له هذا هو الباطل المتيقن لان الصديق الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم لايجوز ان يكذب وحاشاله من ذلك ولا يقول الا الحق والصدق فصح ان الصحابة متفقون في الاغلب على تصديقه في ذلك فاذ ذلك كذلك وسقط بالبرهان الواضح ان يكون احد من الصحابة رضي الله عنهم خيرا من ابي بكر لم يبق الا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ونساؤه ووضح اننا لو قلنا انه اجمع من جمهور الصحابة لم يبعد من الصدق

(قال ابو محمد) وأيضا فان يوسف ابن عبد الله النمري حدثنا قال حدثنا خلف بن قاسم ثنا أبو العباس احمد بن ابراهيم بن علي الكندي حدثنا محمد بن العباس البغدادي ثنا ابراهيم ابن محمد البصري ثنا أبو ايوب سليمان ابن داود الشاذكوني قال كان عمار بن ياسر والحسن ابن علي يفضلان علي بن ابي طالب على ابي بكر الصديق وعمر حدثنا أحمد بن محمد الخوزي ثنا احمد بن الفضل الدينوري ثنا محمد بن جرير الطبري ان علي بن ابي طالب بعث عمار بن ياسر والحسن بن علي الى الكوفة اذ خرجت أم المؤمنين الى البصرة فلما اتياها اجتمع اليهما الناس في المسجد فخطبهم عمار وذكر لهم خروج عائشة أم المؤمنين الى البصرة ثم قال لهم اني لا اقول لكم ووالله اني لاعلم انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة كما هي زوجته في الدنيا ولكن الله ابتلاكم بها لتطيعوها او لتطيعوه فقال له مسروق او ابو الاسود يا ابا اليقظان فنحن مع من شهدت له بالجنة دون من لم تشهد له فسكت عمار وقال له الحسن اعن نفسك عنا فهذا عمار والحسن وكل من حضر من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين والكوفة يؤمئذ مملوءة منهم يسمعون تفضيل عائشة علي علي وهو عند عمار والحسن افضل من ابي بكر وعمر فلا ينكرون ذلك ولا يعترضونه احوج ما كانوا الى انكاره فصح انهم متفقون على انها وازواجه عليه السلام أفضل من كل الناس بعد الانبياء عليهم السلام ومما يبين ان ابابكر رضي الله عنه لم يقل وليتكم ولست بخيركم الا محققا صادقا لا تواضعا يقول فيه الباطل وحاشاله من ذلك ما حدثناه احمد بن محمد الطلمنكي قال حدثنا احمد بن محمد بن مفرج ثنا محمد بن ايوب الصموت الرقي انا أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار ثنا عبد الملك ابن سعد ثنا عقبة بن خالد ثنا شعبة بن الحجاج ثنا الجريري عن ابي بصرة عن ابي سعيد الخدري قال قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه ألست حق الناس بها اولست اول من اسلم ألست صاحب كذا

(قال ابو محمد) فهذا ابو بكر رضي الله عنه يذكر فضائل نفسه اذا كان صادقا فيها فلو كان افضلهم لصرح به وما كتمه وقد نزهه الله تعالى عن الكذب فصح قولنا نصا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ثم وجب القول فيمن هو افضل الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

السموات والارض: وقال: أولم ينظروا الى ماخلق الله. وقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم فنبهت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة وصنف منهم أقروا بالخلق وابتداء الخلق والابداع وانكروا البعث والاعادة وهم الذين اخبر عنهم القرآن وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فاستدل عليهم بالنشاة الاولى اذا اعترفوا بالخلق الاول فقال: قل يحييها الذي انشاها اول مرة: وقال: أفعيينا بالخلق بل هم في لبس من خلق جديد. وصنف منهم أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الاعادة وانكروا الرسل وعبدوا

فلم نجد لمن فضل ابن مسعود او عمر او جعفر بن ابي طالب او اباسلمة والثلاثة الاسهمين على جميع الصحابة حجة يعتمد عليها ووجدنا من يوقف لم يزد على انه لم يلح له البرهان انهم افضل ولو لاح له لقال به ووجدنا المدد والمعارضة في القائلين بان عليا افضل اكثر فوجب ان آتى بما شغبوا به ليلوح الحق في ذلك و بالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وجدنا من يحتجون بان عليا كان اكثر الصحابة جهادا وطعنا في الكفار وضربا والجهاد افضل الاعمال

(قال ابو محمد) هذا خطأ لان الجهاد ينقسم اقساما ثلاثة احدها الدعاء الى الله عز وجل باللسان والثاني الجهاد عند الحرب بالرأي والتدبير والثالث الجهاد باليد في الطعن والضرب فوجدنا الجهاد في اللسان لا يلحق فيه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر أما ابو بكر فان اكابر الصحابة رضي الله عنهم اسلموا على يديه فهذا افضل عمل وليس لاحد من هذا كثير حظ وأما عمر فانه من يوم أسلم عز الاسلام وعبد الله تعالى بمكة جهرا وجاهد المشركين بمكة بيديه فضرب وضرب حتى ملوه فتركوه فعبد الله تعالى علانية وهذا اعظم الجهاد فقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين الذين لا نظير لهما ولاحظ لاحد في هذا اصلا وبقي القسم الثاني وهو الرأي والمشورة فوجدناه خالصا لابي بكر ثم لعمر وبقي القسم الثالث وهو الطعن والضرب والمبارزة فوجدناه اقل من مراتب الجهاد ببرهان ضروري وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شك عند كل مسلم انه المخصوص بكل فضيلة فوجدنا جهاده عليه السلام انما كان في اكثر اعماله واحواله القسمين الاولين من الدعاء الى الله عز وجل والتدبير والارادة وكان اقل عمله صلى الله عليه وسلم الطعن والضرب والمبارزة لا عن جبن بل كان عليه السلام اشجع اهل الارض قاطبة نفسا وبدا واتمهم نجدة وامكنه كان يؤثر الافضل فالافضل من الافعال فيقدمه عليه السلام ويشتغل به ووجدناه عليه السلام يوم بدر وغيره كان ابو بكر رضي الله عنه معه لا يفارقه ايثارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم له بذلك واستظهارا برأيه في الحرب وأنسا بمكانه ثم كان عمر ربما شورك في ذلك ايضا وقد انفرد بهذا المحل دون علي ودون سائر الصحابة الا في الندرة ثم نظرنا مع ذلك في هذا القسم من الجهاد الذي هو الطعن والضرب والمبارزة فوجدنا عليا رضي الله عنه لم ينفرد بالسوق فيه بل قد شاركه في ذلك غيره شركة العنان كطلحة والزبير وسعد وممن قتل في صدر الاسلام كحمزة وعبيدة بن الحارث بن المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار سعد ابن معاذ وسماك ابن خرسة وغيرهما ووجدنا ابا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن وان لم يلحقا بحظوظ هؤلاء وانما ذلك لشغلهما بالافضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وموازنة في حين الحرب وقد بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث اكثر مما بعث عليا وقد بعث أبا بكر الى بني فزارة وغيرهم وبعث عمر الى بني فلان وما نعلم لعلي بعثا الا الى بعض حصون خيبر ففتحه وقد بعث قبله ابا بكر وعمر فلم يفتحاه فحصل اربع انواع الجهاد لابي بكر وعمر وقد شاركا عليا في اقل انواع الجهاد مع جماعة غيرهم

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من قال بان عليا كان اكثرهم علما

(قال ابو محمد) كذب هذا القائل وانما يعرف علم الصحابي لاحد وجهين لا ثالث لهما احدهما كثرة روايته وفتاويه والثاني كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له فمن المحال

الاصنام وزعموا انهم سفهاؤهم عند الله في الآخرة وحجوا اليها ونحروا لها الهدايا وقربوا القرابين وتقربوا اليها بالمناسك والمشاعر وحللوا وحرموا وهم الدهماء من العرب الاشرزمة منهم نذكرهم وهم الذين اخبر عنهم التنزيل وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق الى قوله تعالى ان تتبعون الا رجلا مسحورا فاستدل عليهم بان المرسلين كانوا كذلك قال الله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وشبهات العرب كانت مقصورة على هاتين الشبهتين احداهما انكار البعث بعث الاجساد والثانية حجة البعث بعث الرسل فعلى الاولى قالوا * ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون * الى امثالها من الايات

الباطل ان يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له وهذه اكبر شهادات على العلم وسعته فنظرنا في ذلك فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد ولى ابا بكر الصلاة بحضرته طول علته وجميع اكابر الصحابة حضور كعلي وعمر وابن مسعود وابي وغيرهم فاثره بذلك على جميعهم وهذا خلاف استخلافه عليه السلام اذا غزا الا ان المستخلف في الغزوة لم يستخلف الا علي النساء وذوي الاعذار فقط فوجب ضرورة ان نعلم ان ابا بكر اعلم الناس بالصلاة وشرائطها واعلم المذكورين بها وهي عمود الدين ووجدناه صلى الله عليه وسلم قد استعمله على الصدقات فوجب ضرورة ان عنده من علم الصدقات كالذي عند غيره من علماء الصحابة لا اقل وربما كان اكثر اذ قد استعمل عليه السلام ايضا عليها غيره وهو عليه السلام لا يستعمل الا عالما بما استعمله عليه والزكاة ركن من اركان الدين بعد الصلاة وبرهان ما قلنا من تمام علم ابي بكر رضي الله عنه بالصدقات ان الاخبار الواردة في الزكاة اصحها والذي يلزم العلم به ولا يجوز خلافه فهو حديث ابي بكر ثم الذي من طريق عمرو اما من طريق علي فمضطرب وفيه ما قد تركه الفقهاء جملة وهو ان في خمس وعشرين من الابل خمس شياه ووجدناه عليه السلام قد استعمل ابا بكر على الحج فصح ضرورة انه اعلم من جميع الصحابة بالحج وهذه دعائم الاسلام ثم وجدناه عليه السلام قد استعمله على البعوث فصح ان عنده من احكام الجهاد مثل ما عند سائر من استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على البعوث في الجهاد اذ لا يستعمل عليه السلام على العمل الا عالما به فعند ابي بكر من الجهاد من العلم به كالذي عند علي وسائر امراء البعوث لا اكثر ولا اقل فاذ قد صح التقدم لابي بكر على علي وغيره في علم الصلاة والزكاة والحج وسواه في علم الجهاد فهذه عمدة العلم ثم وجدناه عليه السلام قد الزم نفسه في جلوسه ومرآته وظعنه واقامته ابا بكر مشاهد احكامه عليه السلام وفتاويها اكثر من مشاهدة علي لها فصح ضرورة انه اعلم بها فهل بقيت من العلم بقية الا وابو بكر المتقدم فيها الذي لا يلحق او المشارك الذي لا يسبق فبطلت دعاوى العلم والحمد لله رب العالمين واما الرواية والفتوى فان ابا بكر رضي الله عنه لم يعش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سنتين وستة اشهر ولم يفارق المدينة الا حاجا او معتمرا ولم يحتج الناس الى ما عنده من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كل من حواليه ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ذلك كله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنان وار بعون حديثا مسندة ولم يرو عن علي الا خمس مائة وست وثمانون حديثا مسندة يصح منها نحو خمسين وقد عاش بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ازيد من ثلاثين سنة وكثر لقاء الناس اياه وحاجتهم الى ما عنده لذهاب جمهور الصحابة رضي الله عنهم وكثر سماع اهل الآفاق منه مرة بصفين واعواما بالكوفة ومرة بالبصرة والمدينة فاذا نسبنا مدة ابي بكر من حياته واضفنا تقرى (١) على البلاد بلدا بلدا وكثرة سماع الناس منه الى لزوم ابي بكر موطنه وانه لم تكثر حاجة من حواليه الى الرواية عنه ثم نسبنا عدد حديث من عدد حديث وفتاوى من فتاوى علم كل ذي حظ من العلم ان الذي كان عند ابي بكر من العلم اضعاف ما كان عند علي منه وبرهان على ذلك ان من عمر من

وعبروا عن ذلك في اشعارهم فقال بعضهم حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا ام عمرو

وابو بعضهم في مرثية أهل بيت المشركين فما ذا بالقليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

يخبرنا الرسول بان سنحيى وكيف حياة اصداء وهام

ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيرا هامة فيرجع الى رأس القبر كل مائة سنة

ولهذا غلبهم الرسول فقال لا هامة ولا عدوى ولا صفر واما على الشبهة

(١) مصدر مضاف الى علي كرم الله وجهه من تقرى البلاد كتزكى يتقراها تقريا كاستقراها تتبعها ارضا ارضا وبلدا بلدا وسار فيها ينظر حالها وامرها

اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا قليلا لقل النقل عنهم ومن طال عمره منهم كثر النقل عنهم الا اليسير من اكتفا بنيابة غيره عنه فى تعليم الناس وقد عاش على بعد عمر بن الخطاب سبعة عشر عاما غير اشهر ومسند عمر خمسمائة حديث وسبعة وثلاثون حديثا يصح منها نحو خمسين كالذى عن على سواء بسواء فكل مازاد حديث علي على حديث عمر تسعة واربعين حديثا فى هذه المدة الطويلة ولم يزد عليه فى الصحيح الا حديثا أو حديثين وفتاوى عمر موازنة لفتاوى علي فى ابواب الفقه فاذا نسبناه مدة من مدة وضربنا فى البلاد من ضرب فيها واضفنا حديث الى حديث وفتاوى الى فتاوى علم كل ذى حس علما ضروريا ان الذى كان عند عمر من العلم اضعاف ما كان عند على من العلم ثم وجدنا الامر كل ما طال كثرت الحاجة الى الصحابة فيما عندهم من العلم فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها فى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد وحديث أبى هريرة خمسة آلاف مسند وثلثمائة مسند واربع وسبعين مسندا ووجدنا مسند ابن عمر وانس قريبا من مسند عائشة لكل واحد منهما ووجدنا مسند جابر ابن عبد الله وعبد الله ابن عباس لكل واحد منهما أزيد من الف وخمسمائة ووجدنا لابن مسعود ثمان مائة مسند ونيف ولكل من ذكرنا حاشا ابا هريرة وانس بن مالك من الفتاوى أكثر من فتاوى على ونحو هذا فيما لقول هذه الطائفة الوقاح الجهال فان عاندنا معاند فى هذا الباب جاهل او قليل الحياء لاح كذبه وجهله فانا غير متهمين على حط احد من الصحابة رضى الله عنهم عن مرتبته ولا على رفعه فوق مرتبته لاننا لو انحرفنا عن علي رضى الله عنه ونعوذ بالله من ذلك لذهبنا فيه مذهب الخوارج وقد نزهنا الله عز وجل عن هذا الضلال فى التعصب ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة وقد اعاذنا الله تعالى من هذا الافك فى التعصب فصار غيرنا من المنحرفين عنه او الغالين فيه هم المتهمون فيه اما له واما عليه وبعد هذا كله ليس يقدر من ينتمى الى الاسلام أن يعاند فى الاستدلال علي كثرة العلم باستعمال النبى صلى الله عليه وسلم من استعمله منهم علي ما استعمله عليه من امور الدين فان قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل عليا علي الاخماس وعلى القضاء باليمن قلنا لهم نعم ولكن مشاهدة أبى بكر لاقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوى فى العلم واثبت مما عنده علي وهو باليمن وقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر على بعوث فيها الاخماس فقد ساوى علمه علم علي فى حكمها بلاشك اذ لا يستعمل عليه السلام الا عالما بما يستعمله عليه وتصح ان أبا بكر وعمر كانا يفتيان علي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عليه السلام يعلم ذلك ومحال ذلك أن يبيح لهما ذلك الا وهما اعلم ممن دونهما وقد استعمل عليه السلام أيضا على القضاء باليمن مع علي معاذ ابن جبل وابا موسى الاشعرى فلعلى فى هذا شركاء كثيرة منهم ابو بكر وعمر ثم قد انفرد ابو بكر بالجمهور الاغلب من العلم على ماذكرنا . وقال هذا القائل ان عليا كان اقرأ الصحابة

(قال ابو محمد) وهذه القصة المتجردة والبهتان لو بدوا ولها انه رد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه عليه السلام قال يؤم القوم اقرؤهم فان استووا فاقدمهم هجرة ثم وجدنا عليه السلام قد قدم ابا بكر على الصلاة مدة الايام التى مرض فيها وعلى بالحضرة يراه النبى صلى الله عليه وسلم غدوة وعشية فما رأى لها عليه السلام احدا احق من ابى بكر بها فصح انه كان اقرأهم وافقههم واقدمهم هجرة وقد يكون من لم يجمع حفظا

الثانية كان انكارهم البعث الرسول فى الامور البشرية اشد واصرارهم على ذلك ابلغ واخبر عنهم التنزيل * ومامنع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا ابشر يهدوننا * فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان ياتي ملك عن السماء وقالوا لولا انزل عليه ملك ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة أما الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام التى هى الوسائل ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا وكان ود لكلب وهو بدومة الجندل وسواع لهزيل وكانوا يحجون اليه وينحرون له ويغوث لمذحج ولقبائل من اليمن ويعوق لهمدان ونسر الذي الكلاع

القرآن كله على ظاهر قلب اقرأ ممن جمعه كله عن ظهر قلب فيكون ألفظ به واحسنهم ترتيلا
هذا على أن ابابكر وعمر وعلى لم يستكمل احد منهم حفظ سور القرآن كله ظاهرا الا انه
قد وجب بقيناية تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر على الصلاة وعلى حاضر ان ابابكر
اقرأ من علي وما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقدم الى الامامة الا افضل عدا بالقراءة على الاقرأ اذ الاقل
فقها على الافقه فبطل ايضا شغبهم في هذا الباب والحمد لله رب العالمين وقال قائلهم ان عليا كان انقام
(قال ابو محمد) كذب هذا الافك ولقد كان على رضي الله عنه تقيا الا ان الفضائل يتفاضل
فيها اهلها وما كان انقام لله الا ابو بكر والبرهان على ذلك أنه لم يسوء قط ابو بكر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كلمة ولا خالف ارادته عليه السلام في شيء قط ولا تاخر عن تصديقه ولا
تردد عن الائتمار له يوم الحديبية اذ تردد من تردد وقد تظلم رسول الله صلى الله عليه وسلم على
المنبر اذ اراد على نكاح ابنة أبي جهل بما قد عرف وما وجدنا قط لابي بكر توقفا عن شيء
أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مرة واحدة عذره فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجاز له فعله وهي اذ اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبا فوجده يصلي بالناس فلما رآه
ابو بكر تاخر فاشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم ان أقم مكانك فحمد الله تعالى ابو بكر على ذلك
ثم تاخر فصار في الصف وتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس فلما سلم قال له
رسول الله صلى الله عليه وصلم ما منعك ان تثبت حين امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن ابي
قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
(قال ابو محمد) فهذا غاية التعظيم والطاعة والخضوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وما
انكر عليه السلام ذلك، ليه واذ قد صح بالبرهان الضروري الذي ذكرنا ان ابابكر اعلم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجب انه اخشاهم لله عز وجل قال الله عز وجل * انما
يخشى الله من عباده العلماء * والتقي هو الخشية لله عز وجل وقال قائلون علي كان ازهدهم
(قال ابو محمد) كذب هو الجاهل وبرهان ذلك ان الزاهد انما هو عزوب (١) النفس عن حب
الصوت وعن المال وعن اللذات وعن الميل الى الولد والحاشية ليس الزاهد معنى يقع عليه
اسم الزهد الا هذا المعنى فاما عزوب النفس عن المال فقد علم كل من له ادنى بصر بشيء
من الاخبار الخالية ان ابابكر أسلم وله مال عظيم قيل أربعين الف درهم فانفقها كلها في ذات
الله تعالى وأعتق المستضعفين من العبيد المؤمنين المعذبين في ذات الله عز وجل ولم يعتق عبيدا
جلدا يمنعونه (٢) لكن كل معذب ومعذبة في الله عز وجل حتى هاجر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولم يبق لابي بكر من جميع ماله الا ستة الف درهم حملها كلها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم يبق لبنيه منها درهم ثم انفقها كلها في سبيل الله عز وجل حتى لم يبق له شيء
سوى عباءة له قد خللها بعود اذا نزل افترشها واذا ركب لبسها إذ تمول غيره من الصحابة رضي
الله عن جميعهم واقتنوا الرباع (٣) الواسعة والضياع العظيمة من حلها وحوتها الا ان من آثر بذلك

(١) عزوب النفس اى بعدها عن حب الصوت هو لغة في الصيت وهو الذكر الحسن الذي
يشتهر وينتشر بين الناس

(٢) جلدا كحمرا اى اقويا جمع جلد بفتح فسكون

(٣) الرباع المنازل والدور جمع ربع والضياع جمع ضيعة وهي مال الرجل من النخل
والكرم والارض

بارض حمير واما اللات
فكانت لثقيف بالطائف
والعزى لقريش وجميع بني
كنانة وقوم من بني سليم
ومناة للاوس والخزرج
وغسان وهبل أعظم أصنامها
عندهم وكان على ظهر
الكعبة وأساف ونائلة
على الصفا والمروة وضعهما
عمرو بن لحي وكان يذبح
عليهما تجاه الكعبة وزعموا
انهما كانا من جرهم أساف
بن عمرو ونائلة بن سهل
ففجرا في الكعبة فمسخا
حجرين وقيل لا بل كانا
صنمين جاء بهما عمرو بن
لحي فوضعهما على الصفا
وكان لبني ملكان من كنانة
صنم يقال له سعد وهو الذي
يقول فيه قائله
أتينا الى سعد ليجمع شملنا
فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد الا صخرة بتنوفة

سبيل الله عز وجل أزهد ممن أنفق وأمسك ثم ولي الخلافة فما اتخذ جارية ولا توسع في مال وعد عند موته ما انفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه الا بعض حقه وامر بصرفه الى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من شهامة في المغازي والمقاسم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الزهد في اللذات والمال الذي لا يدانيه فيه احد من الصحابة لا علي ولا غيره الا ان يكون اباذر وابا عبيدة من المهاجرين الاولين فانهما اجريا على هذه الطريقة التي فارقا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسع من سواهم من الصحابة رضي الله عنهم في المباح الذي احله الله عز وجل لهم الا من آثر سبيل الله على نفسه أفضل ولولا ان اباذر لم يكن له سابقة غير ما تقدمه الا من كان مثله فهذا هو الزهد في المال واللذات ولقد تلا ابا بكر عمر رضي الله عنهما في هذا الزهد فكان فوق علي في ذلك بيني في اعراضه عن المال واللذات واما علي رضي الله عنه فتوسع في هذا الباب من حله ومات عن اربع زوجات وتسع عشرة ام ولد سوى الخدم والعبيد وتوفي عن اربعة وعشرين ولدا من ذكر وانثى وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من اغنياء قومهم ومياسيرهم هذا امر مشهور لا يقدر على انكاره من له اقل علم بالاخبار والآثار ومن جملة عقاره التي تصدق بها ضيعة كانت تغل الف وسق تمر اسوى زرعها فاين هذا من هذا واما حب اولاد والميل اليهم والى الحاشية فالامر في هذا ابين من ان يخفى على احد له اقل علم بالاخبار فقد كان لابي بكر رضي الله عنه من القرابة والولد مثل طلحة بن عبيد الله من المهاجرين الاولين والسابقين من ذوي الفضائل العظيمة في كل باب من ابواب الفضل في الاسلام ومثل ابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وله مع النبي صلى الله عليه وسلم صحبة قديمة وهجرة سابقة وفضل ظاهر فما استعمل ابو بكر رضي الله عنه منهم احدا على شيء من الجهات وهي بلاد اليمن كلها على سعتها وكثرة اسعارها وعمان وحضرموت والبحرين واليمامة والطائف ومكة وخيبر وسائر اعمال الحجاز ولو استعملهم لكانوا لذلك اهلا ولكن خشي المحاباة وتوقع ان يميل اليهم شيء من الهوى ثم جرى عمر على مجراه في ذلك فلم يستعمل من بني عدي بن كعب احدا على سعة البلاد وكثرتها وقد فتح الشام ومصر وجميع مملكة الفرس الى خراسان الا النعمان بن عدي وحده على ميسان ثم أسرع الى عزله وفيهم من الهجرة ما ليس في شيء من اتخاذ قريش لان بني عدي لم يلق احد منهم بمكة الا هاجر وكان فيهم مثل سعيد بن زيد احد المهاجرين الاولين ذوي السوابق وابي الجهم ابن حذيفة وخارجة بن حذافة ومعمر بن عبد الله وابنه عبد الله بن عمر ثم لم يستخلف ابو بكر ابنه عبد الرحمن وهو صاحب من الصحابة ولا استعمل عمر ابنه عبد الله على الخلافة وهو من فضلاء الصحابة وخيارهم وقد رضي به الناس وكان لذلك اهلا ولو استخلفه لما اختلف عليه احد فما فعل ووجدنا عليا رضي الله عنه اذ ولى قد استعمل اقاربه عبد الملك بن عباس على البصرة وعبد الله بن عباس على اليمن وخثيم ومعبدا ابني العباس على مكة والمدينة وجندة بن نميرة وهو ابن اخته ام هانيء بنت ابي طالب على خراسان ومحمد بن ابي بكر وهو ابن امرأة وأخو ولده على مصر ورضي بيعة الناس للحسن ابنه بالخلافة واسنانكر استحقاق الحسن للخلافة ولا استحقاق عبد الله بن العباس للخلافة فكيف امارة البصرة لكنا نقول ان من زهد في الخلافة لولده مثل عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن ابي بكر والناس متفقون عليه وفي تامير مثل طلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد فلا شك في انه أتم زهدا وأعرب [1] عن جميع

(١) واعرب أي ابعد نفسا

من الارض لا يدعو لغي ولا رشد وكانت العرب اذا لبت وهللت قالت لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما لكه. ومن العرب من كان يميل الى اليهودية ومنهم من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يصبو الى الصابئة ويعتقد في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا بنوء كذا ومنهم من يصبوا الى الملائكة فيعبدهم بل كانوا يعبدون الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله المحصلة من العرب اعلم ان العرب في الجاهلية كانت على ثلاثة انواع من العلوم * احدها علم الانساب والتواريخ والاديان

معاني الدنيا نفسا ممن أخذ منها ما ليس له أخذه فصح بالبرهان الضروري ان ابابكر أزهد من جميع الصحابة ثم عمر بن الخطاب بعده وقال هذا القائل وكان على أكثرهم صدقة (قال ابو محمد) وهذه مجاهرة بالباطل لانه لم يحفظ لعلي مشاركة ظاهرة بالمال واما امر ابي بكر رضي الله عنه في انفاق ماله في سبيل الله عز وجل فاشهر من أن تخفى على اليهود والنصارى فكيف على المسلمين ثم لعثمان بن عفان رضي الله عنه في هذا المعنى من تجهيز جيش العسرة ما ليس لغيره فصح ان ابا بكر اعظم صدقة واكثر مشاركة وغناء (٢) في الاسلام بماله من علي رضي الله عنه وقالوا علي هو السابق الى الاسلام ولم يعبد قط وثنا

(قال ابو محمد) اما السابقة فلم يقل قط احد يعتد به ان عليا مات وله اكثر من ثلاث وستين سنة ومات بلاشك سنة اربعين من الهجرة فصح انه كان حين هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث وعشرين سنة وكانت مدة نبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة فبعث عليه السلام ولعلي عشرة اعوام فالاسلام ابن عشرة اعوام ودعاؤه اليه انما هو كتدريب المرء ولده الصغير على الدين لا ان عنده غناء ولا ان عليه اثما ان ابى فان اخذ الامر على قول من قال ان عليا مات وله ثمان وخمسون سنة فانه كان اذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن خمسة أعوام وكان اسلام ابي بكر بن ثمان وثلاثين سنة وهو الاسلام المامور به من عند الله عز وجل وأما من لم يبلغ الحلم فغير مكلف ولا مخاطب فسابقة ابي بكر وعمر بلاشك أسبق من سابقة علي . وأما عمر فانه كان اسلامه تاخر بعد البعث بستة أعوام فان غناءه كان أكثر من غناء أكثر من اسلم قبله ولم يبلغ علي حد التكليف الا بعد أعوام من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أن اسلم كثير من الصحابة رجال ونساء بمدان عذبوا في الله تعالى ولقوا فيه الاواقي (٣) وأما كونه لم يعبد وثنا فنحن وكل مولود في الاسلام لم يعبد قط وثنا وعمار والمقداد وسلمان وابو ذر وحمزة وجعفر رضي الله عنهم قد عبدوا الاوثان افترانا أفضل منهم من أجل ذلك معاذ الله من هذا فانه لا يقوله مسلم فبطل ان يكون هذا يوجب لعلي فضلا زائدا والا لكانت عائشة سابقة لعلي رضي الله عنهما في هذا الفضل لانها كانت اذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم بنت ثماني سنين واشهر ولم تولد الا بعد الاسلام ابيها بسنين وعلي ولد وأبوه عابد وثن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنين وعبد الله بن عمر ايضا أسلم ابوه وله أربع سنين لم يعبد قط وثنا فهو شريك لعلي في هذه الفضيلة . وقال بعضهم على كان اسوءهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا باطل لاخفاء به على مؤمن ولا كافر فقد درى القريب والبعيد والعالم والجاهل والمؤمن والكافر من سائر الاسلام اذ كفر من كفر من اهل الارض بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واذعن الجميع للبقية وقبول ما دعت اليه العرب حاشا ابابكر فهل ثبت أحد ثبات ابي بكر على كاب العدو وشدة الخرف حتى دخلوا في الاسلام افواجا كما خرجوا منه أفواجا وأعطوا الزكاة طائعين وكارهين ولم تزله جموعهم ولا تضافرهم ولا قلة اهل الاسلام حتى اظهر الله الاسلام واظهره ثم هل تطح كسرى وقيصر على أسرة

ويمدونه نوعا شريفا خصوصا معرفة أنساب اجداد النبي عليه الصلاة والسلام والاطلاع على ذلك النور الوارد من صلب ابراهيم الى اسماعيل وتواصله في ذريته الى ان ظهر بعض الظهور في اساريع عبد المطلب سيد الوادي سني المجد وسجده الفيل الاعظم وعليه قصة اصحاب الفيل وببركة ذلك النور دفع الله تعالى شرا برهت وارسل عليهم طيرا أبابيل وببركة ذلك النور رأى تلك الرؤيا في تعريف موضع زمزم ووجدان الغزالة والسيوف التي دفنها جرهم وببركة ذلك النور ألهم عبد المطلب النذر الذي نذر في ذبح العاشر من أولاده وبه افتخر النبي عليه الصلاة والسلام حين قال أنا ابن الذبيحين أراد بالذبيح الاول

(٢) الغناء بالفتح النفع

(٣) الاواقي بتشديد الياء هي الشدائد جمع القيه بضم فسكون فتشديد الياء

ملكها حتى أخضع حدود فارس والروم وصرع جنودهم ونكس راياتهم وظهر الاسلام في اقطار الارض وذل الكفر واهله وشبع جائع المسلمين وعز ذليلهم واستغنى فقيرهم وصاروا اخوة لا اختلاف بينهم وقرؤا القرآن وتفقهوا في الدين الا ابو بكر ثم ثنى عمر ثم ثلث عثمان ثم قدر أي الناس خلاف ذلك كله وافتراق كلمة المؤمنين وضرب المسلمين بعضهم وجوه بعض بالسيوف وشكت بعضهم قلوب بعض بالرماح وقتل بعضهم من بعض عشرات الالوف وشغلهم بذلك عن ان يفتح من بلاد الكفر قرية او يذعر لهم سربا او يجاهد منهم أحد حتى ارتجع أهل الكفر كثيرا مما صار بايدى المسلمين من بلادهم فلم يجتمع المسلمون الى يوم القيامة فاين سياسة من سياسة

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل كل ما ادعاه هؤلاء الجهال ولم يحصلوا الا على دعاوى ظاهرة الكذب لا دليل على صحة شيء منها وصح بالبرهان كما أوردنا ان ابا بكر هو الذى فاز بالقدح المعلى والسبق المبرز والحظ الاسنى في العلم والقرآن والجهاد والزهد والتقوى والخشية والصدقة والعتق والمشاركة والطاعة والسياسة فهذه وجوه الفضل كلها فهو بلا شك أفضل من جميع الصحابة كلهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولم يحتج عليهم بالاحاديث لانهم لا يصدقون أحاديثنا ولا نصدق احاديثهم انما اقتصرنا على البراهين الضرورية بنقل الكافة فان كانت الامامة تستحق بالتقدم في الفضل فابو بكر أحق الناس بها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم يقينا فكيف والنص على خلافته صحيح واذ قد صحت أمامة ابي بكر رضى الله عنه فطاعته فرض في استخلافه عمر رضى الله عنه فوجبت أمامة عمر فرضا بما ذكرنا وباجماع أهل الاسلام عليهما دون خلاف من أحد قط ثم أجمعت الامة كلها أيضا بلا خلاف من احد منهم على صحة أمامة عثمان والدينونة بها وأما خلافة علي فحق لا بنص ولا باجماع لكن ببرهان سنذكره ان شاء الله في الكلام في حروبه

(قال ابو محمد) ومن فضائل ابا بكر المشهورة قوله عز وجل * اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * فهذه فضيلة منقولة بنقل الكافة لا خلاف بين أحد في انه ابو بكر فاوجب الله تعالى له فضيلة المشاركة في اخراجه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه خصه باسم الصحبة له وبانه ثانيه في الغار واعظم من ذلك كله ان الله معهما وهذا ما لا يلحقه فيه أحد

(قال ابو محمد) فاعترض في هذا بعض أهل القحة فقال قد قال الله عز وجل * اذ قال لصاحبه وهو يحاوره انا أكثر منك مالا * قال وقد حزن ابو بكر فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فلو كان حزنه رضا لله عز وجل لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه مجاهرة بالباطل أما قوله تعالى في الآية لصاحبه وهو يحاوره قد أخبر الله تعالى بان أحدهما مؤمن والآخر كافر وبانهما اختلفا فانما اسماه صاحبه في المحاورة والمجالسة فقط كما قال تعالى والى مدين أخاهم شعيبا فلم يجعله أخاهم في الدين لكن في الدار والنسب فليس هكذا قوله تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بل جعله صاحبه في الدين والهجرة وفي الاخراج وفي الغار وفي نصرة الله تعالى لهما اخافة للكفار لهما وفي كونه تعالى معهما فهذه الصحبة غاية الفضل وتلك الاخرى غاية النقص بنص القرآن. وأما حزن ابي

اسماعيل وهو اول من انحدر اليه النور فاختفى وبالذبيح الثانى عبد الله ابن عبد المطلب وهو آخر من انحدر اليه النور فظهر كل الظهور وببركة ذلك النور كان عبد المطلب يامر اولاده بترك الظلم والبغى وينهاهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وببركة ذلك النور قد سلم اليه النظر فى حكومات العرب والحكم في خصومات المتخاصمين فكان يوضع له وسادة عند الملتزم فيستند الى الكعبة وينظر فى حكومات القوم وببركة ذلك النور قال لابرهت ان لهذا البيت ربا يذب عنه ويحفظه وفيه قال وقد صعد جبل ابي قبيس لام ان امرءا
نع حله فامنع حلالك

بكر رضى الله عنه فانه قبل ان ينهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غاية الرضا لله لانه كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك كان الله معه وهو تعالى لا يكون مع العصاة بل علمهم وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن ولو كان لهؤلاء الارذال حياء اوعلم لم ياتوا بمثل هذا اذ لو كان حزن ابي بكر عيبا عليه لكان ذلك على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيبا الان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام *سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون * ثم قال تعالى عن السحرة انهم قالوا لموسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى * فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكليمه قد كان اخبره الله عز وجل بان فرعون وملاه لا يصلون اليه وان موسى ومن اتبعه هو الغالب ثم اوجس فى نفسه خيفة بعد ذلك اذ رأى امر السحرة حتى اوحي الله عز وجل اليه لا تخف فهذا امر اشد من امر ابى بكر واذا لزم مايقول هؤلاء الفساق ابابكر وحاشا لله ان يلزمه من ان حزنه لو كان رضا لما نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لزم اشد منه لموسى عليه السلام وان ايجاسه الخيفة فى نفسه لو كان رضا لله تعالى مانهاه الله تعالى عنه ومعاذ الله من هذا بل ايجاس موسى الخيفة في نفسه لم يكن الا نسيان الوعد المتقدم وحزن ابي بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل ان ينهى عنه ولم يكن تقدم اليه نهى عن الحزن واما محمد صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل * قال ومن كفر فلا يحزنك كفره وقال تعالى * ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق * وقال تعالى * ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا * وقال تعالى ولا تذهب نفسك عليهم حسرات * وقال تعالى * فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا * ووجدناه عز وجل قد قال * وقد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون * وقاله أيضا فى الانعام فهذا الله تعالى اخبرنا انه يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنه الذى يقولون ونهاه الله عز وجل عن ذلك نصا فيلزمهم فى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نهاه الله تعالى عنه كالذى أرادوا فى حزن ابى بكر سواء بسواء ونعم ان حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله تعالى قبل ان ينهاه الله عز وجل وماحزن عليه السلام بعد ان نهاه ربه تعالى عن الحزن كما كان حزن ابي بكر طاعة لله عز وجل قبل ان ينهاه الله عز وجل عن الحزن وماحزن ابو بكر قط بعد ان نهاه عليه السلام عن الحزن فكيف وقد يمكن ان يكون ابو بكر لم يحزن يومئذ لكن نهاه عليه السلام عن ان يكون منه حزن كما قال تعالى لنبيه عليه السلام * ولا تطع منهم آثما او كفورا * فنهاه عن ان يطيعهم ولم تكن منه طاعة لهم وهذا انما يعترض به اهل الجهل والسخافة ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) واعترض علينا بعض الجهال ببيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابى طالب خلف ابى بكر رضى الله عنهما فى الحجة التى حجها ابو بكر واخذ براءة من ابي بكر وتولي علي تبليغها الى اهل الموسم وقرائتها عليهم

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم فضائل ابى بكر لانه كان اميرا على على بن ابي طالب وغيره من اهل الموسم لا يدفعون الا بدفعه ولا يقفون الا بوقوفه ولا يصلون الا بصلاته

لا يظلن صليبهم
ومحالهم عدواعلك
ان كنت تاركهم وكـ
بتنا فامر ما بدا لك
ببركة ذلك النور كان يقول
فى وصاياه ان لن يخرج من
الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله
منه وتصيبه عقوبة الى
أن هلك رجل ظلوم
حتف أنفه لم تصبه عقوبة
فقيل لعبد المطلب فى ذلك
ففكر فقال والله ان وراء
هذه الدار دار يجزى فيها
المحسن باحسانه والمسيء
يعاقب باساءته ومما يدل على
اثباته المبدأ والمعاد انه كان
يضرب بالقداح على ابنه
عبد الله و يقول
يارب أنت الملك المحمود
وأنت ربي المبدء والمعيد
من عندك الطارف والتليد

وينصتون اذا خطب وعلي في الجملة كذلك وسورة براءة وقع فيها فضل ابي بكر رضى الله عنه وذكره في امر الغار وخروجه مع النبي صلى الله عليه وسلم وكون الله تعالى معهما فقرآة علي لها أبلغ في اعلان فضل ابي بكر على علي سواه وحجة لابي بكر قاطعة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) الان ترجع الروافض الى انكار القرآن والنقص منه والزيادة فيه فهذا امر يظهر فيه قحتهم وجهلهم وسخفهم الى كل عالم وجاهل فانه لا يمترى كافر ولا مؤمن في ان هذا الذي بين اللوحين من الكتاب هو الذي اتى به محمد صلى الله عليه وسلم واخبرنا بانه اوحاه الله تعالى اليه فمن تعرض هذا فقد اقر بمين عدوه

(قال ابو محمد) ومما يعترض امامة ابي بكر الا زار (١) على رسول الله صلى الله عليه وسلم رادلامره في تقديمه أبا بكر الى الصلاة باهل الاسلام مريد لازالته عن مقام اقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولسنا من كذبهم في تاويلهم * ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * وان المراد بذلك على رضى الله عنه بل هذا لا يصح بل الآية على عمومها وظاهرها لكل من فعل ذلك

(قال ابو محمد) فصح بما ذكرنا فضل ابي بكر على جميع الصحابة رضى الله عنهم بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالبراهين المذكورة واما الاحاديث في ذلك فكثيرة كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في ابي بكر دعوا لي صاحبي فان الناس قالوا كذبت وقال ابو بكر صدقت وقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخي وصاحبي وهذا الذي لا يصح غيره واما اخوة علي فلا تصح الا مع سهل بن حنيف ومنها امره صلى الله عليه وسلم بسد كل باب وخوخة في المسجد حاشا خوخة ابي بكر وهذا هو الذي لا يصح غيره ومنها غضبه صلى الله عليه وسلم على من خارج ابا بكر وعلى من اشار عليه بغير ابي بكر للصلاة ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ان امن الناس على في ماله ابو بكر وعمدتنا في تفضيل ابي بكر ثم عمر على جميع الصحابة بعد نساء النبي صلى الله عليه وسلم هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اسئل من احب الناس اليك يارسول الله قال عائشة قيل فمن الرجال قال ابوها قيل ثم من يارسول قال عمر

(قال ابو محمد) فقطعنا بهذا ثم وقفنا ولو زادنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيانا لزدنا لكنا لا نقول في شيء من الدين الا بما جاء به النص

(قال ابو محمد) واختلف الناس فيمن افضل أعثمان ام علي رضى الله عنهما

(قال أبو محمد) والذي يقع في نفوسنا دون ان نقطع به ولا نخطيء من خالفنا في ذلك فهو ان عثمان افضل من علي والله اعلم لان فضائلهما تتقاوم في الاكثر فكان عثمان أقرأ وكان على أكثر فتيا ورواية ولعلي ايضا حظ قوي في القراءة ولعثمان ايضا حظ قوي في الفتيا والرواية ولعلي مقامات عظيمة في الجهاد بنفسه ولعثمان مثل ذلك بماله ثم انفرد عثمان بان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ليساره المقدسة عن يمين عثمان في بيعة الرضوان وله هجرتان وسابقة قديمة وصهر مكرم محمود ولم يحضر بدرا فالحقه الله عز وجل فيهم باجره التام وسهمه فالحقه

(١) أسم فاعل من الزراية وهي العيب

ومما يدل على معرفته بمحال الرسالة وشرف النبوة ان أهل مكة لما اصابهم ذلك الجدب العظيم وامسك السحاب عنهم سنتين أمر أبا طالب ابنه ان يحضر المصطفى عليه الصلاة والسلام وهو رضيع في قماط فوضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وقال يارب بحق هذا الغلام ورماه ثانيا وثالثا وكان يقول بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا دائما هاطلا فلم يلبث ساعة ان طبق السحاب وجه السماء وامطر حتى خافوا على المسجد وانشد ابو طالب ذلك الشعر اللامي الذي منه

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل
يطيف به الهلال من اهل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضل

بمن حضرها فهو معدود فيهم ثم كانت له فتوحات في الاسلام عظيمة لم تكن لعلي وسيرة في الاسلام هادية ولم يتسبب بسفك دم مسلم وجاءت فيه آثار صحاح وان الملائكة تستحي منه وانه ومن اتبعه على الحق والذي صح من فضائل علي فهو قول النبي صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وقوله عليه السلام لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهذه صفة واجبة لكل مؤمن وفاضل وعهده عليه السلام ان عليا لا يحبه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق وقد صح مثل هذه في الانصار رضي الله عنهم انه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الاخر واما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات اصلا واما سائر الاحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة يعرف ذلك من له ادنى علم بالاخبار ونقلتها

(قال ابو محمد) ونقول بفضل المهاجرين الاولين بعد عمر بن الخطاب قطعا الا اننا لا نقطع بفضل احد منهم على صاحبه كعثمان ابن عفان وعثمان ابن مظعون وعلي وجعفر وحمزة وطلحة والزبير ومصعب بن عمير وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله ابن مسعود وسعد وزيد ابن حارثة وابي عبيدة وبلال وسعيد ابن زيد وعمار ابن ياسر وابي سلمة وعبد الله ابن جحش وغيرهم من نظرائهم ثم بعد هؤلاء اهل العقبة ثم اهل بدر ثم اهل المشاهد كلها مشهدا مشهدا فاهل كل مشهد افضل من اهل المشهد الذي بعده حتى بلغ الامر الى الحديبية فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم الى تمام بيعة الرضوان فاننا نقطع على غيب قلوبهم وانهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الايمان والهدى والبر كلهم من اهل الجنة لا يلج احد منهم النار البتة لقول الله تعالى * والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم * وكقوله عز وجل * لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم *

(قال ابو محمد) فمن اخبرنا الله عز وجل انه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وانزل السكينة عليهم فلا يحل لاحد التوقف في امرهم ولا الشك فيهم البتة وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر ولاخباره عليه السلام انه لا يدخل النار احد شهد بدرا ثم نقطع على ان كل من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بنية صادقة ولو ساعة فانه من اهل الجنة لا يدخل النار لتذنيب الا انهم لا يلحقون بمن اسلم قبل الفتح وذلك لقول الله عز وجل * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقال تعالى * وعد الله لا يخلف الله وعده * وقال تعالى * ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * فصح بالضرورة ان كل من انفق قبل الفتح وقاتل فهو مقطوع على غيبه لتفضيل الله تعالى ايام والله تعالى لا يفضل الا مؤمنا فاضلا واما من انفق بعد الفتح وقاتل فقد كان فيهم منافقون لم يعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نحن قال الله تعالى * ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم

(قال ابو محمد) فلهذا لم نقطع على كل امريء منهم بعينه لكن نقول كل من لم يكن منهم

كذبتم وبيت الله يبزى محمدا
ولما نطاعن دونه ونناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله
ونذهل عن ابنائنا والحلائل

وقال العباس بن عبد المطلب في النبي عليه الصلاة والسلام قصيدة منها

من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حين يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر
انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن في
خندق عليا تحتها النطق
وأنت لما ظهرت أشرف الا
رض وضاءت بنورك الافق

من المنافقين فهو من أهل الجنة يقينا لانه قد وعدهم الله تعالى الحسنى كلهم واخبر انه لا يخلف وعده وان من سبقت له الحسنى فهو مبعد من النار لا يسمع حسيسها ولا يحزنه الفزع الاكبر وهو فيما اشتهى خالد وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) لقد خاب وخسر من رد قول ربه عز وجل انه رضى عن المبايعين تحت الشجرة وعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وقد علم كل احد له ادنى علم ان ابا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة والزبير وعمار والمغيرة بن شعبة رضى الله عنهم من اهل هذه الصفة والخوارج والروافض قد انتظمت الطائفتان الملعونتان البريئة منهم خلقا الله عز وجل وعنادا له ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فهذا قولنا في الصحابة رضى الله عنهم فاما التابعون ومن بعدهم فلا نقطع على غيبهم واحدا واحدا الا من بان لنا احتمال المشقة في الصبر للدين ورفض الدنيا لغير غرض استعجله الا اننا لا ندري على ما ذا مات وان بلغنا الغاية في تعظيمهم وتوقيرهم والدعاء بالمغفرة والرحمة والرضوان لهم لكن نتولاهم جملة قطعا ونتولى كل انسان منهم بظاهره ولا نقطع على احد منهم بجنة ولا نار لكن نرجو لهم ونخاف عليهم اذ لا نص في انسان منهم بعينه ولا يحل الاخبار عن الله عز وجل الا بنص من عنده لكن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم القرن الذي بعثت فيهم ثم الذي يلونهم ثم الذي يلونهم ومعنى هذا الحديث انما هو كل قرن من هذه القرون التي ذكر عليه السلام اكثر فضلا بالجملة من القرن الذي بعده لا يجوز غير هذا البتة وبرهان ذلك انه قد كان في عصر التابعين من هو افسق الفاسقين كمسلم بن عقبة المري وحبيش بن دلجة القيني والحجاج بن يوسف الثقفي وقتله عثمان وقتله ابن الزبير وقتله الحسين رضى الله عنهم ولعن قتلتهم ومن بعثهم فمن خالف قولنا في هذا الخبر لزمه ان يقول ان هؤلاء الفساق الاخابث افضل من كل فاضل في القرن الثالث ومن بعده كسفيان الثوري والفضيل بن عياض ومسعر بن كدام وشعبة ومنصور بن المعتمر ومالك والاوزاعي والليث وسفيان بن عيينة ووكيع وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهوية وداود بن علي رضى الله عنهم وهذا مالا يقوله احد وما يبعد ان يكون في زماننا وفيمن يأتي بعدنا من هو افضل رجل من التابعين عند الله عز وجل اذ لم يات في المنع من ذلك نص ولا دليل اصلا والحديث المأثور في اويس القرني لا يصح لان مداره على اسيد بن جابر وليس بالقوي وقد ذكر شعبة انه سأل عمرو بن مرة وهو كوفي قرني مرادي من اشرف مراد واعلمهم بهم عن اويس القرني فلم يعرفه في قومه واما الصحابة رضى الله عنهم فبخلاف هذا ولا سبيل الى ان يلحق اقلهم درجة احد من اهل الارض وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وذهب بعض الروافض الى ان لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا بالقرابة فقط واحتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض * وبقوله عز وجل * قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى * وبقوله تعالى * وابعث فيهم رسولا منهم *

(قال ابو محمد) وهذا كله لا حجة فيه اما اخباره تعالى بانه اصطفى آل ابراهيم وآل عمران على العالمين فانه لا يخلو من احد وجهين لا ثالث لهما اما ان يعني كل مؤمن فقد قال ذلك بعض العلماء او يعني مؤمني اهل بيت ابراهيم وعمران لا يجوز غير هذا لان آزر والد ابراهيم

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

وأما النوع الثاني من العلوم فهو الرؤيا وكان أبو بكر ممن يعبر الرؤيا في الجاهلية ويصيب فيرجعون اليه ويستخبرون عنه والثالث علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم وعن هذا قال عليه الصلاة والسلام من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما أنزل الله على محمد ومن العرب من كان يؤمن بالله واليوم الاخر وينتظر النبوة وكانت لهم سنن وشرائع قد ذكرناها لانها نوع تحصيل فمن كان يعرف النور الظاهر والنسب الطاهر ويعتقد الدين الحنيفي وينتظر المقدم النبوي زيد بن عمر ابن نفيل كان يسند

عليه السلام كان كافرا عدوا لله لم يصطفه الله تعالى الا لدخول النار فان اراد الوجه الذى ذكرنا لم نمانعه ولا تنازعه في ان موسى وهارون من آل عمران وآل اسماعيل واسحاق ويوسف و يعقوب من آل ابراهيم مصطفون على العالمين * فاى حجة هاهنا لبنى هاشم * فان ذكروا الدعاء المأمور به وهو اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و بارك على محمد وعلى آل محمد فالقول فى هذا كما قلنا ولا فرق وهذا دعاء لكل مؤمن وقد قال تعالى * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابى اوفى فهذا هو الدعاء لهم بالصلاة على كل مؤمن ومؤمنة بلا خلاف وكذلك الدعاء فى التشهد المفترض فى كل صلاة من قول المصطفى السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فهذا السلام على كل مؤمن ومؤمنة فاستوى بنو هاشم وغيرهم فى اطلاق الدعاء بالصلاة عليهم و بالسلام عليهم ولا فرق وقال تعالى * و بشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فوجبت صلوات الله تعالى على كل مؤمن صابر فاستوى كله بنو هاشم وقريش والعرب والعجم ومن كان جميعهم بهذه الصفة وايضا فيلزم من احتج بقوله تعالى * ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين * أن يقول ان من اسلم من النهار ونيين من اليهود افضل من بنى هاشم واشرف واولى بالتقديم لانه من آل عمران ومن آل ابراهيم وفيهم ورد النص

*(قال ابو محمد) * فصح يقينا ان الله عز وجل انما اراد بذلك الانبياء عليهم السلام فقط و بين هذا بيان جليا قول الله عز وجل حكايا عن ابراهيم عليه السلام انه قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين * من ذرية ابراهيم عليه السلام الظالمين من ذرية غيره وقال عز وجل ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا فخص الله تعالى بولاية ابراهيم عليه السلام من اتبع ابراهيم كائنا من كان فدخل فى هذا كل مؤمن ومؤمنة ولا فضل واما قول الله عز وجل * قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى * فهذا حق على ظاهره وانما اراد عليه السلام من قريش ان يودوه لقرابته منهم ولا يختلف احد من الامة فى انه عليه السلام لم يرد قط من المسلمين ان يودوا ابا لهب وهو عمه ولا شك فى انه عليه السلام اراد من المسلمين مودة بلال وعمار وصهيب وسليمان وسالم مولى ابى حذيفة واما قوله عز وجل عن ابراهيم عليه السلام * واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام * فقد قال عز وجل * وان من امة الا خلا فيها نذير * وقال تعالى * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فاستوت الامم كلها فى هذه الدعوة بان يبعث فيهم رسولا منهم من قومه فان احتج محتج بالحديث الثابت الذى فيه ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم فمعناه ظاهر وهو انه تعالى اختار كونه عليه الصلاة والسلام من بنى هاشم وكون بنى هاشم من قريش وكون قريش من كنانة وكون كنانة من بنى اسماعيل كما اصطفى ان يكون هو من بنى لاوى وان يكون بنو لاوى من بنى اسحاق عليه السلام وكل نبى من عشيرته الى هو منها ولا يجوز غير هذا البتة ونسال من اراد حمل هذا الحديث على غير هذا المعنى ايدخل احد من بنى هاشم او من قريش او من كنانة او من اسماعيل النار ام لا فان انكروا هذا

ظهره الى الكعبة ويقول ايها الناس هلموا الى فانه لم يبق على دين ابراهيم احد غيرى وسمع أمية بن أبي الصلت يوما ينشد

كل دين يوم القيامة عند الله الا الحنيفة زور

فقال له صدقت وقال زيد ايضا فلن تكون انفسى منك واقية

يوم الحساب اذا ما يجمع البشر ومن كان يعتقد التوحيد و يؤمن بيوم الحساب قس بن ساعدة الايادى قال فى مواعظه كلا ورب الكعبة ليعودون ما باد ولان ذهب ليعودون يوما وقال ايضا

كلا بل هو الله الواحد ليس بمولود ولا والد أعادى وابدى واليه المآب غدا

كفروا وخالفوا الاجماع والقرآن والسنن وقد قال عليه السلام ابي وابوك في النار وان ابا طالب في النار وجاء القرآن بان ابا لهب في النار وسائر كفار قريش في النار كذلك قال الله تعالى * تبت يدا أبي لهب وتب ماأغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب * فاذا اقر بانه قد يدخل النار منهم من يستحق ان يدخلها صحت المساواة بينهم وبين سائر الناس

(قال ابو محمد) ويكذب هذا الظن الفاسد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يافاطمة بنت محمد لااغنى عنك من الله شيئا ياصفية عمة رسول الله لااغنى عنك من الله شيئا ياعباس بن عبد المطلب لااغنى عنك من الله شيئا يابني عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا وابين من هذا كله قول الله تعالى * ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم * وقوله تعالى * لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم * وقوله تعالى * واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا * وقال تعالى وذكر عادا وثمودا وقوم نوح وقوم لوط ثم قال * اكفاركم خير من أولئكم ام لكم براءة في الزبر * فصح ضرورة انه لاينتفع احد بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من نبي من الانبياء والرسل عليهم السلام ولو ان النبي ابنه او ابوه وامه نبية وقد نص الله تعالى في ابن نوح ووالد ابراهيم وعم محمد على رسل الله الصلاة والسلام مافيه الكفاية وقد نص الله تعالى على ان من انفق من قبل الفتح وقاتل اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا فصح ضرورة ان بلالا وصهيبا والمقداد وعمارا وسالما وسلمان افضل من العباس وبنيه عبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبيد الله وعقيل بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عن جميعهم بشهادة الله تعالى فاذ هذا لاشك فيه ولا جزاء في الآخرة الا على عمل ولا ينتفع عند الله تعالى بالارحام ولا بالولادات وليست الدنيا دار جزاء فلا فرق بين هاشمي وقرشي وعربي وعجمي وحبشي وابن زنجية والكرم والفوز لمن اتقى الله عز وجل حدثنا محمد بن سعيد بن بيان انبأنا احمد بن عبد الله البصير حدثنا قاسم ابن اصبغ حدثنا عبد السلام ابن الخشن حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الرحمن مهدي حدثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق السبيعي عن حسان بن فايد العبسي قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كرم الرجل دينه وحسبه خلقه وان كان فارسيا او نبطيا

﴿ الكلام في حرب علي ومن حاربه من الصحابة رضي الله عنهم ﴾

(قال ابو محمد) اختلف الناس في تلك الحرب على ثلاث فرق فقال جميع الشيعة وبعض المرجئة وجمهور المعتزلة وبعض أهل السنة ان عليا كان المصيب في حربه وكل من خالفه على خطا وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وابو الهذيل وطوائف من المعتزلة ان عليا مصيب في قتاله معاوية واهل النهر ووقفوا في قتاله مع اهل الجمل وقالوا احدى الطائفتين مخطئة ولا نعرف ايهما هي وقالت الخوارج على المصيب في قتاله اهل الجمل واهل صفين وهو مخطيء في قتاله اهل النهر وذهب سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر وجمهور الصحابة الى الوقوف في علي واهل الجمل واهل صفين وبه يقول جمهور اهل السنة وابو بكر بن كيسان وذهب جماعة من الصحابة وخيار التابعين وطوائف ممن بعدهم الى تصويب محاربي علي من اصحاب الجمل واصحاب صفين وهم الحاضرون لقتاله في اليومين المذكورين وقد اشار الى هذا ايضا ابو بكر بن كيسان

وأنشا في معنى الاعادة
يابا كي الموت والاموات
في جدث
عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
كما ينبه من نوماته الصعق
حتى يجيئوا بحال غير حالهم
خلق مضى ثم هذا بعد ذا خلقوا
منهم عراة وموتى في ثيابهم
منها الجديد ومنها الازرق الخلق ومنهم عامر بن الظرب العدواني كان من حكماء العرب وخطبائهم وله وصية طويلة يقول في آخرها اني ما رأيت شيئا قط خلق نصه ولا رأيت موضوعا الا مصنوعا ولا جائيا الا ذاهبا ولو كان يميت الناس الداء لاحيام الدواء ثم قال اني أرى أمورا شتى وحتى قيل له وما حتى قال حتى يرجع الميت

(قال ابو محمد) اما الخوارج فقد اوضحنا خطاهم وخطا أسلافهم فيما سلف من كتابنا هذا حاشا احتجاجهم بانكار تحكيم على الحكمين فسنتكلم في ذلك ان شاء الله تعالى كما نتكلم في سائر أحكامهم والحمد لله رب العالمين واما من وقف فلا حجة له اكثر من انه لم يتبين له الحق ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل الى مناظرته باكثر من ان نبين له وجه الحق حتى يراه وذكروا ايضا احاديث في ترك القتال في الاختلاف سنذكر لكم جملتها ان شاء الله تعالى فلم يبق الا الطائفة المصوبة لعلي في جميع حروبه والطائفة المصوبة لمن حاربه من اهل الجمل واهل صفين

(قال ابو محمد) احتج من ذهب الى تصويب محاربي علي يوم الجمل ويوم صفين بان قال ان عثمان رضي الله عنه قتل مظلوما فالطلب باخذ القود من قاتليه فرض قال عز وجل. ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا. وقال تعالى. وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان. قالوا ومن آوى الظالمين فهو اماما مشارك لهم واما ضيف عن اخذ الحق منهم قالوا وكلا الامرين حجة في اسقاط امامته على من فعل ذلك ووجوب حربه قالوا وما انكروا على عثمان الا اقل من هذا من جواز انفاذ اشياء بغير علمه فقد ينفذ مثلها سرا ولا يعلمها احد الا بعد ظهورها قالوا وحتى لو ان كل الانكار على عثمان يصح ما حل بذلك قتله بلا خلاف من احد من اهل الاسلام لانهم انما أنكروا عليه استئثارا بشيء يسير من فضلات الاموال لم يجب لاحد بعينه فمنعها وتولية اقاربه فلما شكوا اليه عزلهم واقام الحد على من استحقه وانه صرف الحكم بن ابي العاص الى المدينة ونفى رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حدا واجبا ولا شريعة على التابيد وانما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي والتوبة مبسوطة فاذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من احد من اهل الاسلام وصارت الارض كلها مباحة وانه ضرب عمارا خمسة اسواط ونفى اباذر الى الربذة وهذا كله لا يبيح الدم قالوا وابوآه على المحدثين اعظم الاحداث من سفك الدم الحرام في حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسيما دم الامام وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم والمنع من انفاذ الحق عليهم أشد من كل ما ذكرنا بلا شك قالوا وامتناع معاوية من بيعة علي كامتناع علي من بيعة ابي بكر فما حاربه ابو بكر ولا اكرهه وابو بكر اقدر على من علي على معاوية ومعاوية في تاخيره عن بيعة علي اعذر وافسح مقالا من علي في تاخيره عن بيعة ابي بكر لان عليا لم يمتنع من بيعة ابي بكر احد من المسلمين غيره بعد ان بايعه الانصار والزبير وطائفة علي فان جمهور الصحابة تاخروا عنها اما عليه واما لا له ولا عليه وما تابعه فيهم الا الاقل سوى ازيد من مائة الف مسلم بالشام والعراق ومصر والحجاز كلهم امتنع من بيعته اهل معاوية الا كواحد من هؤلاء في ذلك وايضا فان بيعة علي لم تكن على عهد من النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت بيعة ابي بكر ولا عن اجماع من الامة كما كانت بيعة عثمان ولا عن عهد من خليفة واجب الطاعة كما كانت بيعة عمر ولا بسوق بأن(١) في الفضل على غيره لا يخالف فيه أحد ولا عن شورى فالقاعدون عنها بلا شك ومعاوية من جملتهم اعذر من علي في قعوده عن بيعة ابي بكر ستة اشهر حتى رأى البصيرة وراجع الحق عليه في ذلك قالوا فان قلتم خفي على علي نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر قلنا لكم لم يخف عليه بلا شك تقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر الى الصلاة وامره عليا بان يصلي وراءه في جماعة المسلمين فتاخر عن بيعة

(١) بسوق بأن اى تفوق ظاهر

حيا ويعود اللاشيء شيئا
ولذلك خلقت السموات
والارض فقولوا عنه
ذاهبين وقال ويل أمها
نصيحة لو كان من يقبلها
وكان قد حرم الخمر على
نفسه فيمن حرمه وقال
فيه شعرا
ان الشراب الخمر اشربها
للذتها
وان أدعها فاني ماقت قالي
لولا اللذاذة والقيان لم أرها
أولا رأتني الامن مدى العالي
سالت الفتى ماليس في يده
ذهابة بعقول القوم والمال
مورث القوم اضغانا بلا احن
ومرزيا بالفتى ذي
النجدة الحالي
قسمت بالله أسقيها وأشربها
حتى تمزق ترب الارض
اوصالي وممن كان قد حرم
الخمر في الجاهلية قيس
بن عاصم التميمي

ابى بكر سعى منه فى حطه عن مكان جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً لابى بكر وسعى منه فى فسخ نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تقديمه الى الصلاة وهذا اشد من رد انسان نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذنب ثم تاب منه وايضاً فان علياً قد تاب واعترف بالخطاء لانه اذا بايع ابا بكر بعد ستة اشهر تاخر فيها عن بيعته لا يخلو ضرورة من احد وجهين اما ان يكون مصيباً في تاخره فقد اخطا اذ بايع او يكون مصيباً فى بيعته فقد اخطا اذ تاخر عنها قالوا والممتنعون من بيعة على لم يعترفوا قط بالخطا على انفسهم فى تاخرهم عن بيعته قالوا فان كان فعلهم خطا فهو أخف من الخطا فى تاخر على عن بيعة ابى بكر وان كان فعلهم صوابا فقد برئوا من الخطا جملة قالوا والبون بين طلحة والزبير وسعد بن ابي وقاص وعلى خفى جدا فقد كانوا فى الشورى معه لا يبدو له فضل تفوق عليهم ولا على واحد منهم وأما البون بين علي وابي بكر فابين واظهر فهم من امتناعهم عن بيعته اعذر لخفاء التفاضل قالوا وهلا فعل على فى قتلة عثمان كما فعل بقتله عبد الله ابن خباب بن الارت فان القصتين استويا فى التحريم فالمصيبة في قتل عثمان فى الاسلام وعند الله عز وجل وعلي المسلمين اعظم جرما واوسع خرقا واشنع اثما واهول فسقاً من المصيبة فى قتل عبد الله بن خباب قالوا وفعله فى طلب دم عبد الله بن خباب يقطع حجة من تاول على علي انه يمكن ان يكون لا يرى قتل الجماعة بالواحد

(قال ابو محمد) هذا كل ما يمكن ان تحتج به هذه الطائفة قد تقصيناه ونحن ان شاء الله تعالى متكلمون على ما ذهبت اليه كل طائفة من هذه الطوائف حتى يلوح الحق في ذلك بعون الله تعالى وتاييده

(قال ابو محمد) نبدا بعون الله عز وجل بانكار الخوارج للتحكيم

(قال ابو محمد) قالوا حكم على الرجال فى دين الله تعالى والله عز وجل قد حرم ذلك بقوله * ان الحكم الا لله * وبقوله تعالى * وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله *

(قال ابو محمد) ما حكم على رضى الله عنه قط رجلا في دين الله وحاشاه من ذلك وانما حكم كلام الله عز وجل كما افترض الله تعالى عليه وانما اتفق القوم كلهم اذ رفعت المصاحف على الرماح وتداعوا الى ما فيها على الحكم بما انزل الله عز وجل فى القرآن وهذا وهو الحق الذى لا يحل لاحد غيره لان الله تعالى يقول * فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * فانما حكم علي رضى الله عنه ابا موسى وعمرو رضى الله عنهما ليكون كل واحد منهما مدليا بحجة من قدمه وليكونا متخاصمين عن الطائفتين ثم حاكمين لمن اوجب القرآن الحكم له واذ من المحال الممتنع الذى لا يمكن الذى لا يفهم لفظ العسكرين او ان يتكلم جميع اهل العسكر بحجتهم فصح يقيناً لا محيد عنه صواب علي فى تحكيم الحكمين والرجوع الى ما اوجبه القرآن وهذا الذى لا يجوز غيره ولكن اسلاف الخوارج كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا فى السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيهم احد من الفقهاء لا من اصحاب ابن مسعود ولا اصحاب عمر ولا اصحاب علي ولا اصحاب عائشة ولا اصحاب ابي موسى ولا اصحاب معاذ بن جبل ولا اصحاب ابى الدرداء ولا اصحاب سلمان ولا اصحاب زيد ولا ابن عباس ولا ابن عمر ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم وانهم انكروا

وصفوان بن أمية بن محرب الكنانى وعفيف بن معدى كرب الكندى وقالوا فيها وقال الا سلوم اليالى وقد حرم الزنا والخمر شعرا

سالمت قومى بعد طول مضاضة
والسلم أبقى فى الامور
واعرف
وتركت شرب الراح وهى أميرة
والموسمات وترك ذلك
أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرماً
وكذاك يفعل ذو الحجى
المتعفف

وممن كان يؤمن بالخالق تعالى ويخلق آدم عبد المطابخة بن ثعلب ابن وبرة من قضاعة قال فيه

أدعوك يا ربي بما أنت اهله
دعاء غريق قد تشبث
بالصم
لانك أهل الحمد والخير كله
وذا الطول لم تعجل
بسخط ولم تلم
وأنت الذى لم يحيه الدهر
ثانياً
ولم يرعبد منك فى صالح
وجم

ما قام البرهان الذى أورثنا بانه حق ولو لم يكن من جهاتهم لاقرب عهدهم بخبر الانصار يوم السقيفة واذعانهم رضى الله عنهم مع جميع المهاجرين لوجب الامر فى قريش دون الانصار وغيرهم وان عهدهم بذلك قريب منذ خمسة وعشرين عاما أو اشهر وجمهورهم ادرك ذلك بسنة وثبت عند جميعهم كثبات أمر النبى صلى الله عليه وسلم ولا فرق لان الذين نقلوا اليهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلوا اليهم القرآن والشرائع فدانوا بكل ذلك هم باعيانهم لا زيادة فيهم ولا نقص نقلوا اليوم خبر السقيفة ورجوع الانصار الى ان الامر لا يكون الا فى قريش وهم يقرون ويقرؤن قوله تعالى * لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى * وقوله تعالى * محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا * الآية وقوله تعالى * لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا * ثم اعمهم الشيطان واضلهم الله تعالى على علم * فجعلوا بيعة مثل على واعرضوا عن مثل سعيد بن زيد وسعد وابن عمر وغيرهم ممن انفق من قبل الفتح وقاتل واعرضوا عن سائر الصحابة الذين انفقوا بعد الفتح وقاتلوا وعدهم الله الحسنى وتركوا من يقرون بان الله تعالى عز وجل علم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم ورضى عنهم وبايعوا الله وتركوا جميع الصحابة وهم الاشداء على الكفار الرحماء بينهم الركع السجد المبتغون فضلا من الله ورضوانا سيما فى وجوههم من اثر السجود المثنى عليهم فى التوراة والانجيل من عند الله عز وجل لذين غلظ الله بهم الكفر المقطوع على ان باطنهم فى الخير كظاهرهم لان الله عز وجل شهد بذلك فلم يبايعوا احدا منهم وبايعوا اشيث بن ربعى مؤذن سجاح ايام ادعت النبوة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حتى تداركه الله عز وجل ففر عنهم وتبين لهم ضلالتهم فلم يقع اختيارهم الا على عبد الله بن وهب الراسبى اعرابى وال على عقبيه لا سابقة له ولا صحبة ولا لقاء ولا شهد الله له بخير قط فمن اضل ممن هذه سيرته واختياره ولكن حق لمن كان احدا يمنى ذو خبرة بصيرة الذى بان ضعف عقله وقلة دينه الى تجويزه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حكمه والاستدراك ورأى نفسه اورع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وهو يقر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه وبه اهتدى وبه عرف الدين ولولاه لكان حمارا او اضل ونعوذ بالله من الخذلان واما الطائفة المصوبة لقاعدين فان من لم يلح له الحق منهم فانما يكلم حتى يبين له الحق فيلزمه المصير اليه فنقول وبالله تعالى التوفيق انه قد صح ووجب فرض الامامة بما ذكرنا قبل فى ايجاب الامامة واذ هى فرض فلا يجوز تضييع الفرض واذ ذلك كذلك فالمبادرة الى تقديم امام عند موت الامام فرض واجب وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالامام فاذ هذا كله كما ذكرنا فاذ مات عثمان رضى الله عنه وهو الامام ففرض اقامة امام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا امام فاذ بادر على فبايعه واحد من المسلمين فصاعدا فهو امام قائم ففرض طاعته لا سيما لم يتقدم ببيعته بيعة ولم ينازعه الامامة احد ما فهذا اوضح وواجب فى وجوب امامته وصحة بيعته ولزوم امرته المؤمنين فهو الامام بحقه وما ظهر منه قط الى ان مات رضى الله عنه شىء يوجب نقض بيعته وما ظهر منه قط الا العدل والجد والبر والتقوى كما لو سبقت بيعة طلحة او الزبير او سعد او سعيد او من يستحق الامامة لكانت ايضا بيعة حق لازمة له ولغيره ولا فرق فعلى مصيب فى الدعاء الى نفسه والى

وأنت القديم الاول الماجد الذى
تبدات خلق الناس
فى اكثم العدم
فانت الذى أحللتنى غيب
ظلمة
الى ظلمة من صلب آدم
فى ظلم

ومن هؤلاء زهير بن أبي سلمى كان يمر الغضا وقد اورقت بعد يبس فيقول لولا ان تسبق العرب لآمنت بمن احياك بعد يبس سبحي العظام وهي رميم ثم آمن بعد ذلك وقال فى قصيدته التى اولها
امن أم أوفى يؤخر
فيوضع كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل
فينتقم ومنهم علاف بن شهاب التميمى كان يؤمن بالله ويوم الحساب وفيه قال
لقد شهدت الخصم يوم رقاعة
فاخذت منه خطة المتثل

الدخول تحت أمامته وهذا برهان لامحيد عنه واما ام المؤمنين والزبير وطلحة رضي الله عنهم ومن كان معهم فما أبطلوا قط امامة علي ولا طعنوا فيها ولا ذكروا فيه جرحة تحطه عن الامامة ولا أحدثوا امامة اخرى ولا جددوا بيعة لغيره هذا مالا يقدر ان يدعيه أحد بوجه من الوجوه بل يقطع كل ذي علم على ان كل ذلك لم يكن فاذا لاشك في كل هذا فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها انهم لم يمضوا الى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لاحدثوا بيعة غير بيعته هذا مالا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما وبرهان ذلك انهم اجتمعوا ولم يتقاتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان ان الاراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم فدفع القوم عن انفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع اهله عن انفسهم وكل طائفة تظن ولا شك ان الاخرى بدأت بالقتال واختلط الامر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب واضرامه فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها ورجع الزبير وترك الحرب بحالها واتى طلحة سهم غرب وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط فصادف جرحا في ساقه كان أصابه يوم احد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه وقتل الزبير رضي الله عنه بوادي السباع على اقل من يوم من البصرة فهكذا كان الامر وكذلك كان قتل عثمان رضي الله عنه انما حاصره المصريون ومن لف لفهم يديرونه على اسلام مروان اليهم وهو رضي الله عنه يابى من ذلك ويعلم انه ان اسلمه قتل دون تثبت فهو على ذلك وجماعات من الصحابة فيهم الحسن والحسين ابنا علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وابو هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهم في نحو سبعماية من الصحابة وغيرهم معه في الدار يحمونه وينفلتون الى القتال فيردعهم تشتتا الى ان تسوروا عليه من خوخة في دار ابن حزم الانصاري جاره غيلة فقتلوه ولا خبر من ذلك عند احد لعن الله من قتله والراضين بقتله فما رضي احد منهم قط بقتله ولا علموا انه يراد قتله لانه لم يات منه شيء يبيح الدم الحرام واما قوله من قال انه رضي الله عنه اقام مطروحا على مزبلة ثلاثة ايام فكذب بحت وافك موضوع وتوليد من لاحياء في وجهه بل قتل عشية ودفن من ليلته رضي الله عنه شهد دفنه طائفة من الصحابة وهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة وعبد الله بن الزبير ومكرم بن نيار وجماعة غيرهم هذا مما لا يتمادى فيه احد ممن له علم بالاخبار ولقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم برمي اجساد قتلى الكفار من قريش يوم بدر في القليب والقى التراب عليهم وهم شر خلق الله تعالى وامر عليه السلام ان يحفر اخاديد لقتلى يهود قريظة وهم شر من وارته الارض فمواراة المؤمن والكافر فرض على المسلمين فكيف يجوز لذي حياء في وجهه ان ينسب الى علي وهو الامام ومن بالمدينة من الصحابة انهم تركوا رجلا ميتا ملقى بين اظهرهم على مزبلة لا يوارونه ولا نبالي مؤمنا كان او كافرا ولكن الله يابى الا ان يفضح الكذابين بالسنتهم ولو فعل هذا علي لكانت جرحة لا تمحى ولا يخلوا ان يكون عثمان كافرا او فاسقا أو مؤمنا فان كان كافرا او فاسقا عنده فقد كان فرضا على علي ان ينسخ احكامه في المسلمين فاذا لم يفعل فقد صح انه كان مؤمنا عنده فكيف يجوز ان ينسب ذو حياء الى علي انه ترك مؤمنا مطروحا ميتا على مزبلة لا يامر بمواراته

وعلمت أن الله جاز عبيده
يوم الحساب باحسن الاعمال
كان بعض العرب اذا حضره
الموت يقول لولده ادفنوا
معي راحلتي أحشر عليها
فان لم تفعلوا حشرت على
رجلي قال جريدة بن
الاشيم الاسدي في الجاهلية
وحضره الموت يوصي
ابنه سعدا
ياسعد اما اهلكن فانني
أوصيك ان أخ الوصاة
الاقرب
لا تتركن أباك يعثر راجلا
في الحشر يصرع لليدين
وينكب
وأحمل اباك على بعير صالح
وتقي الحطيئة انه هو أقرب
وا ل لي مما تركت مطية
في القبر أركبها اذا قيل
اركبوا
وقال عمرو بن زيد
ابن المتعفي يوصي

ام كيف يجوز ان يظن به انه انفذ احكام كافر أو فاسق على اهل الاسلام ما احد أسوأ ثناء على من هؤلاء الكذبة الفجرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن البرهان على صحة ما قلناه ان من الجهل الفاضح ان يظن ظان ان عليا رضي الله عنه بايع من التناقض في احكامه واتباع الهوى في دينه والجهل ان يترك سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر واسامة بن زيد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت ورافع بن خديج ومحمد بن مسلمة وكعب بن مالك وسائر الصحابة الذين لم يبايعوه فلا يجعلهم عاليا وهم معه في المدينة وغيرها منهم والخوارج وهم يصيحون في نواحي المسجد باعلى أصواتهم بحضرته وهو على المنبر في مسجد الكوفة لا حكم الا لله لا حكم الا لله فيقول لهم رضي الله عنه لكم علينا ثلاث لا نمنعكم المساجد ولا نمنعكم حقكم من الفيء ولا نبدؤكم بقتال اولم يبدأ هم بحرب حتى قتلوا عبد الله بن خباب ثم لم يقاتلهم بعد ذلك حتى دعاهم الى ان يسلموا اليه قتلة عبد الله بن خباب فلما قالوا كلنا قتله قاتلهم حينئذ ثم يظن به مع هذا كله انه يقاتل اهل الجهل لامتناعهم من بيعته هذا افك ظاهر وجنون مختلق وكذب بحت بلا شك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما امر معاوية رضي الله عنه فبخلاف ذلك ولم يقاتله علي رضي الله عنه لامتناعه من بيعته لانه كان يسعه في ذلك ما وسع ابن عمر وغيره لكن قاتله لامتناعه من انفاذ اوامره في جميع ارض الشام وهو الامام الواجبة طاعته فعلى المصيب في هذا ولم ينكر معاوية قط فضل علي واستحقاقه الخلافة لكن اجتهاده اداه الى ان رأى تقديم اخذ القود من قتلة عثمان رضي الله عنه على البيعة ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان والكلام فيه ممن ولد عثمان وولد الحكم ابن ابي العاص اسنه ولقوته على الطلب بذلك كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن سهل اخا عبد الله بن سهل المقتول بخيبر بالسكوت وهو اخو المقتول وقال له كبر كبر وروى الكبر الكبر فسكت عبد الرحمن وتكلم محيصة وحويصة ابناء مسعود وهما ابنا عم المقتول لانهما كانا أسن من اخيه فلم يطلب معاوية من ذلك الا ما كان له من الحق ان يطلبه واصاب في ذلك الاثر الذي ذكرنا وانما اخطأ في تقديمه ذلك على البيعة فقط فله اجر الاجتهاد في ذلك ولا اثم عليه فيما حرم من الاصابة كسائر المخطئين في اجتهادهم الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم اجرا واحدا وللمصيب اجرين ولا عجب اعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء وفي الفروج والانساب والاموال والشرائع التي يدان الله بها من تحريم وتحليل وايجاب ويعذر المخطئين في ذلك ويرى ذلك مباحا كالليث والبتي وابي حنيفة والثوري ومالك والشافعي واحمد وداود واسحاق وابي ثور وغيرهم كزفر وابي يوسف ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد وابن القاسم واشهب وابن الماجشون والمزني وغيرهم فواحد من هؤلاء يبيح دم هذا الانسان وآخر منهم يحرمه كمن حارب ولم يقتل او عمل عمل قوم لوط وغير هذا كثير وواحد منهم يبيح هذا الفرج وآخر منهم يحرمه كبكر انكحها أبوها وهي بالغة عاقلة بغير اذنها ولا رضاها وغير هذا كثير وكذلك في الشرائع والاوامر والانساب وهكذا افعال المعتزلة بشيوخهم كواصل وعمرو وسائر شيوخهم وفقهائهم وهكذا فعلت الخوارج بفقهائهم ومفتيهم ثم يضيقون ذلك على من له الصحبة والفضل والعلم والتقدم والاجتهاد كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضي الله عنه وانما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيها المفتون وفي المفتين من يرى قتل الساحر وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى

ابنه عند موته شعرا
ابني زودني اذا فارقتني
في القبر راحلة برحل قانز
للبعث أركبها ذا قيل اظعنو
مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته
فالخلق بين مدفع أو عاثر
وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلي ظهرها أو مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويتلدونها عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر ويسمون الناقة بلية وقال بعضهم يشبه رجالا في بلية كالبلايا في أعناقها الولايا قال محمد ابن السائب الكلبي كانت العرب في جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها كانوا لا ينكحون الامهات

قتل الحر بالعبد وفيهم من لا يراه وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافر وفيهم من لا يراه فاى فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد معاوية وعمرو وغيرهما ولا الجهل والعمى والتخليط بغير علم وقد علمنا ان من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه وقاتل دونه فانه يجب على الامام ان يقاتله وان كان منا وليس ذلك بمؤثر فى عدالته وفضله ولا بموجب له فسقا بل هو ماجور لاجتهاده ونيته فى طلب الخير فبهذا قطعنا على صواب على رضى الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له اجرين اجر الاجتهاد واجر الاصابة وقطعنا ان معاوية رضى الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون ماجورون اجرا واحدا وايضا فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من امته يقتلها اولى الطائفتين بالحق فمرقت تلك المارقة وهم الخوارج من اصحاب على واصحاب معاوية فقتلهم على واصحابه فصح انهم اولى الطائفتين بالحق وايضا الخبر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتل عمارا الفئة الباغية

(قال ابو محمد) المجتهد المخطىء اذا قاتل على ما يرى انه الحق قاصدا الى الله تعالى نيته غير عالم بانه مخطىء فهو فئة باغية وان كان ماجورا ولا حد عليه اذا ترك القتال ولا قود واما اذا قاتل وهو يدرى انه مخطىء فهذا محارب تلزمه المحاربة والقود وهذا يفسق ويخرج لا المجتهد المخطىء وبيان ذلك قول الله تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله الى قوله انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم * فهذا نص قولنا دون تكلف تاويل ولا زوال عن موجب ظاهر الآية وقد سماهم الله عز وجل مؤمنين باغين بعضهم اخوة بعض فى حين تقاتلهم واهل العدل المبنى عليهم والمامورين بالاصلاح بينهم وبينهم ولم يصفهم عز وجل بفسق من اجل ذلك القتال ولا ينقص ايمانهم وانما هم مخطئون باغون ولا يريد واحد منهم قتل الآخر وعمار رضى الله عنه قتله ابو العادية يسار ابن سبع السلمى شهد بيعة الرضوان فهو من شهداء الله له بانه علم ما فى قلبه وانزل السكينة عليه ورضى عنه فابو العادية رضى الله عنه متاول مجتهد مخطىء فيه باغ عليه ماجور اجرا واحدا وليس هذا كقتلة عثمان رضى الله عنه لانهم لا مجال للاجتهاد فى قتله لانه لم يقتل احدا ولا حارب ولا قاتل ولا دافع ولا زنى بعد احصان ولا ارتد فيسوغ المحاربة تاويل بل هم فساق محاربون سافكون دما حراما عمدا بلا تاويل على سبيل الظلم والعدوان فهم فساق ملعونون

(قال ابو محمد) فاذ قد بطل هذا الامر وصح ان عليا هو صاحب الحق فالاحاديث التى فيها التزام البيوت وترك القتال انما هو بلا شك فيمن لم يلح له يقين الحق اين هو وهكذا نقول فاذا تبين الحق فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن وكذلك ان كانا معا باغيتين فقتالهما واجب لان كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لانه كله من عند الله عز وجل قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى * وقال عز وجل * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحى من عند الله عز وجل واذ هو كذلك فليس شىء مما عند الله تعالى مختلفا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) فلم يبق الا الكلام على الوجوه التى اعترض بها من رأى قتال على رضى الله عنه

ولا البنات ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح ما يصنعون ان يجمع الرجل بين الاختين أو يخالف على امرأة أبيه وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن قال أوس بن حجر التميمى يهجو قوما من بنى قيس بن ثعلبة تناولوا على امرأة أبيهم ثلاثة واحدا بعد واحد ينكحوا فكبة واشوا حول قبتها مكلكم لابيه ضيزن سالف وكان أول من جمع بين الاختين من قريش أبو حبيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتى المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال وكان الرجل من العرب اذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه فان كان له فيها حاجة طرح ثوبه عليها وان لم يكن له حاجة

(*قال ابو محمد)*فنقول و بالله تعالى التوفيق اما قولهم ان أخذ القود واجب من قتلة عثمان رضي الله عنه المحارب بين الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم الساعين في الارض بالفساد والهاتكين حرمة الاسلام والحرم والامامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة فنعم وما خالفهم قط على ذلك ولا في البرآءة منهم ولكنهم كانوا عددا ضخما جما لا طاقة لعلي بهم فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق قال الله تعالى * لا يكلف الله نفسا الا وسعها* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم ولو ان معاوية بايع عليا لقوى به على اخذ الحق من قتلة عثمان فصح ان الاختلاف هو الذي اضعف يد علي عن انفاذ الحق عليهم ولولا ذلك لانفذ الحق عليهم كما انفذه علي قتلة عبد الله بن خباب اذ قدر على مطالبة قتلته واما شي معاوية في امتناعه من بيعة علي بتاخر علي عن بيعة ابي بكر فليس في الخطأ سوة وعلى استقال ورجع وبايع بعد يسير ولو فعل معاوية مثل ذلك لاصاب ولبايع حينئذ بلاشك كل من امتنع من الصحابة من البيعة من اجل الفرقة واما تقارب ما بين علي وطلحة والزبير وسعد فنعم ولكن من سبقت بيعته وهو من أهل الاستحقاق والخلافة فهو الامام الواجبة طاعته فيما امر به من طاعة الله عز وجل سواء كان هنالك من هو مثله او افضل كما سبقت بيعة عثمان فوجبت طاعته وامامته على غيره ولو بويع هنالك حينئذ وقت الشورى علي او طلحة او الزبير او عبد الرحمن او سعد لكان الامام وللزمت عثمان طاعته ولا فرق فصح ان عليا هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته ومعاوية مخطيء ماجور مجتهد وقد يخفى الصواب على الصاحب العالم فيما هو ابين واوضح من هذا الامر من احكام الدين فربما رجع اذا استبان له ورب عالم يستبين له حتى يموت عليه وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو المسئول العصمة والهداية لا اله الا هو

*(قال ابو محمد)*فطلب على حقه فقاتل عليه وقد كان تركه ليجمع كلمة المسلمين كما فعل الحسن ابنه رضي الله عنهما فكان له بذلك فضل عظيم قد تقدم به انذار رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين طائفتين عظيمتين من امتي فنبطه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ومن ترك حقه رغبة في حقن دماء المسلمين فقد أتى من الفضل بما الاوراء ولا لوم عليه بل هو مصيب في ذلك و بالله تعالى التوفيق

(الكلام في امامة المفضول)

*(قال ابو محمد) ذهبت طوائف من الخوارج وطوائف من المعتزلة وطوائف من المرجئة منهم محمد بن الطيب الباقلاني ومن اتبعه وجميع الرافضة من الشيعة الى انه لا يجوز امامة من يوجد في الناس افضل منه وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة وطائفة من المرجئة وجميع الزيدية من الشيعة وجميع اهل السنة الى ان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه

*(قال ابو محمد)*واما الرافضة فقالوا ان الامام واحد معروف بعينه في العالم على ما ذكرنا من اقوالهم الذي قد تقدم افسادنا لها والحمد لله رب العالمين وما نعلم لمن قال ان الامامة لا تجوز الا لافضل من يوجد حجة اصلا لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من صحة عقل ولا من قياس ولا قول صاحب وما كان هكذا فهو احق قول بالاطراح وقد قال ابو بكر رضي الله عنه يوم السقيفة قد رضيت لكم احد هذين الرجلين يعني اباعبيدة وعمر وابو

بكر

تزوجها بعض اخوته بمهر جديد قال كانوا يخطبون المرأة الى ابيها والى اخيه أو عمها أو بعض بني عمها وكان يخطب الكفوء الى الكفوء فان كان احدهما اشرف من الآخر في النسب رغب له في المال وان كان هجينا خطب الى هجين فزوجه هجينة مثله ويقول الخاطب اذا اتاهم انسوا صباحا ثم يقول نحن اكفاؤكم ونظراؤكم فان زوجتمونا فقد اصبنا رغبة واصبتمونا وكنا نصهركم حامدين وان رددتمونا لعلة نعرفها رجعنا عاذرين فان كان قريب القرابة من قومه قال ام ابوها أو اخوها اذا حملت اليه وايسرت أذكرت ولا انثت جعل الله منك عددا وعزا وخلدا احسن خلقك واكرمي زوجك وليكن

بكر افضل منهما بلاشك فما قال احد من المسلمين انه قال من ذلك بما لايحل في الدين ودعت الانصار الى بيعة سعد بن عبادة وفي المسلمين عدد كثير كلهم افضل منه بلا شك فصح بماذكرنا اجماع جميع الصحابة رضي الله عنهم على جواز امامة المفضول ثم عبدم عمر رضي الله عنه الى ستة رجال ولا بدان لبعضهم على بعض فضلا وقد اجمع اهل الاسلام حينئذ على انه ان بويع احدهم فهو الامام الواجبة طاعته وفي هذا اطباق منهم على جواز امامة المفضول ثم مات علي رضي الله عنه فهو فبويع الحسن ثم سلم الامر الى معاوية وفي بقايا الصحابة من هو افضل منهما بلاخلاف ممن اسلم قبل الفتح وقاتل فكلهم اولهم عن آخرهم بايع معاوية ورأى امامته وهذا اجماع متيقن بعد اجماع على جواز امامة من غيره افضل بيقين لاشك فيه الى ان حدث من لا وزن له عند الله تعالى فخرقوا الاجماع بارائهم الفاسدة بلادليل ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) والعجب كله كيف يجتمع قول الباقلاني انه لاتجوز الامامة لمن غيره من الناس افضل منه وهو قد جوز النبوة والرسالة لمن غيره من الناس افضل منه فانه صرح فيما ذكره عنه صاحبه ابو جعفر السمناني الاعمى قاضي الموصل بانه جائز ان يكون في الامامة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى ان مات

﴿ قال ابو محمد ﴾ مافي خذلان الله عز وجل احق من هاتين القضيتين لاسيما اذا اقترنا والحمد لله على الاسلام فان قال قائل كيف يحتجون هنا بقول الانصار رضي الله عنهم في دعائهم الى سعد بن عبادة وهو عندكم خطأ وخلاف للنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف تحتجون في هذا أيضا بقول ابي بكر رضيت لكم احد هذين وخلافا ابي بكر عندكم نص من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اين له ان يترك ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا وبالله تعالى التوفيق ان فعل الانصار رضي الله عنهم انتظم حكمين احدهما تقديم من ليس قرشيا وهذا خطأ وقد خالفهم فيه المهاجرون فسقطت هذه القضية والثاني جواز تقديم من غيره افضل منه وهذا صواب وافقهم عليه ابو بكر وغيره فصار اجماعا فقامت به الحجة وليس خطأ من اخطأ في قول وخالفه فيه من اصاب الحق بموجب ان لايحتج بصوابه الذي وافقه فيه اهل الحق وهذا مالاخلاف فيه وبالله تعالى التوفيق واما احتجاج ابي بكر فان الحق كان له بالنص وللمرء ان يترك حقه اذا رأى في تركه اصلاح ذات بين المسلمين ولافرق بين عطية اعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين منزلة صبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لانسان فكان له ان يتجافى عنها لغيره اذ لم يمنعه من ذلك نص ولا اجماع وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبرهان صحة قول من قال بان الامامة جائزة لمن غيره افضل منه وبطلان قول من خالف ذلك انه لاسبيل الى ان يعرف الافضل الا بنص أو اجماع او معجزة تظهر فالمعجزة ممتنعة هاهنا بلاخلاف وكذلك الاجماع وكذلك النص وبرهان آخر وهو ان الذي كلفوا به من معرفة الافضل ممتنع حال لان قريشا مفترقون في البلاد من اقصى السند الى اقصى الاندلس الى اقصى اليمن وصحاري البربر الى اقصى ارمينية واذربيجان وخراسان فما بين ذلك من البلاد فمعرفة اسمائهم ممتنع فكيف معرفة احوالهم فكيف معرفة افضلهم وبرهان آخر وهو انا بالحس والمشاهدة ندري انه لايدري احد فضل انسان على غيره ممن

طيبك الماء واذا زوجت في غربة قال لها لا أيسرت ولا أذكرت فانك تدنين البعداء وتلدين الاعداء احسني خلقك وتحببي الى احمائك فان لهم عينا ناظرة عليك وأذنا سامعة وليكن طيبك الماء وكانوا يطلقون ثلاثا على التفرقة قال عبدالله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ومنه قول الاعشى حين تزوج امرأة فرغب بها عنه فاتاه قومها فهددوه بالضرب أو يطلقها شعرا

ياجارتي بيني فانك طالقة
كذاك أمور الناس
غاد وطارقة

بعد الصحابة رضي الله عنهم الا بالظن والحكم بالظن لا يجل قال الله تعالى ذاما لهم * ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين * وقال تعالى * مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقال تعالى * قتل الخراصون * وقال تعالى * ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * وقال تعالى ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وأيضا فانا وجدنا الناس يتباينون في الفضائل فيكون الواحد ازهد ويكون الواحد اورع ويكون الاخر اسوس ويكون الرابع أشجع ويكون الخامس اعلم وقد يكونون متقاربين في التفاضل لا يبين التفاوت بينهم فبطل معرفة الافضل وصح ان هذا القول فاسد وتكليف مالا يطاق والزام مالا يستطاع وهذا باطل لا يحل والحمد لله رب العالمين ثم قد وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلد النواحي وصرف تنفيذ جميع الاحكام التي تنفذها الائمة الى قوم كان غيرهم بلا شك افضل منهم فاستعمل على اعمال اليمن معاذ بن جبل وابا موسى وخالد بن الوليد وعلى عمان عمرو بن العاص وعلى نجران ابا سفيان وعلى مكة عتاب ابن اسيد وعلى الطائف عثمان بن ابي العاص وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ولا خلاف في ان ابا بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابا عبيدة وابن مسعود وبلال وابا ذر افضل ممن ذكرنا فصح يقينا ان الصفات التي يستحق بها الامامة والخلافة ليس منها التقدم في الفضل وايضا فان الفضائل كثيرة جدا منها الورع والزهد والعلم والشجاعة والسخاء والحلم والعفة والصبر والصرامة وغير ذلك ولا يوجد احد يبين في جميعها بل يكون بائنا في بعضها ومتاخرا في بعضها فمن ايها يراعى الفضل من لا يجيز امامة المفضول فان اقتصر على بعضها كان مدعيا بلا دليل وان عم جميعها كلف من لا سبيل الى وجوده ابدا في احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذ لا شك في ذلك فقد صح القول في امامة المفضول وبطل قول من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق

قالوا الثانية قال
وبيني فان البين خير من العصا
وان لا ترى فوق رأسك
بارقة قالوا الثالثة قال
وبيني حصان الفرج
غير ذميمة
وموموقة قد كنت
فينا وواسقة
قال وكان أمر الجاهلية في
نكاح النساء على أربع يخطب
فيزوج وامرأة يكون لها
خليل يختلف اليها فان ولدت
قالت هو لفلان فيتزوجها
بعد هذا وامرأة ذات راية
يختلف اليها النفر وكلهم
يواقعها في طهر واحد فاذا
ولدت الزمت الولد أحدهم
وهذه تدعى المقسمة قال
وكانوا يحجون البيت
ويعتمرون ويحرمون
قال زهير
وكم بالقنان من محل ومحرم
قال ويطوف بالبيت أسبوعا

قال ابو محمد ﴿ وذكر الباقلاني في شروط الامامة انها احد عشر شرطا وهذا ايضا دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل فوجب ان ينظر في شروط الامامة التي لا تجوز الامامة لغير من هن فيه فوجدناها ان يكون صليبة من قريش لاخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامامة فيهم وان يكون بالغا مميزا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة فذكر الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق وان يكون رجلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفلح قوم اسندوا امرهم الى امرأة وان يكون مسلما لان الله تعالى يقول * وان يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا * والخلافة اعظم السبيل ولامره تعالى باصغار اهل الكتاب واخذهم باداء الجزية وقتل من لم يكن من اهل الكتاب حتى يسلموا وان يكون متقدما لامره عالما بما يلزمه من فرائض الدين متقيا لله تعالى بالجملة غير معلن بالفساد في الارض لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * لان من قدم من لا يتقي الله عز وجل ولا في شيء من الاشياء او معلنا بالفساد في الارض غير مامون او من لا ينفذ امرا او من لا يدري شيئا من دينه فقد اعان على الاثم والعدوان ولم يعن على البر والتقوى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وقال عليه السلام يا اباذر انك ضعيف لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وقال تعالى * فان

كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا) الآية فصح ان السفيه والضعيف ومن لا يقدر على شيء فلا بد له من ولى ومن لا بد له من ولى فلا يجوز ان يكون وليا للمسلمين فصح ان ولاية من لم يستكمل هذه الشروط الثمانية باطل لا يجوز ولا ينعقد اصلا ثم يستحب ان يكون عالما بما يخصه من امور الدين من العبادات والسياسة والاحكام مؤديا للفرائض كلها لا يخل بشيء منها مجتنبا لجميع الكبائر سرا وجهرا مستترا بالصغائر ان كانت منه فهذه اربع صفات يكره ان يلي الامة من لم ينتظمها فان ولى فولايته صحيحة ونكرهها وطاعته فيما اطاع الله فيه واجبة ومنعه مما لم يطع الله فيه واجب والغاية المأمولة فيه ان يكون رفيقا بالناس في غير ضعف شديدا في انكار المنكر من غير عنف ولا تجاوز للواجب مستيقظا غير غافل شجاع النفس غير مانع للمال في حقه ولا مبذر له في غير حقه ويجمع هذا كله ان يكون الامام قائما باحكام القرآن وسنن رسول الله صلى عليه وسلم فهذا يجمع كل فضيلة

(قال ابو محمد) ولا يضر الامام ان يكون في خلقه عيب كالاعمى والاصم والاجدع والاجذم والاحدب والذى لا يدان له ولا رجلان ومن بلغ الحرم مادام يعقل ولو انه ابن مائة عام ومن يعرض له الصرع ثم يفيق ومن بويع اثر بلوغه الحلم وهو مستوف لشروط الامامة وكل هؤلاء امامتهم جائزة اذ لم يمنع منها نص قرآن ولا سنة ولا اجماع ولا نظر ولا دليل اصلا بل قال تعالى * كونوا قوامين بالقسط * فمن قام بالقسط فقد ادى ما امر به ولا خلاف بين احد من اهل الاسلام في انه لا يجوز التوارث فيها ولا في انها لا تجوز لمن لم يبلغ حاشا الروافض فانهم اجازوا كلا الامرين ولا خلاف بين احد في انها لا تجوز لامراة وبالله تعالى نتاييد

﴿ الكلام في عقد الامامة بماذا تصح ﴾

(قال ابو محمد) ذهب قوم الى ان الامامة لا تصح الا باجماع فضلاء الامة في اقطار البلاد وذهب آخرون الى ان الامامة انما تصح بعقد اهل حضرة الامام والموضع الذى فيه قرار الائمة وذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي الى ان الامامة لا تصح باقل من عقد خمس رجال ولم يختلفوا في ان عقد الامامة تصح بعهد من الامام الميت اذا قصد فيه حسن الاختيار للامة عند موته ولم يقصد بذلك هوى وقد ذكرنا في فساد قول الروافض وقول الكيسانية ومن ادعى امامة رجل بعينه وأنبا ان كل ذلك دعاو لا يعجز عنها ذو لسان اذا لم يتق الله ولا استحياء من الناس اذ لا دليل على شيء منها

(قال ابو محمد) امامن قال ان الامامة لا تصح الا بعقد فضلاء الامة في اقطار البلاد فباطل لانه تكليف مالا يطاق ومما ليس في الوسع وما هو أعظم الحرج والله تعالى لا يكلف نفسا وقال تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج *

(قال ابو محمد) ولا حرج ولا تعجيز اكثر من تعرف اجماع فضلاء من في المولتان والمنصورة الى بلاد مهرة الى عدن الى اقاصي الصامدة بل طنجة الى الاشبونة الى جزائر البحر الى سواحل الشام الى ارمينية وجبل القبج الى اسبنجاب وفرغانة واسروسنه الى اقاصي خراسان الى الجوزجان الى كابل المولتان فما بين ذلك من المدن والقرى ولا بد من ضياع امور المسلمين قبل ان يجمع جزء من مائة جزء من فضلاء اهل هذه البلاد فبطل هذا القول الفاسد مع انه لو كان ممكنا لما لزم لانه دعوى بلا برهان وانما قال تعالى * تعاونوا على البر

ويمسحون الحجر ويسعون بين الصفا والمروة قال ابو طالب

وأشواط بين المروتين الى الصفا

ومافيهما من صورة ومخايل

وكانوا يلبون الا ان بعضهم كان يشترك في تلبيته فى قوله الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقفون المواقف كلها قال العدوى

وأقسم بالبيت الذى حجت له

قريش وموقف ذى الحجيج على الآل وكانوا يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الاشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا طى وخثعم وبعض بنى الحارث بن كعب فانهم كانوا لا يحجون ولا يعتمرو ولا يحرمون الاشهر الحرم ولا البلد الحرام وانما سميت قريش الحرب

والتقوى وكونوا قوامين بالقسط * فهذان الامران متوجهان احدهما الى كل انسان فى ذاته ولا يسقط عنه وجوب القيام بالقسط انتظار غيره فى ذلك واما التعاون على البر والتقوى فمتوجه الى كل اثنين فصعدا لان التعاون فعل من فاعلين وليس فعل واحد ولا يسقط عن الاثنين فرض تعاونهما على البر والتقوى انتظار ثالث اذ لو كان ذلك لما لزم احدا قيام بقسط ولا تعاون على بر وتقوى اذ لا سبيل الى اجتماع اهل الارض على ذلك ابدا لتباعد اقطارهم وتخلف من تخلف عن ذلك لعذر او على وجه المعصية ولو كان هذا لكان امر الله تعالى بالقيام بالقسط وبالتعاون على البر والتقوى باطلا فارغا وهذا خروج عن الاسلام فسقط القول المذكور وبالله تعالى التوفيق وامّا قول من قال أن عقد الامامة لا يصح الا بعقد اهل حضرة الامام واهل الموضع الذى فيه قرار الائمة فان اهل الشام كانوا قد ادعوا ذلك لانفسهم حتى حملهم ذلك على بيعة مروان وابنه عبد الملك واستحلوا بذلك دماء اهل الاسلام (قال ابو محمد) وهو قول فاسد لا حجة لاهله وكل قول فى الدين عرى عن ذلك من القرآن او من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم او من اجماع الامة المتيقن فهو باطل بيقين قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح أن من لا برهان له على صحة قوله فليس صادقا فيه فسقط هذا القول ايضا واما قول الجبائى فانه تعلق فيه بفعل عمر رضى الله عنه فى الشورى اذ فلدها ستة رجال وامرهم ان يختاروا واحدا منهم فصار الاختيار منهم بخمسة فقط

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشىء لوجوه اولها ان عمر لم يقل أن تقليد الاختيار اقل من خمسة لا يجوز بل قد جاء عنه انه قال ان مال ثلاثة منهم الى واحد وثلاثة الى واحد فاتبعوا الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن ابن عوف فقد اجاز عقد ثلاثة ووجه ثان وهو ان فعل عمر رضى الله عنه لا يلزم الامة حتى يوافق نص قرآن او سنة وعمر كسائر الصحابة رضى الله عنهم لا يجوز ان يخصه بوجوب اتباعه دون غيره من الصحابة رضى الله عنهم والثالث ان اولئك الخمسة رضى الله عنهم قد تبرؤا من الاختيار وجعلوه الى واحد منهم يختار لهم وللمسلمين من راه اهلا للامامة وهو عبد الرحمن بن عوف وما انكر ذلك احد من الصحابة الحاضرين ولا الغائبين اذ بلغهم ذلك فقد صح اجماعهم على ان الامامة تنعقد بواحد فان قال قائل انما جاز ذلك لان خمسة من فضلاء المسلمين قلدوه قيل له ان كان هذا عندك اعتراضا فالتزم مثله سواء بسواء ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لان الامام الميت قلدهم ذلك ولولا ذلك لم يجز عقدهم وبرهان ذلك انها انما عقد لهم الاختيار منهم لا من غيرهم فلو اختاروا من غيرهم لما لزم الانقياد لهم فلا يجوز عقد خمسة او اكثر الا اذا قلدهم الامام ذلك او ممن قال لك انما صح عقد اولئك الخمسة لاجماع فضلاء اهل ذلك العصر على الرضا بمن اختاروه ولو لم يجمعوا على الرضا به لما جاز عقدهم وهذا مما لا مخلص منه اصلا فبطل هذا القول بيقين لا اشكال فيه والحمد لله رب العالمين فاذ قد بطلت هذه الاقوال كلها فالواجب النظر فى ذلك على ما أوجبه الله تعالى فى القرآن والسنة واجماع المسلمين كما افترض علينا عز وجل اذ يقول * واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر * فوجدنا عقد الامامة يصح بوجوه اربا وافضلها واصحها ان يعهد الامام الميت الى انسان يختاره اما بالدعوة

التى كانت بينها وبين غيرها عام النجار وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم وقالت امرأة منهم تعنى ابنها من الظلم
ابنى لا تظلم بمكة ولا الصغير ولا الكبير
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
وكان منهم من ينسى الشهور وكانوا يكبسون فى كل عامين شهرا وفى كل ثلاثة أعوام شهرا وكانوا اذا حجوا فى شهر من هذه السنة لم يخطبوا ان يجعلوا يوم التروية ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك فى شهر ذى الحجة حتى يكون يوم النحر يوم العاشر من ذلك الشهر ويقيمون بمنى فلا يتبعون فى يوم عرفة ولا فى أيام منى وفيهم أنزلت * انما النسىء زيادة فى الكفر *

وسواء فعل ذلك في صحته او في مرضه وعند موته اذ لا نص ولا اجماع على المنع من احد هذه الوجوه كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بابي بكر وكما فعل ابو بكر بعمر وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر بن عبد العزيز وهذا هو الوجه الذي نختاره وننكر غيره لما في هذا الوجه من اتصال الامامة وانتظام امر الاسلام واهله ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الامة فوضى ومن انتشار الامر وارتفاع التفوس وحدوث الاطماع

﴿قال ابو محمد﴾ انما انكر من انكر من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين بيعة يزيد بن معاوية والوليد وسليمان لانهم كانوا غير مرضيين لا ان الامام عهد اليهم في حياته والوجه الثاني ان مات الامام ولم يعهد الى احد ان يبادر رجل مستحق للامامة فيدعو الى نفسه ولا منازع له ففرض اتباعه والانقياد لبيعته والتزام امامته وطاعته كما فعل علي اذ قتل عثمان رضي الله عنهما وكما فعل ابن الزبير رضي الله عنهما وقد فعل ذلك خالد بن الوليد اذ قتل الامراء زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة فاخذ خالد الراية عن غير امره وصوب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ بلغه فعله وساعد خالد جميع المسلمين رضي الله عنهم او ان يقوم كذلك عند ظهور منكر يراه فتلزم معاونته على البر والتقوى ولا يجوز التاخر عنه لان ذلك معاونة على الاثم والعدوان وقد قال عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * كما فعل يزيد بن الوليد ومحمد بن هارون المهدي رحمهم الله والوجه الثالث ان يصير الامام عند وفاته اختيار خليفة المسلمين الى رجل ثقة او الى اكثر من واحد كما فعل عمر رضي الله عنه عند موته وليس عندنا في هذا الوجه الا التسليم لما اجمع عليه المسلمون حينئذ ولا يجوز التردد في الاختيار اكثر من ثلاث ليال للثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من بات ليلة ليس في عنقه بيعة ولان المسلمين لم يجتمعوا على ذلك اكثر من ذلك والزيادة على ذلك باطل لا يحل على ان المسلمين يومئذ من حين موت عمر رضي الله عنه قد اعتقدوا بيعة لازمة في اعناقهم لازمة لاحد اولئك الستة بلا شك فهم وان لم يعرفوه بعينه فهو بلا شك واحد من اولئك الستة فبأحد هذه الوجوه تصح الامامة ولا تصح بغير هذه الوجوه البتة

﴿قال ابو محمد﴾ فان مات الامام ولم يعهد الى انسان بعينه فوثب رجل يصلح للامامة فبايعه واحد فاكثر ثم قام آخر ينازعه ولو بطرفة عين بعده فالحق حق الاول وسواء كان الثاني افضل منه او مثله او دونه لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قوا بيعة الاول فالاول من جاء ينازعه فاضربوا عنقه كائنا من كان فلو قام اثنان فصاعدا ما في وقت واحد ويئس من معرفة ايهما سبقت بيعته نظر افضلهما وأسوسهما فالحق له ووجب نزع الآخر لقول الله تعالى * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ومن البر تقليد الاسوس وليس هذا بيعة متقدمة يجب الوفاء بها ومحاربة من نازع صاحبها فان استويا في الفضل قدم الاسوس نعم وان كان اقل فضلا اذا كان مؤديا للفرائض والسنن مجتنبا للكبائر مستترا بالصغائر لان الغرض من الامامة حسن السياسة والقوة على القيام بالامور فان استويا في الفضل والسياسة اقرع بينهما او نظر في غيرهما والله عز وجل لا يضيق على عباده هذا الضيق ولا يوقفهم على هذا الحرج لقوله تعالى * وما جعل عليكم في الدين من حرج * وهذا اعظم الحرج وبالله تعالى التوفيق

وكانوا اذا ذبحوا للاصنام لطخوها بدم الهدايا يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم وكان نهى ابن كلاب ينهى عن عبادة غير الله من الاصنام وهو القائل

أربا واحدا أم الف رب
أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير

وقيل هي لزيد بن عمرو بن نفيل وقيل للعباس بن أمية الكناني يخطب العرب بفناء مكة أطيعوني ترشدوا قالوا وماذاك قال انكم قد تفرقتم بآلهة شتى وانى لاعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الآلهة وانه ليحب ان يعبد وحده قال فتفرقت عنه العرب حين قال ذلك وتجنبت عنه طائفة وزعمت انه على دين بني تميم قال

﴿ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ اتفقت الامة كلها على وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بلا خلاف من احد منهم لقول الله تعالى * ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * ثم اختلفوا فى كيفيته فذهب بعض اهل السنة من القدماء من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم وهو قول احمد بن حنبل وغيره وهو قول سعد بن ابى وقاص واسامة ابن زيد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم الى ان الغرض من ذلك انما هو بالقلب فقط ولا بد أو باللسان ان قدر على ذلك ولا يكون باليد ولا بسل السيوف ووضع السلاح اصلا وهو قول ابي بكر ابن كيسان الاصم وبه قالت الروافض كلهم ولو قتلوا كلهم الا انهم لم يرد ذلك الا ما لم يخرج الناطق فاذا خرج وجب سل السيوف حينئذ معه والا فلا واقتدى أهل السنة فى هذا بشمان رضى الله عنه وممن ذكرنا من الصحابة رضى الله عنهم وبمن رأى القعود عنهم الان جميع القائلين بهذه المقالة من اهل السنة انما رأوا ذلك مالم يكن عدلا فان كان عدلا وقام عليه فاسق وجب عندهم بلا خلاف سل السيوف مع الامام العدل وقد روينا عن ابن عمر انه قال لا ادرى من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتنى انت ولا غيرك الى قتالها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذى لا يظن باولئك الصحابة رضي الله عنهم غيره وذهبت طوائف من اهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية الى ان سل السيوف فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب اذا لم يمكن دفع المنكر الا بذلك قالوا فاذا كان اهل الحق فى عصابة يمكنهم الدفع ولا يئسون من الظفر فرض عليهم ذلك وان كانوا فى عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا فى سعة من ترك التغيير باليد وهذا قول على بن ابى طالب رضى الله عنه وكل من معه من الصحابة وقول ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان منهم من الصحابة وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي وبقية الصحابة من المهاجرين والانصار القائمين يوم الحرة رضى الله عن جميعهم اجمعين وقول كل من اقام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كانس بن مالك وكل من كان ممن ذكرنا من افاضل التابعين كعبد الرحمن ابن ابى ليلى وسعيد بن جبير وابن البحترى الطائى وعطاء السلمى الازدى والحسن البصرى ومالك بن دينار ومسلم بن يشار وابى الحوراء والشعبى وعبد الله بن غالب وعقبة بن عبد الغافر وعقبة بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وابي المعدو حنظلة بن عبد الله وابى سنح الهنائى وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد الله ابن السخير والنضر بن انس وعطاء بن السائب وابراهيم بن يزيد التيمى وابي الحوساء وجبلة بن زحر وغيرهم ثم من بعد هؤلاء من تابعى التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر وكعبد الله بن عمرو محمد بن عجلان ومن خرج مع محمد بن عبد الله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق ومن خرج مع ابراهيم بن عبد الله وهو الذى تدل عليه اقوال الفقهاء كابى حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعى وداود واصحابهم فان كل من ذكرنا من قديم وحديث اما ناطق بذلك فى فتواه واما فاعل لذلك بسل سيفه فى انكار ما رأى منكرا

﴿ قال ابو محمد ﴾ احتجت الطائفة المذكورة اولا باحاديث فيها انقاتلهم يا رسول الله قال لا ما صلوا وفى بعضها الا ان تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان وفى بعضها وجوب

وكانوا يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم قال الافوه الازدى

الا علانى واعلما انى غرر
فما قلت ينجينى الشقاق ولا الحذر
وما قات يجدينى ثوابي اذا بدت
مفاصل أوصالى وقد شخص البصر

وجاؤا بماء بارد يغسلونني فبالك من غسل سيتبعه غبر

قال وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم وكانت صلاتهم اذا مات الرجل وحمل على سريره يقوم رجل فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه ثم يدفن ثم يقول عليك رحمة الله وقال رجل من كلب فى الجاهلية لابن ابن له شعرا

أعمرو ان هلكت وكنت حيا
فانى مكثر اك فى صلاتى
وأجعل نصف مالى لابن سام
حياتى ان حييت وفى مماتى

الضرب وان ضرب ظهرا حدناواخذ ماله وفي بعضها فان خشيت ان يسهرك شعاع السيف فاطرح ثوبك على وجهك وقل اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وفي بعضها كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل و بقوله تعالى * واتل عليهم نبا ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر * الاية

قال ابو محمد كل هذا الاحجة لهم فيه لما قد تقصيناه غاية التقصي خبرا خبرا باسانيدها ومعانيها في كتابنا الموسوم بالاتصال الى فهم معرفة الخصال ونذكر منه ان شاء الله ههنا جملا كافية وبالله تعالى نتايد اما امره صلى الله عليه وسلم بالصبر على اخذ المال وضرب الظهر فانما ذلك بلا شك اذا تولي الامام ذلك بحق وهذا مالا شك فيه انه فرض علينا الصبر له وان امتنع من ذلك بل من ضرب رقبته ان وجب عليه فهو فاسق عاص لله تعالى واما ان كل ذلك بباطل فما اذا الله ان يامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ذلك برهان هذا قول الله عز وجل * وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وقد علمنا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالف كلام ربه تعالى قال الله عز وجل * وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح ان كل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو وحي من عند الله عز وجل لا اختلاف فيه ولا تعارض ولا تناقض * فاذا كان هذا كذلك فيقين لا شك فيه يدري كل مسلم أن اخذ مال مسلم او ذمي بغير حق وضرب ظهره بغير حق اثم وعدوان وحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دماءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم فاذ لا شك في هذا ولا اختلاف من احد من المسلمين فالمسلم ماله للاخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وهو يقدر على الامتناع من ذلك باي وجه امكنه معاون اظالمه على الاثم والعدوان وهذا حرام بنص القرآن * واما سائر الاحاديث التي ذكرنا وقصة ابني آدم فلا حجة في شيء منها اما قصة ابني آدم فتلك شريعة اخرى غير شريعتنا قال الله عز وجل * لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا * واما الاحاديث فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ان استطاع فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان ليس وراء ذلك من الايمان شيء وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة في معصية انما الطاعة في الطاعة وعلى احدكم السمع والطاعة مالم يؤمر بمعصية فان امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وانه عليه السلام قال من قتل دون ماله فهو شهيد والمقتول دون دينه شهيد والمقتول دون مظلمة شهيد وقال عليه السلام لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليعمنكم الله بعذاب من عنده فكان ظاهر هذه الاخبار معارضا للاخر فصح ان احدى هاتين الجملتين ناسخة للاخرى لا يمكن غير ذلك فوجب النظر في ايهما هو الناسخ فوجدنا تلك الاحاديث التي منها النهي عن القتال موافقة لمعهود الاصل ولما كانت الحال عليه في اول الاسلام بلا شك وكانت هذه الاحاديث الاخر واردة بشريعة زائدة وهي القتال هذا مالا شك فيه فقد صح نسخ معنى تلك الاحاديث ورفع حكمها حين نطقه عليه السلام بهذه الاخر بلا شك فمن المحال المحرم ان يؤخذ بالمنسوخ ويترك الناسخ وان يؤخذ الشك ويترك اليقين ومن ادعى ان هذه الاخبار بعد ان كانت هي الناسخة فعادت منسوخة فقد ادعى الباطل وقفا(١) مالا علم له به فقال على الله مالم يعلم وهذا

(١) وقفا اي تبع من قوله تعالى ولا تقف ماليس لك به علم

قال وكانوا يداومون على طهارات الفطرة التي ابتلى بها ابراهيم وهي الكلمات العشر فاما من خمس في الرأس وخمس في الجسد فاما اللواتي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق وقص الشارب والفرق والسواك واما اللواتي في الجسد فالاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان فلما جاء الاسلام قررها سنة من السنن وكانوا يقطعون يد السارق اليمين اذا سرق وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار والضيف قال حاتم الطائي

الهم ربي ورب الهم
فاقسمت لا أرسو ولا اتمذر
اقد كان في اكثر الناس اسوة

لايحل ولوكان هذا لما خلا الله عز وجل هذا الحكم عن دليل و برهان يبين به رجوع المنسوخ ناسخا لقوله تعالى في القرآن تبيانا لكل شيء و برهان آخر وهو ان الله عز وجل قال * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء * لم يختلف مسلمان في ان هذه الآية التي فيها فرض قتال الفئة الباغية محكمة غير منسوخة فصح انها الحاكمة في تلك الاحاديث فما كان موافقا لهذه الآية فهو الناسخ الثابت وما كان مخالفا لها فهو المنسوخ المرفوع وقد ادعى قوم ان هذه الآية وهذه الاحاديث في اللصوص دون السلطان

(قال ابو محمد) وهذا باطل متيقن لانه قول بلا برهان ومايعجز مدع ان يدعي في تلك الاحاديث انها في قوم دون قوم وفي زمان دون زمان والدعوى دون برهان لاتصح وتخصيص النصوص بالدعوى لايجوز لانه قول على الله تعالى بلا علم وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل اسأله عن من طلب ماله بغير حق فقال عليه السلام لاتعطه قال فان قاتلني قال قاتله قال فان قتلته قال الى النار قال فان قتلني قال فانت في الجنة اوكلاما هذا معناه وصح عنه عليه السلام انه قال المسلم اخو المسلم لايسلمه ولايظلمه وقد صح انه عليه السلام قال في الزكاة من سألها على وجهها فليعطها ومن سألها على غير وجهها فلا يعطها وهذا خبر ثابت رويناه من طريق الثقات عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يبطل تاويل من تاول أحاديث القتال عن المال على اللصوص لايعطون الزكاة وانما يطالبة السلطان فاقتصر عليه السلام معها اذ سألها على غير ما امر به عليه السلام ولو اجتمع اهل الحق ما قاوم اهل الباطل قال الله المعونة والتوفيق

(قال ابو محمد) وما اعترضوا به من فعل عثمان فما علم قط انه يقتل وانما كان يراهم يحاصرون فقط وهم لايرون هذا اليوم للامام العدل بل يرون القتال معه ودونه فرضا فلا حجة لهم في امر عثمان رضي الله عنه وقال بعضهم ان في القيام اباحة الحريم وسفك الدماء واخذ الاموال وهتك الاستار وانتشار الامر فقال لهم الآخرون كلا لانه لايحل لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ان يهتك حريما ولا ان يأخذ مالا بغير حق ولا ان يتعرض لمن لايقاتله فان فعل شيئا من هذا فهو الذي فعل ماينبغي ان يغير عليه واما قتله اهل المنكر قالوا اوكثروا فهذا فرض عليه واما قتل اهل المنكر الناس واخذهم اموالهم وهتكهم حريمهم فهذا كله من المنكر الذي يلزم الناس تغييره وايضا فلو كان خوف ماذكروا مانعا من تغيير المنكر ومن الامر بالمعروف لكان هذا بعينه مانعا من جهاد اهل الحرب وهذا مالا يقوله مسلم وان ادعى ذلك الى سبي النصارى نساء المسلمين واولادهم واخذ اموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم ولا خلاف بين المسلمين في ان الجهاد واجب مع وجود هذا كله ولافرق بين الامرين وكل ذلك جهاد ودعاء الى القرآن والسنة

(قال ابو محمد) ويقال لهم مانقولون في سلطان جعل اليهود اصحاب امره والنصاري جنده والزم المسلمين الجزية وحمل السيف على اطفال المسلمين واباح المسلمات للزنا وحمل السيف على كل من وجد من المسلمين وملك نساءهم واطفالهم واعلن العبث بهم وهو في كل ذلك مقر بالاسلام ممن لا يدع الصلاة فان قالوا لايجوز القيام عليه قيل لهم انه لايدع مسلما الا قتله جملة وهذا ان ترك اوجب ضرورة الا يبقى الا هو وحده واهل الكفر معه فان اجازوا الصبر

على

كان لم يسبق حبش بعير ولا حمر

وكانوا اناسا موقنين بربهم بكل مكان فيهم عابد بكر اراء الهند قد ذكرنا أن الهند امة كبيرة وملة عظيمة وآراؤهم مختلفة فمنهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلا ومنهم من يميل الى الدهر ومنهم من يميل الى الثنوية ويقول بملة ابراهيم عليه السلام واكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها فمن قائل بالروحانيات ومن قائل بالهياكل ومن قائل بالاصنام الا انهم مختلفون في شكل المسالك التي ابتدعوها وكيفية أشكال وضعوها ومنهم حكماء على طريقة اليونانيين علما وعملا فمن كانت طريقته على مناهج الدهرية والثنوية والصابئية فقد أغنانا حكاية مذاهبهم قبل عن حكاية مذهبه ومن انفرد منهم بمقاله

على هذا خالفوا الاسلام جملة وانسلخوا منه وان قالوا بل يقام عليه ويقاتل وهو قولهم قلنا لهم فان قتل تسعة اعشار المسلمين او جميعهم الا واحداً منهم وسبي من نسائهم كذلك واخذ من اموالهم كذلك فان منعوا من القيام عليه تناقضوا وان اوجبوا سألناهم عن أقل من ذلك ولا نزال نحيطهم الى أن نقف بهم على قتل مسلم واحداً او على امرأة واحدة او على اخذ مال او على انتهاك بشرة بظلم فان فرقوا بين شيء من ذلك تحكموا وتحكموا بلا دليل وهذا مالا يجوز وان أوجبوا انكار كل ذلك رجعوا الى الحق ونسألهم عمن غصب سلطانه الجائر الفاجر زوجته وابنته وابنه ليفسق بهم أو ليفسق به بنفسه أهو في سعة من اسلام نفسه وامرأته وولده وابنته للفاحشة ام فرض عليه ان يدفع من اراد ذلك منهم فان قالوا فرض عليه اسلام نفسه واهله اتوا بعظيمة لا يقولها مسلم وان قالوا بل فرض عليه ان يمتنع من ذلك ويقاتل رجعوا الى الحق ولزم ذلك كل مسلم في كل مسلم وفي المال كذلك

(قال ابو محمد) والواجب ان وقع شيء من الجور وان قل ان يكلم الامام في ذلك ويمنع منه فان امتنع وراجع الحق واذعن للقود من البشرة او من الاعضاء ولا قامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل الى خلعه وهو أمام كما كان لا يحل خلعه فان امتنع من انفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه واقامة غيره ممن يقوم بالحق لقوله تعالى *وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع وبالله تعالى التوفيق

(الكلام في الصلاة خلف الفاسق)

(والجهاد معه والحج ودفع الزكاة اليه ونفاذ احكامه من الاقضية والحدود وغير ذلك)

(قال ابو محمد) ذهبت طائفة الى انه لا يجوز الصلاة الا خلف الفاضل وهو قول الخوارج والزيدية والروافض وجمهور المعتزلة و بعض اهل السنة وقال آخرون الا الجمعة والعيدين وهو قول بعض اهل السنة وذهب طائفة الصحابة كلهم دون خلاف من احد منهم وجميع فقهاء التابعين كلهم دون خلاف من احد منهم واكثر من بعدهم وجمهور اصحاب الحديث وهو قول احمد والشافعي وابي حنيفة وداود وغيرهم الى جواز الصلاة خلف الفاسق الجمعة وغيرها وبهذا نقول وخلاف هذا القول بدعة محدثة فما تأخر قط احد من الصحابة الذين ادركوا المختار بن عبيد والحجاج وعبيد الله بن زياد وحبيش بن دلجة وغيرهم عن الصلاة خلفهم وهؤلاء افسق الفساق واما المختار فكان متهما في دينه مظنوناً به الكفر

(قال ابو محمد) احتج من قول بمنع الصلاة خلفهم بقول الله تعالى * انما يتقبل الله من المتقين *

(قال ابو محمد) فيقال لهم كل فاسق اذا نوى بصلاته رحمه الله تعالى فهو في ذلك من المتقين فصلاته متقبلة ولو لم يكن من المتقين الا من لا ذنب له ما استحق احد هذا الاسم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل * ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة * ولا يجوز القطع على الفاسق بانه لم يرد بصلاته وجه الله تعالى ومن قطع بهذا فقد قفا ما لا علم له به وقال ما لا يعلم وهذا حرام وقال تعالى * ولا تقف ما ليس لك به علم * وقال عز وجل * وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم * وقال بعضهم ان صلاة المأموم مرتبطة بصلاة الامام

(قال ابو محمد) وهذا غاية الفساد لانه قول بلا دليل بل البرهان يبطله لقوله تعالى * ولا

ورأى فيهم خمس فرق البراهمة واصحاب الروحانيات واصحاب الهياكل وعبدة الاصنام والحكماء ونحن نذكر مقالات هؤلاء كما وجدنا في كتبهم المشهورة البراهمة من الناس من يظن انهم سموا براهمة لانتسابهم الى ابراهيم عليه السلام وذلك خطأ فان هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلا ورأساً فكيف يقولون بابراهيم والقوم الذين اعتقدوا نبوة ابراهيم من اهل الهند فهم الثنوية منهم القائلون بالنور والظلام على مذهب أصحاب الاثنين وقد ذكرنا مذاهبهم الا ان هؤلاء البراهمة انتسبوا الى رجل منهم يقال له برهام قد عهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه منها ان قال ان الذي يأتي

تكسب كل نفس الا عليها * وقوله تعالى * ولا تزر وازرة وزر اخرى * ودعوى الارتباط هذا قول بلا برهان لا من قرآن ولا من سنة ولا من اجماع ولا من معقول وقد اجمعوا على ان طهارة الامام لا تنوب عن طهارة المأموم ولا قيامه عن قيامه ولا قعوده عن قعوده ولا سجوده عن سجوده ولا ركوعه عن ركوعه ولا نيته عن نيته فما معنى هذا الارتباط الذي تدعونه اذا وايضا فان القطع عن سريرة الذي ظاهره الفضل لا يجوز وانما هو ظن فاستوى الامر في ذلك في الفاضل والفاسق وصح انه لا يصلي احد عن احد وان كان احد يصلي عن نفسه وقال تعالى * اجيبوا داعي الله * فوجب بذلك ضرورة ان كل داع دعا الى خير من صلاة اوحج اوجهاد اوتعاون على بر وتقوى ففرض اجابته وعمل ذلك الخير معه لقول الله تعالى * تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان * وان كل داع دعى الى شر فلا يجوز اجابته بل فرض دفاعه ومنعه وبالله تعالى نتأيد

قال ابو محمد ﷺ وايضا فان الفسق منزلة نقص عمن هو افضل منه والذي لا شك فيه ان النسبة بين الخير فاجر من المسلمين وبين افضل الصحابة رضي الله عنهم اقرب من النسبة بين افضل الصحابة رضي الله عنهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عرى احد من تعمد ذنب وتقصير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما تفاضل المسلمون في كثرة الذنوب وقلتها وفي اجتناب الكبائر ومواقعتها واما الصغائر فما نجا احد بعد الانبياء عليهم السلام وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ابي بكر وعبد الرحمن بن عوف وبهذا صح ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله فان استووا فاقدمهم تدب لا فرض فليس لفاضل بعد هذا ان يمتنع من الصلاة خلف من هو دونه في القضاء من الغايات

(قال ابو محمد) واما دفع الزكاة الى الامام فان كان الامام القرشي الفاضل او الفاسق لم ينازعه فاضل فهي جارية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضوا مصدقيكم ولا يكون مصدقا كل من سمى نفسه مصدقا لكن من قام البرهان بانه مصدق بارسال الامام الواجبة طاعته له واما من سالها من هو غير الامام المذكور او غير مصدقه فهو عابر سبيل لا حق في قبضها فلا يجزي دفعها اليه لانه دفعها الى غير من امر بدفعها اليه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد وهكذا القول في الاحكام كلها من الحدود وغيرها ان اقامها الامام الواجبة طاعته والذي لا بد منه فان وافقت القرآن والسنة نفذت والا فهي مردودة لما ذكرنا وان اقامها غير الامام او واليه فهي كلها مردودة ولا يحتسب بها لانه اقامها من لم يؤمر باقامتها فان لم يقدر عليها الامام وكل من قام بشيء من الحق حينئذ نفذ لامر الله تعالى لنا بان نكون قوامين بالقسط ولا خلاف بين احد من الامة اذا كان الامام حاضرا متمكنا او اميره او واليه فان من بادر الى تنفيذ حكم هو الى الامام فانه اما مظلمة ترد واما عزل لا ينفذ على هذا جرى عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع عماله في البلاد بنقل جميع المسلمين عصرا بعد عصر ثم عمل جميع الصحابة رضي الله عنهم واما الجهاد فهو واجب مع كل امام وكل متغلب وكل باغ وكل محارب من المسلمين لانه تعاون على البر والتقوى وفرض على كل احد لدعاء الله تعالى والى دين الاسلام ومنع المسلمين ممن اراد هم قال تعالى * فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد *

الاية

به الرسول لم يخل من أحد أمرين اما ان يكون معقولا واما ان لا يكون معقولا فان كان معقولا فقد كفانا العقل التام بادرا كه والوصول اليه فاي حاجة لنا الى الرسول وان لم يكن معقولا فلا يكون مقبولا اذ قبول ماليس معقول خروج عن حد الانسانية ودخول في حد البهيمية ومنها ان قال قد دل العقل على ان الله تعالى حكيم والحكيم لا يتعبد الخلق الا بما يدل عليه عقولهم وقد دلت الدلائل العقلية على ان للعالم صانعا عالما قادرا حكيما وانه أنعم على عباده نعما توجب الشكر فنظرنا في آيات خلقه بعقولنا ونشكره بالائه علينا واذا عرفناه وشكرنا له استوجبنا ثوابه واذا انكرناه وكفرنا به استوجبنا عقابه

الآية فهذا عموم لكل مسلم بنص الآية في كل مكان وكل زمان وبالله تعالى التوفيق تم كتاب الامامة والمفاضلة بحمد الله تعالى وشكره

﴿ ذكر العظائم المخرجة الى الكفر ﴾

(والمحال من أقوال أهل البدع المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيع)

(قال ابو محمد) قد كتبنا في ديواننا هذا من فضائح المال المخالفة لدين الاسلام الذي في كتبهم من اليهود والنصارى والمجوس مالا بقية لهم بعدها ولا يترى أحد وقف عليها انهم في ضلال وباطل ونكتب ان شاء الله تعالى على هذه الفرق الاربع من فواحش أقوالهم ما لا يخفى على أحد قرأه انهم في ضلال وباطل ليكون ذلك زاجرا لمن أراد الله توفيقه عن مضاهتهم واما التمادي فيهم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وليعلم من قرأ كتابنا هذا انا لا نستحل ما يستحله من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصا وان آل قوله اليه اذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض فاعلموا ان تقويل القائل كافرا كان أو مبتدعا أو مخطئا مالا يقوله نصا كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد لكن ربما دلسوا المعنى الفاحش بلفظ ملتبس ليسلموه على اهل الجهل ويحسن النظر بهم من اتباعهم وليبعدهم تلك العظيمة على العامة من مخالفتهم كقول طوائف من أهل البدعة والضلالة لا يوصف الله تعالى بالقدرة على المحال ولا على الظلم ولا على الكذب ولا على غير ما علم انه يكون فاحفوا أعظم الكفر في هذه القضية لما ذكرنا من تانيس الاغمار من اتباعهم وتسكين الدهما من مخالفيهم فرارا عن كشف معتقدهم صراحا الذي هو انه تعالى لا يقدر على الظلم ولا له قوة على الكذب ولا به طاقة على المحال ولا بد لنا من ايضاح ما موهوه هكذا وايراده باظهر عبارة انه كشف لتمويههم وتقربا الى الله تعالى بهتك أستارهم كشف أسرارهم وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ ذكر شنع الشيعة ﴾

(قال ابو محمد) اهل الشنع من هذه الفرقة ثلاث طوائف أولها الجارودية من الزيدية ثم الامامية من الرافضة ثم الغالية فاما الجارودية فان طائفة منهم قالت ان محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين ابن علي بن ابي طالب القائم بالمدينة على ابي جعفر المنصور فوجه اليه المنصور عيسى بن موسى بن محمد ابن علي بن عبد الله بن العباس فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن رحمه الله فقالت هذه الطائفة ان محمدا المذكور حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة اخرى منهم انه يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالكوفة ايام المستعين فوجه اليه محمد بن عبد الله بن طاهر ابن الحسين بامر المستعين ابن عمة الحسن بن اسماعيل ابن الحسين وهو ابن اخي طاهر بن الحسين فقتل يحيى بن عمر رحمه الله فقالت الطائفة المذكورة ان يحيى بن عمر هذا حي لم يقتل ولا مات ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم ان محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القائم بالطالقان ايام المعتصم حي لم يمت ولا قتل ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت الكيسانية وهم اصحاب المختار بن أبي عبيد وهم عندنا شيعة من الزيدية في سبيلهم ان محمد بن علي بن ابي طالب وهو ابن الحنفية حي يجبال رضوى عن يمينه اسد وعن يساره نمر تحدثه الملائكة ياتيه رزقه غدوا وعشيا لم يمت ولا يموت حتى يملا

فما بالنا نتبع بشر امثالنا فانه ان كان يامرنا بما ذكرناه من المعرفة والشكر فقد استغنينا عنه بقولنا وان كان يامرنا بما يخالف ذلك كان قوله دليلا ظاهرا على كذبه ومنها ان قال قد دل العقل على ان للعالم صانعا حكيما والحكيم لا يتعبد الخلق بما يقبح في عقولهم وقد وردت أصحاب الشرائع بمستقبحات من حيث العقل من التوجه الى بيت مخصوص في العبادة والطواف حوله والسعي ورمي الجمار والاحرام والتلبية وتقبيل الحجر الاصم وكذلك ذبح الحيوان وتحريم ما يمكن ان يكون غذاء للانسان وتحليل ما ينقص من بنيته وغير ذلك كل هذه الامور مخالفة لقضايا العقول ومنها ان قال ان اكبر الكبائر في الرسالة اتباع رجل

الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الروافض الامامية وهي الفرقة التي تدعى
المطورة ان موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن ابي طالب حي لم يمت
ولا يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقالت طائفة منهم وهم الناووسية اصحاب
ناوس المصري مثل ذلك في ابيه جعفر بن محمد وقالت طائفة منهم مثل ذلك في اخيه اسماعيل
بن جعفر وقالت السبابة اصحاب عبدالله بن سبا الحميري اليهودي مثل ذلك في علي بن ابي
طالب رضي الله عنه وزادوا انه في السحاب فاية شعري في اي سحابة هو من السحاب
والسحاب كثير في اقطار الهواء مسخر بين السماء والارض كما قال الله تعالى وقال عبدالله
ابن سبا اذ بلغه قتل علي رضي الله عنه لو اتيتمونا بدماغه سبعين مرة ماصدقنا موته ولا
يموت حتى يملا الارض عدلا كما ملئت جورا وقال بعض الكيسانية بان ابامسلم السراج
حي لم يمت وسيظهر ولا بد وقال بعض الكيسانية بانه عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن
جعفر بن ابي طالب حي بجبال اصبهان الى اليوم ولا بد له من ان يظهر وعبد الله هذا هو
الذي قام بفارس ايام مروان بن محمد وقتله ابو مسلم بعد ان سجنه دهرا وكان عبد الله هذا ردى
الدين معطلا مستصحبا للدهرية

(قال ابو محمد) فصار هؤلاء في سبيل اليهود القائلين بان ملكصيدق بن عامر بن ارفخشد
بن سام ابن نوح والعبد الذي وجهه ابراهيم عليه السلام ليخطب ريقا بنت بؤال بن ناخور
بن تارخ على اسحاق ابنه عليه السلام والياس عليه السلام وفحاص بن العازار بن هارون
عليه السلام احياء الى اليوم وسلك هذا السبيل بعض تركي الصوفية فزعموا ان الخضر والياس
عليهما السلام حيان الى اليوم وادعى بعضهم انه يلقى الياس في الفلوات والخضر في المروج
والرياض وانه متى ذكر احضر على ذكراه

(قال ابو محمد) فان ذكرنا شرق الارض وغربها وشمالها وجنوبها وفي الف وضع في
دقيقة واحدة كيف يصنع ولقد لقينا من يذهب الى هذا خلقا وكلنا منهم المعروف بابن
شق الليل المحدث بطابيره وهو مع ذلك من اهل العناية وسعة الرواية ومنهم محمد بن عبد الله
الكاتب واخبرني انه جالس الخضر وكلمه مرارا وغيره كثير هذا مع سماعهم قول الله تعالى
* ولكن رسول الله وخاتم النبيين * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبي بعدي فكيف
يستجيز مسلم ان يثبت بعده عليه السلام نبيا في الارض حاشا ما استثناه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الآثار المسندة الثابتة في نزول عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزمان وكفار
برغواطه الى اليوم ينتظرون صالح بن طريف الذي شرع لهم دينهم وقالت القطعية من
الامامية الرافضة كلهم وهم جمهور الشيعة ومنهم المتكلمون والنظارون والعدد العظيم بان
محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي ابن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي ابن
ابي طالب حي لم يمت ولا يموت حتى يخرج فيملا الارض عدلا كما ملئت جورا وهو عندهم
المهدي المنتظر وبقول طائفة منهم ان مولد هذا الذي لم يخلق قط في سنة سنتين ومائتين سنة
موت ابيه وقالت طائفة منهم بل بعد موت ابيه بمدة وقالت طائفة منهم بل في حياة ابيه
ورووا ذلك عن حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى وانها شهدت ولادته وسمعته يتكلم حين
سقط من بطن امه يقرأ القرآن وان امه نرجس وانها كانت هي الدابة وقال جمهورهم بل امه
صقيل وقالت طائفة منهم بل امه سوسن وكل هذا هوس ولم يعقب الحسن المذكور لا ذكرا

هو مثلك في الصورة والنفس
والعقل يا كل مما تاكل
ويشرب مما تشرب حتى
تكون بالنسبة اليه كجماد
يتصرف فيك رفعا ووضعا
او كحيوان يصرفك اماما
وخلفا او كعبد يتقدم
اليك امرا ونهيا فاي تمييز
له عليك واية فضيلة وجبت
استخدامك ومدليله على
صدق دعواه فان اغتر تم
بمجرد قوله فلا تميز لقول
علي قول وان انحسرتم
بحجته ومعجزته فعندنا
من خصائص الجواهر
والاجسام مالا يحصى كثرة
ومن المخبرين عن مغيبات
الامور من لا يساوي خبره
قالت لهم رسلهم ان نحن الا
بشر مثلكم ولكن الله يمن
على من يشاء من عباده *
فاذا اعترفتم بان للعالم
صانعا خالقا حكيما فاعترفوا
بانه آمر ناه حاكم

ولا أنثى فهذا اول نوك الشيعة ومفتاح عظيمانهم واخفها وان كانت مهلكة ثم قالوا كلهم اذ سئلوا عن الحجة فيما يقولون حجتنا الالهام وان من خالفنا ليس لرشدة فكان هذا طريفاً جداً ليت شعري ما الفرق بينهم وبين عيار مثلهم يدعي في ابطال قولهم الالهام وان الشيعة ليسوا لرشدة اوانهم نوكة اوانهم جملة ذوو شعبة من جنون في رؤسهم وما قولهم فيمن كان منهم ثم صار في غيرهم او من كان في غيرهم فصار فيهم اتراه ينتقل من ولادة الغية الى ولادة الرشدة ومن ولادة الرشدة الى ولادة الغية فان قالوا حكمه لما يموت عليه قيل لهم فلعلكم اولاد غية اذ لا يؤمن رجوع الواحد فالواحد منكم الى خلاف ما هو عليه اليوم والقوم بالجملة ذوو اديان فاسدة وعقول مدخولة وعديمو حياء ونعوذ بالله من الضلال وذكر عمرو ابن خولة الجاحظ وهو وان كان احد المجان ومن غلب عليه الهزل واحد الضلال المضلين فانا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها وان كان كثيرا لايراد كذب غيره قال اخبرني ابو اسحاق ابراهيم النظام وبشر بن خالد انهما قالا لمحمد بن جعفر الرافضي المعروف بشيطان الطاق ويحك اما استحييت من الله ان تقول في كتابك في الامامة ان الله تعالى لم يقل قط في القرآن * ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا * قالا فضحك والله شيطان الطاق ضحكا طويلا حتى كانا نحن الذين أذنبنا قالا النظام وكنا نكلم علي ابن ميثم الصابوني وكل من شيوخ الرافضة ومتكلميهم فنساله أرأى أم سماع عن الائمة فينكران يقوله برأي فتخبره بقوله فيها قبل ذلك قال فوالله ما رايته خجل من ذلك ولا استحيا لفعله هذا قط ومن قول الامامية كلها قديماً وحديثاً أن القرآن مبدل زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثير وبدل منه كثير حاشا علي ابن الحسن ابن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن ابن علي بن ابي طالب وكان أماميا يظاهر بالاعتزال مع ذلك فانه كان ينكر هذا القول ويكفر من قاله وكذلك صاحباه ابو يعلى ميلاد الطوسي وابو القاسم الرازي

(قال ابو محمد) القول بان بين اللوحين تبديلا كفر صحيح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت طائفة من الكيسانية بتناسخ الارواح وبهذا يقول السيد الحميري الشاعر لعنه الله ويبلغ الامر بمن يذهب الى هذا الى ان ياخذ أحدهم البغل او الحمار فيعذبه ويضربه ويعطشه ويجيعه على ان روح ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فيه فاعجب بالهذا الحمق الذي لا نظير له وما الذي خص هذا البغل الشقي او الحمار المسكين بنقله الروح اليه دون سائر البغال والحمير وكذلك يفعلون بالبزغلي ان روح ام المؤمنين رضي الله عنها فيها وجمهور متكلميهم كهشام ابن الحكم الكوفي وتلميذه ابي علي الصكاك وغيرهما يقول ان علم الله تعالى محدث وانه لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما وهذا كفر صحيح وقد قال هشام هذا في حين مناظرته لابي الهذيل العلاف ان ربه سبعة اشبار بشبر نفسه وهذا كفر صحيح وكان داود الجواربي من كبار متكلميهم يزعم ان ربه لحم ودم على صورة الانسان ولا يختلفون في ان الشمس ردت على علي بن ابي طالب مرتين أفيكون في صفاقة الوجه وصلابة الخد وعدم الحياء والجراة على الكذب اكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق وطائفة منهم تقول ان الله تعالى يريد الشيء ويعزم عليه ثم يبدو له فلا يفعله وهذا مشهور للكيسانية ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب لانه انما نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك وهذا في قلة الحياء قريب مما قبله وكما يزعم كثير منهم أن عليا لم يكن له سمي قبله

على خلقه وله في جميع ما اتى ونذر ونعلم وتفكر حكم وأمر وليس كل عقل انساني على استعداد ما يقبل عنه أمره ولا كل نفس بشري بمثابة من يقبل عنه حكمه بل اوجبت منته ترتيباً في العقول والنفوس واقتضت قسمته أن يرفع * بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون * فرحمة الله الكبرى هي النبوة والرسالة وذلك خير مما يجمعون بعقولهم المختالة ثم ان البراهمة تفرقوا أصنافا فمنهم اصحاب البددة ومنهم اصحاب الفكرة ومنهم أصحاب التناسخ أصحاب البددة ومعنى البدد عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت واول بدد ظهر في

وهذا جهل عظيم بل كان في العرب كثير يسلمون هذا الاسم كعلي بن بكر بن وائل اليه يرجع كل بكري في العالم في نسبه وفي الازد علي وفي بجيله علي وغيرها كل ذلك في الجاهلية مشهور واقرب من ذلك عامر بن الطفيل يكنى ابا علي ومجاهراتهم اكثر مما ذكرنا ومنهم طائفة تقول بفناء الجنة والنار وفي السكيسانية من يقول ان الدنيا لا تفنى ابدا ومنهم طائفة تسمي النحلية نسبوا الى الحسن بن علي بن ورصند النحلي كان من اهل نقطة من عمل قونصة وقسطيلية من كور افريقية ثم نهض هذا الكافر الى السوس في اقاصي بلاد المصامدة فاضلهم واضل امير السوس احمد بن ادريس بن يحيي بن ادريس ابن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن علي بن ابي طالب فهم هنالك كثير سكان في ربض مدينة السوس معلنون بكفرهم وصلاتهم خلاف صلاة المسلمين لا ياكلون شيئا من الثمار زبل اصله ويقولون ان الامامة في ولد الحسن دون ولد الحسين ومنهم اصحاب ابي كامل ومن قولهم ان جميع الصحابة رضي الله عنهم كفروا بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ جحدوا امامة علي وان عليا كفر اذ اسلم الامر الى ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم قال جمهورهم ان عليا ومن اتبعه رجعوا الى الاسلام اذ دعى الى نفسه بعد قتل عثمان واذ كشف وجهه وسل سيفه وانه واياهم كانوا قبل ذلك مرتدين عن الاسلام كفارا مشركين ومنهم من يرد الذنب في ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يبين الامر بيانا رافعا للاشكال

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذا كفر صريح لا خفاء به فهذه مذاهب الامامية وهي المتوسطة في الغلو من فرق الشيعة واما الغالية من الشيعة فهم قسمان قسم اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لغيره والقسم الثاني اوجبوا الالهية لغير الله عز وجل فلحقوا بالنصاري واليهود وكفروا اشنع الكفر فالطائفة التي اوجبت النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم فرق فمنهم الغرابية وقولهم ان محمدا صلي الله عليه وسلم كان اشبه بعلي من الغراب بالغراب وان الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي الى علي فغلط جبريل بمحمد ولا لوم على جبريل في ذلك لانه غلط وقالت طائفة منهم بل تعمد ذلك جبريل وكفروه ولعنوه لعنهم الله

﴿قال ابو محمد﴾ فهل سمع باضعف عقولا واتم رقاعة من قوم يقولون ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يشبه علي بن ابي طالب فيا للناس اين يقع شبه ابن اربعين سنة من صبي ابن احدى عشرة سنة حتى يغلط به جبريل عليه السلام ثم محمد عليه السلام فوق الربعة الى الطول قويم القناة كث اللحية ادعج العينين ممتلىء الساقين صلى الله عليه وسلم قليل شعر الجسد افرع وعلي دون الربعة الى القصر منكب شديد الانكباب كانه كسر ثم جبر عظيم اللحية قد ملئت صدره من منكب الى منكب اذ التحى ثقيل اليعنين دقيق الساقين اصلع عظيم الصلع ليس في رأسه شعر الا في مؤخره يسير كثير شعر اللحية فاعجبوا لحمق هذه الطبقة ثم لو جاز ان يغلط جبريل وحاشا الروح القدس الامين كيف غفل الله عز وجل عن تقويمه وتنبيهه وتركه على غلطه ثلاثا وعشرين سنة ثم اظرف من هذا كله من اخبرهم بهذا الخبر ومن خرفهم بهذه الخرافة وهذا لا يعرفه الامن شاهد امر الله تعالى لجبريل عليه السلام ثم شاهد خلافه فعلى هؤلاء لعنة الله ولعنة اللاعنين ولعنة الناس أجمعين مادام لله في عالمه خلق وفرقة قالت بنبوة علي وفرقة قالت بان علي بن ابي طالب والحسن والحسين رضي الله عنهم وعلي بن الحسين ومحمد ابن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن

العالم اسمه شاكين وتفسيره السيد الشريف ومن وقت ظهوره الى وقت الهجرة خمسة آلاف سنة قالوا ودون مرتبة البد مرتبة البرد يسعية ومعناه الانسان الطالب سبيل الحق وانما يصل الى تلك المرتبة بالصبر والعطية وبالرغبة فيما يحب ان يرغب فيه وبالامتناع واتخلي عن الدنيا والعروض عن شهواتها ولذاتها والنفة عن محارمها والرحمة على جميع الخلق والاجتناب عن الذنوب العشرة قتل كل ذي روح واستحلال أموال الناس والزنا والكذب والنميمة والبذاء والشتم وشناعة الالقاب والسفه والجحد لجزاء الآخرة وباستكمال عشر خصال * احدها الجود والكرم * الثاني العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم * الثالثة

موسى ومحمد بن علي والحسن بن محمد والمنتظر ابن الحسن انبياء كلهم وفرقة قالت بنبوة محمد بن اسماعيل بن جعفر فقط وهم طائفة من القرامطة وفرقة قالت بنبوة علي وبنبوة الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية فقط وهم طائفة من الكيسانية وقد حام المختار حول ان يدعي النبوة لنفسه وسجع اسجاعا وانذر بالغيوب من الله واتبعه على ذلك طوائف من الشيعة الملعونة وقال بامامة محمد بن الحنفية وفرقة قالت بنبوة المغيرة بن سعيد ولي بجيلة بالكوفة وهو الذي احرقه خالد بن عبد الله القسري بالنار وكان لعنه الله يقول ان معبوده صورة رجل على رأسه تاج وان أعضاؤه على عدد حروف الهجا الالف للساقين ونحو ذلك مما لا ينطق لسان ذي شيعة من دين به تعالى الله عما يقول الكافرون علوا كبيرا وكان لعنه الله يقول ان معبوده لما اراد ان يخلق الخلق تكلم باسمه الاكبر فوقع على تاجه ثم كتب باصبعه أعمال العباد من المعاصي والطاعات فلما رأى المعاصي ارفض به عرقا فاجتمع من عرقه بحران احدهما ملح مظلم والثاني نير عذب ثم اطلع في البحر فرأى ظلمة فذهب لياخذه فطار فاخذه فقلع عيني ذلك الظل ومحقه فخلق من عينيه الشمس وشمسا اخرى وخلق الكفار من البحر المالح وخلق المؤمنين من البحر العذب في تخاليطهم كثير وكان مما يقول ان الانبياء لم يختلفوا قط في شيء من الشرائع وقد قيل ان جابر بن يزيد الجعفي الذي يروي عن الشعبي كان خليفة المغيرة بن سعيد اذ حرقه خالد بن عبد الله القسري فلما مات جابر خلفه بكر الاعور الهجري فلما مات فوضوا أمرهم الى عبد الله بن المغيرة رئيسهم المذكور وكان لهم عدد ضخم بالكوفة وآخر ما وقف عليه المغيرة ابن سعيد القول بامامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وتحريم ماء الفرات وكل ماء نهر او عين او بئر وقعت فيه نجاسة فبرئت منه عند ذلك القائلون بالامامة في واد الحسين وفرقة قالت بنبوة بيان بن سمعان التميمي صلبه واحرقه خالد بن عبد الله القسري مع المغيرة بن سعيد في يوم واحد وجمع المغيرة بن سعيد عن اعتناق حزمة الحطب جبنا شديدا حتى ضم اليها قهرا وبادر بيان بن سمعان الى الحزمة فاعتنقها من غير اكراه ولم يظهر منه جزع فقال خالد لاصحابهما في كل شيء انتم مجانين هذا كان ينبغي ان يكون رئيسكم لا هذا الفسل وكان بيان لعنه الله يقول ان الله تعالى يفنى كله حاشا وجهه فقط وظن المجنون انه تعلق في كفره هذا بقول الله تعالى * كل من عليها فان ويبقى وجه ربك * ولو كان له ادنى عقل او فهم لعلم ان الله تعالى انما اخبر بالفناء عما على الارض فقط بنص قوله الصادق * كل من عليها فان * ولم يصف عز وجل بالفناء غير ما على الارض ووجه الله تعالى هو الله وليس هو شيئا غيره وحاشا الله من ان يوصف بالتبعيض والتجزي هذه صفة المخلوقين المحدودين لا صفة من لا يحد ولا له مثل وكان لعنه الله يقول انه المعنى بقول الله تعالى * هذا بيان للناس * وكان يذهب الى ان الامام هو هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية ثم هي في سائر ولد علي كلهم وقالت فرقة منهم بنبوة منصور المستتير العجلي وهو الملقب بالكسف وكان يقال انه المراد بقول الله عز وجل * وان يروا كسفا من السماء ساقطا * وصلبه يوسف بن عمر بالكوفة وكان لعنه الله يقول انه عرج به الى السماء وان الله تعالى مسح رأسه بيده وقال له ابني اذهب فبلغ عني وكان يمين اصحابه لا والكلة وكان لعنه الله يقول بان اول من خلق الله تعالى عيسى بن مريم ثم علي بن ابي طالب وكان يقول بتواتر الرسل واباح المحرمات من الزنا والخمر والميتة والخنزير والدم وقال انما هم اسماء رجال وجهور

التعفف عن الشهوات الدنيوية * الرابعة الفكرة في التخلص الى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني * الخامسة رياضة العقل بالعلم والادب وكثرة النظر الى عواقب الامور * السادسة القوة على تصريف النفس في طلب العلياء * السابعة لين القلت وطيب الكلام مع كل واحد * الثامنة حسن المعاشرة مع الاخوان بايثار اختيارهم على اختيار نفسه * التاسعة الاعراض عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق بالكلية * العاشر بذل الروح شوقا الى الحق ووصولا الى جناب الحق وزعموا ان الايدة اتوهم على عدد نهر الكيل وأعطوهم العلوم وظهر والهم في أجناس وأشخاص شتى ولم يكونوا يظهرون الا في

الرافضة اليوم على هذا واسقط الصلاة والزكاة والصيام والحج واصحابه كلهم خناقون رضاخون
وكذلك اصحاب المغيرة بن سعيد ومعتاص في ذلك انهم لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج
الذي ينتظرونه فهم يقتلون الناس بالخنق وبالحجارة والخشبية بالخشب فقط وذكر هشام بن
الحكم الرافضي في كتابه المعروف بالميزان وهو اعلم الناس بهم لانه جارهم بالكوفة وجارهم
في المذهب ان الكيسانية خاصة يقتلون من كان منهم ومن خالفهم ويقولون نعجل المؤمن
الى الجنة والكافر الى النار وكانوا بعد موت ابي منصور يؤدون الخمس مما يأخذون من
خنقوه الى الحسن بن ابي المنصور واصحابه فرقتان فرقة قالت ان الامام بعد محمد بن علي بن
الحسن صارت الى محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين وفرقة قالت بل الى ابي المنصور
الكسف ولا تعود في ولد علي ابدا وقالت فرقة بنبوة بزيغ الحائك بالكوفة وان وقع هذه
الدعوة لهم في حائك لظريفة وفرقة قالت بنبوة معمر بائع الحنطة بالكوفة وقالت فرقة
بنبوة عمير التبان بالكوفة وكان لعنه الله يقول لاصحابه لو شئت ان اعيد هذا التبن تبرا
لفعلت وقدم الى خالد بن عبد الله القسري بالكوفة فتجلد وسب خالدا فامر خالد بضرب
عنقه فقتل الى لعنة الله وهذه الفرق الخمس كلها من فرق الخطابية وقالت فرقة من اولئك
شيعة بني العباس بنبوة عمار الملقب بخداش فظفر به اسد بن عبد الله اخو خالد بن عبد الله
القسري فقتله الى لعنة الله والقسم الثاني من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز
وجل فاولهم قوم من اصحاب عبد الله بن سبا الحميري لعنه الله اتوا الى علي بن ابي طالب
فقالوا مشافهة انت هو فقال لهم ومن هو قالوا انت الله فاستعظم الامر واهر بنار فاججت
واحرقهم بالنار فجعلوا يقولون ونحن نرمون في النار الان صح عندنا انه الله لانه لا يعذب
بالنار الا الله وفي ذلك يقول رضي الله عنه

لما رأيت الامر امرا منكرا * اججت نارا ودعوت قنبرا

يريد قنبرا مولاه وهو الذي تولى طرحهم في النار نعوذ بالله من ان نفتتن بمخلوق او يفتتن
بنا مخلوق فيا جل اودق فان محنة ابي الحسن رضي الله عنه من بين اصحابه رضي الله عنهم
كمحنة عيسى صلى الله عليه وسلم بين اصحابه من الرسل عليهم السلام وهذه الفرقة باقية الى
اليوم فاشية عظيمة العدد يسمون العلیانية منهم كان اسحاق بن محمد النخعي الاحمر الكوفي
وكان من متكلميهم وله في ذلك كتاب سماه الصراط نقض عليه البهنكي والفياض لما ذكرنا
ويقولون ان محمدا رسول علي وقالت طائفة من الشيعة يعرفون بالمحمدية ان محمدا عليه السلام
هو الله تعالى الله عن كفرهم ومن هؤلاء كان البهنكي والفياض بن علي وله في هذا المعنى
كتاب سماه القسطاس وابوه الكاتب المشهور الذي كتب لاسحاق بن كنداج ايام ولايته
ثم لامير المؤمنين المعتضد وفيه يقول البحتري القصيدة المشهورة التي اولها

شط من ساكن الغرير مزاره * وطوته البلاد والله حاره

والفياض هذا لعنه الله قتله القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب لكونه من جملة من سعى
به ايام المعتضد والقصة مشهورة وفرقة قالت بالاهية آدم عليه السلام والنبيين بعده نبيا نبيا
الى محمد عليه السلام ثم بالاهية علي ثم بالاهية الحسن ثم الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن
محمد ووقفوا هاهنا واعلنت الخطابية بذلك نهارا بالكوفة في ولاية عيسى بن موسى بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن العباس فخرجوا صدر النهار في جموع عظيمة في أزر وأردية محرمين

بيوت الملوك تشرف جواهرهم

قالوا ولم يكن بينهم اختلاف
فيما ذكرنا عنهم من أزلية العالم
وقولهم في الجزاء على ما ذكرنا
وانما اختص ظهور البدد
بارض الهند لكثرة ما فيها
من خصائص البرية والاقليم
ومن فيها من أهل الرياضة
والاجتهاد وليس يشبه البد
على ما وصفوه ان صدقوا
في ذلك الا بالخضر الذي
يثبته أهل الاسلام أصحاب
الفكرة والوهم وهم العلماء
منهم بالفلك والنجوم
وأحكامها المنسوبة اليهم
وللهند طريقة تخالف
طريقة منجمي الروم
وذلك انهم يحكمون اكثر
الاحكام باتصالات الثوابت
دون السيارات وينشؤون
الاحكام عن خصائص
الكواكب دون طبائعها ويعدون
زحل السعد الاكبر لرفعة

ينادون باعلى اصواتهم لبيك جعفر لبيك جعفر قال ابن عياش وغيره كانى انظر اليهم يومئذ فخرج اليهم عيسى بن موسى فقاتلوه فقتلهم واصطلمهم ثم زادت فرقة على ما ذكرنا فقالت بالاهية محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد وهم القرامطة وفيهم من قال بالاهية ابى سعيد الحسن بن بهرام الجنابى وأبنائه بعده ومنهم من قال بالاهية ابى القاسم النجار القائم باليمن فى بلاد همدان المسمى بالمنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبيد الله ثم الولاة من ولده الى يومنا هذا وقالت طائفة بالاهية ابى الخطاب محمد بن ابى زينب مولى بنى اسد بالكوفة وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الالوف وقالوا هو اله وجعفر بن محمد اله الا ان ابا الخطاب اكبر منه وكانوا يقولون جميع اولاد الحسن ابناء الله واحباؤه وكانوا يقولون انهم لا يموتون ولكنهم يرفعون الى السماء واشبه على الناس بهذا الشيخ الذى ترون ثم قالت طائفة منهم بالاهية معمر بائع الحنطة بالكوفة وعبدوه وكان من اصحاب ابى الخطاب لعنهم الله اجمعين وقالت طائفة بالاهية الحسن بن منصور حلاج القطن المصلوب ببغداد بسعى الوزير ابن حامد بن العباس رحمه الله ايام المقتدر وقالت طائفة بالاهية محمد بن على ابن السلمان الكاتب المقتول ببغداد ايام الراضى وكان امر اصحابه ان يفسق الارفع قدراً منهم به ليولج فيه النور وكل هذه الفرق ترى الاشتراك فى النساء وقالت طائفة منهم بالاهية شباس المقيم فى وقتنا هذا حيا بالبصرة وقالت طائفة منهم بالاهية ابى مسلم السراج ثم قالت طائفة من هؤلاء بالاهية المقنع الاعور القصار القائم بخراسان ابى مسلم واسم هذا القصار هاشم وقتل لعنه الله ايام المنصور واعلنوا بذلك فخرج المنصور فقتلهم وافناهم الى لعنة الله وقالت الرنودية بالاهية ابى جعفر المنصور وقالت طائفة منهم بالاهية عبد الله بن الحرب الكندى الكوفى وعبده وكان يقول بتناسخ الارواح وفرض عليهم تسعة عشر صلاة فى اليوم والليلة فى كل صلاة خمسة عشر ركعة الى ان ناظره رجل من متكلمى الصفرية واوضح له براهين الدين فاسلم وصح اسلامه وتبرأ من كل ما كان عليه واعلم اصحابه بذلك واظهر التوبة وتبرأ منه جميع اصحابه الذين كانوا يعبدونه ويقولون بالاهيته واعنوه وفارقوه ورجعوا كلهم الى القول بامامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ابن ابى طالب وبقى عبد الله بن الحرب على الاسلام وعلى مذهب الصفرية الى ان مات وطائفته الى اليوم تعرف بالحربية وهى من السبابة القائلين بالاهية على وطائفة تدعى النصرية غلبوا فى وقتنا هذا على جند الاردن بالشام وعلى مدينة طبرية خاصة ومن قولهم لعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن الحسن والحسين ابنى على رضى الله عنهم وسبهم باقبح السب وقذفهم بكل بلية والقطع بانها وابنيها رضى الله عنهم ولعن مبغضيهم شياطين تصوروا فى صورة الانسان وقولهم فى عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على رضى الله عنه على لعنة الله ورضى الله عن ابن ملجم فيقول هؤلاء ان عبد الرحمن بن ملجم المرادى افضل اهل الارض واكرمهم فى الآخرة لانه خلص روح اللاهوت مما كان يتشبث فيه من ظلمة الجسد وكدره فاعجبوا لهذا الجنون واسالوا الله العافية من بلاء الدنيا والاخرة فهى بيده لا بيد احد سواه جعل الله حظنا منها الاوفى واعلموا ان كل من كفر هذه الكفرات الفاحشة ممن ينتمى الى الاسلام فانما عنصرهم الشيعة والصوفية فان من الصوفية من يقول ان من عرف الله تعالى سقطت عنه الشرائع وزاد بعضهم واتصل بالله تعالى وبلغنا ان بنيسابور اليوم فى عصرنا

مكانه وعظم جرمه وهو الذى يعطى العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة وكذلك سائر الكواكب لها طبائع وخواص فالروم يحكمون من الخواص وكذلك طبهم فانهم يعتبرون خواص الادوية دون طبائعها والروم يخالفهم فى ذلك وهؤلاء اصحاب الفكرة يعظمون امر الفكر ويقولون هو المتوسط بين المحسوس والمعقول فالصور من المحسوسات ترد عليه والحقائق من المعقولات ترد عليه ايضا فهو مورد العلمين من العالمين فيجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضة البليغة والاجتهادات المجهدة حتى اذا تجرد الفكر عن

هذا رجلا يكنى اباسعيد ابا الخير هكذا معا من الصوفية مرة يلبس الصوف ومرة يلبس الحرير
المحرم على الرجل ومرة يصلى فى اليوم الف ركعة ومرة لا يصلى لا فريضة ولا نافلة وهذا
كفر محض ونعوذ بالله من الضلال

﴿ ذكر شنع الخوارج ﴾

ذكر بعض من جمع مقالات المنتمين الى الاسلام ان فرقة من الاباضية رئيسهم رجل يدعى
زيد بن ابى انيسه وهو غير المحدث المشهور كان يقول ان فى هذه الامة شاهدين عليها
هو احدهما والآخر لا يدرى من هو ولا متى هو ولا يدرى لعله قد كان قبله وان من كان
من اليهود والنصارى يقول لا اله الا الله محمد رسول الله الى العرب لا الينا كما تقول العيسوية
من اليهود قال فانهم مؤمنون اولياء الله تعالى وان ماتوا على هذا العقد وعلى التزام شرائع
اليهود والنصارى وان دين الاسلام سينسخ بنبى من العجم ياتى بدين الصابئين وبقرآن آخر
ينزل عليه جملة واحدة

﴿ قال ابو محمد ﴾ الا ان جميع الاباضية يكفرون من قال بشىء من هذه المقالات ويبرؤن منه
ويستحلون دمه وماله وقالت طائفه من اصحاب الحرث الاباضى ان من زنا او سرق او قذف
فانه يقام عليه الحد ثم يستتاب مما فعل فان تاب ترك وان ابى التوبة قتل على الردة

﴿ قال ابو محمد ﴾ رشاهدنا الاباضية عندنا بالاندلس يحرمون طعام اهل الكتب ويحرمون
اكل قضيب التيس والثور والكبش ويوجبون القضاء على من نام نهارا فى رمضان فاحتلم
ويتيممون وهم على الابار التى يشربون منها الا قليلا منهم وقال ابو اسماعيل البطيحى واصحابه
وهم من الخوارج ان لا صلاة واجبة الا ركعة واحدة بالغداة وركعة اخرى بالعشى فقط
ويرون الحج فى جميع شهور السنة ويحرمون اكل السمك حتى يذبح ولا يرون اخذ الجزية
من المجوس ويكفرون من خطب فى الفطر والاضحى ويقولون ان اهل النار فى النار فى لذة
ونعيم واهل الجنة كذلك

﴿ قال ابو محمد ﴾ واصل ابى اسماعيل هذا من الازارقة الا انه غلا عن سائر الازارقة
وزاد عليهم وقالت سائر الازارقة وهم اصحاب نافع بن الازرق بابطال رجم من زنى وهو
محصن وقطعوا يد السارق من المنكب واوجبوا على الحائض الصلاة والصيام فى حيضها
وقال بعضهم لا ولكن تقضى الصلاة اذا طهرت كما تقضى الصيام واباحوا دم الاطفال
ممن لم يكن فى عسكرهم وقتل النساء ايضا ممن ليس فى عسكرهم وبرئت الازارقة ممن قعد
عن الخروج لضعف او غيره وكفروا من خالف هذا القول بعد موت اول من قال به منهم
ولم يكفروا من خالفه فيه فى حياته وقالوا باستعراض كل من لقوه من غير اهل عسكرهم
ويقتلونه اذا قال انا مسلم ويحرمون قتل من انتمى الى اليهود او الى النصارى او الى المجوس وبهذا
شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمروق من الدين كما يمرق السهم من الرمية اذ قال عليه
السلام انهم يقتلون اهل الاسلام ويتركون اهل الاوثان وهذا من اعلام نبوته صلى الله
عليه وسلم اذ انذر بذلك وهو من جزئيات الغيب فخرج نصا كما قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد بادت الازارقة انما كانوا أهل عسكر واحد اولهم نافع بن الازرق
وآخرهم عبدة بن هلال العسكرى واتصل امرهم بضعا وعشرين سنة الا انى اشك فى صبيح
مولى سوار بن الاسمر المازنى من تميم اخرج برأى الازارقة ايام هشام بن عبد الملك ام

هذا العالم تجلى له ذلك العالم
فربما يخبر عن مغيبات
الاحوال وربما يقوى على
حبس الامطار ربما يوقع
الوهم على رجل حي فيقتله
فى الحال ولا يستبعد ذلك
فان للوهم اثرا عجيبا فى
تصريف الاجسام
والتصرف فى النفوس
ليس الاحتلام فى النوم
تصرف الوهم فى الجسم
ليس اصابة العين تصرف
الوهم فى الشخص ليس
الرجل يمشى على جدار
مرتفع فيسقط فى الحال
ولا يأخذ من عرض المسافة
فى خطواته سوى ما اخذه
على الارض المستوية والوهم
اذا تجرد عمل اعمالا عجيبة
ولهذا كانت الهند تغمض عينها
اياما لئلا يشتغل الفكر
والوهم بالمحسوسات ومع
التجرد اذا اقترن به وهم آخر

برأي الصفرية لان أمره لم يطل اسرا ثر خروجه وقتل وقالت النجدات وهم اصحاب نجدة بن عويم الحنفي ليس على الناس ان يتخذوا اماما انما عليهم ان يتعاطوا الحق بينهم وقالوا من ضعف عن الهجرة الى عسكرهم فهو منافق واستحلوا دم القعدة واموالهم وقالوا من كذب كذبة صغيرة او عمل عملا صغيرا فاصر على ذلك فهو كافر مشرك وكذلك ايضا في الكبائر وان من عمل من الكبائر غير مصر عليها فهو مسلم قال جائز ان يعذب الله المؤمنين بذنوبهم لكن في غير النار واما النار فلا وقالوا اصحاب الكبائر منهم ليسوا كفارا واصحاب الكبائر من غيرهم كفار وقد بادت النجدات وقالت طائفة من الصفرية بوجوب قتل كل من أمكن قتله من مؤمن عندهم او كافر وكانوا يؤلون الحق بالباطل وقد بادت هذه الطائفة وقالت الميمونية وهم فرقة من العجاردة والعجاردة فرقة من الصفرية باجازة نكاح بنات البنات وبنات البنين وبنات بني الاخوة والاخوات وذكر ذلك عنهم الحسين ابن علي الكراسي وهو احد الائمة في الدين والحديث ولم يبق اليوم من فرق الخوارج الا الاباضية والصفرية فقط وقالت طائفة من اصحاب البيهسية وهم اصحاب ابي بيهس وهم من فرق الصفرية ان كان صاحب كبيرة فيها حد فانه لا يكفر حتى يرفع الى الامام فاذا اقام عليه الحد فحينئذ يكفر وقالت الرشيدية وهم من فرق الثعالبة والثعالبة من فرق الصفرية ان الواجب في الزكاة نصف العشر مما سقي بالانهار والعيون وقالت الاونية وهم طائفة من البيهسية التي ذكرنا آنفا ان الامام اذا قضى قضية جور وهو بخراسان او بغيرها حيث كان من البلاد ففي ذلك الحين نفسه يكفر هو وجميع رعيته حيث كانوا من شرق الارض وغربها ولو بالاندلس واليمن فما بين ذلك من البلاد وقالوا ايضا لو وقعت قطرة خمر في جب ماء بفلاة من الارض فان كل من خطر على ذلك الجب فشرب منه وهو لا يدري ما وقع فيه كافر بالله تعالى قالوا الا ان الله تعالى يوفق المؤمن لاجتنابه وقالت الفضيلية من الصفرية من قال لا اله الا الله محمد رسول الله بلسانه ولم يعتقد ذلك بقلبه بل اعتقد الكفر او الدهرية او اليهودية او النصرانية فهو مسلم عند الله مؤمن ولا يضره اذا قال الحق بلسانه ما اعتقد بقلبه وقالت طائفة من الصفرية ان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث فمن حين بعثه في ذلك الوقت من ذلك اليوم لزم جميع اهل المشرق والمغرب الايمان به وان لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع فمن مات منهم قبل ان يبلغه شيء من ذلك مات كافرا وقالت العجاردة اصحاب عبد الكريم بن عجرد من الصفرية ان من بلغ الحلم من اولادهم وبناتهم فهم برآء منه ومن دينه حتى يقر بالاسلام فيتولوه حينئذ

(قال ابو محمد) فلي هذا ان قتله قاتل قبل ان يلفظ بالاسلام فلا قود ولا دية وان مات لم يرث ولم يورث وقالت طائفة من العجاردة لا تتولى الاطفال قبل البلوغ ولا نبرأ منهم لكن نقف فيهم حتى يلفظوا بالاسلام بعد البلوغ

(قال ابو محمد) والعجاردة هم الغالبون على خوارج خرسان كما ان النكار من الاباضية هم الغالبون على خوارج الاندلس وقالت المكرومية وهم اصحاب ابي مكرم وهم من الثعالبة اصحاب ثعلبة وهو من الصفرية والى قول الثعالبة رجع عبد الله بن باض فبرىء منه اصحابه فهم لا يعرفونه اليوم ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم فما عرفه احد منهم وكان من قول المكرمية هؤلاء ان من اتى كبيرة فقد جهل الله تعالى فهو كافر ليس من اجل الكبيرة كفر لكن لانه جهل الله عز وجل فهو كافر بجهله بالله تعالى وقالت طائفة من الخوارج

اشتركا في العمل خصوصا اذا كانا متفقين غاية الاتفاق ولهذا كانت عادتهم اذا دهمهم أمر ان يجتمع أربعون رجلا من المهذبين المخلصين المتفقين على رأي واحد في الاصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهضمهم حله ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكاد ثقله البكر تثنية يعني المصفدين بالحديد وسنتهم حلق الرؤس واللحى وتعرية الاجساد ماخلا العورة وتصفيد البدن من أوساطهم الى صدورهم لئلا تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الهم وغلبة الفكر ولعلهم رأوا في الحديد خاصية تناسب الاوهام والافالحديد كيف يمنع انشقاق البطن وكثرة الالم كيف يوجب ذلك (أصحاب التناسخ) قد ذكرنا مذاهب التناسخية

ماكان من المعاصي فيه حد كالزنا والسرقة والقذف فليس فاعله كافرا ولا مؤمنا ولا منافقا واما ماكان من المعاصي لاحد فيه فهو كفر وفاعله كافر وقالت الحفصية وهم اصحاب حفص بن ابى المقدام من الاباضية من عرف الله تعالى وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وليس بمشرك وان جهل الله تعالى او جحده فهو حينئذ مشرك وقال بعض اصحاب الحرث الاباضي المنافقون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانوا موحدين لله تعالى اصحاب كبائر ومن حماقاتهم قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه كان يقول كل ذنب صغير او كبير ولو كان اخذ حبة خردل بغير حق او كذبة خفيفة على سبيل المزاح فهي شرك بالله وفاعلها كافر مشرك مخلد في النار الان يكون من اهل بدر فهو كافر مشرك من اهل الجنة وهذا حكم طلحة والزبير رضي الله عنهما عندهم ومن حماقاتهم قول عبد الله بن عيسي تلميذ بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد المذكور فانه كان يقول ان المجانين والبهايم والاطفال مالم يبلغوا الحلم فانهم لا يلمون البتة لشيء مما ينزل بهم من العلل وحجته في ذلك ان الله تعالى لا يظلم احدا

(قال ابو محمد) لعمري لقد طرد أصل المعتزلة وان من خالفه في هذه المثلوث في الحماقة متكسع في التناقض

(ذكر شنع المعتزلة)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة باسرها حاشا ضرار بن عبد الله الغطفاني الكوفي ومن وافقه كحفص الفرد وكاثوم واصحابه ان جميع افعال العباد من حركاتهم وسكونهم في أفوالهم وأفعالهم واعمالهم وعقودهم لم يخلقها الله عز وجل ثم اختلفوا فقالت طائفة خلقها فاعلوها دون الله تعالى وقالت طائفة هي افعال موجودة لاحالق لها أصلا وقالت طائفة هي افعال الطبيعة وهذا قول أهل الدهر بلا تكلف وقالت المعتزلة كلها حاشا ضرار بن عمرو المذكور وحاشا أبا سهل بشر بن المعتمر البغدادي النخاس بالرقيق ان الله عز وجل لا يقدر البتة على لطف يلطف به الكافر حتى يؤمن ايمانا يستحق به الجنة والله عز وجل ليس في قوته احسن مما فعل بنا وان هذا الذي فعل هو منتهى طاقته وآخر قدرته التي لا يمكنه ولا يقدر على اكثر

(قال ابو محمد) هذا تعجيز مجرد للباري تعالى ووصف له بالنقص وكلهم لا يحاشي أحدا يقول انه لا يقدر على المحال ولا على ان يجعل الجسم ساكنا متحركا معا في حال واحدة ولا على ان يجعل انسانا واحدا في مكانين معا

(قال ابو محمد) وهذا تعجيز مجرد لله تعالى وايجاب النهاية والانقضاء لقدرته تعالى الله عن ذلك وقال ابو الهذيل بن مكحول العلاف مولى عبد القيس بصري احد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم ان لم يقدر الله تعالى عليه آخرا لقدرته نهاية لو خرج الى الفعل لم يقدر الله تعالى بعد ذلك على شيء اصلا ولا على خلق ذرة فما فوقها ولا احياء بعوضة ميتة ولا على تحريك ورقة فما فوقها ولا على ان يفعل شيئا اصلا

(قال ابو محمد) وهذه حالة من الضعف والمهانة والعجز قدر تفت البق والبراغيث والدود مدة حياتها عنها وعن ان توصف بها وهذا كفر مجرد لاخفاء به وزعم ابو الهذيل ايضا ان اهل الجنة واهل النار تفنى حركاتهم حتى يصيروا جمادا لا يقدرون على تحريك شيء من اعضائهم ولا على البراح من مواضعهم وهم في تلك الحال متلذذون ومتالمون الا انهم

وما من ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راسخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك فاما تناسخيه الهند فاشد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيتم على شجرة وهو أبدا كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فيبرق منه نار تلتهب فيحترق الطير ويسيل دمه منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مغارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق من هذا الدهن مثله طير فيطير ويقع على الشجرة وهو أبدا كذلك قالوا فاذا مثل الدنيا وأهلها في الادوار والاكوار الاكذلك قالوا واذا كانت حركات

لا يأكلون ولا يشربون ولا يطئون بعد هذا أبدا وكان يزعم أيضا لما يعلمه عز وجل اخرا نهاية وكلا لا يعلم الله شيئا سواه وادعى قوم من المعتزلة انه تاب عن هذا الطوام الثلاث

قال ابو محمد هذا لا يصح وانما ادعوا ذلك حياء من هذه الكفرات الصلع لامامهم امام الضلالة وذكر عن ابي الهذيل ايضا انه قال ان الله عز وجل ليس خلافا لخلقه والعجب انه مع هذا الاقوام العظيم ينكر التشبيه وهذا عين التشبيه لانه ليس الاخلاف او مثل او ضد فاذا بطل ان يكون خلافا وضدا فهو مثل ولا يتعالى الله عن هذا علوا كبيرا وكان ابو الهذيل يقول ان الله لم يزل عالما وكان ينكر ان يقال ان الله لم يزل سميعا بصيرا

قال ابو محمد وهذا خلاف القرآن لان الله عز وجل قال * وكان الله سميعا بصيرا * كما قال * وكان الله عليما حكيما * وكلاهما قال ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من مات كافرا فانه لا يؤمن ابدا وانه تعالى حكم وقال ان ابا لهب وامرأته سيصليان النار كافرين ثم قطعوا كلاهما بان ابا لهب وامرأته كانا قادرين على الايمان على ان لا تمسهما النار وانهما كان ممكنا لهما تكذيب الله عز وجل وانهما كانا قادرين على ابطال علم الله عز وجل وعلى ان يجعلاه كاذبا في قوله هذا نص قولهم بلا تاويل قال وكان ابراهيم بن سيار النظام ابو اسحاق البصري مولى بني بحير بن الحارث بن عباد الضبعي اكبر شيوخ المعتزلة ومقدمة علمائهم يقول ان الله تعالى لا يقدر على ظلم احد اصلا ولا على شيء من الشر وان الناس يقدرون على كل ذلك وانه تعالى لو كان قادرا على ذلك لكنا لا نامن ان يفعله او انه قد فعله فكان الناس عنده انهم قدرة من الله تعالى وكان يصرح بان الله تعالى لا يقدر على اخراج أحد من جهنم ولا اخراج احد من اهل الجنة عنها ولا على طرح طفل من جهنم وان الناس وكل واحد من الجن والملائكة يقدرون على ذلك فكان الله عز وجل عنده اعجز من كل ضعيف من خلقه وكان كل احد من الخلق انهم قدرة من الله تعالى وهذا الكفر المجرد الذي نعوذ بالله منه ومن العجب اتفاق النظام والعلاف شيخي المعتزلة على انه ليس يقدر الله تعالى من الخير على اصلح مما عمل فاتفقا على ان قدرته على الخير متناهية ثم قال النظام انه تعالى لا يقدر على الشر جملة فجعله عديم قدرة على الشر عاجزا عنه وقال العلاف بل هو قادر على الشر جملة فجعل ربه متناهي القدرة على الخير وغير متناهي القدرة على الشر فهل سمع باخبث صفة من الصفة التي وصف بها العلاف ربه وهل في الموصوفين اخبث طبيعة من الموصوف الذي ادعى العلاف انه ربه ونعوذ بالله مما ابتلاهم به واما ابو المعتمر معمر بن عمر والعطار البصري مولى بني سليم احد شيوخهم واثمتهم فكان يقول بان في العالم اشياء موجودة لا نهاية لها ولا يحصيها الباري تعالى ولا احد ايضا غيره ولا لها عنده مقدار ولا عدد وذلك انه كان يقول ان الاشياء تختلف بمعان فيها وان تلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وتلك المعاني تختلف بمعان اخر فيها وهكذا بلا نهاية ايضا تكذيب واضح لله تعالى في قوله * وكل شيء عنده بمقدار * وفي قوله تعالى * واحصى كل شيء عددا . ووافقته الدهرية في قولهم بوجود اشياء لا نهاية لها وعلى هذا طائفة المعتزلة بالبصرة عند السلطان حتى فر الى بغداد ومات بها مختفيا عند ابراهيم بن السيد بن شاهك بوكان معمر ايضا يزعم ان الله عز وجل لم يخلق شيئا من الالوان ولا طعما ولا عرضا ولا طعما ولا رائحة ولا خشونة ولا املاسا ولا حسنا ولا قبيحا ولا صوتا ولا قوة ولا ضعفا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا مرضا ولا صحة ولا عافية ولا سقما ولا عمى ولا بكما ولا بصرا

الافلاك دورية ولا محالة يصل رأس الفرجار الى ما بدا ودار دورة ثانية على الخط الاول أفاد لا محالة ما أفاد الدور الاول اذ لم يكن اختلاف بين الدورين حتى يتصور اختلاف بين الامرين فان المؤثرات عادت كما بدأت والنجوم والافلاك دارت على المركز الاول وما اختلفت أبعادها واتصالاتها ومناظراتها ومناسباتها بوجه فيجب ان لا يختلف المتاثرات الماديات منها بوجه وهذا هو تناسخ الادوار والاكوار ولهم اختلاف في الدورة الكبرى كم هي من السنين وأكثرهم على ثلاثين الف سنة وبعضهم على ثلاثة آلاف سنة وستين الف سنة وانما

ولاصحا ولافصاحة ولافسادا للاشمار ولاصلاحها وان كل ذلك فعل الاجسام التى وجدت فيها هذه الاعراض بطباعها فاعلموا ان هذا الفاسق قد اخرج نصف العالم عن خالق الله تعالى لانه ليس للعالم شيء الا الجواهر الحاملة والاعراض المحمولة فقط فالنصف الواحد عنده غير مخلوق لانه الله من مكذب لله تعالى فى نص قوله تعالى * خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا * وقد عورض معمر بهذه الاية فقال انما اراد انه خلق الاماتة والاحياء وذكر عنه انه كان ينكر ان يكون الله عز وجل عالما بنفسه وذلك لان العالم انما يعلم غيره ولا يعلم نفسه وكان يزعم ان النفس ليست جسما ولاعرضا ولاهي فى مكان اصلا ولا تماس شيئا ولا تباينه ولا تتحرك ولا تسكن

(قال ابو محمد) وهذا قول اهل الالحاد محضا بلا تاويل يعنى القائلين منهم بقدم النفس وانها الحالة للانسان نعوذ بالله من الضلال وكان يقول ان الله تعالى لا يعلم نفسه ولا يجهلها لان العالم غير المعلوم ومحال ان يقدر على الموجودات او ان يعلمها وان يجهلها وقال ابو العباس عبد الله بن محمد الانبارى المعروف بالناشى وافقه شر سير فى كتابه فى المقالات ان الله تعالى عن كفره لا يقدر على ان يسوى بنان الانسان بعد ان سبق فى علمه انه لا يسويها (قال ابو محمد) وهذا تكذيب محض لله تعالى فى قوله * ايحسب الانسان ان نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوى بنانه * ورأيت للجاحظ فى كتابه البرهان لو ان سائلا سأله وقال ايقدر الله على ان يخلق قبل الدنيا دنيا أخرى فجوابه نعم يعنى انه يخلق تلك الدنيا حين خلق هذه فتكون مثل هذه

(قال ابو محمد) هذا تعجيز منه للبارى تعالى كما قدمنا اذ لم تحصل له تعالى قدرة على خلق دنيا قبل هذه الا على الوجه الذى ذكره واما على غيره فلا فان قيل كيف تجيبون قلنا اجوابنا نعم على الاطلاق فان قيل لنا كيف يصح هذا السؤال وانتم تقولون انه لا يجوز ان يقال ان قبل العالم شيئا لان قبل وبعد من الزمان ولا زمان هنالك قلنا معنى قولنا نعم اى انه تعالى لم يزل قادرا على ان يخلق عالما لو خلقه لكان له زمان قبل زمان هذا العالم وهكذا ابدا وبالله تعالى التوفيق واما ضرار بن عمر فانه كان يقول ان ممكنا ان يكون جميع من فى الارض ممن يظهر الاسلام كفارا كلهم فى باطن امرهم لان كل ذلك جائز على كل واحد منهم فى ذاته ومن حماقات ضرار انه كان يقول ان الاجسام انما هى اعراض مجتمعة وان النار ليس فيها حر ولا فى الثلج برد ولا فى العسل حلاوة ولا فى الصبر مرارة ولا فى العنب عصير ولا فى الزيتون زيت ولا فى العروق دم وان كان ذلك انما يخلقه الله عز وجل عند القطع والذوق والعصر واللمس فقط واما ابو عثمان عمرو بن الجاحظ القصرى الكنانى صليبة وقيل بل مولى وهو تلميذ النظام واحد شيوخ المعتزلة فانه كان يقول ان الله تعالى لا يقدر على افناء الاجسام البتة الا ان يرققها ويفرق اجزائها فقط واما اعدامها فلا يقدر على ذلك اصلا وأما ابو معمر وثمامة بن اشرس النميرى صليبة بصرى احد شيوخ المعتزلة وعلمائهم فذكر عنه انه كان يقول ان العالم فعل الله عز وجل بطباعه تعالى الله عن هذا الكفر الشنيع علوا كبيرا وكان يزعم ان المقلدين من اليهود والنصارى والمجوس وعباد الاوثان لا يدخلون النار يوم القيامة لكن يصيرون ترابا وان كل من مات من اهل الاسلام والايمان المحض والاجتهاد فى العبادة مصرا على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر ونحوها وان كان لم يواقع ذلك الامرة

يعتبرون فى تلك الادوار سير الثوابت لا السيارات وعند الهند أكثرهم ان ذلك مركب من الماء والنار والريح وان الكواكب فيه نارية هوائية فلم يعدم الموجودات العلوية الا العنصر الارضي فقط أصحاب الروحانيات) ومن اهل الهند جماعة اثبتوا متوسطات روحانية يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل فى صورة البشري من غير كتاب فيأمرهم بشياء وينهاهم عن أشياء ويسن لهم الشرائع ويبين لهم الحدود وانما يعرفون صدقه بتنزهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الاكل والشرب والمال وغيرها (البسرية) زعموا ان رسولهم

في الدهر فانه مخلد بين اطباق النيران ابداهم فرعون وابي لهب وابي جهل
(قال أبو محمد) فاي كفر أعجب من قول من يقول أن كثيراً من الكفار لا يدخلون النار وان كثيرا من المسلمين لا يدخلون الجنة وكان ثمامة يقول ان ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع اولاد المسلمين الذين يموتون قبل الحلم وجميع مجانين الاسلام لا يدخلون الجنة ابدا لكن يصيرون ترابا واما هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة فكان يقول اذا خلق الله تعالى شيئا فانه لا يقدر على ان يخلق مثل ذلك الشيء ابدا لكن يقدر على ان يخلق غيره والغيران عنده لا يكونان مثلين وكان لا يجيز لاحد أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ولا ان الله يعذب الكفار بالنار ولا انه يحيي الارض بالمطر ويروي هذا القول والقول بان الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء ضلالا والحادا

(قال ابو محمد) وهذا رد على الله جهارا وكان يقول لا يحل القول بشيء من هذا الا عند قراءة القرآن فقط وكان يقول قولوا حسبنا الله ونعم المتوكل عليه وكان يقول قولوا ان الله يعذب الكفار في النار ويحيي الارض عند نزول المطر وكان لا يجيز القول بان الله الف بين قلوب المؤمنين ولا ان القرآن عما على الكافرين وكان يقول ان من هو الآن مؤمن عابد الان في علم الله انه يموت كافرا فانه الآن عند الله كافر وان من كان الان كافرا مجوسيا او نصرانيا او دهريا او زنديقا الان في علم الله عز وجل انه يموت مؤمنا فانه الان عند الله مؤمن واما عباد بن سليمان تلميذ هشام الفوطي المذكور فكان يزعم ان الله تعالى لا يقدر على غير ما فعل من الصلاح ولا يجوز ان يقال ان الله خلق المؤمنين ولا انه خلق الكافرين ولكن يقال خلق الناس وذلك زعم لان المؤمن عنده انسان وايمان والكافر انسان وكفر وان الله تعالى انما خلق عنده الانسان فقط ولم يخلق الايمان ولا الكفر وكان يقول ان الله تعالى لا يقدر على ان يخلق غير ما خلق وانه تعالى لم يخلق الجماعة ولا الانحطب وكلهم يزعم ان الله تعالى لم يامر الكفار قط بان يؤمنوا في حال كفرهم ولا نهى المؤمنين قط عن الكفر في حال ايمانهم لانه لا يقدر احد قط على الجمع بين الضدين المتضادين

(قال ابو محمد) وهم مقرون ان الله تعالى لم يزل يعلم ان من يؤمن بعد كفره فانه لا يزال في كفره الى ان يؤمن وان من يكفر بعد ايمانه فانه لا يزال في ايمانه حتى يكفر وان من لا يؤمن من الكفار ابدا فانه لا يزال في كفره الى ان يموت وان من لا يكفر من المؤمنين فانه لا يزال في ايمانه الى ان يموت وليس احد من المذكورين يخرج عن احد هذه الوجوه الاربعة ضرورة فاذا كان عندهم لم يؤمر قط كافر بالايمان في حال كفره ولا نهى مؤمن عن الكفر في حال ايمانه فان من لم يزل مؤمنا الى ان مات لم ينهه الله عز وجل عن الكفر قط وان من لم يزل كافرا الى ان مات فان الله لم يامره قط بالايمان وان الله تعالى لم يامر قط بالايمان من آمن بعد كفره الا حين آمن ولا نهى قط عن الكفر من كفر بعد ايمانه الا حين كفر وهذا تكذيب مجرد لله تعالى في امره الكفار واهل الكتاب بالايمان ونهيه المؤمنين عن الكفر وكان بشر بن المعتمر ايضا يقول ان الله تعالى لم يخلق قط لونا ولا طعما ولا رائحة ولا ملمسة ولا شدة ولا ضعفا ولا عما ولا بصرا ولا سمعا ولا صمما ولا جبنا ولا شجاعة ولا كشفا ولا عجزا ولا صحة ولا مرضا وان الناس يفعلون كل ذلك فقط واما جعفر القمي

ملك روحاني نزل من السماء على صورة بشر فامرهم بتعظيم النار وان يتقربوا اليها بالعطر والطيب والادهان والذبائح ونهاهم عن القتل والذبح الا ما كان للنار وسن لهم ان يتوشحوا بخيط يعقدونه من مناكبهم الايامن الى تحت شمائلهم ونهاهم أيضا عن الكذب وشرب الخمر وان لا ياكلوا من أطعمة غير ملتهم ولا من ذبائحهم وأباح لهم الزنا لئلا ينقطع النسل وأمرهم ان يتخذوا على مثاله صنما يتقربون اليه ويعبدونه ويطوفون حوله كل يوم ثلاث مرات بالمعازف والتبخير والغنا والرقص وأمرهم بتعظيم البقر والسجود لها حيث رأوها ويفزعوا في التوبة الى

بايع القصب والاشيح وممامن رؤسائهم فكانا يقولان ان القرآن ليس هو في المصاحف انما
في المصاحف شيء آخر وهو حكاية القرآن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد وخلاف جميع اهل الاسلام قديما وحديثا وكان علي
الاسواري البصري أحد شيوخ المعتزلة يقول أن الله عز وجل لا يقدر علي غير ما فعل وان
من علم الله تعالى انه يموت ابن ثمانين سنة فان الله لا يقدر علي ان يميته قبل ذلك ولا ان
يبقيه طرفة عين بعد ذلك وان من علم الله تعالى من مرضه يوم الخميس مع الزوال مثلا فان
الله تعالى لا يقدر علي ان يبريه قبل ذلك لا بما قرب ولا بما بعد ولا علي ان يزيد في مرضه
طرفة عين فما فوقها وان الناس يقدرون كل حين علي اماتة من علم الله ان لا يموت الا وقت
كذا وان الله لا يقدر علي ذلك وهذا كفر ما سمع قط بأظلم منه واما ابو غفار أحد شيوخ
المعتزلة فكان يزعم ان شحم الخنزير ودماغه حلال

(قال أبو محمد) وهذا كفر صريح لاخفاء به وكان يزعم ان تفخيذ الرجال الذكور حلال
وقد ذكر هذا عن ثمامة أيضا وكل هذا كفر محض واما أحمد بن خابط والفضل الحربي
النصرانيان وكانا تلميذين لابراهيم النظام فكانا يزعمان ان للعالم خالقين احدهما قديم وهو
الله تعالى والآخر حادث وهو كلمة الله عز وجل المسيح عيسى بن مريم التي بها خلق العالم
وكانا لعنهما الله يطعنان على النبي صلى الله عليه وسلم بالتزويج وان اباذر كان ازهد منه وكان
أحمد بن خابط يزعم ان الذي يجيء به يوم القيامة مع الملائكة صفا صفا في ظلل من الغمام
انما هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وان الذي خلق آدم على صورته انما هو المسيح
عيسى بن مريم عليه السلام وان المسيح هو الذي يحاسب الناس يوم القيامة وكان احمد بن
خابط لعنه الله يقول ان في كل نوع من انواع الطير والسمك وسائر حيوان البر حتى البق
والبراغيث والقمل والقرود والكلاب والفيران والتيوس والحمير والدود والوزغ والجعلان
انبياء الله تعالى رسالة الى انواعهم مما ذكرنا من سائر الانواع وكان لعنه الله يقول بالتناسخ
والكرور وان الله تعالى ابتدأ جميع الخلق فخلقهم كلهم جملة واحدة بصفة واحدة ثم امرهم
ونهاهم فمن عصى منهم نسخ روحه في جسد بهيمة فالعتال يبتلى بالريح كالغنم والابل والبقر
والدجاج وغير ذلك من البراغيث وكل ما يقتل في الاغلب وان من كان منهم في فسقه وقتله
للناس عنيفا كوفي بالقوة على السفناد كالتيس والعصفور والكبش وغير ذلك ومن كان
زانيا او زانية كوفيا بالمنع من الجماع كالبغال والبغلات ومن كان جبارا كوفي بالمهانة كالدود
والقمل ولا يراوحون كذلك حتى يقتص منهم ثم يردون فمن عصى منهم كرر ايضا كذلك
هكذا ابدا حتى يطيع طاعة لا معصية معها فينتقل الى الجنة من وقته او يعصي معصية لا
طاعة معها فينتقل الى جهنم من وقته وانما حمله على القول بكل هذا لزومه اصل المعتزلة في
العدل وطرده اياه وهشيه معه واعلموا ان كل من لم يقل من المعتزلة بهذا القول فانه متناقض
تارك لا صلهم في العدل وكان لعنه الله يقول ان للثواب دارين احداهما لا اكل فيها ولا
شرب وهي ارفع قدرا من الثانية والثانية فيها اكل وشرب وهي انقص قدرا

(قال ابو محمد) هذا كله كفر محض وكان لهذا الكافر احمد بن خابط تلميذ على مذهبه
يقال له أحمد بن سابوس كان يقول بقول معلمه في التناسخ ثم ادعى النبوة وقال انه المراد
بقول الله عز وجل ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وكان محمد بن عبد الله بن مرة

التمسيح بها وامرهم ان لا يجوزوا غير الكنك (لباهودية زعموا ان رسولهم ملك روحاني على صورة بشر واسمه باهودية اتام وهو راكب على ثور على رأسها كاليل مكلل بنظام اللوتي من عقائم الروس ومتقلد من ذلك بقلادة باحدى يديه قحف انسان وبالاخري مزراق ذو ثلاث شعب يامرهم بعبادة الخالق عز وجل وبعبادته معه وان يتخذوا علي مثاله صنما يعبدونه وان يعافوا شيئا وان تكون الاشياء كلها في الربقة واحدة لانها جميعا صنع الخالق وان يتخذوا من عظام الناس قلائد يقلدونها واكاليل يضعونها علي رؤسهم وان يمسحوا

بن نجيح الاندلسي يوافق المعتزلة في القدر وكان يقول ان علم الله وقدرته صفتان محدثتان مخلوقتان وان الله تعالى علمين احدهما احدثه جملة وهو علم الكتاب وهو علم الغيب كعلمه انه سيكون كفار ومؤمنون والقيامة والجزا ونحو ذلك والثاني علم الجزئيات وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وايمان عمر ونحو ذلك فانه لا يعلم الله تعالى من ذلك شيئا حتى يكون وذكر قول الله تعالى * عالم الغيب والشهادة *

(قال ابو محمد) وهذا ليس كما ظن بل على ظاهره انه يعلم ما تفعلون وان اخفيتم ويعلم ما غاب عنكم مما كان او يكون او هو كائن

(قال ابو محمد) وانما حمله على هذا القول طرده لاصول المعتزلة حقا فان من قال منهم ان الله تعالى لم يزل يعلم ان فلانا لا يؤمن ابدا وان فلانا لا يكفر ابدا ثم جعل الناس قادرين على تكذيب كلام ربهم وعلى ابطال ما لم يزل وهذا تناقض فاحش لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان وكان من اصحابه جماعة يكفرون من قال انه عز وجل لم يزل يعلم كل ما يكون قبل ان يكون وكان من اصحاب مذهبه رجل يقال له اسماعيل ابن عبد الله الرعيني متاخر الوقت وكان من المجتهدين في العبادة المنقطعين في الزهد وادركته الا انى لم القه ثم احدث اقوالا سبعة فبرىء منه سائر المرية وكفروه الا من اتبعه منهم فيما احدث قوله ان الاجساد لا تبعث ابدا وانما تبعث الارواح صح هذا عندنا عنه وذكر عنه أنه كان يقول انه حين موت الانسان وفراق روحه لجسده تلقى روحه الحساب ويصير اما الى الجنة او الى النار وانه كان لا يقر بالبعث الاعلى هذا الوجه وانه كان يقول ان العالم لا يفنى ابدا بل هكذا يكون الامر بلا نهاية وحدثنى الفقيه ابو احمد المعار في الطليطلي صاحبنا احسن الله ذكره قال اخبرني يحيى بن احمد الطبيب وهو ابن ابنة اسماعيل الرعيني المذكور قال ان جدى كان يقول ان العرش هو المدبر للعالم وان الله تعالى اجل من ان يوصف بفعل شيء اصلا وكان ينسب هذا القول الى محمد بن عبد الله بن مسرة ويحتج بالفاظ في كتبه ليس فيها لعمري دليل على هذا القول وكان يقول لسائر المرية انكم لن تفهموا عن الشيخ فبرئت منه المرية ايضا على هذا القول وكان احمد الطبيب صهره ممن برىء منه وتشيعت ابنته على هذه الاقوال متبعة لابيها مخالفة لزوجها وابنها وكانت متكلمة ناسكة مجتهدة ووافقت اباها رون بن اسماعيل الرعيني على هذا القول فانكره وبرىء من قائله وكذب ابن اخيه فيما ذكر عن ابيه وكان مخالفوه من المرية وكثير من موافقيه ينسبون اليه القول باكتساب النبوة وان من بلغ الغاية من الصلاح وطهارة النفس ادرك النبوة وانها ليست اختصاصا اصلا وقد رأينا منهم من ينسب هذا القول الى ابن مرة ويستدل على ذلك بالفاظ كثيرة في كتبه هي لعمري لتشير الى ذلك ورأينا سائرهم ينكر هذا فالله اعلم ورأيت انا من اصحاب اسماعيل الرعيني المذكور من يصفه بفهم منطق الطير وبانه كان ينذر باشياء قبل ان تكون فتكون وأما الذي لا شك فيه فانه كان عند فرقته اماما واجبة طاعته يؤدون اليه زكاة اموالهم وكان يذهب الى ان الحرام قد عم الارض وانه لا فرق بين ما يكتسبه المرء من صناعة او تجارة او ميراث أو بين ما يكتسبه من الرفاق وان الذي يحل للمسلم من كل ذلك قوته كيف ما اخذه هذا امر صحيح عندنا عنه يقينا واخبرنا عنه بعض من عرف باطن امورهم انه كان يرى الدار دار كفر مباحة دماؤهم واموالهم الا اصحابه فقط وصح عندنا عنه كان يقول بنكاح المتعة وهذا لا يقدح في ايمانه ولا في عدالته لو قاله مجتهدا

اجسادهم ورؤسهم بالرماد وحرم عليهم الذبائح وجمع الاموال وامرهم برفض الدنيا ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة الكابليه زعموا ان رسولهم ملك روحانى يقال له شب اتاهم فى صورة بشر متمسح بالرماد على رأسه قلنسوة من لبود أحمر طولها ثلاثة اشبار محيط عليه صفائح من تحف الناس متقلد قلادة من اعظم ما يكون متمنطق من ذلك بمنطقه مقسور منها بسوار متخيل منها بخلخال وهو عريان فامرهم أن يتزينوا بزينته وان يتزيوا بزيه وسن لهم شرائع وحدود (البهادونية) قالوا ان بهادون كان ملكا عظيما اتانا فى صورة انسان عظيم وكان له اخوان قتلاه

ولم تقم عليه الحجة بنسخة لو سلم من الكفرات الصلع التي ذكرنا وانما ذكرنا عنه ما جرى انا من ذكره ولغرابة هذا القول اليوم وقلة القائلين به من الناس ورأيت لابي هاشم عبد السلام بن محمد عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة وابن كبيرهم القطع بان الله تعالى أحوالا مختصة به وهذه عظيمة جدا اذ جعله حاملا للاعراض تعالى الله عن هذا الافك ورأيت له القطع في كتبه كثيرا يردد القول بانه يجب على الله ان يزيح علل العباد في كل ما أمرهم به ولا يزال يقول في كتبه ان امر كذا لم يزل واجبا على الله

(قال ابو محمد) وهذا كلام تقشعر منه ذوائب المؤمن ليت شعري من الموجب ذلك على الله تعالى والحاكم عليه بذلك والملزم له ما ذكر هذا النذل لزومه للباري تعالى ووجوبه عليه فيالله لمن قال ان الفعل أوجب ذلك على الله تعالى أو ذكر شيئا دونه تعالى ليصرحن بان الله تعالى هو المتعبد الذي اوجب عليه ما اوجب محكوم عليه مدبر وانه للكفر الصراح ولئن قال انه تعالى هو الذي أوجب ذلك على نفسه فالايجاب فعل فاعل لاشك فان كان الله لم يزل موجبا ذلك على نفسه فلم يزل فاعلا فالافعال قديمة ولابد لم تزل وهذه دهرية محضة وان كان تعالى أوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن موجبا له فقد بطل انتفاعه بهذا القول في اصله الفاسد لانه قد كان تعالى غير واجب عليه ما ذكر ورأيت لبعض المعتزلة سؤالا سائل عنه أبا هاشم المذكور يقول فيه ما بال كل من بعثه النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الى الاسلام الى اليمن والبحرين وعمان والملوك وسائر البلاد وكل من يدعو الى مثل ذلك الى يوم البعث لا يسمى رسول الله كما سمي محمد عليه السلام اذ أمره الملك عن الله عز وجل بالدعاء الى الاسلام والامر واحد والعمل سواء

(قال ابو محمد) فاعجبوا لتلاعب ابليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من ان يكلكم الى أنفسكم فحق لمن دينه ازريه لا يقدر على ان يهديه ولا على ان يضله ان يتمكن الشيطان منه هذا التمكن ولعمري ان هذا السؤال لقد لزم اصل المعتزلة المضل لهم ولمن التزمه والمورد لجميعهم نار جهنم وهو قولهم ان التسمية موكولة الينا لا الى الله عز وجل ورأيت لهذا الكافر ابي هاشم كلاما رد فيه بزعمه على من يقول انه ليس لاحد ان يسمي الله عز وجل الا بما سمى به نفسه فقال هذا النذل لو كان هذا ولم يجز لاحد ان يسمي الله تعالى عز وجل الا بما سمى به نفسه لكان غير جائز لله أن يسمي به نفسه باسم حتى يسميه به غيره

(قال ابو محمد) فهل يأتي المغرور باقبح من هذا الاستدلال وهل في التسمية اكثر من هذا ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من ان يكلنا الى انفسنا طرفة عين فنهلك وكان ابو هاشم ايضا يقول انه لو طال عمر المسلم المحسن لجاز ان يعمل من الحسنات والخير اكثر مما عمل النبي صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) لا والله ولا كرامة ولو عمر أحدنا الدهر كله في طاعات متصلة ما وازى عمل امرئ صحب النبي صلى الله عليه وسلم من غير المنافقين والكفار المجاهرين ساعة واحدة فما فوقها مع قوله صلى الله عليه وسلم انه لو كان لاحدنا مثل احد ذهبا فانفقه ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه فمتى يطمع ذو عقل ان يدرك احدا من الصحابة مع هذا القول المتيقن ادراكه قطعا وكان ابو هاشم المذكور يقول انه لا يقبل توبة احد من ذنب عمله اي ذنب كان حتى يتوب من جميع الذنوب

وعرضا من جلدته الارض ومن عظامه الجبال ومن دمه البحار وقيل هذا رمز والا فحال صورة البشر لا تبلغ الى هذه الدرجة وصورة بهادون راكب على دابة كثير الشعر قد أسبله على وجهه وقد قسم الشعر على جوانب رأسه قسمة مستوية وأسبلها كذلك على نواحي الرأس نفا ووجها وامرهم ان يفعلوا كذلك وسن لهم ان لا يشربوا الخمر واذا رأوا امرأة هربوا منها وان يحجوا الى جبل يدعى جورعن وعليه بيت عظيم فيه صورة بهادون وبذلك البيت سدنة لا يكون الفتاح الا بايديهم فلا يدخلون الا باذنهم فاذا فتحوا الباب سدوا افواههم

﴿قال ابو محمد﴾ وحقا اقول لقد طرد اصل المعتزلة الذى اطبقوا عليه من اخراج المرء عن الاسلام جملة بذنب واحد عمله يصر عليه وايجابهم الخلود فى النار عليه بذلك الذنب وحده فلو كان هذا لكان ابو هاشم صادقا اذلا منفعة له عندهم في تركه كل ذنب وهو بذنب واحد يصر عليه خارج عن الايمان مخلد بين اطباق النيران وما ينكر هذا عليه من المعتزلة الاجاهل باصولهم اوعامد للتدقيض وكان يقول ان تارك الصلاة وتارك الزكاة عامدا لكل ذلك لم يفعل شيئا ولا اذنب ولا عصى وانه مخلد بين اطباق النيران ابدا على غير فعل فعله ولا على شيء ارتكبه

﴿قال ابو محمد﴾ فهل فى التجويز لله على اصولهم وهل فى مخالفة الاسلام جهارا اكثر من هذا القول السخيف وكان الذى حمله على قوله هذا قوله انه ترك الفعل ليس فعلا وجميع المعتزلة الاهشام بن عمرو الفوطى يزعمون ان المعدومات اشياء على الحقيقة وانها لم تزل وانها لا نهاية لها

(قال ابو محمد) وهذه دهرية بلا مطل واشياء لانهاية لها لم تزل غير مخلوقة وكان عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط من اكابر المعتزلة ببغداد ممن يقول ان الاجسام المعدومة لم تزل اجساما بلانهاية لها الا فى عدد ولا فى زمان غير مخلوقة وقال ابو محمد عبد الله الاسكافى احد رؤساء المعتزلة ان الله تعالى لم يخلق الطنابير ولا المزامير ولا المعازف

﴿قال ابو محمد﴾ كان من تمام هذا الكفر ان يقول ان الله لم يخلق الخمر ولا الخنازير ولا مردة الشياطين وقالت المعتزلة باسرها حاشا بشر بن المعتمر وضرار ابن عمر وانه لا يحل لاحد تمنى الشهادة ولا ان يريدها ولا ان يرضاها لانها تغليب كافر على مسلم وانما يجب على المسلم ان يحب الصبر على الم الجراح فقط اذا اصابته

(قال ابو محمد) وهذا خلاف دين الاسلام والقرآن والسنن والاجماع المتيقن وقالوا كلهم حاشا ضرار و بشرا ان الله لم يمت رسولا ولا نبيا ولا صاحب نبي ولا امهات المؤمنين وهو يدري انهم لو عاشوا فعلوا خيرا لكن امات كل من امات منهم اذ علم انه لو ابقاه طرفة عين لكفروا اوفسق ولا بد هذا قولهم فى ابى بكر وعمر وعلي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة وخديجة نعم وفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وموسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام فاعجبوا لهذه الضلالات الوحشية وكان الجعد وهو من شيوخهم يقول اذا كان الجماع يتولد منه الولد فانا صانع ولدى ومدبره وفاعله لا فاعل له غيرى وانما يقال ان الله خلق مجازا لا حقيقة فاخذ ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى الطرف الثانى من الكفر فقال ان تعالى خلق الحبل والموت وكل من فعل شيا فهو منسوب اليه فان الله تعالى هو محبل النساء وهو احبل مريم بنت عمران

(قال ابو محمد) يلزم ولا بد اذا كان اولادنا خلقا لله عز وجل ان يضيفهم اليه فيقول م ابناء الله والمسيح ابن الله ولا بد وقال ابو عمرو أحمد بن موسى بن احدير صاحب السكة وهو من شيوخ المعتزلة فى بعض رسائله التى جرت بينه وبين القاضى منذر بن سعيد رحمه الله ان الله عاقل واطلق عليه هذا الاسم وقال بعض شيوخ المعتزلة ان العبد اذا عصى الله عز وجل طبع على قلبه فيصير غيورا ولا مروءة واما حماقاتهم فان ابا الهذيل العلاف قال

حتى لا تصل انفاسهم الى الصنم ويذبحون له الذبائح ويقربون له القرابين ويهدون له الهدايا واذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فى طريقهم ولم ينظروا الى محرم ولم يصلوا الى احد بسوء وضرر من قول وفعل (عبدة الكواكب) ولم ينقل للهند مذهب فى عبادة الكواكب الا فرقتان توجهتا الى النيرين الشمس والقمر ومذهبهم فى ذلك مذهب الصابئة فى توجههم الى الهياكل السموية دون قصر الربوبية والالهية عليها عبدة الشمس زعموا ان الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل ومنها نور الكواكب وضياء العالم وتكون الموجودات

من سرق خمسة دراهم اوقيمتها فهو فاسق منسلخ من الاسلام مخلد أبدا في النيران الاان يتوب وقال بشر بن المعتمر ان من سرق عشرة دراهم غير حبة فلا اثم عليه ولا وعيد فان سرق عشرة دراهم خرج عن الاسلام ووجب عليه الخلود الاان يتوب وقال النظام ان سرق ماتي درهم خرج عن الاسلام ولزمه الخلود الا ان يتوب وقال أبو بكر احمد بن علي بن أحور بن الاخشيد وهو أحد رؤسائهم الثلاثة الذين انتهت رياستهم اليهم وافترقت المعتزلة على مذاهبهم والثاني منهم أبو هاشم الجبائي والثالث عبدالله بن محمد بن محمود الباخي المعروف بالكعبي وكان والد أحمد بن علي المذكور احد قواد الفراعنة وولي الثغور للمعتضد وللمكتفي فكان من قول احمد المذكور ان من ارتكب كل ذنب في الدنيا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره من القتل فدونه الا انه ندم أثر فعله فقد صحت توبته وسقط عنه ذلك الذنب ابدا وهكذا ابدا متى عاد لذلك الذنب أو لغيره

(قال أبو محمد) هذا قول لم يبلغه جماهير المرجئة وهو مع ذلك يدعى القول بانفاذ الوعد والوعيد وماطي اديم الارض مسلم لا يندم على ذنبه وقال عبد الرحمن تلميذ ابي الهذيل ان الحجة لا تقوم في الاخبار الا بنقل خمسة يكون فيهم ولي لله لا أعرفه بعينه وعن كل واحد من أولئك الخمسة خمسة مثلهم وهكذا أبدا وقال صالح تلميذ النظام ان من رأى رؤيا انه بالهند اوانه قتل اوانه اي شيء راى فانه حق يقين كما رأى كما لو كان ذلك في اليقظة وقال عباد بن سليمان الحواس سبع وقال النظام الالوان جسم وقد يكون جسمان في مكان واحد وكان النظام يقول لا نعرف الاجسام بالاخبار اصلا لكن كل من رأى جسما سواء كان المرئي انسانا اوغير انسان فان الناظر اليه اقتطع منه قطعة اختلطت بجسم الرائي ثم كل من أخبره ذلك الرائي عن ذلك الجسم فان المخبر ايضا اخذ من تلك القطعة قطعة وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) وهذه تصة لولا اننا وجدناها عنه من طريق تلامذته المعظمين له ذكروها في كتبهم عنه ما عرفناها على ذي مسكة من عقل فالزمه خصومه على هذا ان قطعا من جبريل وميكائيل ومن النبي صلى الله عليه وسلم ومن موسى وعيسى وابراهيم عليهم السلام في نار جهنم وان قطعا من فرعون وابليس وابي لهب وابي جهل في الجنة وكان يزعم انه لا سكون في شيء من العالم اصلا وان كل سكون يعلم بتوسط البصر فهو حركة بلاشك وكان معمر يزعم انه لا حركة في شيء من العالم وان كل ما يسميه الناس حركة فهو سكون وكان عباد بن سليمان يقول ان الامة اذا اجتمعت وصلحت ولم تتظالم احتاجت حينئذ الى امام يسوسها ويدبرها وان عصت وفجرت وظلمت استغنت عن الامام وكان ابو الهذيل يقول ان الانسان لا يفعل شيئا في حال استطاعته وانما يفعل بالاستطاعة بعد ذهابها فلزمه خصومه ان الانسان انما يفعل اذا لم يكن مستطيعا واما اذا كان مستطيعا فلا وان الميت يفعل كل فعل في العالم

(قال ابو محمد) وحماقاتهم اكثر من ذلك ونعوذ بالله من الخذلان

شنع المرجئة

(قال ابو محمد) غلاة المرجئة طائفتان احداهما الطائفة الزائلة بان الايمان قول باللسان وان

السفلية وهي ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون الديناكيتية أي عباد الشمس ومن سنتهم ان اتخذوا الها صنما بيده جوهر على لون النار وله بيت خاص بنوه باسمه ووقفوا عليه ضياعا وقرايا وله سدنة وقوام فيتولون البيت ويصلون ثلاث كرات ويأتيه اصحاب العلل والامراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفعون به (عبدة القمر) زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة واليه تدبير هذا العالم السفلي والامور الجزئية فيه ومنه نضج الاشياء المتكونة واتصالها الى كمالها وزيادته

اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول محمد ابن كرام السجستاني واصحابه وهو بخراسان وبيت المقدس والثانية الطائفة الثالثة ان الايمان عقد بالقلب وان اعلن الكفر بلسانه بلا تقية وعبد الاوثان اولزم اليهودية او النصرانية في دار الاسلام وعبد الصليب واعلن التثليث في دار الاسلام ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل ولي لله عز وجل من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز جهم بن صفوان السمرقندي مولى بني راسب كاتب الحارث بن سريج التميمي ايام قيامه على نصر بن سيار بخراسان وقول ابي الحسن علي ابن اسماعيل بن ابي البشر الاشعري البصري واصحابهما فاما الجهمية فبخراسان واما الاشعرية فكانوا ببغداد والبصرة ثم قامت لهسوق بصقلية والقيروان وبالاندلس ثم رق امرهم والحمد لله رب العالمين فمن فضايح الجهمية وشنعهم قولهم بان علم الله محدث مخلوق وانه تعالى لم يكن يعلم شيئا حتى احدث لنفسه علما علم به وكذلك قولهم في القدرة وقال ايضا ان الجنة والنار يفنيان ويفني كل من فيهما وهذا خلاف القرآن والثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلاف اجماع اهل الاسلام المتيقن وقال بعض الكرامية المنافقون مؤمنون من اهل الجنة وقد اطلق ذلك بالمربة محمد بن عيسى الصوفي الالبيري وكانت الفاظه تدل على انه يذهب مذهبهم في التجسيم وغيره وكان ناسكا متقللا من الدنيا واعظا مفوها مهذارا قليل الصواب كثير الخطأ رأيته مرة وسمعته يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يلزمه زكاة مال لانه اختار ان يكون نبيا عبدا والعبد لا زكاة عليه ولذلك لم يورث ولا ورث تا سكت عن معارضته لان العامة كانت تحضره فخشيت لغطهم وتشنيعهم بالباطل ولم يكن معي احد الا يحيى بن عبد الكبير بن واقد كنت اتيت انا وهو معي متنكرين لنسمع كلامه و يلتقني عنه شنع منها القول بحلول الله فيما شاء من خلقه اخبرني عنه بهذا ابو احمد الفقيه المعافري عن ابي علي المقري وكان علي بنت محمد بن عيسى المذكور وغير هذا ايضا ونعوذ بالله من الضلال وقالت طائفة الكرامية المنافقون مؤمنون مشركون من اهل النار وقالت طائفة منهم ايضا من آمن بالله وكفر بالنبي صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن كافر معا ليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق وقال مقاتل ابن سليمان وكان من كبار المرجئة لا يضر مع الايمان سيئة جلت او قلت اصلا ولا ينفع مع الشرك حسنة اصلا وكان مقاتل هذا مع جهم بخراسان في وقت واحد وكان يخالفه في التجسيم كان جهم يقول ليس الله تعالى شيئا ولا هو ايضا لا شيء لانه تعالى خالق كل شيء فلا شيء الا مخلوق وكان مقاتل يقول ان الله جسم ولحم ودم على صورة الانسان وقالت الكرامية الانبياء يجوز منهم كبائر المعاصي كلها حاشا الكذب في البلاغ فقط فانهم معصومون منه وذكر لي سليمان بن خلف الباجي وهو من رؤس الاشعرية ان فيهم من يقول ايضا ان الكذب في البلاغ ايضا جائز من الانبياء والرسل عليهم السلام

(قال ابو محمد) وكل هذا كفر محض وذكر عنهم محمد بن الحسن بن فورك الاشعري انهم يقولون ان الله تعالى يفعل كل ما ينعل في ذاته وانه لا يقدر على افناء خلقه كله حتى يبقى وحده كما كان قبل ان يخلق وقالوا ايضا ان كلام الله تعالى اصوات وحروف هجاء مجتمعة كلها ابدا لم تزل ولا تزال وقالوا ايضا لا يقدر الله على غير ما فعل وقالوا ايضا انه متحرك

ونقصانه وهؤلاء يسمون الجذرية كينية اي عباد القمر ومن سنتهم ان يتخذوا صنما على صورة جوهر ويبدل الصنم جوهر ومن دينهم ان يسجدوا له ويعبدوه وان يصوموا النصف من كل شهر ولا يفطروا حتى يطلع القمر ثم ياتون صنمه بالطعام والشراب واللبن ثم يرغبون وينظرون الى القمر ويسالونه عن حوائجهم فاذا استهل الشهر علوا السطح وايقدوا الدخن ودعوا عند رايته ورغبوا اليه ثم نزلوا عن السطوح الى الطعام والشراب والفرح والسرور ولم ينظروا اليه الا لي وجوه حسنة وفي نصف الشهر اذا فرغوا من الافطار اخذوا في الرقص واللعب

ابيض اللون وذكر عنهم انهم يقولون انه تعالى لا يقدر على اعادة الاجسام بعد بلائها لكن يقدر على ان يخلق مثلها ومن حماقاتهم انهم يجيزون كون امامين واكثر في وقت واحد وأما الاشعرية فقالوا ان شتم من أظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بافحش ما يكون من الشتم واعلان التكذيب بها باللسان بلا تقية ولا حكاية والاقرار بانه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفرا ثم خشوا مبادرة جميع اهل الاسلام لهم فقالوا الا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلن وتقطعون بصحة ما دل عليه هذا الدليل فقالوا الا وقالت الاشعرية ان ابليس قد كفر ثم اعلن بعصيان الله تعالى في السجود لآدم عليه السلام فان ابليس من حينئذ لم يعرف ان الله تعالى حقا ولا انه خلقه من نار ولا انه خلق آدم من تراب وطين ولا عرف ان الله امره بالسجود لآدم بعدها قط ولا عرف بعد هذا قط ان الله كرم آدم ومن قولهم باجمعهم ان ابليس لم يسأل الله قط ان ينظره الى يوم البعث فقلنا لهم ويلكم ان هذا تكذيب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ورد للقرآن قالوا لنا ان ابليس انما قال كل ذلك هازئا مستهزئا بلا معرفة ولا اعتقاد كان هذا اشنع كفروا برده بعد كفر الغالية من الرافضة وقالوا ان ابليس لم يكفر بمعصيته الله في ترك السجود لآدم ولا بقوله عن آدم انا خير منه وانما كفر بجحد الله تعالى كان في قلبه

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا خلاف للقرآن وتكهن لا يعرف صحته الا من حدثه بها ابليس عن نفسه على ان الشيخ غير ثقة فيما يحدث به وقالت الاشعرية ايضا ان فرعون لم يعرف قط ان موسى انما جاءه بتلك الآيات من عند الله حقا وان اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا قط ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ولا عرفوا انه مكتوب في التوراة والانجيل وان من عرف ذلك منهم وكتمه وتمادى على اعلان الكفر ومحاربة النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر ومن بني قريظة وغيرهم فانهم كانوا مؤمنين عند الله عز وجل اولياء لله من اهل الجنة فقلنا لهم ويلكم هذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول * يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل * و * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * و * فانهم لا يكذبونك * فقالوا لنا معنى انهم وجدوا خطه مكتوبا عندهم لم يفهموا معناه ولا دروا ما هو ونعم عرفوا صورته فقط ودروا ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كما يعرف الانسان جاره فقط فكان هذا كفرا باردا او تحريفا للكلام الله تعالى عن مواضعه ومكابرة سمجة وحماقة ودفعا للضرورة وقد تقصينا الرد على اهل هذه المقالة الملعونة في كتاب لنا رسمه كتاب اليقين في النقض على الملحدين المحتجين عن ابليس اللعين وسائر الكافرين تقصينا فيه كلام رجل من كبارهم من اهل القير وان اسمه عطاف بن دوتاس في كتاب الفه في نصر هذه المقالة وكان اشيخهم الاشعري في اعجاز القرآن قولان احدهما كما يقول المسلمون انه معجز النظم والآخر انما هو المعجز الذي لم يفارق الله عز وجل قط والذي لم يزل غير مخلوق ولا نزل الينا ولا سمعناه قط ولا سمعه جبريل ولا محمد عليهما السلام قط واما الذي يقرأ في المصاحف ونسمعه فليس معجزا بل مقدور على مثله وهذا كفر صحيح وخلاف لله تعالى ولجميع اهل الاسلام وقال كبيرهم وهو محمد بن الطيب الباقلاني ان لله تعالى خمسة عشر صفة كلها قديمة لم تزل مع الله تعالى وكلها غير الله وخلاف الله تعالى وكل واحدة منهن غير الاخرى منهن وخلاف لسائرهن وان الله تعالى غير هن وخلافهن

والمعازف بين يدي الصنم والقمر (عبدة الاصنام) اعلم ان الاصناف التي ذكرنا مذاهبهم يرجعون آخر الامر الى عبادة الاصنام اذا كان لا يستمر لهم طريقة الا بشخص حاضر ينظرون اليه ويمكنون عليه ومن هذا اتخذت أصحاب الروحانيات والكواكب أصناما زعموا أنها على صورتها وبالحملة وضع الاصنام حيثما قدرانما هو على معبود عليه الحيا غائب حتى يكون الصنم الممثول على صورته وشكله وهيئته نائبا منابه وقائما مقامه والا فنعلم قطعا ان عاقلا مالا ينحت بيده خشبا صورة ثم يعتقد انه الهه وخالقه وخالق الكل اذ كان وجوده

(قال ابو محمد) هذا والله اعظم من قول النصارى وادخل في الكفر والشرك لان النصارى لم يجعلوا مع الله تعالى الا اثنين هو ثالثهما وهؤلاء جعلوا معه تعالى خمسة عشر هو السادس عشرلهم وقد صرح الاشعرى فى كتابه المعروف بالمجالس بان مع الله تعالى اشياء سواه لم تزل كما يزل

(قال ابو محمد) وهذا ابطال التوحيد علانية وانما حملهم على هذا الضلال ظنهم ان اثبات علم الله تعالى وقدرته وعزته وكلامه لا يثبت الا بهذه الطريقة الملعونة ومعاذ الله من هذا بل كل ذلك حق لم يزل غير مخلوق ليس شيء من ذلك غير الله تعالى ولا يقال فى شيء من ذلك هو الله تعالى لان هذه تسمية له عز وجل وتسميته لا تجوز الا بنص وقد تقصينا الكلام فى هذا فى صدر ديواننا هذا والحمد لله رب العالمين وانما جعلنا هاهنا شنع اهل البدع تنفيرا عنهم وايحاشا للاغمار من المسلمين من الانس بهم ومن حسن الظن بكلامهم الفاسد ولقد قلت لبعضهم اذا قلتم ان مع الله تعالى خمسة عشر صفة كلها غيره وكلها لم تزل فما الذى انكرتم على النصارى اذ قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقال لى انما انكرنا عليهم اذ جعلوا معه شيئين فقط ولم يجعلوا معه اكثر ولقد قال لى بعضهم اسم الله تعالى وهو قولنا الله عبارة تقع على ذات البارى وجميع صفاته لا على ذاته دون صفاته فقلت له اتعبد الله ام لا فقال لى نعم فقلت له فانما تعبد اذا ما ترك الخالق وغيره معه فيكفيك فنفر نفرة وقال معاذ الله من هذا ما عبد الا الخالق وحده فقلت له فانما تعبد اذا ما ترك بعض ما يسمي به الله فنفر اخرى وقال معاذ الله من هذا وانا واقف فى هذه المسئلة وقال شيخ لهم قديم وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب البصرى ان صفات الله تعالى ليست باقية ولا فانية ولا قديمة ولا حديثة لكنها لم تزل غير مخلوقة هذا مع تصريحه بان الله قديم باق ومن حماقات الاشعرية قولهم ان للناس احوالا ومعاني لا معدومة ولا موجودة ولا معلومة ولا مجهولة ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا ازلية ولا محدثة ولا حق ولا باطل وهى علم العالم بان له علما ووجود الواجد لوجوده كلما يجد هذا امر سمعناه منهم نصا ورأيناه فى كتبهم فهل فى الرعونة اكثر من هذا وهل يمكن الموسوس والمبرسم ان يأتى باكثر من هذا ولقد حاورنى سليمان بن خلف الباجى كبيرهم هذه المسالة فى مجلس حافل فقلت له هذا كما تقول العامة عندنا عنب لا من كرم ولا من دالية ومن هوسهم قولهم ان الحق غير الحقيقة ولا ندرى فى اى لغة وجدوا هذا ام فى اى طبيعة ظفروا به فقالوا ان الكفر حقيقة وليس بحق وقلنا كلا بل وجوده عن حقيقة ومعناه باطل لا حق ولا حقيقة وقالوا كلهم ان الله حامل لصفاته فى ذاته هذا نص قول ابي جعفر السمناني المكفوف قاضى الموصل وهو اكبر اصحاب الباقلانى ومقدم الاشعرية فى وقتنا هذا وقال هذا السمناني أيضا ان من سمى الله تعالى جسما من اجل انه حامل لصفاته فى ذاته فقد اصاب المعنى واخطأ فى التسمية فقط وقال هذا السمناني ان الله تعالى مشارك للعالم فى الوجود وفى قيامه بنفسه كقيام الجواهر والاجسام وفى انه ذو صفات قائمة به موجودة بذاته كما ثبت ذلك فيما هو موصوف بهذه الصفات من جملة اجسام العالم وجواهر هذا نص كلام السمناني حرفا حرفا

(قال ابو محمد) ما اعلم احدا من غلاة المشبهة اقدم على ان يطلق ما اطلق هذا المبتدع

مسبوقا بوجود صانعه وشكله محدث بصنعة ناحته لكن القوم لما عكفوا على التوجه اليها وربطوا حوائجهم بها من غير اذن وحجة وبرهان وسلطان من الله تعالى كان عكوفهم ذلك عبادة وطلبهم الحوائج منها اثبات الهية لها وعن هذا كانوا يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفا * فلو كانوا مقتصرين على صورها فى اعتقاد الربوبية والالهية لما تعدوا عنها الى رب الارباب (الهاكالية) لهم صنم يدعى مهاكال له اربع أيد كثير شعر الرأس سبطها وباحدى يديه ثعبان عظيم فاغر فاه وباخرى عصا وبالثة رأس انسان وبالرابعة كانه يدفعها وفى اذنيه حيتان كالقرطين وعلى جسده ثعبانان عظيمان قد التفا عليه وعلى

الجاهل الملحد المتهور من ان الله تعالى مشارك للعالم حاشا لله من هذا وقال السمناني عن شيوخه من الاشعرية ان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته انما هو على صفة الرحمن من الحياة والعلم والاقتدار واجماع صفات الكمال فيه واسجد له ملائكته كما اسجدهم لنفسه وجعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى كل ذلك

وقال ابو محمد هذا نص كلامه حرفا حرفا وهذا كفر صريح وشرك بواح اذ صرح بان آدم على صفة الرحمن من اجتماع صفات الكمال فيهما فالله تعالى وآدم عنده مثلان مشتبهان في اجتماع صفات الكمال فيهما ثم لم يقنع بهذه السيرة حتى صرح بان سجود الملائكة لآدم كسجودهم لله عز وجل وحاشا لله من هذا لان سجود الملائكة لله تعالى سجود عبادة وديانة لخالقهم وسجودهم لادم سجود سلام وتحية وتشريف منهم لآدم واكرام له بذلك كسجود يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام فقط ثم زاد اللعين كفرا على كفر بنصه أن الله تعالى جعل له الامر والنهي على ذريته كما كان لله تعالى ذلك وهذا شرك لاخفاء به كشرك النصارى في المسيح ولا فرق ونسال الله تعالى العافية وقال هذا السمناني أن مذهب شيوخه انهم لا يقولون أن الامر بالشيء دال على كونه مرادا للآمر قديما كان أو محدثا ولا يدل النهي على كونه مكروها هذا نص كلامه وهذا خلاف الاسلام والاجماع والمعقول وتصريح ان الله تعالى اذ أمر بالصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد وشهادة الاسلام فليس في ذلك دليل على انه يريد شيئا من ذلك واذ نهى عن الكفر والزنا والبغي والسرقة وقتل النفس ظلما فليس ذلك دليلا على انه يكره شيئا من ذلك وما في الاقوال اثنين من هذا القول وقال السمناني انه لا يصح القول بان علم الله تعالى مخالف للمعلوم كلها ولا ان قدرته مخالفة للمقدور كلها لانها كلها داخلة تحت قولنا ووصفنا للمقدور والمعلوم هذا نص كلامه وهذا بيان بان دينهم ان علم الله تعالى وقدرته من نوع علمنا وقدرتنا واذا الامر كذلك عنده فعلمنا وقدرتنا عرضان فينا مخلوقان فوجب ضرورة ان علم الله تعالى وقدرته عرضان في الله مخلوقان اذ من الممتنع وقوع ما لم يزل مع المحدث المخلوق تحت حد واحد ونوع واحد ونص هذا السمناني ومحمد بن الحسن بن فورك في صدر كلامه في كتاب الاصول ان الحدود لا تختلف في قديم ولا محدث قالوا ذلك في كلامهم في علم الله تعالى في تحديدهم لمعنى العلم بصفة يقع تحتها علم الله تعالى وعلوم الناس وهذا نص منهم على ان الله تعالى محدود واقع تحت الحدود وهو عالمه وقدرته وهو شر من قول جهم شيخهم في الحقيقة وأبين من قول كل مشبه في الارض ونص هذا السمناني على ان العالم والقادر والمريد من الله تعالى وخلقه انما كان محتاجا الى هذه الصفات لكونه موصوفا بها لا لجوازها عليه هذا نص كلامه وهذا تصريح منهم بلا تكلف ولا تاويل بان الله تعالى عن كفر هذا الاعن محتاج الى الصفات وهذا كفر ما يدري ان احدا بلغه ونص هذا السمناني ايضا على ان الله تعالى لما كان حيا عالما كان موصوفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة حتى لا يختلف الحال في ذلك في الشاهد والغائب هذا نص كلامه وهذا تصريح منه على ان الله تعالى حالا لم يخلقه فيها خلقة بل هو وهم فيها سواء ونص هذا السمناني على انه اذا كانت الصفات الواجبة لله تعالى في كونه عالما قادرا لا ينفي وجوبها له عن ما هو مصحح لها من الحياة فيه كما لا يوجب غناه

عما

رأسه اكليل من عظام القحف وعليه من ذلك قلادة يزعمون انه عفريت يستحق العبادة لعظيم قدره واستحقاقه لما فيه من الخصال المحمودة المحبوبة والمذمومة من الاعطاء والمنع والاحسان والاساءة وانه مفزع لهم في حاجاتهم وله بيوت عظام بارض الهند ياتون اليها أهل ملته في كل يوم ثلاث مرات يسجدون له ويطوفون به ولهم موضع يقال له اختر فيه صنم عظيم على صورة هذا الصنم ياتونه من كل موضع ويسجدون له هناك ويطلبون حاجات الدنيا حتى ان الرجل يقول له فيما يسال زوجني فلانة واعطني كذا ومنهم من ياتيه ويقيم عنده الايام لا يذوق شيئا يتضرع اليه ويساله الحاجة حتى ربما يفق

عما يوجب كونه عالما قادرا عن القدرة والعلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا نص جلي على ان الله تعالى غير غني عن شيء وهو غير لان الصفات عندهم هي غيره تعالى والله تعالى عندهم غير غني عنها تعالى الله واذا لم يكن غنيا عنها فهو فقير اليها هكذا قالت اليهود ان الله فقير تعالى الله عن هذا بل هو الغني جملة عما سواه وكل من دونه فقير اليه تعالى وقال السمناني ان قال قائل لم انكرتم ان يكون الله مريدا لنفسه حسب ما قاله النجار والجاحظ قيل له انكرنا ذلك لما قدمنا ذكره من ان الواحد من الخلق مريد بارادة ولا يخلو ان يكون حقيقة المريد من له الارادة أو كونه مريد اوجود الارادة له وأي الامرين كان وجبت مساواة الغائب الشاهد في هذا الباب

(قال ابو محمد) وهذا نص جلي على مساواة الله تعالى لخلقه عند هذا الجاهل وهذا أعظم في الكفر من قول كل مجسم لان جميع المجسمين لم يقدم احد منهم قط على القول بان الله تعالى مساو لخلقه قبل هذه الفرقة الملعونة ثم العجب قطعهم بان الله عز وجل غايب غير شاهد وحاشا لله عن هذا بل هو معنا وهو اقرب الينا من حبل الوريد كما قال عز وجل انه حاضر في العقول غير غائب وقال البلاقاني ما وجد في الله تعالى من التسميات فانه يجوز اطلاقها عليه وان لم يسم بذلك نفسه ما لم يرد شرع يمنع من ذلك

(قال ابو محمد) هذا نص منه على ان هاهنا معاني توجد في الله تعالى مع الالحاد في اسمائه اذ جاز تسميته بما لم يسم به عز وجل نفسه تعالى الله عن هذا علوا كبيرا وقالوا كلهم ان الله تعالى ليس له الا كلام واحد وليس له كلمات كثيرة

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا كفر مجرد لخلافه القران وتكذيب لله عز وجل في قوله * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا * واذ يقول تعالى * ولو أن ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله * مع ان قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد قول احمق لا يعقل ولا يقوم به برهان شرعي ولا تشكل في هاجس ولا يوجبه عقل انما هو هذيان محض ويقال لهم لا يخلو القرآن عندهم من انه كلام الله تعالى أو ليس هو كلام الله تعالى فان قالوا ليس هو كلام الله تعالى كفروا من قرب وكفى الله تعالى مؤنتهم وان قالوا هو كلام الله تعالى فالقرآن مائة سورة واربعة عشر سورة فيها ستة آلاف اية ونيف كل سورة منها عند اهل الاسلام غير الاخرى وكل آية غير الاخرى فكيف يقول هؤلاء النوكى انه ليس لله تعالى الا كلام واحد اما هذا من الكفر البارد والقحة السمجة ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم ان القرآن لم ينزل به قط جبريل على قلب محمد عليه الصلاة والسلام وانما نزل عليه بشيء آخر هو العبارة عن كلام الله وان القرآن ليس عندنا البتة الا على هذا المجاز وان نرى في المصاحف ونسمع من القراء ونقرأ في الصلاة ونحفظ في الصدور ليس هو القرآن البتة ولا شيء منه كلام الله البتة بل شيء آخر وان كلام الله تعالى لا يفارق ذات الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذا من اعظم الكفر لان الله تعالى قال * بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ * وقال تعالى . نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى * فاجره حتى يسمع كلام الله . وقال تعالى . بل آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . وقال رسول الله

(البركسهيكية) من سنتهم ان يتخذوا لانفسهم صنما يعبدونه ويقربون له الهدايا وموضع تعبدهم له ان ينظروا الى ياسق الشجر وملتفه مثل الشجر الذي يكون في الجبال فيلتمسون منها أحسنها وأطولها فيجعلون ذلك الموضع موضع تعبدهم ثم يأخذون ذلك الصنم فيأتون شجرة عظيمة من تلك الشجرة فينقبون فيها موضعا يركبونه فيها فيكون سجودهم وطوافهم نحو تلك الشجرة (الدهكينية) من سنتهم أن يأخذوا صنما على صورة امرأة وفوق رأسه تاج وله أيدي كثيرة ولهم عيد في يوم من السنة عند استواء الليل والنهار والشمس والقمر ودخول الشمس في الميزان فتخذون في ذلك اليوم عريشا

صلى الله عليه وسلم انى احب ان أسمعه من غيرى يعنى القرآن وقال عليه السلام الذى يقرأ القرآن
مع السفرة الكرام البررة ونبيه صلى الله عليه وسلم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو والى
اجماع عامة المسلمين وخاصتهم وجاهلهم وعالمهم على القول حفظ فلان القرآن وقرأ فلان
القرآن وكتب فلان القرآن في المصحف وسمعنا القرآن من فلان وكلام الله تعالى مافى
المصحف من أول ام القرآن الى آخر قل أعوذ برب الناس وقال السمناني أيضا ان الباقلانى
وشيوخه قالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم انما أطلق القول بان ما انزل الله هو القرآن وهو
كلام الله تعالى انما هو على معنى انه عبارة عن كلام الله تعالى وانه يفهم منه امره ونهيه فقط
﴿قال ابو محمد﴾ ويقال لهم اخبرونا عن قولكم ان الكتاب هو المصحف والقراءة المسموعة
فى المحارب كل ذلك عبارة عن القرآن ماذا تعنون بذلك وهل هذا منكم الا تمويه ضعيف وهل
كل مافي المصحف الا عبارة عن معانيه التى اراد الله تعالى فى شرع دينه من الصلاة والصيام
والايمان وغير ذلك واخبارهم الامم السالفة وصفة الجنة والنار والبعث وغير ذلك مما لا يختلف
من اهل الاسلام أحد فى ان المعبر عنه بذلك الكلام ليس هو كلام الله أصلا لان ذات
الجنة وذات النار وحركات المصلى وعمل الحاج وعمل الصائم واجسام عاد وأشخاص ثمود
ليس شيء من ذلك كلام الله تعالى ولا قرآنا فثبت ان ليس هو القرآن ولا هو كلام الله
الا العبارة المسموعة فقط والكلام المقروء والخط المكتوب في المصحف بلاشك اذ لم يبق
غير ذلك او الكفر وتكذيب الله تعالى وتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ان
القرآن أنزل عليه وانما سمع كلام الله وهم الصماء ان الذى هو كلام الله والقرآن عند
جميع اهل الاسلام ليس هو القرآن ولا هو كلام الله ثم أوهموهم باستخفاف كل حركات
المتحركين وذات الجنة وذات النار هى كلام الله تعالى وهى بالقرآن اهل فى الضلال والسخرية
بضعفة المسلمين والهزء بايات الله تعالى اكبر من هذا ولقد اخبرنى على بن حمزة المراوى
العقيلى الصوفى انه راى بعض الاشعرية يبطح المصحف برجله قال فاكبرت ذلك ووقلت له
ويحك هذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى فقال لى ويلك وبالله ما فيه الا السخام
والسواد وأما كلام الله فلا ونحو هذا من القول الذى هذا مبلغه وكتب الى ابو الرحى بن
رزوار المصرى ان بعض ثقة اهل مصر اخبره من طلاب السنن ان رجلا من الاشعرية
قال له مشافهة على من يقول ان الله قال قل هو الله احد الله الصمد الف لعنة
﴿قال ابو محمد﴾ بل على من يقول ان الله عز وجل لم يقلها الف الف لعنة تترى وعلى من
ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله الف الف لعنة
تترى من الله عز وجل فان قول هذه الفرقة فى هذه المسألة هو الكفر بالله عز وجل ومخالفة
للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفه جميع اهل الاسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة
(قال ابو محمد) وقالت الاشعرية كلها ان الله عز وجل لم يزل قائلا لكل ما خلق او يخلق
فى المستانف كن الا ان الاشياء لم تكن الا حين كونها وهذا تكذيب منهم مكشوف لله
عز وجل اذ يقول * انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فبين الله تعالى انه لا
يقول للشيء كن الا اذا اراد تكوينه وانه اذا قال له كن كان الشيء فى الوقت بلا مهلة لان
هذا هو مقتضى اللغة فى لغة العرب التى بها نزل القرآن فجمعوا الى تكذيب الله عز وجل فى

عظيما بين يدى ذلك الصنم
ويقربون اليه القرابين من
الغنم وغيرها ولا يذبحونها
ولان يضربون اعناقها
بين يديه بالسيوف
ويقتلون من اصابوا من
الناس قربانا بالفيلة حتى
ينقضى عيدهم وهم مسيئون
عند عامة أهل الهند بسبب
الفيلة (الجلهكية) أى عباد
الماء يزعمون أن الماء ملك
وهم ملائكة وانه اصل كل
شيء وبه ولادة كل شيء
ونموه ونشوؤه وبقاؤه وطهارة
وعمارة وما من عمل فى
الدنيا الا ويحتاج الى الماء
فاذا أراد الرجل عبادته
تجرد وستر عورته ثم
دخل الماء حتى وصل الى
حلقه فيقيم ساعة أو
ساعتين أو أكثر ويأخذ
ما امكنه من الرياحين
فيقطعها صغارا يلقى فيه
بعضه بعد بعض وهو
يسبح ويقرأ فاذا اراد

خبر به جميعا ايجاب ازلية العالم لان الله تعالى اذا كان لم يزل قائلا لما يكون كان فان التكوين لم يزل وهذه دهرية محضة ثم قال السمناني بعد اسطر لانه لو وجب وجود ما وجد في الوقت الذي وجد فيه لاجل قول الله تعالى كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره له كن لان صفة الاقتضاء لا تختلف في ذلك بين القديم والمحدث

(قال ابو محمد) هذا نص كلام هذا الفاسق الملحد حرفا حرفا وهذا كفر محض وحماقة لا خفاء بها اما الكفر فابطاله ان وجود الاشياء في الاوقات التي وجدت فيها انما وجدت لاجل قول الله تعالى لها كن وايجابه ان الاشياء لم توجد في احيان وجودها لقول الله تعالى لها كن وهذا تكذيب لله تعالى صرف وخروج عن اجماع اهل الاسلام وكل من يصلي الى القبلة قبلهم ومن الكفر الصريح ايضا في هذا الكلام الملعون قوله ان صفة الاقتضاء في ذلك لا تختلف بين القديم والمحدث فسوى بين الله تعالى وخلقه واما الحماقة فقوله لو وجدت الاشياء من اجل قول الله تعالى لها كن لوجب ان يوجد لاجل قول غيره لها كن فيا للمسلمين هل سمع في الحمق والرعونة وقلة الحياء اكثر من قول من سوى بين قول الله عز وجل كن للشيء اذا اراد تكوينه وبين قول غيره من الناس كن وهذا اخبث من قول الدهرية ونعوذ بالله من الضلال فلولا الخذلان ما انطلق بهذا لوك لسان من لا يقذف بالحجارة في الشوارع وماشبهت بهذا الكلام الا كلام النذل ابي هاشم الجبائي لو لم يجز لنا ان نسمي الله تعالى باسم حتى يأذن لنا في ذلك لوجب ان لا يجوز لله ان يسمي نفسه حتى يأذن له غيره في ذلك

(قال ابو محمد) وهذه اقوال لو قالها صبيان يسيل مخاطبهم لا يس من فلاحهم وتالله لقد لعب الشيطان بهم كما شاء فانا لله وانا اليه راجعون وقالت الاشعرية كلها ان الله لا يقدر على ظلم احد البتة ولا يقدر على الكذب ولا على قول ان المسيح ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت النصارى وانه لا يقدر على ان يقول عزير ابن الله حتى يقول قبل ذلك وقالت اليهود وانه لا يقدر على ان يتخذ ولدا وانه لا يقدر البتة على اظهار معجزة على يدي كذاب يدعي النبوة فان ادعى الالهية كان الله تعالى قادرا على اظهار المعجزات على يديه وانه تعالى لا يقدر على شيء من المحال ولا على احالة الامور عن حقائقها ولا على قلب الاجناس عن ماهياتها وانه تعالى لا يقدر البتة على ان يقسم الجزء الذي لا يتجزأ ولا على ان يدعو احدا الى غير التوحيد هذا نص كلامهم وحقيقة معتقدهم فجعلوه تعالى عاجزا متناهي القوة محدود القدرة يقدر مرة ولا يقدر اخرى ويقدر على شيء ولا يقدر على آخر وهذه صفة النقص ومع هذا يقولون ان الساحر يقدر على قلب الاعيان وعلى ان يمسخ انسانا فيجعله حمارا على الحقيقة وعلى المشي في الهواء وعلى الماء فكان الساحر عندهم أقوى من الله تعالى

(قال ابو محمد) وخشوا مبادرة اهل الاسلام لهم بالاصطلام فخنسوا عن ان يصرحوا بان الله تعالى لا يقدر فقالوا لا يوصف الله بالقدرة على شيء مما ذكرنا

(قال ابو محمد) ولا راحة لهم في هذا لاننا نقول لهم ولم لا نصفه بالقدرة على ذلك الا انه يقدر على شيء من ذلك ولا له قدرة على كل ذلك ام لانه لا يقدر على كل ذلك ولا له قدرة على شيء من ذلك ولا بد من احدهما بضرورة العقل وهنا ضلت جهلتهم الضعيفة ولا بد لهم من القطع بانه لا يقدر وبانه لا قدرة له على ذلك واذ قد صرحوا بهذا بالضرورة

توفي قلانوس تأسف برحمتين على الهند كلهم فرغب الناس في تلطيف الابدان وتهذيب الانفس وكان يقول اي امر هذب نفسه واسرع في الخروج من هذا العالم الدنس وطهر بدنه من اوساخه ظهر له كل شيء وعاين كل غائب وقدر على كل متعذر وكان محبورا مسرورا ملتذا عاشقا لا يمل ولا يكل ولا يمسه نصب ولا تعب فلما نهج لهم الطريق واحتج عليهم بالحجج المقنعة اجتهدوا اجتهادا شديدا وكان يقول أيضا

قول العقل ومسموع الامة كلاهما يوجبان أن من لا يقدر على شيء فهو عاجز عنه وان من لا قدرة له على شيء فصفته العجز والضعف لا يحقة به فلا بد لهم ضرورة من اطلاق اسم العجز على الله تعالى ووصفه بانه عاجز وهذا حقيقة مذهبهم يقينا الا انهم يخافون البوار ان اظهروه وقال هذا البلاقلاني لا فرق بين النبي والسحر الكذاب المتنبي فيما يأتينا به الا التحدي فقط وقول النبي لمن بحضرته هات من يعمل كعملي وهذا ابطال للنبوة مجرد وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من اهل الضلالة والجهالة ليس لله تعالى اسماء البتة وانما له تعالى اسم واحد فقط ليس له اسم غيره وان قول الله تعالى * ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه * انما اراد ان يقول لله التسميات الحسنى فذروا الذين يلحدون في تسمياته فقال لله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه قالوا وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسماء مائة غير واحدا انما اراد ان يقول تسعا وتسعين تسميه فقال تسعة وتسعين اسما

ان ترك لذات هذا العالم هو الذي يلحقكم بذلك العالم حتى تتصلوا به وتنخرطوا في سلكه وتخلدوا في لذاته ونعيمه فدرس أهل الهند هذا القول ورسخ في عقولهم ثم توفي عنهم برحمن وقد تجسم القول في عقولهم لشدة الحرص والالحاق بذلك العالم افترقوا فرقتين فرقة قالت ان التناسل في هذا العالم هو الخطأ الذي لا خطأ أبين منه اذ هو نتيجة اللذة الجسمانية وثمرة النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدي اليه

(قال ابو محمد) مافي البرهان على قلة الحياء وفساد الدين واستسهال الكذب اكثر من هذا وليت شعري من اخبرهم عن الله تعالى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الافك ثم ليت شعري اذ زعموا ان الله تعالى اراد ان يقول التسميات الحسنى فقال الاسماء الحسنى لاي شيء فعل ذلك اللكنة أم غفلة أم تعمدا لاضلال عباده ولا سبيل والله الى رابع فاعجبوا لعظيم ماحل بهؤلاء القوم من الدمار والتبار والكذب على الله عز وجل جهارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع ان هذا قول ماسبقهم اليه أحد وقالوا كلهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ليس هو رسول الله اليوم لكنه كان رسول الله

(قال ابو محمد) فكذبوا القرآن في قول الله عز وجل * محمد رسول الله * وكذبوا الاذان وكذبوا الاقامة التي افترضها الله تعالى خمس مرات كل يوم وليلة على كل جماعة من المسلمين وكذبوا دعوت جميع المسلمين التي اتفقوا على دعاء المنار اليها وعلى انه لا نجاة من النار الا بها وكذبوا جميع اعصار المسلمين من الصحابة فمن بعدهم في اطباق جميعهم برهم وفاجرهم على الاعلان بلا اله الا الله محمد رسول الله ووجب على قولهم هذا الملعون انه يكذب المؤذنون والمقيمون ودعاة الاسلام في قولهم محمد رسول الله وان الواجب ان تقولوا محمد كان رسول الله وفي هذه المسالة قتل الامير محمود بن سبكتكين مولى امير المؤمنين وصاحب خراسان رحمه الله ابن فورك شيخ الاشعرية فاحسن الله جزاء محمود على ذلك ولعن ابن فورك واشياعه واتباعه

(قال ابو محمد) انما حملهم على هذا الكفر الفاحش قول لهم آخر في نهاية الضلال والانسلاخ من الاسلام وهي قولهم ان الارواح اعراض تفنى ولا تبقى وقتين وان روح كل واحد منا الان هو غير روحه الذي كان له قبل ذلك بطرفة عين وان كل واحد منا يبدل ازيد من الف الف روح في كل ساعة زمانية وان النفس انما هو هذا الهواء الخارج بالتنفس حارا بعد دخوله باردا وان الانسان اذا مات فني روحه وبطل وانه ليس لمحمد ولا لاحد من الانبياء عند الله تعالى روح ثابتة تنعم ولا نفس قائمة تكرم وهذا خروج عن اجماع الاسلام فما قال

بهذا أحد ممن ينتمي الى الاسلام قبل أبي الهذيل العلاف ثم تلاه هؤلاء وهذا خلاف مجرد للقرآن وتكذيب لله عز وجل اذ يقول * أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون * واذ يقول عز وجل * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * وقال عز وجل * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * والقوله تعالى * الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى * وخلاف السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المنقولة نقل التواتر من نبوته صلى الله عليه وسلم الانبياء عليهم السلام ليلة أسري به في السماء وما جرى له مع موسى عليه السلام في عدد الصلوات المفروضات وأن أرواح الشهداء نسمة تعلق في ثمار الجنة وما يلقى الروح عند خروجه من الفتنة والمسائلة واخباره عليه السلام أنه رأى عن يمين آدم اسودة نسم بنيه من أهل الجنة وعن يساره اسودة نسم بنيه من أهل النار وسائر السنن المأثورة

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم خجلوا من هذه العظيمة وتبرأ منهم إبليس الذي ورطهم فيها فشلوا فقالوا في كتبهم فان لم يكن هذا فان الروح تنتقل عند خروجها من الجسم الى جسم آخر هكذا نص الباقلاني في أحد كتبه وأظنه الرسالة المعروفة بالحرة وهذا مذهب التناسخ بلا كلفة وقال السمناني في كتابه أن الباقلاني وأصحابه قالوا ان كل ما جاء في الخبر من نقل أرواح الشهداء الى حواصل طير خضر وأن روح الميت ترد تردد اليه في قبره وما جرى مجرى ذلك من وصف الروح بالقرب والبعد والحركة والانتقال والسكون والعذاب فكل ذلك محمول على أقل جزء من أجزاء الميت والشهيد أو الكافر واعادة الحياة في ذلك الجزء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا طريق من الهوس جدا وتطايب بالدين ولقد أخبرني ثقة من أصحابنا انه سمع بعض مقدميهم يقول ان الروح انما تبقى في عجب الذنب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب

(قال ابو محمد) وهذا التاويل أقرب الى الهزل منه الى أقوال أهل الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان فانما هذه مستأثر دون مذهبهم الخبيث الذي ذكرنا آنفا وقالوا كلهم ان النظر في دلائل الاسلام فرض وأنه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها أن يكون ولا بد شاكا في الله عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها

(قال ابو محمد) والله ما سمع سامع قط بادخل في الكفر من قول من أوجب الشك في الله تعالى وفي صحة النبوة فرضا على كل متعلم لانجاة له الا به ولا دين لاحد دونه وان اعتقاد صحة التوحيد لله تعالى وصحة النبوة باطل لا يحل فحصل من كلامهم ان من لم يشك في الله تعالى ولا في صحة النبوة فهو كافر ومن شك فيهما فهو محسن مؤد ما وجب عليه وهذه فضيحة وحماقة اللهم انا نبرأ اليك من هذا القول ومن كل قائل به ثم لم يجدوا في امد الاستدلال حدا فليت شعري على هذا القول الملعون هو ومعتقده والداعي اليه كيف يكون حال من قبل وصيتهم هذه التي هي وصية الشيطان الرجيم فتيقن بالشك في الله تعالى وفي النبوة وامتد به أمد الاستدلال أياما وأشهرا وساعات مات فيها أين مستقره ومصيره الى النار والله خالدا

من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية النطفة الشهوانية فهو حرام وما يؤدي اليه من الطعام اللذيذ والشراب الصافي وكل ما يهيج الشهوة واللذة الحيوانية وينشط النفوس البهيمية فحرام أيضا فاكتفوا بالقليل من الغذاء قدر ما يثبت به أبدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل أيضا ليكون لحاقه بالعالم

مخلدا أبد ويقين ندري أن قائل هذه الاقوال مطالب الاسلام كائدله مرصد لاهله داعية الى الكفر ونعوذ بالله من الضلال وقالوا كلهم أن اطعام رسول الله صلى الله عليه وسلم المئين والعشرات من صاع شعير مرة بعد مرة وسقيه الالف والالوف من ماء يسير ينبع من بين أصابعه وحنين الجذع ومجيء الشجرة وتكلم الذراع وشكوى البعير ومجيء الذئب ليس شيء من ذلك دلالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في نبوته لانه عليه السلام لم يتحد الناس بذلك ولا يكون عندهم آية الا ماتحدى به الكفار فقط وهذا تكذيب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله اذ فعل ذلك أشهد أني رسول الله وهذا أيضا قول افتروه خالفوا فيه جميع أهل الاسلام وقالوا كلهم ليس لشيء من الاشياء نصف ولا ثلث ولا ربع ولا سدس ولا ثمن ولا عشر ولا بعض وانه لايجوز أن يقال الفرد عشر العشرة ولا انه بعض الخمسة وحجتهم في ذلك أنه لو جاز أن يقال ذلك لكان عشرا لنفسه وبعض نفسه

(قال ابو محمد) وهذا جهل شديد لانه انما هو بعض من جملة يكون سائرها غيره وعشر جملة يكون سائرها غيره ونسوا انفسهم فقالوا بالجزء لايتجزء ونسوا الزام انفسهم ان يكون جزءا لنفسه وهذا تكذيب لله عز وجل اذ يقول في القرآن فلهما النصف فلامه الثلث فلامه السدس ولكم الربع ولهن الثمن بعضهم اولياء بعض، هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير مع مخالفتهم في ذلك جميع اهل الارض مؤمنهم وكافرهم ومخالفة كل لغة والمعقول والطبائع وقالوا كلهم من قال ان النار تحرق او تلفح او ان الارض تهتز او تنبت شيئا او ان الخمر يسكر أو أن الخبز يشبع أو أن الماء يروي أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد ألحد وافترى وقال الباقلاني من آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار في القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام والشراب للشبع والري والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل محال ننكره أشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شيء أورده أو حبسه أو إطلاقه من حديد أو غيره هذا نص كلامه

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول * تلفح وجوههم النار * ولقوله تعالى * وأنزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد * وقوله تعالى * انا سوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه أنعامهم وانفسهم * الآية وقوله تعالى * فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج * وقد ضحكت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وباد وهو أيضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول كل مسكر حرام وكل شراب أسكر حرام مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذي حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم اظرف شيء احتجاجهم في هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذي خلق ذلك كله فقلنا لهم اوليس فعل كل حي مختارا واختياره خلقا لله عز وجل فلا بد من قولهم نعم فيقال لهم فمن اين نسبتم الفعل الى الاحياء وهي خلق الله تعالى ومنعتم من نسبة الفعل الى الجمادات لانه خلق الله تعالى ولا فرق ولكنهم قوم لايعقلون

(قال ابو محمد) وسمعت بعض مقدميهم يقول ان من كان على معاصي خمسة من زنا وسرقة وترك صلاة وتضييع زكاة وغير ذلك ثم تاب عن بعضها دون بعض فان توبته تلك لاتقبل وقد نص السمناني على أن هذا قول الباقلاني وهو قول أبي هاشم الجبائي ثم قال السمناني

الاعلى اسرع ومنهم من اذا رأى عمره قد تدنس الق نفسه في النار تزكية لنفسه وتطهيرا لبدنه وتخليصا لروحه ومنهم من يجمع ملاذ الدنيا من الطعام والشراب والكسوة فيمثلها نصب عينيه لكي يراها البصر ويتحرك نفسه البهيمية اليها فتشتاقها ويشتهيها فيمنع نفسه عنها بقوة النفس المنطقية حتى يذبل البدن وتضعف النفس وتفارق لضعف الرباط الذي كان يربطها به واما الفريق الاخر فانهم كانوا يرون التناسل والطعام والشراب وسائر اللذات بقدر الذي هو طريق الحق

هذا قول خارق للاجماع جملة وخلاف لدين الامة هذا نص قول السمناني في شيخه وشهدوا على أنفسهم وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون

﴿قال ابو محمد﴾ هذا القول مخالف للقرآن والسنن لان الله تعالى يقول * فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا * الآية وقال تعالى * اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى * وبالضرورة يدري كل ذي مسكة من عقل ان التوبة من الزنا خير كثير فهذا الجاهل يقول انه لا يراه صاحبه وانه عمل ضائع عند الله عز وجل من مسلم مؤمن ومعاذ الله من هذا وسر هذا القول الملعون وحقيقته التي لا بد لقائله منه انه لا معنى لمن اصر على الزنا او شرب الخمر في ان يصلي ولا ان يزكي فقد صار يامر بترك الصلاة الخمس والزكاة وصوم رمضان والحج فعلى هذا القول وقائله لعائن الله تترى ما دار الليل والنهار ونص السمناني عن الباقلاني شيخه انه كان يقول ان الله تعالى لا يغفر الصغائر باجتناب الكبائر

﴿قال ابو محمد﴾ وانا سمعت بعض مقدميهم ينكر ان يكون في الذنوب صغائر وناظرته بقول الله تعالى * ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم * وقلت بالضرورة يدري كل ذي فهم انه لا كبائر الا بالاضافة الى ما هو اصغر منها وهي السيئات المغفورة باجتناب الكبائر بنص كلام الله تعالى فقولك هذا خلاف للقرآن مجرد غلط ولجا الى الحرد وهذا منهم تكذيب لله عز وجل ورد لحكمه بلا كلفة ومن شنعهم الممزوجة بالهوس وصفاقة الوجه قولهم انه لا حر في النار ولا في الثلج برد ولا في العسل حلاوة ولا في الصبر مرارة وانما خلق الله تعالى ذلك عند اللمس والذوق وهذا حمق عتيق قادم اليه انكارهم الطبائع وقد ناظرناهم على ذلك هذا مع قول شيخهم الباقلاني ان لقشور الرنب رائحة وللزجاج والحصا طعما ورائحة وزادوا حتى بلغوا الى ان قالوا ان للفلك طعما ورائحة فليت شعري متى ذاقوه او شموه او من اخبرهم بهذا وهذا لا يعرفه الا الله ثم الملائكة الذين هنالك ولكن من ذاق طعم الزجاج وشم رائحته فغير منكر ان يدعي مشاهدة الفلك بلمسه وشمه وذوقه ومن شنعهم قولهم ان من كان الآن على دين الاسلام مخلصا بقلبه ولسانه مجتهدا في العبادة الا ان الله عز وجل يعلم انه لا يموت الا كافرا فهو الآن عند الله كافر وان من كان الآن كافرا يسجد للنار وللصليب او يهوديا او زنديقا مصرحين بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان في علم الله تعالى انه لا يموت الا مسلما فانه الآن عند الله مسلم

(قال ابو محمد) ما قال هذا مسلم قط قبل هشام الفوطي وهذه مكابرة للعيان وتكذيب لله عز وجل مجرد كانهم ما سمعوا قط قول الله تعالى * ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا * فهم مؤمنون ثم اخبر تعالى بانهم كفروا وقوله تعالى * ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر * فجعل الاسلام دينا لما كان عليه اذ كان عليه وان ارتد معه ومات كافرا وقوله تعالى مخاطبا للمسلمين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم * ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا * ويلزمهم ان الذي يسلم ابوه ولا يسلم هو لانه كان بالغا ثم مات أبوه فلم يرثه لكفره ثم اسلم ان يفسخوا حكمهم ويورثوه من ابيه لانه عندهم كان اذ مات ابوه مؤمنا عند الله تعالى ويلزمهم

حلالا وقليل منهم من يتعدى عن الطريق ويطلب الزيادة وكان قوم من الفريقين سلكوا مذهب فيثاغورس من الحكم والعلم فتاطفوا حتى صاروا يظهرون على ما في أنفس أصحابهم من الخير والشر ويخبرون بذلك فيزيدهم بذلك حرصا على رياضة الفكر وقهر النفس الامارة بالسوء واللحوق بما لحق به أصحابهم ومذهبهم في الباري تعالى انه نور محض الا انه لا يس جسدا ما يستتر لئلا يراه الا من استاهل رؤيته

ان من كان صديا ثم عاش حتى شاخ انه لم يكن عند الله قط الا شيخا ولو جمع ما يدخل عليهم لقام منه سفر ضخم وقالوا كلهم انه ليس على ظهر الارض يهودي ولا نصراني يقر بقلبه ان الله حق

(قال ابو محمد) هذا تكذيب للقرآن على ما بينا قبل ومكابرة للعيان لانا لا نحصى كم دخل في الاسلام منهم وصلح ايمانه وصار عدلا وكلهم لا يختلف في انه كان قبل اسلامه مقرا بالله عز وجل عالما به كما هو بعد اسلامه لم يزد في توحيده شيء فكابروا العيان وكذبوا القرآن بحمق وقلة حياء لا نظير له وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن مني قول الله تعالى * لا يرضى لعباده الكفر * وقوله تعالى * لا يحب الفساد * انما معناه لا يحب الفساد لاهل الصلاح ولا يرضي لعباده المؤمنين ان يكفروا ولم يرد انه لا يرضاه لاحد من خلقه ولا يحبه لاحد منهم ثم قال وان كان قد احب ذلك ورضيه لاهل الكفر والفساد

واستحقها كالذي يلبس في هذا العالم جلد حيوان فاذا خلعه نظر اليه من وقع بصره عليه واذا لم يلبسه لم يقدر أحد من النظر اليه ويزعمون انهم كالسرايا في هذا العالم فان من حارب النفس الشهوية حتى منعها عن ملاذها فهو الناجي من دنيات العالم السفلي ومن لم يمنعها بقي أسيرا في يدها والذي يريد تحارب هذا أجمع فانما قدر على محاربتها بقدر التحيز والعجب وتمكن الشهوة والحرص والبعد

(قال ابو محمد) وهذا تكذيب لله تعالى مجرد ثم ايضا اخبر بان الكفار فعلوا من الكفر امرا رضيه الله تعالى منهم واحبه منهم فكيف يدخل هذا في عقل مسلم مع قوله تعالى * اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم * واعجبوا الظلمة جهله اذ لم يفرق بين ارادة الكفر والمشيئة والخالق له وبين الرضا والمحبة وقال ايضا في السفر الخامس من الديوان المذكور ليس بمعجز اصلا بل هو مقدور على مثله وقال ايضا في السفر الخامس من الديوان المذكور ان قيل كيف تقولون انه كان يجوز من الله ان يؤلف القرآن تاليفا آخر غير هذا يعجز الخلق عن مقابلته قلنا نعم هو تعالى قادر على ذلك وعلى ما لا غاية له من هذا الباب وعلى اقدار كثيرة واعداد لا يحصيها غيره الا ان كان تاليف الكلام ونظم الالفاظ لا بد ان يبلغ الى غاية وحد لا يحتمل الكلام اكثر منه ولا اوسع ولا يبقى وراء تلك الاعداد نص والا وزان شيء تتناوله القدرة قال ولنا في هذه المسالة نظر في تاليف الكلام ونظم الاجسام وتصوير الاشخاص هل يجب ان يكون نهاية لا يحتمل المؤلف والمنظوم فوقها ولا ما هو اكثر منها ام لا

(قال ابو محمد) هنا صرح بالشك في قدرة الله تعالى الها نهاية كما يقول ابو الهذيل اخوه في الضلال والكفر ام لا نهاية لها كما يقول اهل الاسلام ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من اهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن امره عليهم انهم يقولون ان الله تعالى مذ خلق الارض فانه خلق جسما عظيما يمسكها عن ان تهوي هابطة فلما خلق ذلك الجسم افناه في الوقت بلا زمان وخلق اخر مثله يمسكها أيضا فلما خلقه افناه اثر خلقه بلا زمان ايضا وخلق اخر وهكذا ابدا ابدا بلا نهاية قال لي وحجتهم في هذا الوسواس والكذب على الله تعالى فيه مما لم يقله احد قبلهم مما يكذبه الحس والمشاهدة أنه لا بد للارض من جسم ممسك والا هوت فلو كان ذلك الممسك يبقى وقتين او مقدار طرفة عين لسقط هو ايضا معها فهو اذا خلق ثم افنى اثر خلقه ولم يتم لان الجسم عندهم في ابتداء خلقه لا ساكن ولا متحرك

(قال ابو محمد) وهذا احتجاج للحق بالحق وما عقل احد قط جسما لا ساكنا ولا متحركا بل الجسم في ابتداء خلق الله تعالى له في مكان محيط به في جهاته ولا شك ساكن في مكانه ثم تحرك وكانهم لم يسمعوا قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان

نزولا * فاخبر تعالى انه يمسكها كما شاء دون تكلف مالم يخبرنا الله تعالى به ولا جعل في العقول دليلا عليه ولو ان قائل هذا الحق ونف على الحق وطالع شيئا من براهين الهيئة لخجل مما اتى به من الهوس ومن شنعهم قول هذا الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن ان تقسيم آيات القرآن وترتيب مواضع سوره شيء فعله الناس وليس هو من عند الله ولا من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فقد كذب هذا الجاهل وافك افتراء ما سمع قول الله تعالى * ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها او مثلها * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في آية الربا وآية الكلالة والخبر انه عليه السلام كان يامر اذا نزلت الاية ان تجعل في سورة كذا وموضع كذا ولو ان الناس رتبوا سوره لما تعدوا احد وجوه ثلاثة اما ان يرتبوها على الاول فالاول نزولا او الاطول فما دونه او الاقصر فما فوقه فاذ ليس ذلك كذلك فقد صح انه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لا يعارض عن الله عز وجل لا يجوز غير ذلك اصلا ومن شنعهم قول الباقلاني في كتابه في مذاهب القراءة قرب اخر الكتاب في باب ترجمته ذكر جمل مقالات الدهرية والفلاسفة والثنوية قال الباقلاني فاما ما يستحيل بقاؤه من اجناس الحوادث وهي الاعراض فانما يجب عدمها في الثاني من حال حدوثها من غير معدم ولا شيء يفنيها هذا نص كلامه وقال متصلا بهذا الفصل واما نحن فنقول انها تفنى الجواهر نفسي بقطع الاكوان عنها من حيث لا يصح لها وجود لا في مكان ولا فيما يقدر تقدير المكان واذا لم يلحق فيها شيء من الاكوان فعدم ما كان يخلق فيها منها اوجب عدمها هذا نص كلامه وهذا قول بافناء الجواهر والاعراض وهو فناء واعدام لافاعل لهما وان الله تعالى لم يفن الفاني ونعوذ بالله من الضلال والالحاد المحض وقالوا باجمعهم ليس لله تعالى على الكفار نعمة دينية اصلا وقال الاشعري شيخهم ولا له على الكفار نعمة دنيوية اصلا وهذا تكذيب منه ومن اتباعه الضلال لله عز وجل اذ يقول * بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار واذ يقول * عز وجل يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . وانما خاطب تعالى بهذا كفارا جحدوا نعمة الله تعالى تبكيتا لهم واما الدنيوية فكثيرة قال تعالى * قتل الانسان ما اكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره * الى قوله * فلينظر الانسان الى طعامه * الآية ومثله من القرآن كثير وقال الباقلاني في كتابه المعروف بالانتصار في القرآن في باب مترجم بباب الدلالة على ان القرآن معجز للنبي صلى الله عليه وسلم وذكروا سؤال الملحدين عن الدليل على صحة ما ادعاه المسلمون من ان القرآن معجز فقال الباقلاني يقال لهم ما معنى وصف القرآن وغيره من ايات الرسول صلى الله عليه وسلم بانه معجز فانما معناه انه مما لا يقدر العباد عليه وان يكونوا عاجزين عنه في الحقيقة وانما وصف القرآن وغيره من ايات الرسل عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وخروج الناقة من الصخرة وابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى بانه معجز وان لم يتعلق به عجز عاجزين عنه على وجه التسمية بما يعجز عنه العاجزون من الامور التي صح عجزهم عنها وقدرتهم عليها لانهم لم يقدروا على معارضات ايات الرسل غير عن عدم قدرتهم على ذلك فالعجز عنه تشبيها له بالمعجوز عنه قال الباقلاني ومما يدل على ان العرب لا

عما يدل عليها ويوصل اليها ولما وصل الاسكندر الى تلك الديار وأراد محاربتهم صعب عليه افتتاح مدينة أحد الفريقين وهم الذين كانوا يرون استعمال اللذات في هذا العالم بقدر القصد الذي لا يخرج الى فساد البدن فجهد حتى افتتحها وقتل منهم جماعة من اهل الحكمة فكانوا يرون جثث قتلاهم مطروحة كانها جثث المسك الصافية النقية التي في الماء الصافي فلما رأوا ذلك ندموا على فعلهم وأمسكوا

يجوز ان تعجز عن مثل القرآن لانه قد صح وثبت ان العجز لا يكون عجزا الا عن موجود
فلو كانوا على هذا الاصل عاجزين عن مثل القران وعصى موسى واحياء الموتى وخلق الاجسام
والاسماع والابصار وكشف البلوى والداهيات لوجب ان يكون ذلك اذا مثل موجودا فيهم
ومنهم كانهم لو كانوا قادرين على ذلك لوجب ان يكون ذلك منهم ولما لم يكن ذلك كذلك
ثبت انه لا يجوز عجز العباد على الحقيقة عن مثل القران مع عدمه منهم وكونه غير موجود
لهم ولا عن قلب عصى موسى حية ولا عن مثل ذلك

(قال ابو محمد) ينتظر كفر بعد هذا الكفر في تصريحه ان العباد والعرب لا يجوز ان
يعجزوا عن مثل القران ولا عن قلب العصا حية ولا يفتر ضعيف بقوله انهم غير قادرين على
ذلك فانما هو على قوله المعروف من ان الله لا يقدر على غير ما فعل وظهر منه فقط ومن
عظيم المحال قوله في هذا الفصل انه لا يجوز ان يعجز العاجز الا عما يقدر عليه مع ان
هذا الكلام منه موجب انهم ان عجزوا عن مثل القران قدروا عليه وما يمترى في انه كان
كائدا للاسلام ملحدا لا شك فيه فهذه الاقوال لا ينطلق بها لسان مسلم ومن اعظم البراهين
على كفر الباقلاني وكيده للدين قوله في فصل اخر من الباب المذكور في الكتاب المذكور
انه لا يجب على من سمع القران من محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم أن
يبادر الى القطع على أنه له آية أو انه على يده ظهر ومن قبله نجم حتى يسأل أهل النواحي
والاطراف وسهلة الاخبار ويتعرف حال المتكلمين بذلك اللسان في الافاق فاذا علم بعد التثبت
والنظر انه لم يسبقه الى ذلك احد لزمه حينئذ اعتقاد نبوته

(قال ابو محمد) وهذا انسان خذف معاجلة الامة له بالرجم كما يرجم الكلب ان صرح بان
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم باطل اصرح لهم بما يودي الى ذلك من قرب اذا وجب بان لا
يقر احد بنبوة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بانه اتى
بالقران ولا بانه آية من ايات الله على صحة نبوته الا حتى يسأل اهل النواحي والاطراف وينتظر
الاخبار ويتعرف حال المتكلم بالعربية في الافاق

(قال ابو محمد) فاحال والله على عمل لا نهاية له ولو عمر الانسان عمر نوح عليه الصلاة
والسلام لان سؤال اهل النواحي والاطراف لا ينقضي في الف عام وانتظار الاخبار ليس
له حد ولو ايت شرى متى تصل المخدرة وطالب المعاش الى طرف من هذا المحال لان اهل
النواحي هم من بين صدر الصين الى اخر الاندلس الى بلاد الزنج الى بلاد الصقالبة فما بين
ذلك ملاح كثير وهذا الجاهل الملحد وكيده الاسلام لكل من له ادنى حس مع ضعف كيده
في ذلك قال الله تعالى * ان كيد الشيطان كان ضعيفا * ويكفي من كل هذا الذي به في هذا الفصل
الملعون قائله ان من لا علم قوي بالعربية ولا اخبار فيكفيه تيقن عجز العرب عن معارضته فمن
يعدم الى اليوم وانه من عنده ضرورة لانه لم ينزل القران جملة فيمكن فيه الدعوى من احد وانما
نزل مقطعا في كل قصة تنزل فينزل فيها قران وهذه ضرورة موجبة انه عنده عليه الصلاة والسلام
ظهر بوحي الله تعالى اليه وبما فيه من الغيوب التي قد ظهر انذاره بها واما من لا علم له باللغة
والاخبار فيكفيه اخبار من يثق له العلم بخبره بان العرب عجزت عن مثله وانه اتى به منفصلا عند
حلول القصص التي انزل الله تعالى فيها الاية والايتين والكلمة والكلمتين من القران والتوراة

عن الباقين وأما الفريق
الثاني الذين زعموا ان
لا خير في اتخاذ النساء
والرغبة في النسل ولا في
شيء من الشهوات الجسدانية
كتبوا الى الاسكندر
كتابا مدحوه فيه على حب
الحكمة وملابسته العلم
وتعظيم أهل الرأي والعقل
والتمسوا منه حكيما
يناظرهم فنفذ اليهم واحدا
من الحكماء وفضلوه بالنظر
بالعمل فانصرف الاسكندر
عنهم ووصلهم بجزائل سنية
وهدايا كريمة فقالوا اذا كانت

حتى تم كما هو فهذا الحق وذلك الالحاد المحض والكلام الغث السخيف ومن كفراتهم الصلع قول السمناني اذ نص على ان الباقلاني كان يقول ان جميع المعاصي كلها الا نحاشى شيئا منها مما يجب ان يستغفر الله منه جايز وقوعها من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا الكذب في البلاغ فقط وقال الباقلاني واذا نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلا على انه منسوخ اذ قد يفعله عاصيا لله عز وجل قال الباقلاني وليس على اصحابه فرضا ان ينكروا ذلك عليه وقال السمناني في كتاب الامامة لولا دلالة العقل على وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم معصوما في البلاغ عن الله عز وجل لما وجب كونه معصوما في البلاغ كما لا يجب فيما سواه من افعاله واقواله وقال ايضا في مكان اخر منه وكذلك يجوز ان يكفر النبي صلى الله عليه وسلم بعد اداء الرسالة

(قال ابو محمد) بالله الذي لا إله إلا هو ان كان قال هذا القول ناصرا له وداعيا اليه مسلم قط وما كان قائله إلا كافرا ملحدا فاعلموا ايها الناس انه قد جوز على النبي صلى الله عليه وسلم الكفر والزنا واللياطة والبغاء والسرقة وجميع المعاصي واي كيد للاسلام بالناس اعظم من هذا وأما صاحبه ابن فورك فانه منع من هذا وانكره واجاز على النبي صلى الله عليه وسلم صغار المعاصي كقتل النساء وتعريضهن وتفخيذ الصبيان ونحو ذلك واما شيخهما ابن مجاهد البصري ليس بالمتري فانه منع من كل ذلك وحاشا لله ان يجوز النبي صلى الله عليه وسلم ذنب بعمد لا صغير ولا كبير لقول الله تعالى * لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * ومن المحال ان يامرنا الله تعالى ان نتاسي باحد في معصيته صغرت او كبرت واعجبوا لاستخفاف هذا الملحد بالدين وبالمسلمين اذ يقول هاهنا انه ليس فرضا على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان ينكروا عليه عصيان ربه ومخالفة امره الذي امرهم به وهو يقول في نصره للقياس ان قياس من قاس من الصحابة وسكوت من سكت منهم عن انكاره دليل على وجوب الحكم بالقياس لانهم لا يقرون على منكر فاوجب اقرارهم على المنكر من النبي صلى الله عليه وسلم حاشا لله من هذا وانكر اقرارهم على القياس لو كان منكرا فجمع بين هذا المناقضة والكذب في دعوى القياس على الصحابة ودعوى معرفة جميعهم بقياس من قاس منهم ودعوى انهم لم ينكروه وهذه صفات الكذابين الملاعبين بالدين ومن طوامهم ما حكاه السمناني عن الباقلاني انه قال واختلفوا في وجوب كون النبي صلى الله عليه وسلم افضل اهل وقته في حال الرسالة وما بعدها الى حين موته فاوجب ذلك قائلون واسقطه آخرون وقال الباقلاني وهذا هو الصحيح وبه نقول

(قال ابو محمد) وهذا والله الكفر الذي لا اخفاء به اذ يجوز ان يكون أحد ممن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم فما بعده افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وما انكر نا على احمد ابن خابط الادون هذا اذ قال ان ابا بكر كان ازهد من النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع قول هذا المستخف الباقلاني الذي ذكره عند السمناني في كتابه الكبير في كتاب الامامة منه ان من شرط الامامة ان يكون الامام افضل اهل زمانه

(قال ابو محمد) بالمعيارة بالدين يجوز عند هذا الكافر ان يكون في الناس غير الرسل افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز عنده ان يلي الامامة احد يوجد في الناس

الحكمة تفعل بالملوك هذا الفعل في هذا العالم فكيف اذا البسناها على ما يجب لباسها واتصلت بنا غاية الاتصال ومناظراتهم مذكورة في كتب ارسطوطاليس ومن سننهم اذا نظروا للشمس قد أشرقت سجدوا لها وقالوا اما أحسنك من نور وما اجلالك وما انورك لا نقدر الابصار ان تنذ بالنظر اليك فان كنت انت النور الاول الذي لا نور فوقك فلك الحمد والتسبيح وإياك نطلب واليك

افضل منه ثم حقه ايضا في هذا حق عتيق لانه تكليف مالا يطاق ولا سبيل الى القطع بفضل احد على احد الا بنص من الله عز وجل وكيف يحاط بالافضل من قريش وهم مبثوثون من اقصى السند وكابل وبكران الى الاشونة الى سواحل البحر المحيط ومن سواحل بحر اليمن الى ثغور ارمينية واذربيجان فما يزال اللهم العن من لا يستحي ومن العجب ان هذا النذل البائلاني تعلم بخلاف الاجماع على ابي حنيفة باجازته للفراة الفارسية وصرح بان ترتيب الايات في القرآن اجتهاد وقد اجازه مالك ان قرأ عند غروب الشمس وطلوعها فجاءته آية سجدة ان يصل الى قبلها باتى بعدها فمالك عنده مخالف للاجماع وقام بان الشافعي مخالف للاجماع في قوله * بسم الله الرحمن الرحيم * اية من أم القرآن وان داود خالف الاجماع في قوله بابطال القياس أفلا يستحي هذا الجاهل من ان يصف العلماء بصفته هم عظيم جهله بازعامها وابن كثير وغيرهما من القراء وطائفة من الصحابة تقول بقول الشافعي الذي جهله خلافا للاجماع وانه لم يات قط عن احد من الصحابة ايجاب الحكم بالقياس من طريق ثبت وانه قد قال بانكاره ابن مسعود ومسروق والشعبي وغيرهم ولكن من يضلل الله فلا هادي له ومن عجائبه قوله ان العامي اذا نزلت به النازلة ففرضه ان يسال افقه اهل بلده فاذا افتاه فهو فرضه فان نزلت به تلك النازلة ثانية لم يجزله ان يعمل بتلك الفتيا لكن يسال ثانية اما ذلك الفقيه واما غيره ففرضه ان يعمل بالفتيا الثانية وهكذا ابدا

(قال ابو محمد) هذا تكليف مالا يطاق اذا وجب على كل احد من العامة أن يسال ابدا عن كل ما يتوبه في صلاته وصيامه وزكاته ونكاحه وبيوعه ويكرر السؤال عن كل ذلك كل يوم بل كل ساعة فهل في الحماقة اكثر من هذا ونعوذ بالله من الخذلان

ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم

(قال ابو محمد) ادعت طائفة من الصوفية ان في اولياء الله تعالى من هو افضل من جميع الانبياء والرسل وقالوا من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك واستباحوا بهذا نساء غيرهم وقالوا انا نرى الله ونكلمه وكلامنا قذف في نفوسنا فهو حق ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمهور كلاما نصه ان لله تعالى مائة اسم وازالها وفي مائة هو ستة وثلاثون حرفا ليس منها في حروف الهجاء شيء الا واحد فقط وبذلك الواحد يصل اهل المقامات الى الحق وقال ايضا اخبرني بعض من رسم لمجالسة الحق انه مد رجله يوما فنودي ماهكذا مجالس الملوك فلم يمد رجله بعدها يعني انه كان قديما لمجالسة الله تعالى وقال ابو حاضر النصيبي من اهل نصيبين وابو الصباح السمرقندي واصحابهما ان الخالق ليس الوامع الله تعالى وقال ابو الصباح لا تحل ذبائح اهل الكتاب وخطا افعل ابي بكر الصديق رضي الله عنه في قتال أهل الردة وصوب قول الصحابة الذين رجعوا عنه في حربهم وقال ابو شعيب القلال ان ربه جسم في صورة انسان لحم ودم يفرح ويحزن ويمرض ويفرق وقال بعض الصوفية ان ربه يمشي في الازقة حتى انه يمشي في صورة مجنون يتبعه الصبيان بالحجارة حتى تدموا عقبه فاعلموا رحمكم الله ان هذه كلها كفرات صراح واقوال قوم يكيدون الاسلام وصدق القائل

شهدت بان ابن العلم هازل * باصحابه والبائلاني اهزل

وما

نعمى لندرك السكنى بقربك
ونتظر الى ابداعك الاعلى
ولن كان فوقك وأعلى منك
نورا آخر انت معلول له
فهذا التسبيح وهذا الحمد
له وانما سعينا وتركنا
جميع لذات هذا
العالم لنصير مثلك وناحق
بملكك ونتصل بساكنك
اذا كان المعلول بهذا اليها
والجلال فكيف بالعلة يكون
بهاؤها وجلالها ومجدها وكمالها
فحق لكل طالب ان يهجر
جميع اللذات فيظفر بالجوار
بقربه ويدخل في
غمار جنده وحزبه هذا

وما الجهل الملعون في ذاك دونه * وكلهم في الافك والكفر منزل

والله ماهم من المغرورين بهم في قبولهم عنهم وحسن الظن بهم الا كما قال الاخر

وساع مع السلطان يسعى عليهم * ومحترس من مثله وهو حارس

واعلموا رحمكم الله ان جميع فرق الضلالة لم يجر الله على ايديهم خيرا ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية ولا رفع للاسلام راية وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين ويفرقون كلمة المؤمنين ويسلون السيف على اهل الدين ويسعون في الارض مفسدين اما الخوارج والشيعة فامرهم في هذا الشهر من أن يتكلف ذكره وما توصلت الباطنية الى كيد الاسلام واخراج الضعفاء منه الى الكفر الا على السنة الشيعة واما المرجئة فكذلك الا ان الحارس بن سريج خرج بزعمه منكرا للجور ثم لحق بالترك فقادهم الى ارض الاسلام فانتهب الديار وهتك الاستار والمعتزلة في سبيل ذلك الا ما ابتلى بتقليد بعضهم المعتصم والواثق جهلا وظنا انهم على شيء وكانت للمعتصم فتوحات محمودة كبابل والمازيار وغيرهم فالله الله ايها المسلمون تحفظوا بدينكم ونحن نجمع لكم بعون الله الكلام في ذلك الزموا القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون واصحاب الحديث عصرا عصرا الذين طلبوا الاثر فلزموا الاثر ودعوا كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وبالله تعالى التوفيق تم الكلام في شنع المبتدعة أهل الاهواء والنحل المضلة والحمد رب العالمين

ماوجدته من مقالات اهل العالم ونقلته على ماوجدته فمن صادف فيه خللا في النقل فاصلحه اصلح الله عز وجل حاله وسدد اقواله وافعاله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه اجمعين

﴿ تم ﴾

﴿ فهرست الجزء الرابع من كتاب الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ﴾

صحيفة	
٢	هل تعصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام
٣	الكلام فى آدم عليه السلام
٤	الكلام فى نوح عليه السلام
٥	الكلام فى ابراهيم عليه السلام
٧	الكلام فى لوط عليه السلام
٧	الكلام فى اخوة يوسف عليهم السلام
٨	الكلام فى يوسف عليه السلام
١١	الكلام فى موسى عليه السلام وأمه
١٣	الكلام في يونس عليه السلام
١٤	الكلام فى داود عليه السلام
١٥	الكلام فى سليمان عليه السلام
١٧	الكلام فى محمد صلى الله عليه وسلم
٢٥	الكلام فى الملائكة عليهم السلام
٢٨	هل يكون مؤمنا من اعتقد الاسلام دون استدلال
٣٦	الكلام فى الوعد والوعيد
٤٨	الموافاة
٥٠	الكلام فى من لم تبلغه الدعوة ومن تاب الخ
٥٣	الكلام فى الشفاعة والميزان الخ
٦٠	الكلام على من مات من أطفال المسلمين والمشركين قبل البلوغ
٦٦	الكلام فى القيامة وتغيير الاجساد
٦٨	« « خلق الجنة والنار
٦٩	« « بقاء اهل الجنة والنار ابدا
٧٢	« « الامامة والمفاضلة
٩٠	« « وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة
١١٩	« « حرب علي ومن حاربه من الصحابة
١٢٦	« « امامة المفضول
١٢٩	« « عقد الامامة بماذا تصح
١٣٢	الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
١٣٥	الكلام في الصلاة خلف الفاسق
١٣٧	ذكر العظائم المخرجة الى الكفر او الى المحال الخ
١٣٧	ذكر شنع الشيعة
١٤٤	ذكر شنع الخوارج
١٤٦	ذكر شنع المعتزلة
١٥٤	ذكر شنع المرجئية
١٧٠	ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم

﴿ الى هنا تم بحمد الله تعالى كتاب الملل والنحل للامام الشهرستانى المتوفي سنة ٥٤٨ هـ ﴾